

الجمع المفيد

لشرح كتاب التوحيد

شرح يجمع عدّة شروح من شروح كتاب التوحيد

تقديم

معالي الشيخ د. صالح بن عبد الله بن حميد

(إمام وخطيب المسجد الحرام)

جمعه وأعدّه

ناصر بن مسلم السبيعي



تقديم معالي الشيخ د. صالح بن عبد الله بن حميد

(إمام وخطيب المسجد الحرام)

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد:

فإن بني الإنسان حين يضلون عن سبيل الله يتخبطون في فوضى التدين، ويغرقون في ألوان الشرك والتفرق وأوحال الجاهلية: (وَلاَ تَكُونُواْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) [الروم:٣١-٣٢]. (وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً) [النساء:١١٦].

البشر عقولهم قاصرةٌ عن أن تدرك طريق الصلاح بمفردها، أو تستبين سبيل الرشاد بذاتها. إنها لا تستطيع أن تجلب لنفسها نفعاً أو تدفع ضراً.

لا يرتفع عن النفوس الشقاء، ولا يزول عن العقول الاضطراب، ولا ينزاح عن الصدور القلق والحرج إلا حين تُوقن البصائر، وتُسلم العقول بأنه سبحانه هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد الجبار المتكبر له الملك كله، وبيده الأمر كله، وإليه يرجع الأمر كله؛ (بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) [البقرة:١١٢]. (وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً) [النساء:١٢٥].

إن إسلام الوجه لله وإفراده بالعبادة يرتقي بالمؤمن في خلقه وتفكيره، يُنقذه من زيغ القلوب، وانحراف الأهواء، وظلمات الجهل، وأوهام الخرافة، ينقذه من المحتالين والدجالين، وأحبار السوء ورهبانه ممن يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً. التوحيد الخالص المخلص يحفظ الإنسان من الانفعالات بلا قيد أو ضابط.

توحيد الله هو العبودية التامة له وحده سبحانه تحقيقاً لكلمة الحق: لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم: في لفظها ومعناها والعمل بمقتضاها، يقيم المسلم عليها حياته كلها، صلاته ونسكه ومحياه ومماته.

توحيدٌ في الاعتقاد، وتوحيدٌ في العبادة، وتوحيدٌ في التشريع. توحيدٌ تُنَقَّى به القلوب والضمائر من الاعتقاد في ألوهية أحد غير الله، وتُنَقَّى به الجوارح والشعائر من أن تُصرف لأحد غير الله، وتُنَقَّى به الأحكام والشرائع من أن تتلقاها من أحدٍ دون الله عزَّ وجلَّ.

التوحيد هو أول الدين وآخره، وظاهره وباطنه، وقطب رحاه، وذروة سنامه. قامت عليه

الأدلة، ونادت عليه الشواهد، وأوضحته الآيات، وأثبتته البراهين، نصبت عليه القبلة، وأُسست عليه الملة، ووجبت به الذمة، وعُصمت به الأنفس، وانفصلت به دار الكفر عن دار الإسلام، وانقسم به الناس إلى سعيدٍ وشقيٍّ ، ومهتدٍ وغوي.

لقد كانت عناية القرآن بتوحيد الله عظيمة فهو القضية الكبرى، ومهمة الرسل الأولى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الْطَّاغُوتَ) [النحل:٣٦]. (وَاسْئلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَانِ ءالِهَةً يُعْبَدُونَ) [الزخرف:٤٥]. فالقرآن كله حديثٌ عن التوحيد، وبيان حقيقته والدعوة إليه، وتعليق النجاة والسعادة في الدارين عليه. حديثٌ عن جزاء أهله وكرامتهم على ربِّهم، كما أنه حديثٌ عن ضدِّه من الشرك بالله وبيان حال أهله وسوء منقلبهم في الدنيا، وعذاب الهون في الأخرى؛ (وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ الرّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ) لحج:٣١. (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ) [النساء:٤٨].

والأوامر والنواهي ولزوم الطاعات وترك المحرمات هي حقوق التوحيد ومكملاته.

القرآن العظيم يخاطب الكفار بالتوحيد ليعرفوه ويؤمنوا به ويعتنقوه؛ (يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِىْ خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [البقرة:٢١]. (فَفِرُّواْ إِلَى اللَّهِ إِنّى لَكُمْ مّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ وَلاَ تَجْعَلُواْ مَعَ اللَّهِ إِلَاهاً ءاخَرَ إِنّي لَكُم مّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ) [الذاريات:٥٠-٥١].

وكل نبي يقول لقومه: (يَاقَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مّنْ إِلَاهٍ غَيْرُهُ) [الأعراف:٥٩]. (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِى إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَاهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء:٢٥].

ويُخاطَب به المؤمنون ليزدادوا إيماناً، وليطمئنوا إلى تحقيق توحيدهم، وليحذروا النقص فيه أو الخلل؛ (ياأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ ءامِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِى نَزَّلَ عَلَىا رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِى أَنزَلَ مِن قَبْلُ) [النساء:١٣٦].

ومن صفات عباد الرحمن: (وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَاهًا ءاخَرَ) [الفرقان:٦٨]. ومن نعوت أهل الإيمان الموعودين بالتمكين في الأرض: (يَعْبُدُونَنِى لاَ يُشْرِكُونَ بِى شَيْئاً) [النور:٥٥].

بل لقد خاطب الله أنبياءه ورسله بنبذ الشرك والبراءة من أهله والإعراض عنه وعنهم فقال عز وتبارك: (وَإِذْ بَوَّأْنَا لإِبْراهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِى شَيْئاً وَطَهّرْ بَيْتِىَ لِلطَّائِفِينَ

وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) [الحج:٢٦]. وقال عز وجل: (وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَاهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) [البقرة:١٣٢-١٣٣]. وقال سبحانه: (وَلَقَدْ أُوْحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ) [الزمر:٦٥-٦٦]. (قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَابِ) [الرعد:٣٦]. (وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [القصص:٨٧] (اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لا إِلَاهَ إِلاَّ هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) [الأنعام:١٠٦].

قال أهل العلم رحمهم الله تعليقاً على هذه الآيات وأمثالها: فإذا كان يُنهى عن الشرك من لا يمكن أن يباشره فكيف بمن عداه؟؟ ولقد قال إمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام: (وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ) [إبراهيم:٣٥-٣٦]. قال إبراهيم التيمي: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟

أما السنة فإن بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسالته وسيرته من أولها إلى آخرها؛ مكيِّها ومدنيّها، حضرها وسفرها، سِلمها وحربها، كلها في التوحيد منذ أن أُمر بالإنذار المطلق في سورة المدثر: (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) [المدثر:٥] إلى الأمر بإنذار العشيرة (فَلاَ تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَـهاً ءاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) [الشعراء:٢١٣-٢١٤]. إلى الأمر بالصدع بالدعوة (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) [الحجر:٩٤]. ثم من بعده الأمر بالهجرة (لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) [التوبة:٤٠] والإذن بالقتال والجهاد: (الَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقّ إِلاَّ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا اللَّهُ) [الحج:٤٠] إلى فتح مكة حين كسرت الأصنام (وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ) [الإسراء:٨١]. إلى الإعلام بدنو الحِمام (فَسَبّحْ بِحَمْدِ رَبّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ) [النصر:٣]. وقال وهو في مرض موته: ((لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)).

لم تخلُ فترةٌ من هذه الفترات البتة من إعلان التوحيد وشواهده ومحاربة الشرك وظواهره، ويكاد ينحصر عرضُ البعثة كلِّها في ذلك؛ فما ترك عليه الصلاة والسلام تقريرَ التوحيد وهو وحيدٌ، ولا ذهل عنه وهو محصورٌ في الشعب، ولا انصرف عنه وهو في مسالك الهجرة والعدو

مشتد في طلبه، ولا قطع الحديث عنه وأمره ظاهر في المدينة بين أنصاره وأعوانه، ولا أغلق باب الخوض فيه بعد فتح مكة الفتح المبين، ولا اكتفى بطلب البيعة على القتال عن تكرار عرض البيعة على التوحيد ونبذ الشرك؛ فهذه سيرته المدونة وأحاديثه الصحيحة، والقرآن من وراء ذلك كله.

من أجل هذا كان التوحيد أولاً ولا بد أن يكون أولاً في كل عصر وفي كل مصر.

أما أركان الإسلام الخمسة الكبرى ومعالمه العظمى فشرعت لتعلن التوحيد وتجسده وتقرره وتؤكده تذكيراً وتطبيقاً، وإقراراً وعملاً. فالشهادتان إثبات للوحدانية، نفيٌ للتعدد وحصر للتشريع والمتابعة في شخص المرسَل المبلِّغ محمد صلى الله عليه وسلم.

الصلاة مفتتحةٌ بالتكبير المنبئ عن طرح كل من سوى الله عز شأنه واستصغار كل من دون الله عز وجل. ناهيك بقرآن الصلاة وأذكارها في منازل إياك نعبد وإياك نستعين.

أما الزكاة فهي قرينة الصلاة في التعبد والاعتراف للرب الجليل وإخراجها خالصة لله طيبة بها النفس براءةً من عبادة الدرهم والدينار: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لاَ يُؤْتُونَ الزَّكَواةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [فصلت:٦-٧].

أما الصيام الحق فهو الذي يدعُ الصائمُ فيه طعامه وشرابه وشهوته من أجل ربه ومولاه.

أما الحج فشعار الأمة كلها في هذه البطاح والبقاع فهو التلبية بالتوحيد ونفي الشرك.

يقول أبو إسحاق الشاطبي رحمه الله في ذلك كله: (نحن نعلم أن النطق بالشهادتين والصلاة وغيرهما من العبادات إنما شرعت للتقرب إلى الله والرجوع إليه وإفراده بالتعظيم والإجلال، ومطابقة القلب للجوارح من الطاعة والانقياد).

وفي مأثور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في الورد اليومي الذي يجعله المسلم في حزبه: ((أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين)). وفي الدعاء النبوي: ((اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم)).

ما كانت هذه الأدلة المتكاثرة، والحجج المتظافرة، والبراهين المتوافرة، إلا لعظم الأمر، وخطر شأن القضية،وشدة الخوف على الناس من الانحراف والقلوب من الزيغ.

تحقيق التوحيد يحتاج إلى يقظة قلبية دائبةٍ دائمةٍ تنفي عن النفس كلَّ خاطرة تقدح في

عبودية العبد لربه، وتدفع كلَّ خالجة شيطانية في كل حركة أو تصرفٍ، ليكون ذلك كلَّه خالصاً لله وحده دون من سواه.

ومع شديد الأسف فإن قوادح التوحيد ومنقصاته صارت عند كثير من الناس من أخفى المعاصي معنى وإن كانت من أجلاها حُكماً، فلظهور حكمها ترى المسلمين عامَّتهم يتبرؤون منها ويغضبون كلَّ الغضب إذا نسبوا إليها وهم في هذا الغضب محقون، ولكن لخفاء معناها وقع فيها من وقع وهم لا يشعرون.

ولقد قرر أهل العلم أن الخوض في قوادح التوحيد والحديث عن مظاهر الشرك هي طريقة القرآن. وذلك من أجل تحذير المسلمين وليس الحكم عليهم به؛ فأهل السنة والجماعة لا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحلَّه، ولا يزال أهل العلم يتكلمون عن أحكام الردة وأسبابها، وطرق الزيغ والضلال، ومسالك الابتداع والتحذير منها، فمن علم العقائد الصحيحة وعلَّمها ودل عليها وحذر من طرق الزيغ والكفر والبدع فقد سلك مسلك حقٍّ، ونهج منهجَ نُصحٍ.

وإن مما ينبغي التنبيه إليه أن من الخطأ في المنهج وعدم التوازن في العرض وطرق التعليم أن ترى كثيراً من الكتب والمؤلفات تُفَصِّل في الفروع وأحكام المسائل حتى النادر منها وبعيد الوقوع؛ وهذا شيء في بابه حسن، ولكنهم لا يُعنون بالأصول مما يحتاجه الناس والناشئة فلا يُفصلون في التوحيد وأنواعه وحقوقه ولا يبينون ضدَّه من الشرك وأنواعه ومظاهره وأسبابه.

وثمَّت خطأ منهجي آخر وهو أن المتقدمين رحمهم الله سلكوا في باب العقائد مسالك كلامية ومصطلحات منطقية فخفي على الناس كثير من مهمات العقائد وأصول الدين، ولو سلكوا مسلك القرآن في البيان لكان المتعلمون والناس أحرى بهداية الله وفضله في هذا الباب؟!.

يقول ابن حجر الهيثمي رحمه الله: (ينبغي منع من يُشهر علمَ الكلام بين العامة لقصور أفهامهم ولأنه لا يؤمن بهم إلى الزيغ والضلال، ولابدَّ من أخذ الناس بفهم الأدلة على ما نطق به القرآن ونبه عليه، إذ هو بين واضح يُدرك ببداهة العقل).

ومن هنا لابد من الإشادة والثناء على ما وفق الله إليه الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في كتاب التوحيد الذي نفع الله به البلاد والعباد في العالم الإسلامي حيث اتسم

بالسهولة في الترتيب والتبويب والدقة في بيان الدلائل والمسائل، وقد تناوله العلماء بالشرح والبيان في شروح تداولتها أيدي طلاب العلماء وتطارحتها دروس المساجد واعتنى بها المعلمون والمتعلمون.

وقد أحسن الشيخ/ ناصر بن مسلم السبيعي في جمع حسن من الشروح المتينة لكتاب التوحيد في مؤلف اسماه بـ(الجمع المفيد لشرح التوحيد)، انتخب فيه جملة من المسائل المبينة والفوائد الكاشفة والتعليقات المتينة المكملة، في أسلوب سهل ميسر، ينتفع منه المبدئ والمنتهي.

سائلاً المولى أن ينفع به ويبارك فيه، وأن يجعله في ميزان حسناته.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان والحمد لله رب العالمين.

كتبه

د. صالح بن عبد الله بن حميد

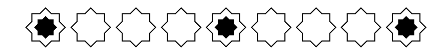
إمام وخطيب المسجد الحرام

المقدّمة

الجمع المفيد
لشرح كتاب التوحيد

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، ومن استنّ بسنته، واهتدى بهديه، واقتفى أثره إلى يوم الدين.. أما بعد: -

فهذا شرّح مُبسّط لكتاب التوحيد(١)، جمعته من عدّة شروح لكتاب التوحيد، حاولت جاهدًا أن أُبسِّطه لطلاب العلم وللعامّة، ولطلاب المدارس والمعاهد والكليّات، فاعتنيتُ بترتيبه وتنسيقه ليسهل على القارئ فهمُه(٢).. ولا يخفى أن جَمْع الشروح في كتاب واحد، وذِكرَ أقوالِ أهل العلم في المسألة يُعين على زيادة الفَهم، وهذا ما قمتُ به في هذا الكتاب.. وقد بيّنت فيه بعض الشُّبَه التي يحتجُّ بها المخالفون والجواب عنها، وذكرت مسائل قيِّمة لا يستغني عنها دارِسُ كتاب التوحيد.. وكنتُ أنزلته كمذكّرة على موقع ملتقى أهل الحديث، وكَثُر عليه الطلب حتى من خارج المملكة، واطّلع عليه الإخوة في دار رسالة البيان وطلبوا منّي الإذن لهم بطباعته ونشره ليعمّ نفعه.. أسأل الله أن يجعله من العلم المبارك الذي ينفع المسلمين، وينتفع به صاحبه حيًّا وميتًا.



(١) نُسخة كتاب التوحيد المشروحة حقّقتها عام ١٤٢٨ هـ في كتاب خاص لحفظ المتن.. وهذا الكتاب موجود في منتدى ملتقى أهل الحديث.

(٢) كنتُ أطلقت عليه اسم: "التبسيط" مصدر بسّط بتشديد السين، واقترح عليّ الإخوة في دار رسالة البيان بتسميته "المجموع المفيد"؛ لأن التبسيط يُشكل على البعض، حيث أن مادة "ب س ط" تدل على التوسعة ومنه: ((اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ)) والحقيقة أن مصدر الفعل (بسَطَ) هو البَسْط.. ومع ذلك أخذت برأيهم حتى لا يكون هناك إشكال عند البعض، إلا أني جعلت اسمه: (الجمع المفيد)، والله الهادي إلى سواء السبيل.

شروح كتاب التوحيد

لأهمية كتاب التوحيد، وعظيمِ نَفْعِهِ قام العلماء بشرحه.. ومن أهم شروحه التي وقفت عليها:

١- تيسير العزيز الحميد.. للشيخ سليمان بن عبد الله (رحمه الله)، وهو حفيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب.. وهو أول شرح لكتاب التوحيد[١]، وأعظم الشروح، بل إنّ ما بعده عِيالٌ عليه، إذ أجاد مؤلّفه وأفاد، قال عنه العلامة محمد بن إبراهيم (رحمه الله): "صنّف كتاب شرح التوحيد لجدّه، فَمَن بعده عيالٌ عليه فيه... إلخ".. وقد قمتُ باختصاره ولله الحمد.. (**وهذا الاختصار هو أصل هذا الكتاب**).

٢- فتح المجيد.. للشيخ عبد الرحمن بن حسن (رحمه الله)، وهو أيضًا حفيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب.. وهذا الكتاب يعتبر تهذيبًا لتيسير العزيز الحميد، مع بعض الإضافات.. وهو أشهر الشروح.

٣- إبطال التنديد.. للشيخ حمد بن علي بن محمد بن عتيق (رحمه الله).. ويُعتبر اختصارًا لكتاب تيسير العزيز الحميد.

٤- حاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد.. للشيخ عبد الرحمن بن قاسم (رحمه الله).

٥- القول السديد.. للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (رحمه الله).. وهو عبارة عن تعليقات مُجملة على كل باب، وفيه فوائد نفيسة.

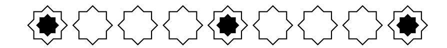
٦- شرح كتاب التوحيد.. للشيخ عبد العزيز بن باز (رحمه الله).

٧- القول المفيد.. للشيخ محمد بن صالح العثيمين (رحمه الله).

٨- إعانة المستفيد.. للشيخ صالح بن فوزان الفوزان (حفظه الله).

٩- التمهيد.. للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (حفظه الله).

١٠- الوجيز في شرح كتاب التوحيد (**مُذكِّرة**).. لشيخي الشيخ عبد الله الصيدلاني (حفظه الله).. درسته عليه كاملاً.. وهو شرحٌ مبسّط بطريقة مميّزة، وقد استفدت منه كثيرًا في كتابة هذا الشرح.. جزاه الله عني خير الجزاء..



---

(١) قال في مقدمة شرحه: "لمّا رأيت الكتاب لم يتعرض للكلام عليه أحد يُعتدُّ به، ورأيت تشوّق الطلبة والإخوان إلى شرحٍ يفي ببعض ما فيه من المقاصد؛ أحببتُ أن أُسعفهم بمرادهم على حَسَب طاقتي...".

نُبذة عامّة عن كتاب التوحيد

١- يحتوي على مُقدِّمة، و٦٦ بابًا.

٢- جَعَل مؤلِّفه المُقدِّمة تقوم مقام الخطبة بين يدي الكتاب.

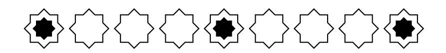
٣- يهتم الكتاب بمسائل توحيد العبادة (الألوهية).

٤- شبّهه العلماء بكتاب صحيح البخاري في طريقة تبويبه وترتيبه وعرضه وفِقهه.

٥- لا يكاد يخرج عن آية أو حديث، إلا في النادر من ذكر كلامٍ لأهل العلم.. وهذا السبب الرئيسي في بركته وعظيم نفعه.

٦- قال البعض بأن كتاب التوحيد ليس فيه حديث ضعيف.. والصواب أن في بعضها خلافًا في الصِّحة. قال العتيبي في تحقيقه لتيسير العزيز الحميد[١]: "حوى الكتاب على (١٢٦) حديثًا، كرّر منها (٢)، فيكون عددها بغير المكرّر (١٢٤): في الصحيحين منها: (٦١) أي ما يُقارب النصف.. والباقية صحيحة، إلا أنه وقع في بعضها خلاف في صحتها، مع أنه لم يُخرّج حديثًا متَّفقًا على ضعفه، والتي فيها ضعف لم يجعلها عمدةً للباب".[٢]

- **من أراد فهم كتاب التوحيد فعليه أن يربط بين عنوان الباب وأدلته، فيستخرج الشاهد من الدليل.. وينظر في علاقته بعنوان الباب.**



(١) كتاب تيسير العزيز الحميد حقّقه زهير الشاويش ولكن فيه أخطاء كثيرة، ثم قام أسامة العتيبي بتحقيقه تحقيقًا جيدًا جزاه الله خيرا.

(٢) وقد كُتب في تخريج أحاديث وآثار كتاب التوحيد بعض المصنّفات منها:

١-"تخريج أحاديث منتقدة في كتاب التوحيد" تأليف: فريح بن صالح البهلال، قدم له الشيخ ابن باز - رحمه الله -.

٢-"الدر النضيد في تخريج كتاب التوحيد" تأليف: صالح بن عبد الله العصيمي.

٣-"تنبيهات على تخريج كتاب التوحيد" تأليف: ناصر الفهد.

٤-"النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد" تأليف: جاسم الدوسري.

٥-"ضعيف كتاب التوحيد" تأليف: صغيِّر الشمري، وقد ذكر واحداً وثلاثين ما بين أثر وحديث.

مقدِّمة الشرح

أنواع التوحيد:

منهم من يقسمه إلى ثلاثة أنواع، ومنهم من قسّمه إلى نوعين جامعين للثلاثة:

التوحيد نوعان (ذكره شيخ الإسلام، وابن القيم):

١- توحيد في المعرفة والإثبات، (وهو توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات).

٢- توحيد في الطلب والقصد، (وهو توحيد الألوهية والعبادة).

وقد اجتمعت أقسام التوحيد الثلاثة في قوله تعالى: ((رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا)).

(النوع الأول): توحيد الربوبية

وهو: الإقرار بأن الله تعالى ربَّ كُلِّ شيءٍ ومالكه وخالقه ورازقه.. أي: إفراد الله بأفعاله.

وهذا التوحيد لا يكفي لحصول الإسلام، بل لا بد أن يأتي مع ذلك بلازمه من توحيد الألوهية.. والدليل على ذلك:

أن المشركين مقرُّون بهذا التوحيد لله وحده، قال تعالى: ((قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأمر فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ)) وقال تعالى: ((وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ)) فهم كانوا يعلمون أن جميع ذلك لله وحده ومع ذلك لم يكونوا مسلمين.

وبعضهم يؤمن بالبعث والحساب، وبعضهم يؤمن بالقدر.

كما قال زهير بن أبي سُلمى (وهو شاعر جاهلي):

يؤخّر فيوضع في كتاب فيُدّخر ** ليوم الحساب أو يُعجَّل فيُنقَمِ

(وهذا إيمان بالحساب).

وقال عنترة بن شداد:

يا عَبْلُ أين من المنية مهربُ ** إن كان ربي في السماء قضاها

(وهذا إيمان بالقدر).

(النوع الثاني): توحيد الأسماء والصفات

هو إفراد الله بما له من الأسماء والصفات من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل.

وهو الإقرار بأن الله هو ((الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ))، إلى غير ذلك من الأسماء الحسنى، والصفات العلى الثابتة له سبحانه.. وهذا أيضًا لا يكفي في حصول الإسلام، بل لا بد مع ذلك من الإتيان بلازمه، من توحيد الربوبية والألوهية.

والكفار يقرون بجنس هذا النوع، وإن كان بعضهم قد ينكر بعض ذلك، إما جهلاً، وإما عنادًا، كما قالوا: لا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة، فأنزل الله فيهم: ((وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ)).[1]

قال الحافظ ابن كثير: "والظاهر أن إنكارهم هذا، إنما هو جحود وعناد وتعنت في كفرهم، فإنه قد وجد في بعض أشعار الجاهلية تسمية الله بالرحمن".[2]

قال سلامة بن جندل الطهوي وهو شاعر جاهلي:

عجِلتمْ علينَا حِجَّتيْنِ عليكمُ.. وما يشَأِ الرَّحْمَنُ يَعْقِدْ ويُطْلِقِ.

وقال الجاهلي الآخر: ألا ضربت تلك الفتاة هجينها.. ألا قضب الرحمن ربي يمينها.

(النوع الثالث): توحيد الألوهية

هو إفراد الله تعالى بالعبادة.. وهذا التوحيد هو:

١- الذي تضمنه قوله تعالى: ((إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ))..

٢- هو أول دعوة الرسل وآخرها.

٣- هو معنى قول: لا إله إلا الله. فإن الإله هو المألوه المعبود بالمحبة، والخشية، والإجلال، والتعظيم، وجميع أنواع العبادة..

٤- لأجل هذا التوحيد خُلقت الخليقة، وأُرسلت الرسل، وأُنزلت الكتب.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) (١٣/ ٦٤).

(٢) تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم (١/ ١٢٧).

٥- به افترق الناس إلى مؤمنين وكفار، وسعداءَ وأشقياءَ.(١)

الشرك ينقسم إلى ثلاثة أقسام بالنسبة إلى أنواع التوحيد:

القسم الأول: الشرك في الربوبية.. وهو نوعان شرك التعطيل، وشرك التشريك:

شرك التعطيل:

وهو أقبح أنواع الشرك، كـ:

١- شرك فرعون إذ قال: ((وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ؟)).

٢- ومن هذا شرك الفلاسفة القائلين بقِدَم العالم وأبَدِيَّتِه.(٢)

٣- ومن هذا شرك طائفة أهل وحدة الوجود(٣)، كابن عربي، وابن سبعين، والعفيف التلمساني، وابن الفارض..

النوع الثاني: شرك التشريك:

وهو من جعل مع الله إلهًا آخر ولَمْ يُعطِّل أسماءه وصفاته وربوبيته.. كـــ:

١- شرك النصارى الذين جعلوه ثالث ثلاثة.

٢- شرك المجوس القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور وحوادث الشر إلى الظلمة..

٣- يلتحق به - من وجه - شرك غلاة عُبّاد القبور الذين يزعمون أن أرواح الأولياء تتصرف بعد الموت، فيقضون الحاجات، ويفرجون الكربات، وينصرون من دعاهم.. فإنّ هذه من خصائص الربوبية.

القسم الثاني: الشرك في توحيد الأسماء والصفات.. وهو أسهل مما قبله، وهو نوعان:

---

(١) ذكر هذه النقاط الشيخ سليمان بن عبد الله في كتابه تيسير العزيز الحميد.

(٢) القول بقدم العالم قال به الفلاسفة ومعناه: بأن العالم لم يزل موجوداً مع الله تعالى غير متأخر عنه بالزمان مساوقة المعلول للعلة ومساوقة النور للشمس.. فنفوا أن يكون الله سبحانه خالقًا لهذا الكون.

(٣) وحدة الوجود مذهب فلسفي لا ديني، يقول بأن الله والطبيعة حقيقة واحدة، وأن الله هو الوجود الحق، فعندهم من يعبد الله ومن يعبد الأحجار والأصنام كلهم سواء لأنهم في الحقيقة ما عبدوا إلا الله إذ ليس ثمّة فرق بين خالق ومخلوق.

أحدهما: (**شرك المُشبِّهة**) **وهو تشبيه الخالق بالمخلوق**، كمَنْ يقول: يدٌ كيدي، وسمع كسمعي، وبصر كبصري، واستواء كاستوائي.

الثاني: **اشتقاق أسماء للآلهة الباطلة من أسماء الإله الحق**. قال الله تعالى: ((وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)).. قال ابن عباس: ((يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ)): يُشركون، وعنه: سَمَّوْا اللات من الإله، والعُزَّى من العزيز.

القسم الثالث: **الشرك في توحيد الألوهية والعبادة**.. وهو نوعان:

أحدهما: **الشرك الأكبر**، وهو أن يجعل لله ندًّا يعبده كما يعبد الله (بأي نوع من أنواع العبادة)..

وضابطه: كل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع: فصرفه لغير الله شرك وكفر.. قاله السعدي (رحمه الله): وقال: "عليك بهذا الضابط للشرك الأكبر، الذي لا يشذُّ عنه شيء".[١]

الثاني: **الشرك الأصغر**.. وله ضابطان:

١- ما ثبت بالنصوص أنه شرك، لكن دلّت الدلائل على أنه غير مُخرجٍ من المِلّة.[٢]

٢- ما كان وسيلةً للشرك الأكبر.. ومنه يسير الرياء، والشركُ في الألفاظ.. وقد يكون ذلك شركًا أكبر بحسب حال قائله ومقصده.

- ومن عرف ضابط الشرك الأكبر استغنى به لمعرفة الشرك الأصغر.

الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر:

١- الشرك الأكبر يُخرج من الملة، والشرك الأصغر لا يُخرج من الملة.

٢- الشرك الأكبر يُحبط جميع الأعمال، والشرك الأصغر يُحبط العمل الذي قارنه.

---

(١) القول السديد (ص: ٥٨).

(٢) من هذه الدلائل:

١- التصريح في النصوص بأنه شرك أصغر.. مثل الرياء.

٢- عدم ترتب حدّ الردة عليه.. مثل إنكاره ﷺ على من لبس التميمة.

٣- أن يأتي بلفظ الشرك مُنكّرًا.. مثل: الطيرة شرك.

٣- الشرك الأكبر صاحبه كافر، والشرك الأصغر صاحبه مُوحِّد ناقصُ الإيمان.

٤- الشرك الأكبر يُخلد صاحبه في النار، والشرك الأصغر لا يُخلد صاحبه في النار.

٥- الشرك الأكبر لا يُغفر، والأصغر فيه خلاف:

ق١: أنه كالشرك الأكبر فلا يُغفر إلا بالتوبة.. والمعنى أنه لا بد أن يُعذّب صاحبه، لكن لا يُخلّد في النار.. وهو رواية في مذهب أحمد، واختاره الشيخ محمد بن عبد الوهاب..

ق٢: أنه كالكبائر فصاحبه تحت المشيئة.. وهو قول الجمهور.[١]



(١) قال ابن عثيمين (رحمه الله): "وشيخ الإسلام ابن تيمية المحقق في هذه المسائل اختلف كلامه في هذه المسألة، فمرة قال: الشرك لا يغفره الله ولو كان أصغر، ومرة قال: الشرك الذي لا يغفره الله هو الشرك الأكبر". القول المفيد (١/ ١١٤).

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

كِتَابُ اَلتَّوْحِيدِ

وَقَوْلُ اَللَّهِ تَعَالَى: ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)).

وَقَولُهُ تَعَالَى: ((وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)).

وَقَولُهُ: ((وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)).

وَقَولُهُ: ((وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا)).

وَقَولُهُ: ((قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا .....)) الآيات.

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى وَصِيَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ اَلَّتِي عَلَيْهَا خَاتَمُهُ فَلْيَقْرَأْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ((قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا)) إِلَى قَوْلِهِ: ((وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ...)) الآية.

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ اَلنَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ، فَقَالَ لِي: (يَا مُعَاذُ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ اَللَّهِ عَلَى اَلْعِبَادِ؟ وَمَا حَقُّ اَلْعِبَادِ عَلَى اَللَّهِ؟). قُلْتُ: اَللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: (حَقُّ اَللَّهِ عَلَى اَلْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ اَلْعِبَادِ عَلَى اَللَّهِ أَنْ لا يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا). قُلْتُ: يَا رَسُولَ اَللَّهِ، أَفَلا أُبَشِّرُ اَلنَّاسَ؟ قَالَ: (لا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا). أَخْرَجَاهُ فِي اَلصَّحِيحَيْنِ.

الشرح:

أراد المصنِّف رحمه الله من هذه المقدِّمة أن يُبيِّن أهمية التوحيد وخطورة الشرك.

قال الشيخ ابن قاسم في حاشيته على كتاب التوحيد: "وكأن المصنف قال: كتاب التوحيد الذي هو الحكمة في إيجاد الثقلين، كما في الآية الأولى، والذي هو الحكمة في إرسال الرسل، كما في الآية الثانية، والذي هو أوجب الواجبات، كما في الآية الثالثة، والرابعة، والخامسة، والذي ضده هو الشرك أعظم المحرمات، كما في الآية الخامسة، والذي هو حق الرب على العباد، الذي افترضه عليهم، ولا يقبل منهم سواه، كما في حديث معاذ بن جبل، والذي حقيقته وتفسيره (عبادة الله وحده لا شريك له) كما في الآية الرابعة، وحديث معاذ" ا.هـ[(١)]

قال المصنِّف – رحمه الله تعالى –: بسم الله الرحمن الرحيم[(٢)]

افتتح المصنف – رحمه الله – كتابه بالبسملة:

١– اقتداءً بالكتاب العزيز.. ٢– عملاً بالحديث: (كل أمر ذي بال لا يُبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع)[(٣)]، وفي رواية لأحمد: (لا يُفتتح بذكر الله فهو أبتر أو أقطع).[(٤)]

لما ذا لم يذكر المصنف الحمدلة؟.. الجواب (عِدّة أجوبة):

١– لأن المقصود من حمد الله هو ذكر الله وقد حصل بالبسملة.

٢– قد يكون المصنف نطق بذلك في نفسه.. فليس في الحديث ما يدل على أنه تتعين كتابتها

---

(١) حاشية كتاب التوحيد (ص: ١٨).

(٢) (أُبَسْمِلُ على ماذا؟) اتفق العلماء على أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف:

قدّره الكوفيون فعلا مقدما والتقدير (ابدأ).. وقدّره البصريون اسمًا مقدما والتقدير (ابتدائي).. وذكر ابن كثير أن القولين متقاربان، وكلٌّ قد ورد به القران: (وقال اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها) قدّره باسم أي باسم الله ابتدائي.. (اقرأ باسم ربك الذي خلق) قدّره بالفعل أي ابتدأت باسم الله.. وكلاهما صحيح.

قال ابن باز (رحمه الله): قوله (بسم الله) أي باسم الله أستعين في تأليفي... فالباء للاستعانة والتبرك باسمه سبحانه وتعالى.

(٣) رواه الحافظ الرهاوي في الأربعين من حديث أبي هريرة ﷺ.. قال ابن باز في التعليقات البازية: طُرُقه يشد بعضها بعضاً فهو من باب الحسن لغيره.. وقال ابن حجر: في سنده ضعف، وسقط بعض رواته.. قال الألباني في الإرواء بعد أن ساق سنده: وهذا سند ضعيف جدا، آفته ابن عمران هذا، ويعرف بابن الجندي، ترجمه الخطيب في تاريخه وقال: كان يُضَعّف في روايته، ويُطعن عليه في مذهبه (يعني التشيع).

(٤) ضعّفه ابن حجر والألباني، وصحّحه السيوطي والنووي وابن الصلاح..

مع النطق بها.

٣- قد وردت في نسخة أخرى.. في فتح المجيد: "ووقع لي نسخة بخطه - رحمه الله - بدأ فيها بالبسملة، وثنّى بالحمد والصلاة على النبي ﷺ وآله ...".

لماذا لم يأتِ المصنف - رحمه الله - بخطبة تنبئ عن مقصده، كما صنع غيره؟

اختلف الشرّاح في ذلك، والأقرب ما جاء في التمهيد بمعناه: بأن ذلك تأدُّبًا بأن لا يتقدّم على كلام الله وكلام رسوله ﷺ، فإن التوحيد هو الحق والذي يدل عليه هو الله سبحانه، وصنيعه هذا كما صنع البخاري في صحيحه فإنه لم يجعل لصحيحه خطبة.

(كتاب التوحيد)

(كتاب) مصدر كتب يكتب كتابًا وكتابة وكتبًا، ومدار المادة على الجمع.. وسمي الكتاب كتابًا لجمعه ما وضع له.

(التوحيد): مصدر وحّد يُوحِّد توحيدًا، أي: جعله واحدًا.. تقول: وحّد المسلمون، أي جعلوا المعبود واحدًا.

وَقَوْلُ[١] اَللَّهِ تَعَالَى: ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)).

قال شيخ الإسلام: "العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال، والأعمال الباطنة والظاهرة" ا.هـ[٢]

وقال ابن كثير: "العبادة في اللغة من الذِّلة، يقال: طريق معبَّد وغير معبَّدٍ، أي: مذلّل.. وفي الشرع: عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف" ا.هـ[٣]

مسألة: يُشكل على البعض قوله: ((إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)) بأن هناك من لا يعبد الله، فهل يقع ما لا يريده الله سبحانه؟[٤]

---

(١) يجوز في (قول الله) الرفع والجر، وهكذا حكم ما يمر بك من هذا الباب..

الرفع: على الابتداء، والتقدير: (هذا كتاب التوحيد، وهذا قولُ الله تعالى).

والجر: عطفاً على التوحيدِ، والتقدير: (هذا كتاب التوحيد وكتاب قولِ الله تعالى).

(٢) ذكر هذا التعريف في مجموعة من مصنّفاته، منها: العبودية (ص: ٤٤)، مجموع الفتاوى (١٠/ ١٤٩).

(٣) تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم (١/ ١٣٤).

(٤) يجب التنبُّه لأمرين.. أولاً: يجب أن نُفرِّق بين أمر الله الكوني وأمر الله الشرعي.. فمن حيث الوقوع: الكوني لابد أن

قال شيخ الإسلام: "ومعنى الآية: أن الله تعالى أخبر أنه ما خلق الإنس والجن إلا لعبادته، فهذا هو الحكمة في خلقهم.. ثم قد يعبدون وقد لا يعبدون كما في قوله: ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ))، فإنه قد يطاع وقد يعصى.. فالمعنى: ذَكَر الأول (خلقهم) ليفعلوا هم الثاني (ليعبدوه) فيكونوا هم الفاعلين له" ا.هـ[١]

قال علي بن أبي طالب ﷺ في الآية: "إلاّ لِآمُرَهم أن يعبدوني، وأدعوهم إلى عبادتي".[٢]

وقال مجاهد: "إلا لآمُرَهم وأنْهاهم"[٣]، واختاره شيخ الإسلام.. قال شيخ الإسلام: "ويدل على هذا قوله: ((أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً)) لا يُؤمر ولا يُنهى"[٤]..

الشاهد: أن الغاية من خلق الإنس والجن هو توحيد الله تعالى.

وَقَولُهُ تَعَالَى: ((وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)).

(الطاغوت) مشتق من الطغيان وهو مجاوزة الحد.

قال ابن القيم: "الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع".[٥]

وهذه الآية هي معنى: لا إله إلا الله، فإنها تضمنت النفي والإثبات كما تضمنته لا إله إلا الله، ففي قوله: ((اعْبُدُوا اللَّهَ)) الإثبات، وفي قوله: ((اجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)) النفي..

الشاهد: أن التوحيد هو دين جميع الرسل، بل هو الحكمة في إرسال الرسل.

يقع، أما الشرعي فقد يقع وقد لا يقع.. مثال: جميع المعاصي (أمر كوني)، جميع الطاعات (أمر شرعي).

ثانيًا: لام التعليل لها معنيان: تعليل غاية (حكمة)، وتعليل سبب (عِلّة).. فتعليل الغاية يكون ما بعدها مطلوبًا، لكن قد يقع وقد لا يقع.. مثال: شربتُ العسل لأنشط.. فقد تنشط وقد لا تنشط.. وتعليل السبب هي التي يكون ما بعدها نتيجة لما قبلها، فما بعدها قد وقع.. مثال: سُجن اللصُّ لسرقته.. فهو قد سرق والنتيجة أنه سُجِن.

(١) في فتح المجيد: ويشهد لهذا المعنى ما أخرجه مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: (يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذابا: لو كانت لك الدنيا وما فيها ومثلها معها أكنت مفتديا بها؟ فيقول: نعم. فيقول: قد أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم، أن لا تشرك – أحسبه قال: ولا أدخلك النار – فأبيت إلا الشرك).. فهذا المشرك قد خالف ما أراده الله تعالى منه: من توحيده وأن لا يُشرِك به شيئا، فخالف ما أراده الله منه فأشرك به غيره. وهذه هي الإرادة الشرعية.

(٢) تفسير البغوي – معالم التنزيل في تفسير القرآن (٤/ ٢٨٨).

(٣) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) (١٧/ ٥٦).

(٤) مجموع الفتاوى (٨/ ٥٢).

(٥) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ٤٠).

وَقَوْلُهُ: ((**وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**)).(١)

في تسير العزيز الحميد: "قال مجاهد: ((وقضى)) يعني: وصّى، وكذلك قرأ أبي بن كعب وابن مسعود وابن عباس وغيرهم، وروى ابن جرير، عن ابن عباس في قوله: ((وَقَضَى رَبُّكَ)) يعني: أمر".

وقوله: ((بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً))، أي: وقضى أن تحسنوا (بالوالدين إحسانًا)، كما قضى بعبادته وحده لا شريك له.. ولم يخص تعالى نوعًا من أنواع الإحسان ليَعُمَّ أنواع الإحسان.

الشاهد: أن الله جعل أول الوصايا والأوامر الوصية والأمر بعبادته، فدلّ على أنه أهمها، وأوجبها، وهو كذلك.

وَقَوْلُهُ: ((**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**)).(٢)

أمر بالعبادة عامّة (لم يخص نوعًا منها) لتعم جميع أنواع العبادة، وكذا نهى عن عموم الشرك..

وهذه الآية تسمى (آية الحقوق العشرة) حيث ذكر الله فيها عشرة حقوق، وهي: عدم الشرك بالله، والإحسان إلى الوالدين، وذي القربى، واليتامى، والمساكين، والجار ذي القربى، والجار الجنب، والصاحب بالجنب، وابن السبيل، وما ملكت أيمانكم.

والشاهد: أن الله جعل حقّه أول الحقوق، فدلّ على أنه أهمها، وأوجبها.

وَقَوْلُهُ: ((**قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا** .....)) **الآيات.**

هذه الآية تُسمّى: (آية الوصايا العشر) حيث ذكر الله فيها عشرة أمور، وهي: النهي عن الشرك، والإحسان إلى الوالدين، وعدم قتل الأولاد، والنهي عن الفواحش بأنواعها، والنهي عن قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، والنهي عن أكل مال اليتيم، والوفاء بالكيل، والوزن بالقسط، والوفاء بعهد الله، والعدل.

---

(١) قال في تيسير العزيز الحميد: هكذا ثبت في بعض الأصول، لم يذكر الآية بكمالها.

(٢) قال في تيسير العزيز الحميد: هكذا أثبت في نسخة بخط شيخنا ولم يذكر الآية.. وهي في ترتيب بعض نسخ المتن بعد آية (قل تعالوا...) كما في تيسير العزيز الحميد.. ولكن جاء في فتح المجيد: قدّمتها لمناسبة كلام ابن مسعود الآتي لآية الأنعام: (قل تعالوا...).

قال ابن كثير: "((أَلاّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا)) كأن في الكلام محذوفًا دل عليه السياق، وتقديره: وصّاكم (أن لا تشركوا به شيئًا)، ولهذا قال في آخر الآية ((ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ))".[١]

الشاهد: أن الله جعل أول هذه الوصايا: النهي عن الشرك.

وفي تفسير الطبري الحنفي[٢]: "ذكر أولاً (تَعْقِلُونَ) ثم (تَذَكَّرُونَ) ثم (تَتَّقُونَ)؛ لأنهم إذا عقلوا تذكروا، فإذا تذكروا خافوا واتقوا المهالك".[٣]

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى وَصِيَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ اَلَّتِي عَلَيْهَا خَاتَمُهُ فَلْيَقْرَأْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ((قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا)) إِلَى قَوْلِهِ: ((وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ...)) الآية.

تخريجه: أثر ابن مسعود لم يعزه المؤلف، وقد رواه الترمذي وحسّنه[٤]، ورواه الطبراني.. وفي سنده ضعف، وقد ضعّفه الألباني.

ومناسبة تقديم أثر ابن مسعود على حديث معاذ، لأن له تعلق بالآية السابقة.

أي: من أراد أن ينظر إلى الوصية التي كأنها كُتبت وختم عليها؛ لأنه مِن المعلوم أنه ﷺ لم يوصِ بشيء كتابةً.[٥]

الشاهد: توجيه الصحابي لهذه الوصايا، التي أولها عدم الإشراك بالله.

---

(١) تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم (٣/ ٣٦٠).. قال في تيسير العزيز الحميد: "وقوله: (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)، (لعل) هنا للتعليل، أي: أن الله وصانا بهذه الوصايا لنعقلها عنه، ونعمل بها".

(٢) هو أبو حامد أحمد بن الحسين المروزي المعروف بابن الطبري (ت ٣٧٧). وليس هو الإمام ابن جرير.. انظر ترجمته في الجواهر المضية في طبقات الحنفية (١/ ٦٥).

(٣) ذكره الشيخ سليمان في تيسير العزيز الحميد (ص: ٣٨).

(٤) ولفظه عند الترمذي: "من سره أن ينظر إلى الصحيفة التي عليها خاتم محمد ﷺ فليقرأ هذه الآيات: {قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم} الآية إلى قوله – {لعلكم تتقون}".

(٥) قال في تيسير العزيز الحميد: وقد روى عبادة بن الصامت، قال: قال رسول الله ﷺ: (أيكم يبايعني على هؤلاء الآيات الثلاث، ثم تلا (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم) حتى فرغ من ثلاث آيات، ثم قال: من وفّى بهن فأجره على الله، ومن انتقص منهن شيئًا فأدركه الله في الدنيا كانت عقوبته، ومن أخره إلى الآخرة كان أمره إلى الله، إن شاء أخذه، وإن شاء عفا عنه) رواه ابن أبي حاتم، والحاكم وصححه.. فهذا يدل على أن النبي ﷺ يعتني بهن، ويبالغ في الحث على العمل بهن.

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ اَلنَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ، فَقَالَ لِي: (يَا مُعَاذُ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ اَللَّهِ عَلَى اَلْعِبَادِ؟ وَمَا حَقُّ اَلْعِبَادِ عَلَى اَللَّهِ؟)... الحديث.. أَخْرَجَاهُ فِي اَلصَّحِيحَيْنِ.[1]

قوله: (وحق العباد على الله أن لا يعذِّب من لا يشرك به شيئا)..

قال شيخ الإسلام: "أوجب هذا الحق على نفسه لم يوجبه عليه مخلوق، وكون المطيع يستحق الجزاء، هو استحقاق إنعام وفضل، ليس هو استحقاق مقابلة كما يستحق المخلوق على المخلوق....".[2]

قوله: قال: "لا تبشرهم فيتكلوا"، وفي رواية: "إني أخاف أن يتكلوا"

أي: يعتمدوا على ذلك، فيتركوا التنافس في الأعمال الصالحة.

مسألة: هل يجوز قول (لبيك) للمخلوق؟

قال ابن بطّال: "قال ابن الأنباري: معنى قوله: (لبيك) أنا مقيم على طاعتك، من قولهم: لبَّ فلان بالمكان وألبَّ به، إذا أقام به، ومعنى (سعديك) من الإسعاد والمتابعة. وقال غيره: معنى (لبيك) أي: إجابة بعد إجابة، ومعنى (سعديك): إسعادًا لك بعد إسعاد.." ا.هـ[3]

قال النووي: "يُستحب إجابة من ناداك بـ(لبيك)، وأن يقول للوارد عليه: مرحبا أو نحوه.." ا.هـ[4].. ولكن لا يجوز قولها للكافر، فهي خاصّة بالمسلم.

مسألة: هل يجوز قول: الله ورسوله أعلم بعد موته ﷺ؟

ق١: لا يجوز.. (ابن باز). وهو الأحوط؛ سدًّا للذرائع.

ق٢: يجوز في الأمور الشرعية.. (ابن عثيمين).

---

(١) في رواية البخاري: عن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ، ومعاذ رديفه على الرحل، قال: (يا معاذ بن جبل)، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: (يا معاذ)، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثا، قال: (ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، صدقا من قلبه، إلا حرّمه الله على النار)، قال يا رسول الله: أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: (إذا يتكلوا) وأخبر بها معاذ عند موته تأثُّما..

(٢) بمعناه.. انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٣١٠).

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/ ٥٠).

(٤) المجموع شرح المهذب (٤/ ٦٤٢).

مسألة: كيف يُخبر معاذ ﷺ بهذا الحديث، وقد قال ﷺ: (لا تُبشِّرْهم فيتّكِلوا)؟

قال الحافظ ابن حجر – بمعناه –: "دلّ هذا على أن النهي للتبشير ليس على التحريم، وإلاّ لما أخبر به أصلاً، أو أنه ظهر له أن المنع إنما هو من الأخبار عمومًا، فبادر قبل موته فأخبر بها خاصًا من الناس" ا.هـ(١)

وربّما يُقال: أنه ﷺ علّق النهي بنتيجة، وهي خوفه ﷺ أن يتّكلوا.. فإذا أُمنت النتيجة جاز الإخبار(٢).

من فوائد الحديث:

١- جواز الإرداف على الدَّابة، وفضيلة لمعاذ ﷺ من جهة ركوبه خلف النبي ﷺ.

٢- تواضعه ﷺ: للإرداف، ولركوب الحمار.

٣- حُسن إرشاده ﷺ وتعليمه .. من حيث تكرار النداء لمعاذ كما في رواية البخاري، ومن حيث أنه أخبره بصيغة الاستفهام، ليكون أوقع في النفس، وأبلغ في فهم المتعلم.

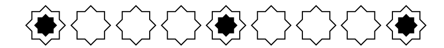
٤- استحباب بشارة المسلم بما يسرُّه.

٥- جواز كتمان العلم للمصلحة، ولا سيما أحاديث الرجاء التي إذا سمعها البعض ازدادوا من الآثام. كما قال بعضهم:

فأكْثِرْ ما استطعت من الخطايا ** إذا كـــــان القدوم على كريمِ.

ولذا بوّب البخاري في صحيحه: باب من خصّ بالعلم قوماً دون قوم كراهية ألا يفهموا.. وذكر أثر علي ﷺ: حدِّثوا الناس بما يعرفون ، أتُحبُّون أن يُكذّب اللهُ ورسولُه.

وجاء عند مسلم عن ابن مسعود ﷺ قال: ما أنت محدثاً قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة.. وقد أنكر الحسن البصري على أنس بن مالك ﷺ حين حدَّث الحَجّاج بحديث العُرنيين.



(١) فتح الباري لابن حجر (١/ ٢٢٨).

(٢) قال الوزير أبو المظفر (ابن هُبيرة): فأما الأكياس الذين إذا سمعوا بمثل هذا ازدادوا في الطاعة، ورأوا أن زيادة النعم تستدعي زيادة الطاعة فلا وجه لكتمانها عنهم.

الباب الأول: بَابُ فَضْلِ التَّوْحِيدِ وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ((الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ...)) الآية.

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ) أَخْرَجَاهُ.

وَلَهُمَا فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ: (فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: (قَالَ مُوسَى ﷺ: يَا رَبِّ! عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ. قَالَ: قُلْ يَا مُوسَى لا إِلَهَ إِلا اللهُ. قَالَ: يَا رَبِّ! كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا؟ قَالَ: يَا مُوسَى، لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ وَ(لا إِلَهَ إِلا اللهُ) فِي كِفَّةٍ، مَالَتْ بِهِنَّ لا إِلَهَ إِلا اللهُ). رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ.

وَلِلتِّرْمِذِيِّ – وَحَسَّنَهُ – عَنْ أَنَسٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأتيتك بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً).

الشرح:

بَابُ فَضْلِ التَّوْحِيدِ وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ

قال ابن باز – رحمه الله –: "هذا الباب أراد به المؤلف – رحمه الله – بيان شيء من فضل التوحيد وتكفيره للذنوب، وأن التوحيد هو أعظم الحسنات، وأعظم الواجبات، وهو أعظم الأعمال تكفيراً للذنوب".[(١)]

(**بابُ**): خبر مبتدأ محذوف، تقدير: هذا باب بيان فضل التوحيد، وبيان تكفيره للذنوب.

(**ما**) يجوز أن تكون:

١– موصولة، أي: وبيان الذي يكفره من الذنوب.

٢– مصدرية، أي: وبيان تكفيره الذنوب، وهذا أرجح؛ لأن الأول يوهم أن ثَمَّ ذنوبًا لا يُكَفِّرُها التوحيد، وليس بمراد.

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

في تيسير العزيز الحميد: "ولمّا ذَكَرَ معنى التوحيد، ناسبَ ذِكْر فضله وتكفيره للذنوب ترغيبًا فيه".

من فضائل التوحيد:

قال السعدي في القول السديد: فقول المؤلِّف رحمه الله: (وما يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنوب) من باب عطف الخاص على العام؛ فإن تكفير الذنوب من بعض فضائله.. ثم ذكر بعض فضائله، ومنها:

١– أنه يمنع صاحبه من الخلود في النار إذا كان في قلبه منه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة من خردل.

٢– أنه يمنع دخول النار بالكلية إذا كَمُل في القلب.

٣– أنه إذا تمَّ وكَمُل في القلب وتحقّق تحققاً كاملاً بالإخلاص التام فإنه يُصيِّر القليل من عمله كثيراً، وتُضاعف أعماله وأقواله بغير حصر ولا حساب.

٤– أن جميع الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها، وفي كمالها، وفي ترتب الثواب

(١) شرح كتاب التوحيد لابن باز (ص ١١).

عليها على التوحيد، فكلما قوي التوحيد والإخلاص لله كملت هذه الأمور وتمت.

٥- أنه يحصل لصاحبه الهدى الكامل، والأمن التام في الدنيا والآخرة.

٦- أنه يُسلِّي العبد عند المصائب والنوازل، لما يحتسب عند الله من الأجر، والرضا بالقدر.

٧- أنه السبب الأعظم لتفريج كُرُبات الدنيا والآخرة.. (كما في دعوة ذي النون عليه السلام، وحديث الثلاثة الذين أطبقت عليهم الصخرة)...

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ((الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ...)) الآية.

جاءت هذه الآية جوابًا لسؤال الآية التي قبلها: (فأيُّ الفريقَيْن أحقُّ بالأمن إنْ كُنْتُم تَعْلمون)؟ واختُلف في معنى الظُّلم في الآية على قولَيْن:

ق١: الظلم هو الشرك (تفسير خاص)..

عن ابن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية، شق ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، أيُّنا لا يظلم نفسه؟ قال: (ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: (يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم). رواه البخاري.. وكذا عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه فسّره بالشرك.

ق٢: عموم الذنوب والمعاصي فيدخل الشرك (تفسير عامّ)..

جاء الظّلم في الآية مُنكَّرًا في سياق النفي؛ فيدل على العموم.. وقد فسّره عمر رضي الله عنه أنه الذنب.. واختاره شيخ الإسلام..

فإذا فُسِّر بجميع الظلم (عموم الذنوب) يُفسّر حصول الأمن بجميع الأمن، ويُعلم منه أنه كلَّما نقص إيمان العبد نقص حصول الأمن له.. فبقدر الإيمان يحصل الأمان.. فالظُّلم ظُلْمان والأمْن أمْنان..

أنواع الظُّلم: قال شيخ الإسلام: "فمن سلم من أجناس الظلم الثلاثة، يعني:

- الظلم الذي هو الشرك.
- وظلم العباد.
- وظلمه لنفسه بما دون الشرك. كان له الأمن التام والاهتداء التام".[١]

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٨١).

معنى: (أولئك لهم الأمن وهم مهتدون):

قال الحسن: "(أولئك لهم الأمن) في الآخرة (وهم مهتدون) في الدنيا".(١)

قال ابن كثير: "الآمنون يوم القيامة، المهتدون في الدنيا والآخرة".(٢)

وقال ابن عثيمين: "والصواب أنها عامّة بالنسبة للأمن والهداية في الدنيا والآخرة".(٣)

الشاهد: أنّ من أتى بالتوحيد تامًّا فله الأمن التام والاهتداء التام.. فدلّ على فضل التوحيد وتكفيره للذنوب.(٤)

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ....) الحديث.. أَخْرَجَاهُ.

قوله: "وأن عيسى عبد الله ورسوله".. جاء في رواية: "وابن أمته"..

قوله: (وَكَلِمَتُهُ).. قاله قتادة: "إنما سُمي عليه السلام (كلمة الله) لصدوره بكلمة (كن) بلا أب".(٥)

قال الإمام أحمد فيما أملاه في الرد على الجهمية: "قال له: (كن) فكان عيسى بـ(كن)، وليس عيسى هو (كن)، ولكن بـ(كن) كان، فـ(كن) من الله قول، وليس: (كن) مخلوقًا" ا.هـ(٦)

قوله: (أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ).. قال ابن كثير: "خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبرائيل عليه السلام إلى مريم، فنفخ فيها من روحه بإذن ربه عز وجل، فكان عيسى بإذن الله عز وجل، وصارت

---

(١) ذكره الشيخ سليمان في تيسير العزيز الحميد.

(٢) تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٩٤).

(٣) القول المفيد (١/ ٦٣).

(٤) في تيسير العزيز الحميد:

١- من أتى به (التوحيد) تامًّا فله الأمن التام والاهتداء التام، ودخل الجنة بلا عذاب، ٢- ومَن أتى به ناقصًا بالذنوب التي لم يتب منها: فإن كانت صغائر كفرت باجتناب الكبائر، لآية (النّساء: ٣١)، و(النّجم: ٣٢). وإن كانت كبائر فهو في حكم المشيئة، إن شاء الله غفر له، وإن شاء عذبه، ومآله إلى الجنة، والله أعلم.

(٥) البحر المحيط في التفسير (٣/ ١٥٢).

(٦) الرد على الجهمية والزنادقة (ص: ١٢٥)..

تلك النفخة التي نفخها في جيب درعها فنزلت حتى ولجت فرجها، بمنزلة لَقَاحِ الأبِ الأمَّ، والجميع مخلوق لله عز وجل".[1]

قوله: (**وروحٌ منه**).. قال الإمام أحمد: "(وَرُوحٌ مِنْهُ)، يقول: من أمره كان الروح فيه، كقوله: (وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ)) يقول: من أمره".[2]

قال شيخ الإسلام: "المضاف إلى الله تعالى:

١- إذا كان معنىً لا يقوم بنفسه ولا بغيره من المخلوقات، وجب أن يكون صِفَة لله تعالى...

٢- وإن كان المضاف عينًا قائمة بنفسها، كعيسى وجبرائيل عليه السلام وأرواح بني آدم، امتنع أن يكون صفة لله تعالى، لأن ما قام بنفسه لا يكون صفة لغيره".[3]

قوله: "أدخله الله الجنة على ما كان من العمل".. هذه الجملة جواب الشرط، وفي رواية: "أدخله الله الجنة من أي أبواب الجنة الثمانية".. أي يُدخله الله الجنة ولو كان مُقصِّرًا في عمله؛ فإنّ حسنة التوحيد تكفِّر ما كان من تقصير.

ودخول الجنة ينقسم إلى قسمين:

١- دخول ابتدائي.. لمن أتمّ العمل، أو لمن شاء الله أن لا يُعذِّبه.

٢- دخول مسبوق بعذاب.. لمن أنقص العمل وشاء الله أن يُعذِّبه..

والحديث يدل على أن صاحب التوحيد سيدخل الجنة إمّا دخولاً ابتدائيًا أو دخولاً مسبوقًا بعذاب.

وَلَهُمَا فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ: (فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ).

قوله: ولهما، أي للبخاري ومسلم في "صحيحيهما".. والحديث له قصة طويلة.[4]

---

(١) تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم (٢/ ٤٧٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٢٩).

(٣) والأعيان التي تقوم بنفسها وتكون مضافة إلى الله، فإضافتها على نوعين: إضافة خلق، وإضافة تشريف.. كما ذكره شيخ الإسلام. انظر: درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٢٦٥).

(٤) والحديث بطوله في الصحيحين: أن عتبان بن مالك - وهو من أصحاب النبي ﷺ ممن شهد بدرا من الأنصار - أنه أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله إني قد أنكرت بصري، وأنا أصلي لقومي، وإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي

وهذا الحديث وأمثاله لا بُدّ لفهمه أن تُجمع إليه النصوص.. فإنه قد تواترت الأحاديث بأنه يخرج من النار من قال: (لا إله إلا الله) وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، وما يزن خردلة، وما يزن ذرة.. وتواترت بأن كثيرا ممن يقول: (لا إله إلا الله) يدخل النار ثم يخرج منها.. وتواترت بأن الله حرم على النار أن تأكل أثر السجود من ابن آدم، فهؤلاء كانوا يُصلّون ويسجدون لله..(١)

فتبيّن أنّ معنى الحديث: على قولين:

ق١: أن تحريم دخول النار قسمان: تحريم دخول، وتحريم تأبيد.. فمن حقّق التوحيد حرم الله عليه دخول النار أصلاً، ومن جاء بأصل التوحيد مع كثرة الذنوب ربما أدخله الله النار ، لكن لا يخلد فيها لحسنة التوحيد.

ق٢: من قالها خالصًا من قلبه؛ فإنّها تَرْدعُهُ عن الذنوب أو تَرْدعُهُ عن الإصرار على الذنوب.. فالحديث دليل على شرطية العمل بشروط (لا إله إلا الله).(٢)

بيني وبينهم ولم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي لهم، وددت أنك يا رسول الله تأتي فتصلي في مصلى، فأتخذه مصلى، قال: فقال رسول الله ﷺ: (سأفعل إن شاء الله)، قال عتبان: فغدا رسول الله ﷺ، وأبو بكر الصديق حين ارتفع النهار، فاستأذن رسول الله ﷺ، فأذنت له، فلم يجلس حتى دخل البيت، ثم قال: (أين تحب أن أصلي من بيتك؟) قال: فأشرت إلى ناحية من البيت، فقام رسول الله ﷺ، فكبّر، فقمنا وراءه، فصلى ركعتين، ثم سلم، قال: وحبسناه على خَزِير صنعناه له، قال: فثاب رجال من أهل الدار حولنا حتى اجتمع في البيت رجال ذوو عدد، فقال قائل منهم: أين مالك بن الدُّخْشُن؟ فقال بعضهم: ذلك منافق، لا يحب الله ورسوله، فقال رسول الله ﷺ: (لا تقل له ذلك، ألا تراه قد قال: لا إله إلا الله، يريد بذلك وجه الله؟) قال: قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنما نرى وجهه ونصيحته للمنافقين، قال: فقال رسول الله ﷺ: (فإن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله).. وهذا لفظ مسلم.

قال ابن قتيبة: الخزِيرة لحم يُقطّع صغارا ثم يُصب عليه ماء كثير فإذا نضج ذر عليه دقيق، فإن لم يكن فيها لحم فهي عصيدة..

(١) ذكره صاحب تيسير العزيز الحميد عن شيخ الإسلام.

(٢) شروط لا إله إلا الله ثمانية، جمعها بعضهم في هذين البيتين:

عِلْمٌ يقينٌ وإخلاصٌ وصدقُك مع *** محبةٍ وانقيـــــادٍ والقبول لهـــا

وزِيدَ ثامنُها الكُفرانُ منك بمـــــا *** سوى الإله من الأشياء قد أُلِها

وجمع الشيخ حافظ الحكمي سبعة في البيتين التاليين:

العِلْمُ واليقينُ والقَبـــــــولُ *** والانقيادُ فادْرِ ما أقولُ

والصدقُ والإخلاصُ والمحبّه *** وفّقك اللهُ لِما أحبّـــه.

وهذا القول (الثاني) أقرب؛ لما في الصحيحين: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) فضلاً عن أن يكون مُبْتغيًا وجه الله.

قال شيخ الإسلام – بمعناه –: "فإنّ كمال إخلاصه ويقينه يوجب أن يكون الله أحب إليه من كل شيء، فإذًا لا يبقى في قلبه إرادة لما حرم الله ولا كراهية لما أمر الله، وهذا هو الذي يحرم من النار، وإن كانت له ذنوب قبل ذلك".(١)

ولهذا قيل للحسن إن ناسًا يقولون: من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة، فقال: "من قال: لا إله إلا الله فأدّى حقها وفَرْضها دخل الجنة".(٢)

وقال وهب بن منبه، لمن سأله: أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟ قال: "بلى، ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح".(٣)

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: (قَالَ مُوسَى ﷺ: يَا رَبِّ! عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ. قَالَ: قُلْ يَا مُوسَى لا إِلَهَ إِلا اللهُ...) الحديث.

درجة الحديث: صحّح إسناده ابن حجر.. وله شاهد صحيح عند أحمد.(٤)

قوله: (**وأدعوك به**)، أي: أتوسل به إليك إذا دعوتك.

قوله: (**قل يا موسى: لا إله إلا الله**).. فيه أن الذاكر بها يقولها كلها، ولا يقتصر على (لفظ الجلالة) كما يفعله جُهّال المتصوفة، ولا يقول أيضًا: (هُو) كما يقوله غُلاة جُهّالهم.. وقد صَنّف جُهّالهم في المسألتين، وصَنّف ابن عربي كتابًا سمّاه بـ(الهو).

قال الشيخ ابن قاسم: "وهي أكثر الأذكار وجوداً، وأيسرها حصولاً، فإن أحرفها كلها جوفيه، ليس فيها حرف شفوي، فيمكن قائلها أن يقولها من غير فتح فمه ، وهو أسلم وأبعد عن

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٢١٦).

(٢) جامع العلوم والحكم تحقيق الأرنؤوط (١/ ٥٢٢).

(٣) المصدر السابق.

(٤) جاء عند أحمد من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: (إنّ نبي الله نوحا ﷺ لما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قاص عليك الوصية: آمرك باثنتين، وأنهاك عن اثنتين، آمرك بلا إله إلا الله، فإن السموات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة، ووضعت لا إله إلا الله في كفة، رجحت بهن لا إله إلا الله، ولو أن السموات السبع، والأرضين السبع، كُنّ حلقة مبهمة، قصمتهن لا إله إلا الله. وسبحان الله وبحمده، فإنها صلاة كل شيء، وبها يرزق الخلق. وأنهاك عن الشرك والكِبْر).. والحديث رواه البخاري في الأدب المفرد، وهو صحيح، وقد صحّحه الألباني.

الرياء ، وكونها جوفية أيضاً إشارة إلى أنها تخرج من القلب، وأحرفها مهملة فتنبئ عن التجرد من كل معبود سوى الله". [١]

قوله: (**كل عبادك يقولون هذا**) ليس زُهدًا فيها، وإنما أراد - عليه السلام - أن يُعلِّمه الله شيئًا يختصّ به كما جاء ذلك في سنن النسائي، وشرح السنة بلفظ: (كل عبادك يقولون هذا، وإنما أريد شيئًا تخصني به).

قوله: (**وعامرَهن**)، هو بالنصب عطف على السماوات، أي: لو أن السماوات السبع، ومن فيهنّ من العُمّار، أي السّاكنين.

قوله: (**غيري**): استثنى الله نفسه.. ويُطلق على العلو سماء، فالله سبحانه عالٍ على السماوات، فوق عرشه، بائنٌ من خلقه.

وَلِلتِّرْمِذِيِّ - وَحَسَّنَهُ - عَنْ أَنَسٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأتيتك بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً).

درجة الحديث: حسّنه ابن حجر، وقال ابن رجب: إسناده لا بأس به، وحسّنه الألباني.

قوله: (**بقُراب الأرض**) بضم القاف، وقيل بكسرها، والضم أشهر، وهو ملؤها أو ما يقاربه.

قوله: (**ثم لقيتني لا تشركُ بي شيئًا**) شرط في الوعد بحصول المغفرة، وهو السلامة من الشرك كثيره وقليله، صغيره وكبيره.

قال ابن باز: "هذا عند أهل العلم يُفسَّر بوجهين:

١ - أن هذا في حق من قالها صادقاً مُخلِّصاً فيها وأتى حقَّها ولم يُصِرّ على سيئة أصلاً.

٢ - أن هذا في حق من قالها وأتى إلى الله عز وجل تائباً" ا.هـ[٢]

والقول الثاني أقرب بدلالة حرف (ثمّ) في النص. والله أعلم.

وفي هذا الحديث: الرد على الخوارج الذين يُكفِّرون المسلم بالذنوب.



(١) حاشية كتاب التوحيد (ص: ٣١).

(٢) التعليقات البازية على كتاب التوحيد (ص ٧).

الباب الثاني: بَابُ مَنْ حَقَّقَ اَلتَّوْحِيدَ دَخَلَ اَلْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ

وَقَوْلِ اَللَّهِ تَعَالَى: ((إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)).

وَقَالَ: ((وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ)).

وَعَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ اَلرَّحْمَنِ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ رَأَى اَلْكَوْكَبَ اَلَّذِي اِنْقَضَّ اَلْبَارِحَةَ؟ فَقُلْتُ: أَنَا. ثُمَّ قُلْتُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلاةٍ، وَلَكِنِّي لُدِغْتُ. قَالَ: فَمَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: اِرْتَقَيْتُ قَالَ: فَمَا حَمَلكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ قُلْتُ: حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ اَلشَّعْبِيُّ. قَالَ: وَمَا حَدَّثَكُمْ ؟ قُلْتُ: حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ أَنَّهُ قَالَ: (لا رُقْيَةَ إِلا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ). قَالَ: قَدْ أَحْسَنَ مَنِ اِنْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ، وَلَكِنْ حَدَّثَنَا اِبْنُ عَبَّاسٍ عَنْ اَلنَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (عُرِضَتْ عَلَيَّ الأمَمُ فَرَأَيْتُ اَلنَّبِيَّ وَمَعَهُ اَلرَّهْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ اَلرَّجُلُ وَالرَّجُلانِ، وَالنَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ. فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ اَلْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ). ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ، فَخَاضَ اَلنَّاسُ فِي أُولَئِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمْ اَلَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمْ اَلَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإسْلام فَلَمْ يُشْرِكُوا بِاَللَّهِ شَيْئًا. وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: (هُمُ اَلَّذِينَ لا يَسْتَرْقُونَ، وَلا يَكْتَوُونَ، وَلا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ). فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اَللَّهِ، أُدْعُ اَللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. فَقَالَ: (أَنْتَ مِنْهُمْ). ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: أُدْعُ اَللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. فَقَالَ: (سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ).

الشرح:

٢- بَابُ مَنْ حَقَّقَ اَلتَّوْحِيدَ دَخَلَ اَلْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

هذا الباب مُكمِّل للباب الذي قبله وتابعٌ له؛ فالذي قبله: باب فضل التوحيد، وهذا الباب لبيان أعظم فضائل التوحيد..

دخول الجنة مراتب:

١- دخولٌ أولي بغير حساب ولا عذاب.. وهو أعلاها.

٢- دخولٌ أولي بحساب ولا عذاب.. والحساب هنا العرض والتقرير..

في الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها - عن النبي ﷺ قال: (ليس أحد يحاسب إلا هلك)، قلت: يا رسول الله أليس الله يقول: (حسابًا يسيرًا)؟ قال: (ذاك العرض، ولكن من نوقش الحساب هلك).

٣- دخولٌ بعد عذاب.

خلاصة هذا الباب:

يشمل مسألتين: جزاء من حقّق التوحيد، وبيان ضابط التحقيق.

وَقَوْلِ اَللَّهِ تَعَالَى: ((إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)).

مناسبة الآية للترجمة: أن الله تعالى وصف إبراهيم عليه السلام في هذه الآية بأربع صفات[1] التي هي أعلى درجات تحقيق التوحيد، ترغيبًا في اتباعه..

الأولى: أنه (كَانَ أُمَّةً)، أي: إمامًا يُقتدى به[2].. وما كان كذلك إلا لتكميله مقام الصبر واليقين اللذَيْن بهما تُنال الإمامة في الدين، كما قال تعالى: ((وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ))..

---

(١) وصفه الله سبحانه بخمس صفات - الأربع السابقة وزيادة: (شاكرًا لأنعمه) - ثم جازاه بخمس جوائز: (اجتباه، وهداه إلى صراط مستقيم، وآتيناه في الدنيا حسنة، وإنه في الآخرة لمن الصالحين، ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم).

(٢) كلمة (أُمّة) جاءت في القرآن الكريم على عدة معاني: ١- بمعنى قُدوة كما في هذه الآية. ٢- بمعنى مُدّة (وادّكر بعد أُمّة)، ٣- بمعنى جماعة من الناس (ووجد عليه أُمّة من الناس يسقون). ٤- بمعنى مِلّة (إنا وجدنا آباءنا على أمة).

وجاء عن ابن عباس – رضي الله عنهما – في تفسيرها: "كان على الإسلام ولم يكن في زمانه من قومه أحد على الإسلام غيره".(١)

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: "لئلا يستوحش سالك الطريق من قِلّة السالكين".(٢)

الثانية: أنه كان (قَانِتاً لِلَّهِ)، أي: دائمًا على عبادته وطاعته.

قال شيخ الإسلام: "القنوت في اللغة: دوام الطاعة".(٣)

فوصفه في هاتين الصفتين بتحقيق العبودية في نفسه: أولاً علمًا وعملاً. وثانيا: دعوة وتعليمًا واقتداء به.

الثالثة: أنه كان (حنيفًا)، والحنف: الميل، أي: مُقبلاً على الله ومائلاً عن الشرك.

الرابعة: (لم يكُ من المشركين)، أي: فارق المشركين في عقيدته، وفي أعماله، وفي أقواله، حتى في مسكنه: ((وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ)).. ومع هذا تبرأ منهم ومما يعبدون من دون الله.

وَقَالَ: ((وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ)).

مناسبة الآية للترجمة: أن الله تعالى وصف المؤمنين السابقين إلى الجنات بصفات، أعظمها الثناء عليهم بأنهم (بربهم لا يشركون) نفي جميع أنواع الشرك ، لأن النفي إذا تسلّط على الفعل المضارع أفاد العموم.

وهذه الصفات: ((إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ)).

وَعَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ اَلرَّحْمَنِ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ رَأَى اَلْكَوْكَبَ اَلَّذِي اِنْقَضَّ اَلْبَارِحَةَ؟ فَقُلْتُ: أَنَا. ثُمَّ قُلْتُ: أَمَّا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلاةٍ، وَلَكِنِّي لُدِغْتُ....) الحديث.

تخريجه: هكذا أورد المصنف هذا الحديث غير معزو، وهو متفق عليه.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٠٦).

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٣/ ٣١١).

(٣) جامع الرسائل لابن تيمية (١/ ٥).

قوله: (**عن حُصَين بن عبد الرحمن**).. السلمي أبو الهذيل الكوفي أحد الأعلام، ومن كبار أصحاب الحديث، ثقة، مات سنة ١٣٦ هـ، وله ٩٣ عامًا.

(**وسعيد بن جُبير**).. أبو محمد الإمام الفقيه، من جُلّة أصحاب ابن عباس، قُتل بين يدي الحجاج سنة ٩٥ هـ. فما أمهله الله بعده ولم يذق غمضًا حتى مات، ورؤي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: قُتلت بكل قتيل قِتلة، وبسعيد بن جبير سبعين قِتلة.

قوله: (**أمَا إني لم أكن في صلاة**).. القائل هو حصين، خاف أن يظن الحاضرون أنه ما رأى النجم إلا لأنه يصلي، فأراد أن ينفي عن نفسه إيهام العبادة، وهذا يدل على فضل السلف الصالح وحرصهم على الإخلاص، وشدة ابتعادهم عن الرياء...

قوله: (**قلت: ارتقيت**)، في لفظ مسلم: استرقيت، أي: طلبت من يرقيني.

قوله: (**فما حمله على ذلك؟**)، فيه طلب الحجة على صحة العمل.

قوله: (**حديث حدثناه الشعبي**)، أي: حملني عليه حديث حدثناه الشعبي.

والشعبي هو عامر بن شراحيل، من كبار فقهاء التابعين، يقول: "ما كتبت سوداء في بيضاء، ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظته".. مات سنة ١٠٣هـ.

قوله: (**لا رُقْية إلا من عَيْنٍ أو حُمَة**) هكذا رُوي هنا موقوفًا، وقد رواه أحمد وابن ماجه عنه مرفوعًا، ورواه أحمد وأبو داود والترمذي والبزّار عن عمران بن حصين به مرفوعًا. قال الهيثمي: "رواه البزار ورجاله ثقات".(١)

والعين: هي إصابة العائن غيره بعَيْنه.

والحُمَة: سُمُّ العقرب وشبهها.

قال الخطّابي: "والمعنى: لا رُقْية أشفى أو أولى من رُقْية العين والحُمَة".(٢)

قوله: (**قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن حدثنا ابن عباس**) أي: أنت أحسنت لأنك عملت بما علمت ثم استدرك عليه بحديث ابن عباس لتوجيهه للعمل الأحسن.. فهناك حَسَن وهناك أحسن.

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٥/ ١١١).

(٢) أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) (٣/ ٢١١٥).

قوله: (**عُرضت على الأمم**).. قيل: في المنام.. وقيل كان هذا ليلة الإسراء والمعراج، كما جاء في رواية الترمذي: (لما أُسري بالنبي ﷺ جعل يمر بالنبي ومعه الواحد...). صحّحه الألباني.

قوله: (**فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد**): الرهط: الجماعة دون العشرة.. وفيه أن الأنبياء متفاوتون في عدد أتباعهم، وأن بعضهم لا يتبعه أحد.

قوله: (**إذ رفع لي سواد عظيم**) أي : رفع لي أشخاص كثيرة.

قوله: (**ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب**).. قد ورد في حديث أبي هريرة في الصحيحين وصف السبعين ألفًا بأنهم تضيء وجوهم إضاءة القمر ليلة البدر.

وجاء في أحاديث أُخر أن مع السبعين ألفًا زيادةً عليهم:

١- روى أحمد والبيهقي حديث أبي هريرة في السبعين ألفًا فذكره وزاد، قال: (فاستزدت ربي فزادني مع كل ألف سبعين ألفًا) قال الحافظ: وسنده جيد. وجاء (مع كل واحد سبعين ألفاً) قال ابن حجر: "وفي سنده راويان أحدهما ضعيف الحفظ، والآخر لم يُسَمّ". [1]

٢- وعند الترمذي وحسّنه من حديث أبي أمامة رفعه: (وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا مع كل ألف سبعين كذا ألفًا لا حساب عليهم ولا عذاب، وثلاث حَثَيَاتٍ من حَثَيَاتِ ربي) صحّحه الألباني.

قوله: فقال (**هم الذين لا يسترقون**) أي: لا يطلبون من أحد أن يرقيهم؛ لأن المسترقي ملتفت إلى غير الله بقلبه..

وقوله (**لا يسترقون**) هكذا ثبت في الصحيحين، وفي رواية مسلم: (لا يرقون ولا يسترقون) قال شيخ الإسلام: "هذه الزيادة وهْمٌ من الراوي، لم يقل النبي ﷺ: (لا يرقون)، لأن الراقي مُحْسن إلى أخيه، وقد قال ﷺ - وقد سئل عن الرُّقَى -: (من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه)، وقال: (لا بأس بالرقى ما لم يكن شركا)، والفرق بين الراقي والمسترقي أن المسترقي سائل مستعط ملتفت إلى غير الله بقلبه، والراقي محسن نافع".[2]

---

(١) أنيس الساري (تخريج أحاديث فتح الباري) (٨/ ٥٩١٦).

(٢) المستدرك على مجموع الفتاوى (١/ ٢٧).

قوله: (**ولا يكتوون**)، أي: لا يسألون غيرهم أن يكوِيَهم..

والكَيُّ عند الحاجة مُباح، ولكن إذا طلبته من غيرك يكون مكروهاً لأنه من مسألة الناس..

في صحيح مسلم عن جابر ﵁: (بعث النبي ﷺ إلى أُبَيْ بن كعب طبيبًا، فقطع منه عرقًا ثم كواه).

وفي الصحيحين عن ابن عباس مرفوعًا: (الشفاء في ثلاث: شَرْبة عسل، وشَرْطة مِحْجم، وكَيَّة نار. وأنا أنهى عن الكي) وفي لفظ مسلم: (وما أحب أن أكتوي).

قوله: (**ولا يتطيرون**) أي: لا يتشاءمون بالطيور ونحوها، وسيأتي بيان الطِّيَرة في بابها إن شاء الله.

قوله: (**وعلى ربهم يتوكلون**) ذكر الأصل الجامع الذي تفرعت عنه هذه الأفعال وهو التوكل على الله.

مسألة: هل يدل الحديث على أن مُباشرة الأسباب تُنافي التوكل؟

الحديث لا يدل على أن مباشرة الأسباب تنافي التوكل.. فالمراد أنهم يتركون الأمور المحرّمة (الطِّيَرة)، والمكروهة (طلب الرقية وطلب الكي) مع حاجتهم إليها توكُّلاً على الله..

في صحيح مسلم عن أبي هريرة مرفوعًا: (ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء).

وعن أسامة بن شَرِيك قال: (كنت عند النبي ﷺ وجاءت الأعراب، فقالوا يا رسول الله! أنتداوى؟ فقال: نعم يا عباد الله تَدَاوَوا، فإن الله عز وجل لم يضع داءً إلا وضع له شفاء، غير داء واحد) قالوا: ما هو؟ قال: (الهرم) رواه أحمد وإسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين.

مسألة: حكم التداوي؟

ق١: مباح.. الحنفية والمالكية.

ق٢: مباح ولكن تركه أفضل.. المشهور عن أحمد.

ق٣: مستحب.. المشهور عن الشافعي.[1]

قال ابن عثيمين: "فالأقرب أن يُقال ما يلي:

١- أنّ ما عُلم، أو غلب على الظن نفعه مع احتمال الهلاك بعدمه، فهو واجب.

---

(١) انظر: الهداية في شرح بداية المبتدي (٤/ ٣٨١)، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (٢/ ٣٣٩)، روضة الطالبين وعمدة المفتين (٢/ ٩٦)، الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل (١/ ٢١٠).

٢- أنّ ما غلب على الظن نفعه، ولكن ليس هناك هلاك محقق بتركه، فهو أفضل.

٣- أنّ ما تساوى فيه الأمران فتركه أفضل؛ لئلا يلقي الإنسان بنفسه إلى التهلكة من حيث لا يشعر.

والتداوي بالمحرم لا يجوز لنهي النبي ﷺ عن ذلك حيث قال: (تداووا ولا تداووا بحرام) ا.هـ[١]

قوله: (**فقام إليه عُكَّاشة بن محصن**). (بضم العين وتشديد الكاف ويجوز تخفيفها).. الأسَدَي من بني أسد بن خزيمة ومنه خلفاء بني أمية، كان من السابقين إلى الإسلام، ومن أجمل الرجال، هاجر وشهد بدرا وقاتل فيها.

قوله: (**قال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: أنت منهم**)، في رواية البخاري: فقال: (اللهم اجعله منهم) وفي بعض الروايات: أمنهم أنا يا رسول الله؟ قال: (نعم).. قال الحافظ: "ويُجمع بأنه سأل الدعاء أولاً، فدعا له، ثم اسْتَفْهم: هل أُجيب؟ فأخبره".[٢]

وفيه طلب الدعاء من الفاضل.

قوله: (**سبقك بها عُكَّاشة**).. قيل: إلى إحراز هذه الصفات، وقيل: بهذه المسألة.. والثاني أقرب لقوله (بها) ولم يقل (إليها).. والله أعلم.

وعدل ﷺ - عن قوله: لست منهم - تلطُّفًا بأصحابه، وحسن أدب معهم.

مسألة: لما ذا قال له النبي ﷺ ذلك؟

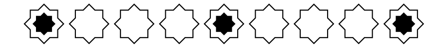
ق١: لأن الثاني لم يكن عنده من الأحوال ما كان عند عُكَّاشة.

ق٢: أنه كان منافقًا.. وهذا يَبْعُد لسببين:

أحدهما: أن الأصل في الصحابة عدم النفاق فلا يثبت ما يخالف ذلك إلا بنقل صحيح.

والثاني: أنه قلّ أن يصدر مثل هذا السؤال إلا عن قصد صحيح، ويقين بتصديق الرسول ﷺ.

ق٣: أراد سدَّ الباب لكي لا ينفتح فيطلبها من ليس أهلاً لها، أو ينفتح فلا يُغلق.. وهو الأقرب.



---

(١) الشرح الممتع (٥/٢٣٤).

(٢) فتح الباري (١١/ ٤١٢).

الباب الثالث: بَابُ اَلْخَوْفِ مِنْ اَلشِّرْكِ

وَقَوْلِ اَللَّهِ ﷻ: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ)).

وَقَالَ اَلْخَلِيلُ عليه السلام: ((وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ)).

وَفِي اَلْحَدِيثِ: (أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اَلشِّرْكُ الأصْغَرُ). فَسُئِلَ عَنْهُ فَقَالَ: (اَلرِّيَاءُ).

وَعَنْ اِبْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اَللَّهِ نِدًّا دَخَلَ اَلنَّارَ). رَوَاهُ اَلْبُخَارِيُّ.

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَنْ لَقِيَ اَللَّهَ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ اَلْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ اَلنَّارَ).

الشرح:

٣ – بَابُ اَلْخَوْفِ مِنْ اَلشِّرْكِ

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

جاء في التمهيد: "مناسبة هذا الباب لما قبله ظاهرة، وهي أن تحقيق التوحيد عند أهله لا بُدّ أن يقترن معه الخوف من الشرك... فكلُّ محقِّق للتوحيد يخاف من الشرك" ا.هـ

لذا جاء في الحديث: (اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئا أعلمه، وأستغفرك مما لا أعلم).[١]

قال عمر بن الخطاب ﷺ: "إنما تُنْقَضُ عُرى الإسلام عروةً عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية"[٢].. وقال حذيفة ﷺ: "كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أساله عن الشر مخافة أن أقع فيه" رواه البخاري.

وَقَوْلِ اَللَّهِ ﷻ: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ)).

الشاهد: أن الشرك أعظم الذنوب، لأن الله تعالى أخبر أنه لا يغفره، أي: إلا بالتوبة منه، وما عداه، فهو داخل تحت مشيئة الله إن شاء غفره بلا توبة وإن شاء عذب به.. وهذا يوجب للعبد شدة الخوف من هذا الذنب الذي هذا شأنه عند الله.

مسألة: المقصود في الآية الشرك الأكبر فقط أم تشمل الأصغر؟

ق١: الأكبر فقط.. لأن الشرك إذا أُطلق فيُراد به الأكبر..

ق٢: تشمل الأصغر.. لأن اللفظ يدل على العموم.[٣]

قال ابن عثيمين: "وعلى كلِّ حال فيجب الحذر من الشرك مطلقًا؛ لأن العموم يُحتمل".[١]

---

(١) أخرجه أحمد من حديث أبي موسى، وقال الهيثمي في"المجمع"١٠/ ٢٢٣: (رواه أحمد والطبراني في "الكبير" و"الأوسط" ورجال أحمد رجال الصحيح غير أبي علي، ووثقه ابن حبان).

(٢) أثر عمر ﷺ ذكره شيخ الإسلام في جملة من كتبه، منها: مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٠١)، ومنهاج السنة النبوية (٢/ ٣٩٨)، ودرء تعارض العقل والنقل (٥/ ٢٥٩).. وقد أخرجه الحاكم في المستدرك عن أبي أمامة الباهلي ﷺ مرفوعًا: (لتنتقض عرى الإسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبثت بالتي تليها وأول نقضها الحكم وآخرها الصلاة).

(٣) (لا يغفر أنْ يُشرك) قالوا: (أن) موصول حرفي فتؤوّل مع الفعل الذي بعدها بمصدر، والمصدر نكرة، ووقعت في سياق النفي فتدل على العموم.

وربّما يُقال: إن الآية تشمل الأكبر والأصغر للعموم، فالله سبحانه لا يغفر الشرك كبيره وصغيره، ولكن الفرق أن الأكبر صاحبه مُخلّد في النار، والأصغر لا يُغفر له فيُعذَّب ولكنه لا يُخلَّد. والله أعلم.

تنبيه: مرتبة الشرك الأصغر من حيث الجنس أكبر من جنس الكبائر.

مسألة: هل تتعارض هذه الآية مع قوله تعالى: ((قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً))؟

لا تعارض؛ لأن المراد بالمغفرة في قوله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً)) هي لمن تاب، والمراد بعدمها في ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ)) للذي لم يَتُب فمات على شِرْكه.

وَقَالَ اَلْخَلِيلُ عليه السلام: ((وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ)).

الشاهد: أنّ إبراهيم عليه السلام الذي حقق مقامات التوحيد، والذي حطّم الأصنام بيده يخاف من الشرك على نفسه ، وبنيه، فكيف بمن دونه؟

قال إبراهيم التيمي: "ومن يأمن من البلاء بعد خليل الله إبراهيم؟!".(٢)

قوله: (**الخَلِيل**).. هو إبراهيم عليه السلام.. والخُلَّة: أعلى درجات المحبة، أي: أن الله يحبه أعلى المحبة، وهذه مرتبة لم ينلها إلاَّ إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

قوله: (**وَاجْنُبْنِي**).. أي اجعلني في جانب والأصنام في جانب، وهذا أبلغ في الدلالة على شدّة المباعدة.

قوله: (**وَبَنِيَّ**).. جَمْع.. ومن المعلوم أنه ليس له إلا إسماعيل وإسحاق؛ فالمعنى – والله أعلم –: ذريّته وما توالد من صُلْبه.. في تيسير العزيز الحميد: ولم يذكر البنات لدخولهم تبعًا في البنين.

قوله: (**الأَصْنام**).. أقرب الأقوال أن الصَّنَم ما كان منحوتًا على صورة.. والوَثَن كلُّ ما عُبِد من دون الله، فيشمل الصَّنَم.. فكل صنَم وَثَن، وليس كل وَثَن صنم.. وفي الحديث: (اللهم لا تجعل قبري وثَنًا يُعبد).

وَفِي اَلْحَدِيثِ: (أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اَلشِّرْكُ الأَصْغَرُ). فَسُئِلَ عَنْهُ فَقَالَ: (اَلرِّيَاءُ).

---

(١) القول المفيد (١/ ١١٤).

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان تحقيق شاكر (١٧/ ١٧).

تخريج الحديث: هكذا أورده المصنف مختصرًا غير معزوّ، وقد رواه الإمام أحمد والطبراني والبغوي في شرح السنة.. وهو أطول من ذلك، لكن اقتصر على الشاهد.(١)

درجته: حسّنه ابن حجر، وجوّد إسناده الشيخ سليمان بن عبدالله، وابن باز، وصحّحه الألباني.

الشاهد: إذا كان الأصغر مخوفًا على الصالحين من الصحابة مع كمال إيمانهم، فينبغي للإنسان أن يخاف الأكبر لنقصان إيمانه.. وسيأتي الكلام عن أحكام الرياء - إن شاء الله - في باب مستقل.

وَعَنْ اِبْنِ مَسْعُودٍ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اَللَّهِ نِدًّا دَخَلَ اَلنَّارَ) رَوَاهُ اَلْبُخَارِيُّ.

الشاهد: الدعاء هو العبادة، ودعاء النِّدّ شرك أكبر.. فمن مات عليه وجبت له النار.. وهذا يوجب الخوف من الشرك في كل لحظة، لأن الإنسان لا يدري متى يموت.. في البخاري قال ﷺ: (الجنة أقرب إلى أحدكم من شِراك نعله، والنار مثل ذلك).. وقال الشاعر:

كلُّ امرئ مُصَبَّحٌ في أهْلِهِ... والموتُ أدْنى من شِراك نَعْلِهِ.

قوله: (يدعو) الدعاء ينقسم إلى قسمين:

١- دعاء عبادة.. كالصلاة والصوم، وغير ذلك من العبادات.. وهذا إذا صُرف لغير الله شرك أكبر.

٢- ودعاء مسألة.. فالشرك منه إذا كان: لميت، أو لحي غائب، أو فيما لا يقدر عليه إلا الله.

وقوله: (من دون الله).. (من دون) تأتي بمعنى (مع)، وتأتي بمعنى (غير).. والحديث يشمل المعنيين.

وقوله: (نِدًّا).. الند هو الشبيه والنظير.

وقوله: (دخل النار).. أي خالدًا فيها، لأنه أشرك شركًا أكبر.

---

(١) ولفظه: عن محمود بن لبيد، أن رسول الله ﷺ قال: (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر) قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: (الرياء، يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة - إذا جزي الناس بأعمالهم -: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء).

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ جَابِرٍ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَنْ لَقِيَ اَللَّهَ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ اَلْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ اَلنَّارَ).

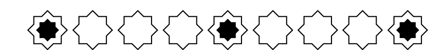
أول الحديث: عن جابر: أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله، ما الموجبتان؟ فقال: (من لقي الله... الحديث).

الشاهد: خطورة الشرك، إذ أنّ من مات عليه وجبت له النار.

قوله: (**يُشركُ بهِ شيئًا دخل النار**).. الشرك الأكبر بلا خلاف.

وأما الأصغر ففيه خلاف كما سبق: هل يُلحق بالأكبر بوجوب النار له، أم بالكبائر بأنه تحت المشيئة.

وفي الحديث: فضل التوحيد؛ فمآل الموحّد إلى الجنة، إما ابتداءً وإما انتهاءً.



الباب الرابع: بَابُ اَلدُّعَاءِ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اَللَّهُ

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ((قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ)).

وَعَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما –: أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى اَلْيَمَنِ؛ قَالَ: (إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ اَلْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلُ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اَللَّهُ – وَفِي رِوَايَةٍ: إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اَللَّهَ – فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اَللَّهَ اِفْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوك لِذَلِك، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اَللَّهَ اِفْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتَرُدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ اَلْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اَللَّهِ حِجَابٌ). أَخْرَجَاهُ.

وَلَهُمَا عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ قَالَ – يَوْمَ خَيْبَرَ –: (لأُعْطِيَنَّ اَلرَّايَةَ غَدًا رَجُلاً يُحِبُّ اَللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اَللَّهُ وَرَسُولُهُ، يَفْتَحُ اَللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ). فَبَاتَ اَلنَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا. فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اَللَّهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: (أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟). فَقِيلَ: هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ. قال: (فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ)، فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ اَلرَّايَةَ، وَقَالَ: (اُنْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ اُدْعُهُمْ إِلَى الإِسْلامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اَللَّهِ تَعَالَى فِيهِ، فَوَ اَللَّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اَللَّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ اَلنَّعَمِ). (يَدُوكُونَ) أَيْ يَخُوضُونَ.

الشرح:

٤ – بَابُ اَلدُّعَاءِ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اَللَّهُ

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

بأنّ من عرف فضل التوحيد، وفضل تحقيقه، وخاف من ضِدِّه فإنّه قد كمّل نفسه فلْيسعَ لتكميل غيره بالدعوة إليه.. ففي الصحيحين عن أنس ﵁ عن النبي ﷺ قال: (لا يؤمن أحدكم حتى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنَفْسه).

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ((**قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ**)).

الشاهد: أنّ الدعوة إلى الله هي طريق أتباع محمد ﷺ.. وتوحيدُ الله هو أولُ وأعظمُ ما يُدعى إليه.

قوله: (**أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني**).. المعنى على قولين:

١– أدعو إلى الله على بصيرة، ومن اتبعني يكون على بصيرة.

٢– أدعو إلى الله أنا ومن اتبعني، وكلانا على بصيرة.. وهو الأقرب.

قوله: (**إلى الله**).. لأن الدُّعاة ينقسمون إلى داعٍ إلى الله، وداعٍ إلى نفسه..

وفيه: التنبيه على الإخلاص كما ذكر الشيخ – رحمه الله – في مسائله.

قوله: (**على بصيرة**).. أي على عِلْم.. والعِلم بــ:

١– الشرع، ٢– حال المدعو، ٣– طريقة الدّعوة.

وَعَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما –: أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ معاذا إِلَى اَلْيَمَنِ قَالَ: (**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ اَلْكِتَابِ ، فَلْيَكُنْ أَوَّلُ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اَللَّهُ** ....) **الحديث. أَخْرَجَاهُ.**

الشاهد: أنّ الدعوةَ إلى التوحيد هي أولُ ما يدعو إليه الداعية إلى الله.

قوله: "**لما بعث معاذًا إلى اليمن**".. قال الحافظ: كان ﷺ بعث معاذا إلى اليمن سنة عشر قبل حج النبي ﷺ كما ذكره البخاري.

وفيه: قبول خبر الواحد العدل ووجوب العمل به؛ لأنه ﷺ بعث معاذًا وحده.

قوله: (**إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب**).. قال القرطبي: "وإنما نبهه على هذا؛ ليتهيأ لمناظرتهم، ويُعِدّ الأدلة لإفحامهم؛ لأنهم أهل علم سابق، بخلاف المشركين وعبدة الأوثان" ا.هـ[(١)]

وفيه: من منهج الدعوة: أن يكون الداعية على علم بحال المدعوِّين..

قوله: (**فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**)، يجوز رفع (أول) مع نصب (شهادة) وبالعكس.[(٢)]

قوله: (**وفي رواية: إلى أن يوحدوا الله**) هذه الرواية في صحيح البخاري.. وفي بعض الروايات: (فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله)، وفي بعضها: (وأن محمدًا رسول الله)، وأكثر الروايات فيها ذكر الدعوة إلى الشهادتين.

قوله: (**فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات**).. فيه:

١ - فقه الأولويَّات.. ٢ - التدرج في المهام.. ٣ - الوِتْر ليس بواجب.

مسألة: هل يُستَدَلُّ به على أن الكفار غير مخاطبين بفروع الشريعة؟

قال النووي: "وهذا الاستدلال ضعيف، فإن المراد: أعْلِمْهم بأنهم مطالبون بالصلوات وغيرها في الدنيا، والمطالبة في الدنيا لا تكون إلا بعد الإسلام.. ثم اعلم أن المختار أنّ الكفار مخاطبون بفروع الشريعة: المأمور به والمنهي عنه". ا.هـ[(٣)] ويدل عليه قوله تعالى: ((قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ)).

قوله: (**فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتُرَدُّ على فقرائهم**).. فيه:

١ - قوله (فقرائهم) دليل على أنه يكفي إخراج الزكاة في صنف واحد كما هو مذهب الجمهور خلافًا لمذهب الشافعي.

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/ ١٨١).

(٢) رفع (أولُ) على أنه اسم لـ (يكن)، ونصب (شهادة) على أنه الخبر.. وبنصب (أولَ) على أنه خبر لـ (يكن) مقدم، ورفع (شهادة) على أنه اسمها مؤخر.. والمشهور هو بجعل (أول) منصوبة؛ وذلك لأن مقام ذكر الشهادة والابتداء بها هو الأعظم، وهو المقصود؛ ليلتفت السامع والمتلقي - وهو معاذ - إلى ما يُراد منه أن يُخْبَر به من جهة الشهادة.

(٣) شرح النووي على مسلم (١/ ١٩٨).

٢- قوله (من أغنيائهم) دليل على أن من ملك النصاب فهو غني.

٣- عموم (من أغنيائهم) دليل على أن الزكاة واجبة في مال الصبي والمجنون، كما هو قول الجمهور.

قوله: (**واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**).. أي: لا تُحجب عن الله تعالى، بل تُرفع إليه فيقبلها وإن كان صاحبها كافرًا، كما في حديث أبي هريرة عند أحمد مرفوعًا: (دعوة المظلوم مستجابة، وإن كان فاجرًا؛ ففُجُوره على نفسه) قال الحافظ: "إسناده حسن".[1]

مسألة: لم يُذكر الصوم والحج في الحديث، مع أنّ هذا الحديث في آخر أيامه ﷺ؟

قال ابن باز: "إنما اقتصر على هذه الأمور الثلاثة، لأنها أهم الأمور، ومن أجاب إليها أجاب إلى ما سواها" ا.هـ[2].. وهذا أقرب الأقوال.[3]

وَلَهُمَا عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ قَالَ – يَوْمَ خَيْبَرَ –: (لأُعْطِيَنَّ اَلرَّايَةَ غَدًا رَجُلاً يُحِبُّ اَللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَيُحِبُّهُ اَللَّهُ وَرَسُولُهُ ، يَفْتَحُ اَللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ). فَبَاتَ اَلنَّاسُ يَدُوكُونَ.... الحديث.

الشاهد: في قوله: (ثم ادعهم إلى الإسلام) أي إلى التوحيد، فدلّ على أن الدعوة إلى التوحيد هي أول ما يُدعى إليه.

قوله: (**لأُعْطِيَنَّ الراية**).. قال الحافظ في رواية بُرَيْدة: (إني دافع اللواء إلى رجل يحبه الله ورسوله).. والراية هي العلم الذي يُحمل في الحرب، يُعرف به موضع تقدُّم الجيش.. قال ابن عباس: كانت راية رسول الله ﷺ سوداء، ولواؤه أبيض[4].. وعند ابن عدي عن أبي هريرة بزيادة: مكتوب فيه: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

---

(١) فتح الباري (٣/ ٣٦٠).

(٢) شرح كتاب التوحيد لابن باز (ص ٢٥).

(٣) من الأقوال: ١- أن بعض الرواة اختصر الحديث.. ويَبْعُد؛ فإن هذا طعن في الرواة.

٢- أن ذلك بحسب نزول الفرائض.. ويَبْعُد؛ لأن هذا الحديث متأخِّر.

٣- أنه ذكر الفرائض التي يُقاتل عليها. ٤- أنه ذكر الفرائض الظاهرة التي يراها الناس.

(٤) قال ابن العَرَبِيّ: اللِّوَاء ما يُعْقد فِي طرف الرمْح ويُلوى مَعَه، وبِذَلِك سمي لِوَاء، والراية ثوب يُجْعَل فِي طرف الرمْح

قوله: (**فبات الناس يدوكون ليلتهم**).. أي: أنهم ظلوا تلك الليلة يتحدثون من دون نوم في خوض واختلاف فيمن يدفعها إليه، لِعِظَمِ هذا الفضل الذي ذكره عليه الصلاة والسلام.

قوله: (**فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها**).. (غَدَو) من الغَدْوة، أي: ذهبوا إليه مُبكِّرين، وفيه دليل على حرصهم -رضي الله عنهم - على الفضائل.. حتى أنه جاء في رواية أبي هريرة عند مسلم: أن عمر قال: "ما أحببت الإمارة إلا يومئذ".

قوله: فقال: (**أين علي بن أبي طالب؟**).. في الصحيحين عن سلمة بن الأكوع قال: كان علي ؓ قد تخلف عن النبي ﷺ في خيبر، وكان رمِدًا، فقال: أنا أتخلّف عن رسول الله ﷺ فخرج علي ؓ فلحق بالنبي ﷺ... وفي لفظ مسلم: "فإذا نحن بعلي وما نرجوه".

قال شيخ الإسلام: "هذا الحديث أصح ما رُوي لعلي ؓ من الفضائل".[1]

قوله: (**فقيل له: هو يشتكي عينيه**).. أي: من الرمد، كما في صحيح مسلم عن سعد بن أبي وقاص فقال: (ادعوا لي عليًا، فأتي به أرمد فبصق في عينيه).

قوله: (**ودعا له فبرأ**)[2] جاء عند الطبراني من حديث علي ؓ: "فما رمدت ولا صدعت منذ دفع إلي النبي ﷺ الراية".

قوله: (**على رِسْلك**).. أي: على رفقك ولينك من غير عجلة..

قوله: (**ثم ادعهم إلى الإسلام**).. أي: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.. وفي حديث أبي هريرة عند مسلم: "فدعا رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب، فأعطاه الراية. وقال: (امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك). فسار علي شيئًا، ثم وقف ولم يلتفت، فصرخ: يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس؟ فقال: (قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله).

وقوله: (**وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه**).. أي: واشرح لهم معنى الإسلام، بأنه يجب عليهم أداء حقوق الله فيه، كالصلاة، والزكاة...

ويُخلّى بهيئته تصفقه الرّيح.. (تحفة الاحوذي ٥/٢٦٧)

(١) منهاج السنة النبوية (٥/ ٤٤).

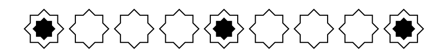
(٢) (برأ) بفتح الراء والهمزة، بوزن ضَرَب، ويجوز الكسر بوزن عَلِم.

وإن أنقصوا من ذلك فإنهم يُقاتَلُون، كما فعل الصدِّيق ﷺ حين قاتل أهل الردة الذين يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. فقال له عمر ﷺ: كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوا فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها؟! قال أبو بكر ﷺ: فإن الزكاة حق المال.

قوله: (فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حُمْر النَّعَم).. أي: خير لك من الإبل الحُمْر، وهي أنفس أموال العرب، يضربون بها المثل في نفاسة الشيء.

قيل: المراد خير من أن تكون لك فتتصدق بها.. وقيل: تقتنيها وتمْلُكها. وهو الأظهر، أي أنكم تحبون متاع الدنيا، وهذا خير منه.

قال النووي: "وتشبيه أمور الآخرة بأمور الدنيا إنما هو للتقريب من الأفهام، وإلّا فَذَرَّةٌ من الآخرة خير من الأرض بأسرها، وأمثالها معها".(١)



(١) شرح النووي على مسلم (١٥/ ١٧٨).

الباب الخامس: بَابُ تَفْسيرِ التَّوحِيدِ وشَهادةِ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ

وَقَوْلِ اللهِ تعالى: ((أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا)).

وَقَوْلِهِ: ((وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ...)) الآية.

وَقَوْلِهِ: ((اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)).

وَقَوْلِهِ: ((وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ)).

وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (مَنْ قَالَ لا إلهَ إلاَّ اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ؛ حَرُمَ مَالُهُ ودَمُهُ، وحِسابُهُ عَلى اللهِ ﷻ).. وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب.

الشرح:

٥ – بَابُ تَفْسيرِ التَّوحِيدِ وشَهادةِ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

الباب الذي قبله: "باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلاَّ الله"، وهذا الباب في تفسير هذه الكلمة، وبيان معناها، لأن الذي يدعو إلى شيء لابد أن يبيّنه، ويوضّحه توضيحاً تامًّا..

قوله: (**بَابُ تَفْسيرِ التَّوحِيدِ وشَهادةِ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ**).. أي: باب تفسير التوحيد وتفسير شهادة أن لا إله إلا الله، والعطف هنا من باب عطف المترادفَين؛ لأن التوحيد حقيقةً هو شهادة أن لا إله إلا الله..

قال ابن باز: "عَطَف الدال على المدلول؛ لأن التوحيد هو شهادة أن لا إله إلا الله" ا.هـ[١]

في هذا الباب أراد الإمام – رحمه الله – أن يبيّن أن التوحيد ليس مجرّد قول لا إله إلا الله، بل لا بد من لوازم لذلك، وهذا الباب من أهم أبواب التوحيد لأن الكثير يقول هذه الكلمة وهو لا يعرف معناها..

وقد ذكر أربع آيات وحديثًا واحدًا لبيان معنى التوحيد:

الآية الأولى: لبيان أن التوحيد لا بُدّ فيه أن يُصرف الدعاء والتقرّب والعبادة لله سبحانه وتعالى، لا تُصرف لأحد من خلقه بحجة أنه واسطة بين العبد وبين ربه عزّ وجلّ.

الآية الثانية: لبيان أن التوحيد لا بد فيه من البراءة من الشرك.

الآية الثالثة: لبيان أن التوحيد لا بد فيه من إفراد الله بالتشريع.

الآية الرابعة: لبيان أن التوحيد لا بد فيه من إفراد الله تعالى بالعبادات القلبية، كالمحبة، والخوف....

الحديث: لبيان أن التوحيد لا بد فيه من الكفر بكلِّ ما يُعبد من دون الله.

الآية الأولى:

وَقَوْلِ الله تعالى: ((**أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا**)).

---

(١) التعليقات البازية على كتاب التوحيد (ص ١٣).

الشاهد: أن التوحيد لا بُدّ فيه أن يُصرف الدعاء والتقرّب والعبادة لله سبحانه وتعالى، لا تُصرف لأحد من خلقه بحجة أنه واسطة بين العبد وبين ربه عزّ وجلّ.

يُبيِّن معنى هذه الآية التي قبلها، وهي قوله: ((قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلا تَحْوِيلاً ** أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ...)) الآية.

قال ابن كثير: "يقول تعالى: قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم من دونه من الأنداد، وارغبوا إليهم، فإنهم لا يملكون كشف الضر عنكم، أي: بالكلية، ولا تحويلاً، أي: أن يُحوِّلوه إلى غيركم".[١]

قال شيخ الإسلام: "فإن الآية تعمُّ من كان معبوده عابدًا لله، سواءً كان من الملائكة أو من الجن أو من البشر، فالآية خطاب لكل من دعا دون الله مدعوًّا".[٢]

فالمعنى: أن الأولياءَ والصالحين كلَّهم يتقرّبون إلى الله بالطاعة، كلّ واحد يرجو أن يكون أقرب إلى الله سبحانه وتعالى، يرجون رحمة الله لأنهم بحاجة إليها، ويخافون عذاب الله أن ينزل بهم.. فهؤلاء لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، فمن باب أولى لا يملكون لغيرهم، فكيف يُدعون من دون الله؟!.

وقوله: (**يبتغون إلى ربهم الوسيلة**).. الوسيلة هنا معناها: الطاعة والعبادة، وليس معناها ما يظنُّه القبوريُّون أن الوسيلة معناها: أن تجعل بينك وبين الله شخصاً يرفع حوائجك إلى الله.

الآية الثانية:

وَقَوْلِهِ: ((**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي** ...)) **الآية.**

الشاهد: أن التوحيد لا بد فيه من البراءة من الشرك.

قوله: (**وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ**).. أي: جعل (لا إله إلا الله) باقية في ذريته، فلا يزال في ذريّته من يعمل بها إلى أن بعث الله — سبحانه – محمدًا ﷺ.

وقوله: (**لَعَلَّهَمْ يَرْجِعُون**).. أي لعل الذي لا يعمل بلا إله إلا الله أن يرجع إليها فيعمل بها.

---

(١) تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم (٥/ ٨٨).

(٢) ذكره صاحب تيسير العزيز الحميد.

الآية الثالثة:

وَقَوْلِهِ: ((**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**)).

الشاهد: أن التوحيد لا بد فيه من إفراد الله بالتشريع.

الأحبار: جمع حَبْر وهو العالِم، والرُّهْبان: جمع راهِب وهو العابِد.

وهذه الآية قد فسّرها رسول الله ﷺ لعدي بن حاتم، وذلك أنه لمّا جاء مسلمًا دخل على رسول ﷺ وهو يقرأ هذه الآية قال: فقلت: إنهم لم يعبدوهم، فقال: (بلى، إنهم حرّموا عليهم الحلال وحلّلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذاك عبادتهم إياهم) رواه أحمد والترمذي وحسّنه..

جاء في تيسير العزيز الحميد: "وهكذا قال جميع المفسرين".

الآية الرابعة:

وَقَوْلِهِ: ((**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ**)).

الشاهد: أن التوحيد لا بد فيه من إفراد الله تعالى بالمحبّة (محبّة العبادة).

قوله: (يُحِبُّونهم كَحُبِّ الله).. للمفسِّرين فيها وجهان:

١- يُحبُّون أندادهم كحُبِّهم لله.. أي أنهم سوّوا آلهتهم بالله تعالى في المحبة.. وهذا القول أقرب.(١)

٢- يُحبُّون أندادهم كحُبِّ المؤمنين لله.

في تيسير العزيز الحميد: "ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله، فدلّ على أنهم يحبون الله حُبًّا عظيما، ولم يُدخلهم في الإسلام، فكيف بمن أحبّ النِّدَّ حُبًّا أكبر من حُبِّ الله؟! فكيف بمن لم يُحبّ إلا النِّدَّ وحده، ولم يحب الله؟!".

وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (مَنْ قَالَ لا إلهَ إلاَّ الله، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ الله؛ حَرُمَ مَالُهُ ودَمُهُ، وحِسابُهُ عَلى اللهِ ﷻ).. وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب.

---

(١) رجّحه شيخ الإسلام وابن عثيمين..

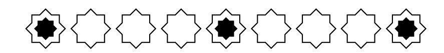
الشاهد: أن التوحيد لا بد فيه من الكفر بكلِّ ما يُعبد من دون الله.

قوله: في "الصحيح".. أي: صحيح مسلم، عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه عن النبي ﷺ فذكره.

قوله: (من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله).. علّق النبي ﷺ عصمة المال والدم بأمرين: الأول: قول: لا إله إلا الله. الثاني: الكفر بما يُعبد من دون الله.. فإذا حقّق هذين الشيئين حرُم ماله ودمه؛ لأنه صار مسلماً، والمسلم يحرُم دمه وماله[1].

قوله: (وحسابه على الله).. أي: إلى الله تبارك وتعالى، ففي الدنيا الحُكم على الظاهر، وأما الباطن فعِلْمه عند الله يُحاسبه الله عليه.

قوله: "وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب".. يعني أن ما يأتي بعد هذه الترجمة من الأبواب شرح للتوحيد، وشهادة أن لا إله إلا الله.. فدلّ على أهمية هذا الباب.



(١) حُرمة الدم والمال لا بد لمعرفتها من جمع النصوص.. ففي الصحيحين: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله).. وحديث: (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيّب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة) رواه البخاري ومسلم.

قال ابن باز: "من أتى بالتوحيد والإيمان بالرسالة فقد دخل في الإسلام، ثم يُطالَب بحق الإسلام، فيُطالَب بالصلاة والزكاة والصيام والحج وغير ذلك، فإن أدّى ما أوجب الله عليه فهو مسلم حقاً، وإن امتنع عن شيء أُخذ بحق الله فيه وأُجبر وأُلزم بحقوق الله التي أوجبها على عباده". مجموع فتاوى ابن باز (٨/ ٣٠٣).

الباب السادس: بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ لُبْسُ الْحَلْقَة وَالْخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا لِرَفْعِ الْبَلاءِ أَوْ دَفْعِهِ

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ((قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ...)) الآية.

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَجُلاً فِي يَدِهِ حَلْقَةٌ مِنْ صُفْرٍ، فَقَالَ: (مَا هَذِهِ؟) قَالَ: مِنَ الْوَاهِنَةِ. فَقَالَ: (انْزَعْهَا؛ فَإِنَّهَا لا تَزِيدُكَ إِلا وَهْنًا، فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ؛ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا). رَوَاهُ أحمد بِسَنَدٍ لا بَأْسَ بِهِ.

وَلَهُ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ – مَرْفُوعًا –: (مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً؛ فَلا أَتَمَّ اللهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدْعَةً؛ فَلا وَدَعَ اللهُ لَهُ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ).

وَلابْنِ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ حُذَيْفَةَ: أَنَّهُ رَأَى رَجُلاً فِي يَدِهِ خَيْطٌ مِنَ الْحُمَّى، فَقَطَعَهُ، وَتَلا قَوْلَهُ: ((وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ)).

الشرح:

٦ – بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ لُبْسُ الْحَلْقَة وَالْخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا لِرَفْعِ الْبَلاءِ أَوْ دَفْعِهِ

رفع البلاء: إزالته بعد حصوله، ودفعه: منعه قبله.

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

الباب الذي قبله تفسير التّوحيد بأنه عبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه؛ فناسب أن يذكر في هذا الباب وما بعده أمثلة لِما يُضاد التوحيد.. كما قيل: وبضدها تتبيّن الأشياءُ.

خلاصة الباب:

أنّ التعلّق بالأسباب (غير الصحيحة) يُضاد التوحيد، فهو من الشرك الأصغر، وقد يصل للأكبر بحسب اعتقاد صاحبها[(١)]:

١- إن اعتقد أنها تنفع استقلالاً فهو شرك أكبر.. صاحبه مخلّد في النار.

٢- إن اعتقد أنها سبب فهو شرك أصغر..

قواعد في الأسباب:

١- لا تثبت في كونها صحيحة إلا بطريقَيْن:

أ- النصّ الشرعي عليها من الكتاب أو السنة.. مثل: العسل، والحبة السوداء.. (وهي الأسباب الشرعية).

ب- التجربة.. مثل: دواء البنادول للصداع، والليمون للزكام.. (وهي الأسباب القدرية أو الكونية، أو الحسيَّة).

ويُشترط في التجربة أمران:

أولاً: أن تكون العلاقة بين السبب والنتيجة ظاهرةً واضحة؛ حتى لا ينفتح باب الخُرافات.

ثانيًا: أن لا يكون السبب محرمًا بذاته.. كالسحر؛ فالسحر يعمل على جلب المحبة، وقد ثبت بالتجربة ولكنه محرّم.

---

(١) مسبّب الأسباب هو الله سبحانه، ومن وضع سببًا لم يشرعه الله (شرعًا ولا حِسًّا) فقد شارك الله في ملكه؛ لذا كان اتخاذ أي سبب لم يشرعه الله من الشرك.

٢- لا يُعتمد على الأسباب، بل على مسبِّبها وهو الله سبحانه، فلو شاء ما نفعت.

٣- الأصل أن الأسباب (الصحيحة) لا تتخلّف عنها نتائجها إلا بخارقة (معجزة أو كرامة) أو مانع.

مثال المعجزة: النار تحرق، وقد جعلها الله - سبحانه - برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام..

مثال الكرامة: النار تحرق، وقد أُلقي فيها أبو مسلم الخولاني ولم تضرّه ، كرامةً من الله.[١]

مثال المانع: النار تحرق، وإذا لُبس ما يمنع فلا تحرق.

أمثلة لأسباب محرّمة:

١ - اعتقاد أن الدِّبلة تجلب المحبة بين الزوجين..

٢- تعليق جزء من الذِّئب في البيت يمنع دخول الجن..

٣- وضع المصحف في السيارة لمنع العين.

٤- جَعْل رؤوس الحُمُر ونحوها في البيت والزرع لدفع العين.. وقد يحتجون على ذلك بما رواه أبو داود في المراسيل عن علي بن الحسين مرفوعًا: (احرثوا فإن الحرث مبارك، وأكثروا فيه من الجماجم).. وعنه أجوبة:

أحدها: أنه حديث ضعيف مرسل.. وقد ضعّفه السيوطي والألباني وغيرهم.

الثاني: لو ثبت الحديث فقد اختلف في تفسير الجماجم، فقيل: هي البذر، وقيل: الخشبة التي يكون في رأسها سكة الحرث، وقيل: هي جماجم رؤوس الحيوان لدفع الطير، وهذا هو الأقرب.

القاعدة العامة:

اتخاذ أي سبب لم يشرعه الله، ولم يثبت بالتجربة الصحيحة فهو شرك أصغر.

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ((قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ...)) الآية.

---

(١) في سير أعلام النبلاء (٤/ ٨): "أن الأسود تنبأ باليمن، فبعث إلى أبي مسلم، فأتاه بنار عظيمة، ثم إنه ألقى أبا مسلم فيها، فلم تضره. فقيل للأسود: إن لم تنف هذا عنك، أفسد عليك من اتبعك. فأمره بالرحيل، فقدم المدينة... قال عمر ﷺ: "الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمة محمد من صنع به كما صنع بإبراهيم الخليل".

إكمال الآية: ((أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ)).

الشاهد: أن كل معبود من دون الله لا يدفع الضر ولا يجلب الخير؛ فليس سببًا لذلك، فيُقاس عليه كل ما ليس بسبب شرعي ولا حِسّي، فيُعتبر اتخاذه سببًا إشراكٌ بالله..

في تفسير القرطبي: "قال مُقاتل: فسألهم النبي ﷺ فسكتوا، وقال غيره: قالوا لا تدفع شيئا قدّره الله ولكنها تشفع".(1)

قوله: (**قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ**...).. بدأ الآية بإبطال الشرك، وختمها بالتوحيد في قوله: (قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ).

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَجُلاً فِي يَدِهِ حَلْقَةٌ مِنْ صُفْرٍ، فَقَالَ: (مَا هَذِهِ؟) قَالَ: مِنَ الْوَاهِنَةِ. فَقَالَ: (انْزَعْهَا؛ فَإِنَّهَا لا تَزِيدُكَ إِلا وَهْنًا، فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ؛ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا). رَوَاهُ أحمد بِسَنَدٍ لا بَأْسَ بِهِ.

درجة الحديث: صحّحه ابن حبّان والحاكم ووافقه الذهبي، وحسّن إسناده البوصيري(2).. وقد ضعّفه الألباني.. قال الهيثمي: "فيه مبارك بن فضالة وهو ثقة وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات".(3)

الشاهد: أن لبس الحلْقة التي يُقصد منها دفع الضرر أو العين شِرْك بالله.

قوله: "**رأى رجلاً**".. في رواية الحاكم: "دخلت على رسول الله ﷺ وفي عضدي حلقة صفر..."فالمبهم في رواية أحمد هو عمران راوي الحديث.

قوله: (**حَلْقَة مِنْ صُفْرٍ**).. الصُفْر هو النحاس الأصفر.

قوله: "**فقال ما هذه؟**".. يُحتمل أن الاستفهام للاستفصال هل لبسها تحليًا أم لا؟ ويحتمل أن يكون للإنكار. فظن اللابس أنه استفصل فأجاب.

---

(١) تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٥٩).

(٢) انظر: مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (٤/ ٧٧).

(٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٥/ ١٠٣).

قوله: "من الواهنة".. الواهنة: عرق يأخذ في المنكب وفي اليد كلها، فيُرقى منها... وهي تأخذ الرجال دون النساء.. وكان العرب من عادتهم لبس الحلْقة من أجل توقّي هذا الوجع.

قوله: (**لا تزيدك إلا وهنا**).. تزيد وَهْنًا (أي ضَعْفًا) في النفس، وقد تزيده ضعفًا في بدنه؛ لأنه يتعلّق بها فيكون في قلقٍ وفي خوف.. فعوقب بنقيض قصده.

قوله: (**فإنك لو مِتَّ وهي عليك ما أفلحت أبدًا**).. فيه دليل على أن الشرك لا يغفره الله أبدًا..

قال المصنف: فيه شاهد لكلام الصحابة أن الشرك الأصغر أكبر الكبائر، وأنه لم يُعذر بالجهالة..

وَلَهُ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ – مَرْفُوعًا –: (مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً؛ فَلا أَتَمَّ اللهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدْعَةً؛ فَلا وَدَعَ اللهُ لَهُ)..

درجة الحديث: أخرجه أحمد، والحاكم وصحّحه ووافقه الذهبي، وقال المنذري في الترغيب والترهيب: إسناده جيد، وقال الهيثمي: "رجالهم ثقات"[(١)].. وقد ضعّفه الألباني.

الشاهد: في قوله: (ومن تعلق ودعة...) فقد أبطل ﷺ هذا السبب؛ لأنه شرك بالله.

قوله: (**من تعلق تميمة**).. سيأتي بيان التميمة – إن شاء الله – في الباب التالي.

قوله: (**فلا أتم الله له**).. دعاءٌ عليه بأن الله لا يُتِمُّ له أموره.

قوله: (**ومن تعلق وَدْعة**).. شيء يخرج من البحر يشبه الصَّدَف، يتّقون به العين.

قوله: (**فلا ودَع الله له**).. أي: لا جعله في دعة وسكون، فقد دعا عليه رسول الله ﷺ بنقيض مقصوده.

وَفِي رِوَايَةٍ: (مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ).

قوله: (**وفي رواية**).. حديث آخر رواه أحمد أيضًا عن عقبة بن عامر الجهني..

ولفظه: أن رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط فبايع تسعة وأمسك عن واحد. فقالوا: يا رسول الله، بايعت تسعة وأمسكت عن هذا؟ قال: (إنّ عليه تميمة)، فأدخل يده فقطعها[(١)]، فبايعه. وقال: (من علّق تميمة فقد أشرك) ورواه الحاكم بنحوه.

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٥/ ١٠٣).

درجة الحديث: قال الهيثمي: "رُواةُ أحمد ثِقات" ا.هـ[٢].. وقد صحّحه الألباني.

الشاهد: أن تعليق التمائم شرك: أكبر أو أصغر بحسب حال صاحبها (وسيأتي إن شاء الله)..

قوله: (**من تعلق تميمة فقد أشرك**).. قال ابن عبد البر: "إذا اعتقد الذي علقها أنها ترد العين، فقد ظن أنها ترد القدر، واعتقاد ذلك شرك".[٣]

وَلابْنِ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ حُذَيْفَةَ: أَنَّهُ رَأَى رَجُلاً فِي يَدِهِ خَيْطٌ مِنَ الْحُمَّى، فَقَطَعَهُ، وَتَلا قَوْلَهُ: ((وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ)).

درجة الحديث: رواه ابن أبي حاتم في تفسيره وفي إسناده ضَعْف.

الشاهد: أنّ حذيفة رضي الله عنه عدّ لُبْس الخيط لأجل الحُمى من الشرك.

قوله: ((**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ**)).. أي أن المشركين يؤمنون بوجود الله، وأنه الخالق الرزاق المحيي المميت، ثم مع ذلك يُشركون في عبادته.



(١) قوله: (فأدخل يده فقطعها) أي: الرجل، بيّنه الحاكم في روايته.

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٥/ ١٠٣).

(٣) ذكره صاحب تيسير العزيز الحميد.

الباب السابع: بَابُ مَا جَاءَ فِي الرُّقَى وَالتَّمَائِمِ

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي بَشِيرٍ الأَنْصَارِيِّ ﷺ: "أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَأَرْسَلَ رَسُولاً: أَنْ لا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلادَةٌ مِنْ وَتَرٍ - أَوْ قِلادَةٌ - إِلا قُطِعَتْ".

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ الرُّقَى، وَالتَّمَائِمَ، وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ). رَوَاهُ أحمد وَأَبُو دَاودَ.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُكَيْمٍ - مَرْفُوعًا -: (مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ). رَوَاهُ أحمد وَالتِّرْمِذِيُّ.

"**التَّمَائِمُ**": شَيْءٌ يُعَلَّقُ عَلَى الأَوْلادِ يَتَّقُونَ بِهِ الْعَيْنَ، لَكِنْ إِذَا كَانَ الْمُعَلَّقُ مِنَ الْقُرْآنِ، فَرَخَّصَ فِيهِ بَعْضُ السَّلَفِ، وَبَعْضُهُمْ لَمْ يُرَخِّصْ فِيهِ، وَيَجْعَلُهُ مِنَ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ، مِنْهُمْ ابْنُ مَسْعُودٍ ﷺ.

و"**الرُّقَى**": هِيَ الَّتِي تُسَمَّى الْعَزَائِمَ، وَخَصَّ مِنْهَا الدَّلِيلُ مَا خَلا مِنَ الشِّرْكِ؛ فَقَدْ رَخَّصَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْعَيْنِ وَالْحُمَةِ.

و"**التِّوَلَةُ**": هِيَ شَيْءٌ يَصْنَعُونَهُ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ يُحَبِّبُ الْمَرْأَةَ إِلَى زَوْجِهَا، وَالرَّجُلَ إِلَى امْرَأَتِهِ.

وَرَوَى أحمد عَنْ رُوَيْفِعٍ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: (يَا رُوَيْفِعُ، لَعَلَّ الْحَيَاةَ تَطُولُ بِكَ؛ فَأَخْبِرِ النَّاسَ أَنَّ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ، أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا، أَوِ اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ؛ فَإِنَّ مُحَمَّدًا بَرِيءٌ مِنْهُ).

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً مِنْ إِنْسَانٍ؛ كَانَ كَعِدْلِ رَقَبَةٍ. رَوَاهُ وَكِيعٌ.

وَلَهُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: كَانُوا يَكْرَهُونَ التَّمَائِمَ كُلَّهَا مِنَ الْقُرْآنِ وَغَيْرِ الْقُرْآنِ.

الشرح:

٧ – بَابُ مَا جَاءَ فِي الرُّقَى وَالتَّمَائِمِ

لم يجزم المصنف بكونهما من الشرك؛ لأن في حكمها تفصيل، بخلاف لبس الحلقة والخيط..

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

قال الشيخ صالح الفوزان (حفظه الله): "هذا الباب مكمِّلٌ للباب الذي قبله، ولكن الباب الذي قبله صرّح الشيخ في ترجمته بأن لبس الحلْقة والخيط من الشرك، وأما هنا فلم يصرّح، وهذا من دقّة فقهه ومعرفته رحمه الله، فإنه إذا كان الحُكم واضحاً منصوصاً عليه في الحديث ذكره في الترجمة، وإذا كان الحكم فيه تفصيل، أو فيه احتمال؛ فإنه لا يجزم في الترجمة، وإنما يورد الأدلة في الباب ويُؤخذ منها الحكم مفصّلاً".(١)

تعريف الرقى والتمائم:

الرُّقى: جمع رُقْية، وهي أدعية وألفاظ تُقال يُعتقد فيها أنها تقي من الأمراض أو تُزيلها.

وقد يُقال بأن الرقى تُقال عند وقوع المرض؛ لتكون سببًا في رفعه.. وأما ما يُقال للوقاية من المرض والعين فهو التحصين؛ لذا يجوز تحصين الأهل والأولاد مع غيابهم، بخلاف الرقية.

التمائم: جمع تميمة، وهي كلُّ ما يعلق لغرض دفع الشر، أو جلب الخير. ومنها ما يكتب فيه ألفاظ، ومنها ما يُعلّق من غير أن يُكتب فيه شيء..

وكأنّ المصنّف يخص التمائم بالتي يكون فيها كتابة؛ لأنه حينئذ يكون الاعتقاد يكون في المكتوب لا في ذات المعلّق، وأما الباب السابق فإن الاعتقاد يكون في ذات المعلّق أو الملبوس. (وهذا تفريق مهم لم أجد من نبّه عليه).

أقسام الرقى:

١– رُقْية شرعية: وهي التي تكون ألفاظها من القرآن أو السنة أو من الأدعية المباحة.

٢– رُقْية شِركية: وهي التي تدلُّ ألفاظها على الاستغاثة بغير الله، أو دعاء غير الله، أو لا يُكتب فيها شيء.(٢)

---

(١) إعانة المستفيد (١/ ١٤٥).

(٢) ومن أقسام الرُّقى:

حكم الرقية الشرعية:

جائزة للمرقي.. ومندوب إليها للراقي؛ لما فيها من نَفْع المسلمين..

عن عوف بن مالك ﷺ قال: كنا نرقي في الجاهلية فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك؟ فقال: (اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرُّقَى، ما لم يكن فيه شرك) رواه مسلم.. وعن أنس ﷺ قال: "رخص رسول الله ﷺ في الرقية من العين والحمة والنملة"(1) رواه مسلم..

قال السعدي: "فإنها مندوبة في حق الراقي؛ لأنها من باب الإحسان، ولما فيها من النفع، وهي جائزة في حق المرقي، إلا أنه لا ينبغي له أن يبتدئ بطلبها".(2)

شروط الرقية الشرعية:

قال الحافظ: "قد أجمع العلماء على جواز الرُّقى عند اجتماع ثلاثة شروط:

١- أن يُعتقد أنها سبب، والمؤثِّر هو الله سبحانه.

٢- أن تكون بالقرآن، أو الأذكار، أو الأدعية المباحة.

٣- أن تكون باللغة العربية لمن يعرفها، أو تكون معلومة المعنى إذا كان الرّاقي لا يعرف العربية". ا.هـ(3)

وقد يُضاف شرط رابع وهو النية حال الرُّقية، بأن يقرأ الراقي مستحضرًا نية الرُّقية على هذا المريض.

طُرق الرقية الشرعية:

١- الرقية المباشرة (لا يستخدم الراقي شيئًا غير القراءة).. ولها ثلاثة أنواع:

أ- القراءة على المريض والنفث عليه مباشرة.

رُقية بِدعية: وهي التي تكون أدعيتها مباحة ولكنها محدّدة بعدد معيّن للأذكار أو بوقت معيّن أو بألفاظ معيّنة والْتزام ذلك من غير أن يدلّ على ذلك دليل..

ورُقية مُحرَّمة: وهي التي يصحبها عمل محرّم، كالخلوة بالمرأة أو مسّ جلدها.

(1) (النملة) هي قروح تخرج في الجنب.. قال النووي في شرح صحيح مسلم: "ليس معناه تخصيص جوازها بهذه الثلاثة وإنما معناه سئل عن هذه الثلاثة فأذن فيها، ولو سئل عن غيرها لأذن فيه وقد أذن لغير هؤلاء، وقد رقى هو ﷺ في غير هذه الثلاثة". والله أعلم.

(2) القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص: ٤٨).

(3) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ١٩٥).

ب- يقرأ الراقي في يديه ثم يمسح بهما موضع الألم.

ج- وضع الراقي يده على موضع الألم ومسحه الجسد بعد الرقية.

وهذه الطرق قد دلت الأحاديث الصحيحة من السنة على ثبوتها والعمل بها..

عن عائشة - رضي الله عنها -: أن النبي ﷺ كان يعوّذ بعض أهله، يمسح بيده اليمنى، ويقول: (اللهم رب الناس أذهب الباس، اشفه وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سَقَمًا) رواه البخاري.

وعن عثمان بن أبي العاص الثقفي ﷺ أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعا يجده في جسده منذ أسلم فقال له رسول الله ﷺ: (ضع يدك على الذي تألم من جسدك، وقل: (باسم الله) ثلاثا، وقل سبع مرات (أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر) رواه مسلم.

٢- الرقية غير المباشرة.. ولها ستة أنواع:

أ- خلط بعض التراب مع الريق ، حيث ينفث الراقي على الإصبع بشيء من الريق ثم يوضع في التراب ويمسح به المريض أثناء الرقية، وهذا جائز.[١]

ب- الرقية في الماء ثم شربه أو الاغتسال به ، وهذه كيفية جائزة لا محذور فيها.[٢]

ج- كتابة بعض الآيات من القرآن في ورقة أو في إناء ثم محوها بالماء وشربها وغسل البدن بها، ولا بأس بهذا أيضاً على الصحيح.. وبه قال ابن عباس ومجاهد والإمام أحمد وابن تيمية وابن القيم وابن باز.

قال ابن باز في التعليقات البازية: "والكتابة في الورق والصحن فعله بعض السلف، وروي عن ابن عباس، ولكن لم يثبت، ولا بأس به، ذكره ابن القيم في الزاد، ولكن الرقية أفضل".

د- القراءة على جمع في مكان واحد عبر مكبر الصوت، أجازها بعضهم، والأفضل أن تكون

---

(١) عن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ كان يقول للمريض: (بسم الله، تُربة أرضنا، بريقة بعضنا، يشفى سقيمُنا، بإذن ربِّنا) متفق عليه.

(٢) عن علي ﷺ قال: لدغت النبي ﷺ عقرب وهو يصلي ، فلما فرغ قال: (لعن الله العقرب لا تدع مصليا ولا غيره)، ثم دعا بماء وملح، وجعل يمسح عليها ويقرأ بـ قل يا أيها الكافرون، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس. رواه الطبراني في المعجم الصغير، وحسّنه الهيثمي وصحّحه الألباني.

الرقية منفردة لكل شخص.. إذ هي الأصل في الرقية الشرعية. [1]

هـ- رقية الغائب: بأن يقرأ شخص آيات الرقية أو بعض الأدعية، ويقول هذه رقية لفلان حماية له، وهو ليس حاضراً عنده أو تسجيل آيات الرقية في أشرطة، ويقال: هذا شريط رقية العين، وهذا شريط رقية السحر.. وهذه الطريقة لا تجوز - على الصحيح - سدًّا للذريعة.[2]

و- الرقية عبر الهاتف.. والأقرب عدم جوازها.. إذ الرقية لا بد أن تكون على المريض مباشرة.

أقسام التمائم:

١- تمائم شركية.. وهذه قسمان:

أ- إذا كانت مشتملة على التعاويذ الشركية، أو الاستغاثة بغير الله.. (**فهذا شرك أكبر**).

ب- إذا كان المعلّق لا يشتمل على تعاويذ أو أدعية، واعتقد أنه سبب لدفع الشر أو جلب الخير.. مثل تعليق الخيط أو جلد الذئب.. (**فهذا شرك أصغر**).. وهذه الصورة منتشرة.

٢- التمائم من القرآن الكريم.. على قولين:

ق١: **جائزة**.. مروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وعائشة رضي الله عنهم.. ورواية لأحمد.. وهو ظاهر اختيار ابن القيم.[3]

الدليل: قوله تعالى: ((ونُنَزِّلُ مِن القرآنِ ما هُوَ شِفَاءٌ)) ولم يذكر سبحانه الوسيلة للاستشفاء به، فدل أن كل وسيلة يتوصل بها إلى ذلك فهي جائزة[4].. وحملوا المنع على التمائم الشركية.

ق٢: **محرّمة**.. وهو قول ابن مسعود وابن عباس وحذيفة وعقبة بن عامر رضي الله عنهم، ورواية لأحمد.. وقال به ابن باز وابن جبرين والألباني، وعليه فتوى اللجنة الدائمة.

---

(١) جاء في فتوى اللجنة الدائمة -٢- (٩٢/١): الرقية لا بد أن تكون على المريض مباشرة، ولا تكون بواسطة مكبر الصوت، ولا بواسطة الهاتف؛ لأن هذا يخالف ما فعله رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم وأتباعهم بإحسان في الرقية، وقد قال ﷺ: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد).

(٢) جاء في فتوى اللجنة الدائمة -٢- (٩٣/١): تشغيل جهاز التسجيل بالقراءة والأدعية لا يغني عن الرقية؛ لأن الرقية عمل يحتاج إلى اعتقاد ونية حال أدائها، ومباشرة للنفث على المريض، والجهاز لا يتأتى منه ذلك..

(٣) واختلف قول ابن عثيمين فيها فمرة قال بالتوقف كما في شرحه لكتاب التوحيد، ومرة بعدم الجواز كما في الفتاوى، ومرة بالجواز.

(٤) وهناك حديث يدل على جواز التمائم أخرجه الديلمي من طريق عائشة مرفوعًا: (لا بأس بتعليق التعويذ من القرآن قبل نزول البلاء، وبعد نزول البلاء).. إلا أنه حديث ضعيف أورده الألباني في الضعيفة.

الدليل:

١- عموم النهي عن تعليق التمائم..

٢- سدًّا للذريعة؛ لأنه قد يُفضي إلى تعليق ما ليس من القرآن..

٣- تعليقها قد يوصل إلى امتهانها بدخول الخلاء وغير ذلك.

وهذا القول الثاني هو الأقرب..

ويُجاب عن أدلة المجيزين: بأن القرآن شفاء ولكن بالطريقة التي جاءت عن النبي ﷺ..

وأما ما ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وأنه يعلق على أولاده الذين لم يبلغوا دعاء الفزع[١].. فيُجاب عنه:

١- إثبات الأثر فيه كلام.. فقد حسّن الألباني أصل الحديث لشواهده، وأنكر زيادة فكان عبد الله بن عمرو.. فقال: ابن إسحاق مدلِّس وقد عنعنه في جميع الطرق عنه، وهذه الزيادة منكرة عندي لتفرده بها.

٢- لو فرضنا ثبوت الأثر، فيجاب عنه بأنه رضي الله عنه لم يقصد التميمة، وإنما قصد التعليم.[٢]

٣- لو فرضنا أنه أراد التميمة فإنه عمل صحابي خالفه من هو أعلم منه من الصحابة.

مسألة:

ما حكم تعليق الآيات القرآنية في المنازل؟

قال ابن عثيمين: "وفي هذا الوقت أصبح تعليق القرآن لا للاستشفاء، بل لمجرد التبرك والزينة؛ كالقلائد الذهبية، أو الحلي التي يكتب عليها لفظ الجلالة، أو آية الكرسي، أو القرآن كاملًا؛ فهذا كله من البدع".[٣]

---

(١) نص الحديث: جاء عند أحمد وأبي داود والترمذي من طريق محمد بن إسحاق، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أن رسول الله ﷺ، قال: (إذا فزع أحدكم في النوم فليقل: أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون فإنها لن تضره).. فكان عبد الله بن عمرو، يلقنها من بلغ من ولده، ومن لم يبلغ منهم كتبها في صك ثم علقها في عنقه. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٢) جاء في فتاوى اللجنة الدائمة -١- (٣٠٨/١): والظاهر أنه فعل ذلك معهم ليكرروا قراءة ما كتب حتى يحفظوه لا أنه فعل ذلك معهم حفظا لهم من الحسد أو غيره من أنواع الضر فليس هذا من التمائم في شيء.

(٣) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٩/ ١٨٠).

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي بَشِيرٍ الأَنْصَارِيِّ ﷺ: أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَأَرْسَلَ رَسُولاً: أَنْ لا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلادَةٌ مِنْ وَتَرٍ – أَوْ قِلادَةٌ – إِلا قُطِعَتْ.

في **"الصحيح"** أي: في "الصحيحين".

الشاهد: أمره ﷺ بقطع ما يعلّق في رقبة البعير؛ لأن ذلك من التمائم الشركية حيث يعتقدون أنه يدفع الضر أو أنه يجلب النفع. والأقرب أن هذا الحديث يدخل في الباب السابق؛ لأنه تعليق بلا كتابة.

قوله: (عن أبي بَشِير).. الأنصاري.. قال ابن عبد البر: "لا يوقف على اسمه على صحة وهو مشهور بكنيته، وقيل إن بشير من بني النجار وإن اسمه قيس بن بحر ولا يصح، والله أعلم، توفي سنة أربعين".(١)

قوله: "في بعض أسفاره".. قال الحافظ: "لم أقف على تعيينها".(٢)

قوله: (فأرسل رسولا).. هو زيد بن حارثة ﷺ.

و**"قلادة"** مرفوع على أنه فاعل و**"الوَتَر"** واحد أوتار القوس..

في حاشية ابن قاسم: وكان أهل الجاهلية إذا اخلولق الوتر أبدلوه بغيره، وقلّدوه الدواب، اعتقادا منهم أنه يدفع عن الدابة العين، ويدفع عنهم المكاره.

قوله: "أو قلادة إلا قطعت".. شك الراوي، هل قال شيخه قلادة من وتر؟ أو قال: قلادة وأطلق ولم يُقيِّد.

في تيسير العزيز الحميد: "والأُولى أصح، لاتفاق الشيخين عليها، وللرخصة في القلائد، إلا الأوتار؛ ولما روى أبو داود والنسائي من حديث أبي وهب الجشمي مرفوعًا: "ارتبطوا الخيل وقلِّدوها، ولا تقلِّدوها الأوتار" ولأحمد عن جابر مرفوعًا مثله وإسناده جيد".

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ الرُّقَى، وَالتَّمَائِمَ، وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ). رَوَاهُ أحمد وَأبو دَاودَ.

درجة الحديث: صحيح.. صحّحه الألباني.

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٧/ ١٥٩).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٦/ ١٤١).

والحديث ذكره المصنِّف مختصرًا وفيه قِصّة..

ولفظ أبي داود: "عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود أن عبد الله بن مسعود رأى في عنقي خيطًا، فقال: ما هذا؟ قلت: خيط رقي لي فيه. قالت: فأخذه فقطعه ثم قال: إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الرقى والتمائم والتولة شرك". فقلت: لم تقول هكذا؟ لقد كانت عيني تقذف، وكنت أختلف إلى فلان اليهودي يرقيها، فإذا رقاها: سكنت: فقال عبد الله: إنما ذلك عمل الشيطان ينخسها بيده، فإذا رقيتها كف عنها، إنما كان يكفيك أن تقولي كما كان رسول الله ﷺ يقول: (أذهب البأس رب الناس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلاّ شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا). ورواه ابن ماجه وابن حبان، والحاكم وقال: صحيح وأقرّه الذهبي.

(**والتِّوَلة**): فسرها ابن مسعود راوي الحديث كما في "صحيح ابن حبان" والحاكم. قالوا: يا أبا عبد الرحمن هذه الرقى والتمائم قد عرفناهما، فما التولة؟ قال شيء يضعه النساء يتحببن إلى أزواجهن.

قال الحافظ: "ضَرْب من السحر، وإنما كان ذلك من الشرك، لأنهم أرادوا دفع المضار وجلب المنافع من عند غير الله".[1]

قوله: (**شرك**).. يُحمل على الرقى والتمائم الشركية.

في الوجيز لشيخنا الصيدلاني: "ويستفاد من الحديث أن النتائج لا تدل على صحة السبب، وأيضاً قد تعين الشياطين الإنسان إضلالاً له، والعياذ بالله".

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُكَيْمٍ – مَرْفُوعًا –: (مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ). رَوَاهُ أحمد وَالتِّرْمِذِيُّ.

درجة الحديث: في إسناده ضعف[2]، إلا أن له شواهد يتقوى بها.. حسّنه الألباني.

الشاهد: أنه ذكر نتيجة التعلق وهو أنه يوكل إلى ذلك الشيء الذي تعلقه، وإذا وكل إليه فمعنى ذلك أنه خسر في ذلك الخسران المبين.

---

(١) فتح الباري (١٠/ ١٩٦).

(٢) مداره على محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وهو ضعيف لسوء حفظه. انظر: تهذيب التهذيب (٩/ ٣٠٢).

قوله: (**وعن عبد الله بن عُكَيم**).. يكنى أبا معبد الجهني الكوفي.. في تيسير العزيز الحميد: "قال البخاري: "أدرك زمن النبي ﷺ ولا يعرف له سماع صحيح"، وكذا قال أبو حاتم، وقال البغوي: "يُشكّ في سماعه".. وظاهر كلام هؤلاء الأئمة أن الحديث مرسل".

قوله: (**من تعلّق**).. التعلُّق يكون بالقلب ويكون بالفعل، ويكون بهما جميعًا.

قوله: (**شيئًا**).. نكرة في سياق الشرط فتعم جميع الأشياء.

قوله: (**وُكِلَ إليه**).. أي: وكله الله إلى ذلك الشيء الذي تعلّقه.

وَرَوَى أحمد عَنْ رُوَيْفِعٍ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: (يَا رُوَيْفِعُ، لَعَلَّ الْحَيَاةَ تَطُولُ بِكَ؛ فَأَخْبِرِ النَّاسَ أَنَّ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ، أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا، أَوِ اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ؛ فَإِنَّ مُحَمَّدًا بَرِيءٌ مِنْهُ).

درجة الحديث: رواه أحمد وأبو داود والنسائي.. حسّنه النووي وصحّحه الألباني.

الشاهد: أن الرسول ﷺ تبرأ ممن فعل هذه الأعمال ومنها: تقلد الأوتار، التي هي من التمائم الشركية. والأقرب أن هذا الحديث يدخل في الباب السابق؛ لأنه تعليق بلا كتابة.

قوله: (**لعل الحياة تطول بك**).. علم من إعلام النبوة، لأنه وقع كما أخبر به ﷺ، فإن رويفعًا طالت حياته إلى سنة ست وخمسين.

قوله: (**فأخبر الناس**).. دليل على وجوب إخبار الناس بذلك على رويفع، وليس هذا مختصًا به، بل كل من كان عنده علم ليس عند غيره مما يحتاج إليه الناس، وجب عليه تبليغه للناس.

قوله: (**أن من عقد لحيته**).. لها عدة معانٍ:

١- كانوا في الجاهلية يعقدون لحاهم في الحروب يقلّدون الأعاجم، تكبُّرًا وعُجْبًا.

٢- معالجة الشعر ليتعقد ويتجعد، وذلك من فعل أهل التوضيع والتأنيث.

٣- المراد به عقد اللحية في الصلاة، لأن هذا من العبث في الصلاة.

قوله: (**أو تقلد وترًا**).. أي: جعله قلادة في عنقه أو عنق دابته ونحو ذلك.

قوله: (**أو استنجى برجيع دابة أو عظم، فإن محمدًا بريء منه**).. قال النووي: "أي: بريء من فعله، وقاله بهذه الصيغة ليكون أبلغ في الزجر".[1]

(١) ذكره صاحب تيسير العزيز الحميد.

وفيه النهي عن الاستنجاء برجيع الدواب والعظام وقد ورد في ذلك أحاديث.. منها ما في صحيح مسلم عن ابن مسعود ﷺ مرفوعا: (لا تستنجوا بالروث ولا بالعظام فإنه زاد إخوانكم من الجن).

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً مِنْ إِنْسَانٍ؛ كَانَ كَعَدْلِ رَقَبَةٍ. رَوَاهُ وَكِيعٌ.

في القول المفيد لابن عثيمين: "وجه الشبه بين قطع التميمة وعتق الرقبة، أنه إذا قطع التميمة من إنسان فكأنه أعتقه من الشرك ففكّه من النار".

في تيسير العزيز الحميد: "هذا الحديث عند أهل العلم له حكم الرفع، لأن مثل ذلك لا يقال بالرأي فيكون على هذا مرسلاً؛ لأن سعيدًا تابعي".

قوله: (**رواه وكيع**).. هو وكيع بن الجراح.. له تصانيف منها الجامع، روى عنه الإمامان: الشافعي وأحمد.

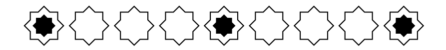
وَلَهُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: كَانُوا يَكْرَهُونَ التَّمَائِمَ كُلَّهَا مِنَ الْقُرْآنِ وَغَيْرِ الْقُرْآنِ.

قوله: (**وله**).. أي لوكيع.

قوله: (**عن إبراهيم**).. هو إبراهيم بن يزيد النخعي الكوفي، ثقة إمام، من كبار فقهاء الكوفة.

قوله: (**كانوا**).. أي أصحاب عبد الله بن مسعود كعلقمة والأسود ومسروق وغيرهم.. وهذه الصيغة يستعملها إبراهيم في حكاية أقوالهم كما بين ذلك الحافظ العراقي وغيره.

وقوله: (**يكرهون**).. أي يُحرِّمون، لأن الكراهة عند السلف يريدون بها التحريم.



الباب الثامن: بَابُ مَنْ تَبَرَّكَ بِشَجَرٍ أَوْ حَجَرٍ وَنَحْوِهِمَا

وَقَوْلُ اَللَّهِ تَعَالَى: ((أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ...)) الآيات.

عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اَللَّيْثِيِّ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اَللَّهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا "ذَاتُ أَنْوَاطٍ". فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اَللَّهِ، اِجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. فَقَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: (اَللَّهُ أَكْبَرُ! إِنَّهَا اَلسُّنَنُ، قُلْتُمْ – وَاَلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ – كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ((اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ))، لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ). رَوَاهُ اَلتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ.

الشرح:

٨ – بَابُ مَنْ تَبَرَّكَ بِشَجَرٍ أَوْ حَجَرٍ وَنَحْوِهِمَا

أي: ما حكمه هل هو شرك أم لا؟..

تبرك بشجر مثل: العزّى وذات أنواط، **تبرك بحجر** مثل: اللات ومناة.. **ونحوهما** مثل: فعل القبوريين بالتبرك بالأموات.

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

الأبواب التي قبله في بعض الأشياء التي يُعتقد أنها أسباب تدفع الضر أو تجلب النفع، وهذا الباب مكمِّل لها، حيث أنَّ فيه بيان لبعض الأشياء التي يُعتقد أنها أسباب تجلب البركة.

خلاصة الباب:

أنّ طلب البركة من الأسباب التي لا تُشرع إلا بدليل..

تعريف الْبَرَكة:

لغة: الثبوت واللزوم.. وتطلق أيضاً على النماء والزيادة.

شرعًا: الخير الكثير ، الذي يزود ويثبت.. **والتبرُّك** هو طلب البركة.

قواعد التبرّك المشروع:

١- لا تثبت بركة شيء إلا بدليل..

٢- أن تكون طريقة التبرّك بذاك الشيء مشروعة..

أنواع البركة:

١- **بركة معنوية**.. بحصول الأجر.. جعل الله في بعض الأمكنة والأزمنة بركة معنوية..

أمثلة للبركة المعنوية المشروعة:

المسجد الحرام (مكان) مبارك لمضاعفة أجر الصلاة فيه.. عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مئة ألف صلاة فيما سواه) رواه أحمد وابن ماجه وصحّحه الألباني.

ليلة القدر (زمان) مبارك لمضاعفة الأجر فيها: ((إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ))، ((لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ)).

٢- **بركة حسِّيَّة**.. بحصول النفع الحسِّي من الشِّفاء والقوّة..
جعل الله في بعض الأطعمة والأشربة والصفات بركة حسية..

أمثلة للبركة الحسيّة المشروعة:

الحبة السوداء (طعام) مبارك لحصول الشفاء به بإذن الله.. عن أبي هريرة ﷺ قال: قال ﷺ: (في الحبة السوداء شفاء من كل داء، إلا السام) متفق عليه.

الطريقة المشروعة: أكلها أو الادِّهان بزيتها.

والطريقة الممنوعة: وضعها في البيت أو في السيارة لتقي من العين.

ماء زمزم (شراب) مبارك لحصول الشفاء به والقوة بإذن الله.. عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ عن ماء زمزم: (إنها مباركة، إنها طعام طُعم) رواه مسلم.. وعند الطيالسي زيادة: (وشِفَاءُ سُقْم).

الاجتماع على الطعام (صفة) مباركة لحصول الشّبع بإذن الله.. عن وحشي بن حرب أن أصحاب النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع، قال: (فلعلكم تفترقون؟) قالوا: نعم، قال: (فاجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وحسّنه الألباني.

التبرّك بالأشخاص:

١- **بركة عامة بأهل الفضل والعلم**.. وهي **بركة معنوية**.. من زيادة الإيمان، والتعليم، وحصول الأجر.

مثل مجالسة العلماء وأهل الفضل.. فإن الله سبحانه يجعل فيها بركة معنوية من زيادة الإيمان وإعانة على ذكر الله.. عن أسماء بنت يزيد قالت: قال النبي ﷺ: (ألا أخبركم بخياركم؟). قالوا: بلى. قال: (الذين إذا رؤوا ذُكر الله)(١) رواه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان وحسّنه الألباني.

٢- **بركة خاصة بالنبي ﷺ**.. وهي **بركة حسية ومعنوية**.. من حصول النفع المعنوي والحسي.

---

(١) ومعناه: أن النَّاس إِذا رَأوهُمْ ذكرُوا الله لما هم عَلَيْهِ من سمات الصّلاح وشعار الْأَوْلِيَاء مِمَّا علاهم من النُّور والهيبة والخشوع والخضوع وَغير ذَلِك.

النفع المعنوي حصل به ﷺ بأن أمته خير الأمم، وأجورها مضاعفة ببركته ﷺ، وأنها أول الأمم في دخول الجنة.. وأن الصحابة رضي الله عنهم أفضل هذه الأمة ببركة صحبته لهم ﷺ.

النفع الحسِّي حصل به ﷺ بفعل بعض الصحابة بالتبرك بعرقه وشعره وجسده ﷺ..

أمثلة لتبرك الصحابة رضي الله عنهم بنبيِّهم ﷺ:

١- عن أنس رضي الله عنه قال: "كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء، فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها، فربما جاءوه في الغداة الباردة، فيغمس يده فيها". رواه مسلم.

٢- عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: "خرج رسول الله ﷺ بالهاجرة إلى البطحاء، فتوضأ ثم صلى الظهر ركعتين، والعصر ركعتين، وبين يديه عنزة كان يمر من ورائها المرأة، وقام الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بها وجوههم.. قال فأخذت بيده فوضعتها على وجهي فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب رائحة من المسك". رواه البخاري.

٣- عن أنس رضي الله عنه، قال: "لقد رأيت رسول الله ﷺ والحلاق يحلقه، وأطاف به أصحابه، فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل". رواه مسلم.

٤- عن أنس رضي الله عنه قال: "كان النبي ﷺ يدخل بيت أم سُليم فينام على فراشها، وليست فيه، قال: فجاء ذات يوم فنام على فراشها، فَأُتِيَتْ فقيل لها: هذا النبي ﷺ نام في بيتكِ، على فراشكِ، قال فجاءت وقد عرق، واستنقع عرقه على قطعة أديم، على الفراش، ففتحت عتيدتها[1] فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها، ففزع النبي ﷺ فقال: (ما تصنعين يا أم سليم؟) فقالت: يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا، قال: (أصبتِ). رواه مسلم.

٥- عن أبي موسى رضي الله عنه قال: كنت عند النبي ﷺ وهو نازل بالجعرانة بين مكة والمدينة، ومعه بلال فأتى النبي ﷺ أعرابي فقال: ألا تنجز لي ما وعدتني؟ فقال له: (أبشر). فقال: قد أكثرت علي من أبشر، فأقبل على أبي موسى وبلال كهيئة الغضبان، فقال: (ردّ البُشرى، فاقبلا أنتما)، قالا: قبلنا، ثم دعا بقدح فيه ماء، فغسل يديه ووجهه فيه ومج فيه، ثم قال: (اشربا

(١) (عتيدتها) أي كالصندوق الصغير تجعل المرأة فيه ما يعز من متاعها.

منه، وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وأبشرا). فأخذا القدح ففعلا، فنادت أم سلمة من وراء الستر: أن أفضلا لأمّكما، فأفضلا لها منه طائفة" متفق عليه.

تنبيه:

ذكر بعض العلماء أن التبرك بآثار الصالحين مستحب كشرب سؤرهم، والتمسح بهم أو بثيابهم، وحمل المولود إلى أحد منهم ليحنكه بتمرة حتى يكون أول ما يدخل جوفه ريق الصالحين، والتبرك بعرقهم ونحو ذلك، وقد أكثر من ذلك النووي في "شرح مسلم" في الأحاديث التي فيها أن الصحابة فعلوا شيئًا من ذلك مع النبي ﷺ وظن أن بقية الصالحين في ذلك كالنبي ﷺ.

وهذا خطأ صريح لوجوه (ذكرها صاحب تيسير العزيز الحميد)، منها:

١- عدم المقاربة فضلاً عن المساواة للنبي ﷺ في الفضل والبركة.

٢- عدم تحقق الصلاح، فإنه لا يتحقق إلا بصلاح القلب، وهذا أمر لا يمكن الاطلاع عليه إلا بنص، كالصحابة الذين أثنى الله عليهم ورسوله، أو أئمة التابعين، ومن شهر بصلاح ودين كالأئمة الأربعة ونحوهم من الذين تشهد لهم الأمة بالصلاح وقد عدم أولئك، أما غيرهم، فغاية الأمر أن نظن أنهم صالحون فنرجو لهم.

٣- أنا لو ظننا صلاح شخص، فلا نأمن أن يختم له بخاتمة سوء، والأعمال بالخواتيم، فلا يكون أهلاً للتبرك بآثاره.

٤- أن الصحابة لم يكونوا يفعلون ذلك مع غيره لا في حياته، ولا بعد موته، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه، فهلا فعلوه مع أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ونحوهم من الذين شهد لهم النبي ﷺ بالجنة، وكذلك التابعون، هلا فعلوه مع سعيد بن المسيب وعلي بن الحسين وأويس والحسن ونحوهم ممن يقطع بصلاحهم، فدل أن ذلك مخصوص بالنبي ﷺ.

٥- أن فعل هذا مع غيره ﷺ لا يؤمن أن يفتنه، وتعجبه نفسه، فيورثه العجب والكبر والرياء، فيكون هذا كالمدح في الوجه بل أعظم.

مسألة: حكم العناية بالآثار الإسلامية؟

قال ابن باز (رحمه الله): "المفاسد التي ستنشأ عن الاعتناء بالآثار وإحيائها محقّقة، ولا يُحصي كميتها، وأنواعها، وغاياتها إلا الله سبحانه، فوجب منع إحيائها، وسد الذرائع إلى ذلك،

ومعلوم أن أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم أعلم الناس بدين الله، وأحب الناس لرسول الله ﷺ وأكملهم نصحاً لله ولعباده، ولم يحيوا هذه الآثار، ولم يعظموها، ولم يدعوا إلى إحيائها، بل لما رأى عمر رضي الله عنه بعض الناس يذهب إلى الشجرة التي بويع النبي ﷺ تحتها أمر بقطعها، خوفاً على الناس من الغلو فيها، والشرك بها، فشكر له المسلمون ذلك، وعدُّوه من مناقبه رضي الله عنه ولو كان إحياؤها، أو زيارتها أمراً مشروعاً لفعله النبي ﷺ في مكة، وبعد الهجرة، أو أمر بذلك، أو فعله أصحابه، أو أرشدوا إليه...." ا.هـ(١)

وَقَوْلُ اَللَّهِ تعالى: ((أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ...)) الآيات.

الشاهد: أنَّ المشركين يعبدون هذه الأصنام لاعتقادهم أنها تجلب البركة، فطلب البركة من هذه الأصنام هو عبادتها.

قوله: (**أفرأيتم اللات والعزى**).. قال القرطبي: "إن فيها حذفًا تقديره: أفرأيتم هذه الآلهة هل نفعت أو ضرت حتى تكون شركاء لله؟!" ا.هـ(٢)

اللات (**لثقيف**):

قرأ الجمهور بتخفيف التاء، وقرأ ابن عباس وابن الزبير ومجاهد: اللاتّ بتشديد التاء.

(اللات بالتخفيف):

قال ابن جرير: "اللات، وهي من الله ألحقت فيه التاء فأنثت" ا.هـ(٣)

قال ابن كثير: "وكانت صخرة بيضاء منقوشة عليها بيت بالطائف..." ا.هـ(٤)

وهي لثقيف.. بعث رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها بالنار.

(اللاتّ بالتشديد):

قال ابن عباس – رضي الله عنهما –: "كان رجلاً يَلُتُّ السويق للحاج، فلما مات عكفوا على قبره". ذكره البخاري.

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٣/ ٣٣٨).

(٢) تفسير القرطبي (١٧/ ١٠٢).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٢٢).

(٤) تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم (٧/ ٤٥٥).

في تيسير العزيز الحميد: "ولا تخالف بين القولين، فإن من قال: إنها صخرة لم ينف أن تكون صخرة على القبر أو حواليه فعظمت وعبدت تبعًا لا قصدًا، فالعبادة إنما أرادوا بها صاحب القبر، فهو الذي عبدوه بالأصالة".

العُزّى (لقريش):

قال ابن كثير: "كانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة بين مكة والطائف كانت قريش يعظمونها..".(١)

عن أبي الطفيل قال: "لما فتح رسول الله ﷺ مكة، بعث خالد بن الوليد إلى نخلة وكانت بها العزى، فأتاها خالد وكانت على ثلاث سمرات، فقطع السمرات، وهدم البيت الذي كان عليها، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره، فقال: ارجع فإنك لم تصنع شيئًا، فرجع خالد، فلما أبصرته السدنة وهم حجبتها أمعنوا في الجبل وهم يقولون: يا عزى يا عزى، فأتاها خالد، فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها، تحفن التراب على رأسها فعمّمها بالسيف حتى قتلها، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال: تلك العزى". رواه النسائي في السنن الكبرى.

مناة (للأوس والخزرج):

صنم.. كانت بالمشلل عند قديد بين مكة والمدينة، وكانت خزاعة والأوس والخزرج يعظمونها، ويهلون منها للحج إلى الكعبة.. وأصل اشتقاقها من اسم الله المنان.. وقيل: من منى الله الشيء: إذا قدره.

ولما فتح النبي ﷺ مكة أرسل إلى مَنَاة علي بن أبي طالب رضي الله عنه فهدمها.

قوله: (**ومناة الثالثة الأخرى**).. ذمٌّ لها، وهي المتأخرة الوضيعة المقدار.

عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اَللَّيْثِيِّ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اَللَّهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا "ذَاتُ أَنْوَاطٍ"... الحديث.

درجة الحديث: صحّحه الألباني، وقد رواه غير الترمذي أحمد والنسائي وغيرهم.

الشاهد: أن من تبرّك بشيء فقد اتخذه إلهًا.. واختلاف اللفظ لا يؤثّر مع اتفاق المعنى.

---

(١) المصدر السابق.

قوله: "عن أبي واقد الليثي".. اسمه الحارث بن عوف، كما قال الترمذي، وقيل: الحارث بن مالك، صحابي مشهور.. مات سنة ثمان وستين وله خمس وثمانون سنة.

قوله: (**خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين**).. في حديث عمرو بن عوف، قال: "غزونا مع رسول الله ﷺ يوم الفتح ونحن ألف ونيف حتى إذا كنا بين حنين والطائف"، ولا مخالفة بينهما في المعنى، فإن غزوة الفتح وحنين كانتا في سفر واحد.

قوله: "ونحن حدثاء عهد بكفر".. أي: قريبو عهد بكفر، ففيه دليل أن غيرهم لا يجهل هذا.

قوله: "يعكفون عندها".. الاعتكاف: هو الإقامة على الشيء بالمكان، ولزومها، ومنه قوله: ((مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ)) وكانوا يعكفون عند هذه السدرة تبركًا بها.

قوله: "وينوطون بها أسلحتهم".. أي: يعلقونها عليها للبركة.

قوله: (**فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط**).. ظنوا أن هذا أمر محبوب عند الله فقصدوا التقرب إلى الله بذلك.

قوله: "فقال النبي ﷺ: (**الله أكبر**)".. هكذا في بعض الروايات، وفي رواية الترمذي: "سبحان الله" والمقصود باللفظين واحد، لأن المراد تعظيم الله، وتنْزيهه عن الشرك.

قوله: (**إنها السُّنن**).. بضم السين، أي: الطُّرُق.

في تيسير العزيز الحميد: قال الإمام أبو بكر الطرطوشي من أئمة المالكية: فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس، ويعظمونها، ويرجون البرء والشفاء من قبلها، ويضربون بها المسامير والخرق، فهي ذات أنواط فاقطعوها.

قوله: (**لتركبُنَّ**).. أي: لتتبعن أنتم أيها الأمة.

قوله: (**سُنن من كان قبلكم**).. بضم السين (ويجوز فتح السين)، أي: طرقهم ومناهجهم وأفعالهم.. وهذا خبر صحيح وجد كما أخبر ﷺ ففيه دليل على شهادة أن محمدًا رسول الله.

فوائد من الحديث:

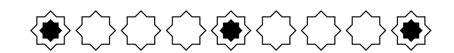
١- أن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يأمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادات الباطلة، ذكره المصنف.

٢- يُشرع تكبير الله وتنْزيهه عند التعجب، أو استنكار الشيء.

٣- أن الاعتبار في الأحكام بالمعاني لا بالأسماء.

٤- التحذير من التَّشَبُّه بالمشركين والكفار في أفعالهم وعاداتهم الخاصة وتقاليدهم وطقوسهم.

٥- أن حُسن المقاصد لا يغير من الحكم الشرعي شيئاً؛ لأن الوسائل التي تُفضي إلى المحاذير ممنوعة.



الباب التاسع: بَابُ مَا جَاءَ فِي اَلذَّبْحِ لِغَيْرِ اَللَّهِ

وَقَوْلِ اَللَّهِ تَعَالَى: ((قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)).

وَقَوْلِهِ: ((فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ)).

عَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: (لَعَنَ اَللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اَللَّهِ، لَعَنَ اَللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، لَعَنَ اَللَّهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، لَعَنَ اَللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ: أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: (دَخَلَ اَلْجَنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ اَلنَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ). قَالُوا: وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اَللَّهِ؟ قَالَ: (مَرَّ رَجُلانِ عَلَى قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ لا يُجَاوِزُهُ أَحَدٌ حَتَّى يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئًا، فَقَالُوا لأَحَدِهِمَا: قَرِّبْ. قَالَ: لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أُقَرِّبُ. قَالُوا لَهُ: قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا. فَقَرَّبَ ذُبَابًا، فَخَلَّوا سَبِيلَهُ، فَدَخَلَ اَلنَّارَ. وَقَالُوا للآخَرِ: قَرِّبْ. فَقَالَ: مَا كُنْتُ لأُقَرِّبَ لأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ اَللَّهِ ﷻ، فَضَرَبُوا عُنُقَهُ، فَدَخَلَ اَلْجَنَّةَ). رَوَاهُ أحمد.

الشرح:

٩ – بَابُ مَا جَاءَ فِي اَلذَّبْحِ لِغَيْرِ اَللَّهِ

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

الباب الذي قبله اعتقاد في الآلهة نفسها أنها تجلب البركة فهذا شرك، وهذا الباب والأبواب التي تليه في بعض العبادات التي تُصرف لهذه الآلهة.

خلاصة الباب:

بيان أن الذبح عبادة، وصرفها لغير الله شرك أكبر.

أقسام الذبح من حيث الحكم:

١– شرك أكبر.. وله صورتان:

أ– أن يذبح لغير الله تقرباً، كالذبح للأصنام، والقبور، والسحرة، والجن.. ويُلحق به من ذبح أمام الأمير أو السلطان عند قدومه تعظيمًا له.. وهذا يُسمّى: "شرك عبادة".

ب– أن يذكر على المذبوح غير اسم الله، كقوله: باسم المسيح، أو باسم الولي الفلاني.. وهذا يُسمّى: "شرك استعانة".(١)

قال ابن تيمية: "الشرك في العبادة أعظم منه في الاستعانة".(٢)

وفي فتوى اللجنة الدائمة: "الذبح لغير الله شرك، وحكم الذبيحة حكم الميتة، ولا يجوز أكلها، ولو ذكر عليها اسم الله، إذا تحقق أنها ذبحت لغير الله" ا.هـ(٣)

٢– مشروع.. وهو قسمان:

أ– ما قصد به التقرب المحض: مثل الهدي، والأضحية، والعقيقة.. وهذا من أعظم العبادات.

ب– ما قصد به الأكل، أو إكرام الضيف، ونحو ذلك.. فهنا إراقة الدم غير مقصود بها تعظيم أحد، وإنما المراد الأكل أو الإكرام.. فتجب التسمية على الذبيحة ويؤجر لامتثاله الأمر

---

(١) قال الشيخ صالح آل الشيخ: "التسمية على الذبيحة من جهة المعنى: استعانة؛ لأن الباء في قولك: باسم الله، يعني أذبح متبركا، ومستعينا بكل اسم لله – جل وعلا –، أو بالله – جل وعلا – الذي له الأسماء الحسنى، فجهة التسمية إذًا جهة استعانة". التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ١٣٥).

(٢) ذكره شيخ الإسلام بمعناه في اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/ ٦٤).

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة – ١ (١/ ٢٢٦).

بالتسمية، ويحصل له أجر أكل الحلال أو أجر الإكرام لا أجر الذبح لأنه لم يقصد به التقرب إلى الله.

مسألة:

لو نسي الذابح أن يذكر اسم الله على الذبيحة التي ذبْحُها مشروع.. فما حكمها؟

ق١: تحل سواء ترك التسمية عالما ذاكرا أم جاهلا ناسيا.. مذهب الشافعي بناء على أن التسمية سُنَّةً لا شرطًا.

ق٢: تحلُّ إن تركها نسيانا، ولا تحل إن تركها عمدا ولو جاهلا.. مذهب الجمهور، واختاره ابن باز.

ق٣: لا تحل سواء ترك التسمية عالما ذاكرا أم جاهلا ناسيا.. رواية عن أحمد، واختاره شيخ الإسلام وابن عثيمين.[1]

وقول الجمهور أقوى.. والله أعلم.

مسألة: متى تكون التسمية؟

تكون عند إرادة الذبح، فلو فصل بينهما وبين الذبح بفاصل كثير لم تنفع، لكن لو كان الفصل من أجل تهيئة الذبيحة كإضجاعها وأخذ السكين لم يضر ما دام يريد التسمية على الذبح لا

---

(١) قال ابن عثيمين: "وهذا هو القول الصحيح (أي الثالث)؛ لقوله تعالى: (وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ).

والجواب عن قوله تعالى: (رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا) أن من ترك التسمية على الذبيحة ناسيا أو جاهلا فلا مؤاخذة عليه ولا جناح، لكن لا يلزم من انتفائهما عنه حِلُّ ذبيحته، فإن حِلَّ ذبيحته أثر حكم وضعي حيث إنه مرتب على شرط يوجد بوجوده وينتفي بانتفائه.

يوضح ذلك: أنه لو صلى بغير وضوء ناسيا فلا مؤاخذة عليه ولا جناح، ولا يلزم من انتفائهما عنه صحة صلاته، فصلاته باطلة وإن كان ناسيا لفقد شرطها الوجودي وهو الوضوء.

والجواب عما ثبت في صحيح البخاري وغيره من حديث عائشة رضي الله عنها: أن قوما قالوا للنبي ﷺ: إن قوما يأتوننا بلحم لا ندري أذكروا اسم الله عليه أم لا؟ فقال: (سمّوا عليه أنتم وكلوه) قالت: وكانوا حديثي عهد بالكفر.

أن الأصل في التصرفات الواقعة من أهلها الصحة حتى يقوم دليل الفساد، ولسنا مخاطبين بفعل غيرنا، وإنما نخاطب بفعلنا نحن، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك حيث قال: (سمّوا عليه أنتم وكلوه) كأنه يقول: أنتم مخاطبون بالتسمية عند فعلكم وهو الأكل، فسموا عليه، وأما الذبح والتسمية عليه فمخاطب به غيركم، فعليكم ما حملتم وعليهم ما حملوا، وليس يعني أن تسميتكم هذه تغني عن التسمية على الذبح، وذلك لأن الذبح قد فات". أحكام الأضحية والذكاة (٢/ ٢٦٦) "بتصرف".

على فعل التهيئة، قياسا على ما لو فصل بين أعضاء الوضوء لأمر يتعلق بالطهارة.[1]

وَقَوْلِ اَللَّهِ تَعَالَى: ((قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)).

الشاهد: أن الله سبحانه أمر نبيه ﷺ بأن يكون ذبْحُه خالصًا لله.

قال ابن كثير: "يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه أنه مخالف لهم في ذلك فإن صلاته لله ونسكه على اسمه وحده لا شريك له" ا.هـ[2]

(**صلاتي ونسكي**).. النسك هو: الذبح أو النحر.

(**وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي**).. اللام في قوله: (لِلَّهِ) في الصلاة والنسك، معناها: الاستحقاق، أي لا أصرفها إلا لمستحقِّها وهو الله سبحانه.. وإذا أرجعتها لمحياي ولمماتي كان معناها الْمُلْك أي محياي ومماتي بيد الله.

(**لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**).. خالصة لوجهه.

(**أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**).. عن قتادة: (وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)، قال: "أول المسلمين من هذه الأمة".[3]

وَقَوْلِهِ: ((فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ)).

الشاهد: أن الذبح عبادة، لا يجوز صرفها لغير الله، لأن الله أمر بها، وكل ما أمر الله به فهو عبادة.

عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: (لَعَنَ اَللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اَللَّهِ، لَعَنَ اَللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، لَعَنَ اَللَّهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، لَعَنَ اَللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الشاهد: أن الله لعن من ذبح لغيره، فدلّ أنه فعل كبيرة من كبائر الذنوب، والشرك أكبر الذنوب.

---

(١) انظر: أحكام الأضحية والذكاة لابن عثيمين (٢/ ٢٦٤).

(٢) تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم (٣/ ٣٨١).

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٢/ ٢٨٥).

قوله: (**لعن الله**).. اللَّعْن: الطرد والإبعاد عن رحمة الله.. والمعنى إخبار، ويجوز أن يكون دعاءً من النبي ﷺ ودعاؤه مستجاب.

قوله: (**من ذبح لغير الله**).. أي من فعل ذلك من أجل غير الله تقربا إليه وتعظيما، فهو مستحق للَّعْن.

قوله: (**ولعن الله من لعن والديه**).. في تيسير العزيز الحميد: "قال بعضهم: يعني أباه وأمَّه وإن علوا".

ولعن الوالدين: يكون لعنًا مباشرًا، ولعنَ تسبُّبٍ.. عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: (إن من الكبائر شتم الرجل والديه). قالوا: يا رسول الله، وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: (نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه). متفق عليه. فإذا كان عمل المتسبب من كبائر الذنوب، فما ظنك بالمباشر؟.

قوله: (**ولعن الله من آوى محدثًا**).. "آوى" أي: ضمّ إليه وحمى.. وأما "محدثًا" على روايتين:

١- بكسر الدال، تدل على الفاعل، فيكون المعنى: من نصر جانيًا وآواه وأجاره من خصمه.

٢- بفتح الدال، تدل على المفعول أي الأمر المبتدع نفسه، فيكون معنى الإيواء فيه: الرضى به والصبر عليه، فإنه إذا رضي بالبدعة وأقر عليها فاعلها، ولم ينكر عليه، فقد آواه.

في تيسير العزيز الحميد: "الظاهر أنه على الرواية الأولى يعم المعنيين، لأن المحدث أعم من أن يكون بجناية أو ببدعة في الدين، بل المحدث بالبدعة في الدين شر من المحدث بالجناية، فإيواؤه أعظم إثمًا".

قال الشيخ صالح الفوزان (حفظه الله): "من رأى البدع وسكت ولم يتكلم في إنكارها والبيان للناس أنها بدع، فقد آواها، يعني حماها بسكوته وتَرْكِه لها، فيكون مستوجباً للعنة، فكيف إذا دعا إليها ودافع عنها والعياذ بالله" ا.هـ[١]

قوله: (**ولعن الله من غير منار الأرض**).. المراد بمنار الأرض على ثلاثة أقوال:

ق١: هي المراسيم التي تفرق بينك وبين جارك.. قاله المصنف، واختاره ابن باز وابن عثيمين.

(١) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ١٧٠).

وتغييرها أن يقدمها أو يؤخرها، فيكون هذا من ظلم الأرض الذي قال فيه ﷺ: (من ظلم شبراً من الأرض طُوِّقه يوم القيامة من سبع أرضين). رواه البخاري ومسلم

ق٢: هي أنصاب الحَرَم التي جُعلت على الحَرَم من كل جانب.

ق٣: العلامات التي على الطرق، وكانت معروفة لهداية الناس، وفي وقتنا الحاضر اللوحات التي تجعلها المواصلات على الطريق، فلا يجوز لأحد أن يغير هذه الأعلام، لأنه يضلل الناس.

مسألة:

حكم إطلاق اللعن؟ له جهتان:

١- إطلاق اللَّعْن على عموم أنواع الفُسّاق.. **حكمه**: جائز.

والدليل قوله تعالى: ((ألا لعنة الله على الظالمين))، وفي الحديث: (لعن الله آكل الربا...) رواه مسلم من حديث جابر رضي الله عنه.

٢- إطلاق اللعن على شخص بعينه، أو أشخاص بأعينهم.. **حكمه**: فيه خلاف والراجح عدم الجواز، وبه قال شيخ الإسلام وابن عثيمين.

الدليل: عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يكون اللّعّانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة) رواه مسلم. ولأن الشخص الذي يُلعن ربّما يتبدل حاله ويتوب فيتوب الله عليه.

وَعَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ: أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: (دَخَلَ اَلْجَنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ اَلنَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ). قَالُوا: وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اَللَّهِ؟ قَالَ: (مَرَّ رَجُلانِ عَلَى قَوْمٍ...) الحديث.

درجة الحديث: رواه أحمد في الزهد، وأبو نُعيم في الحلية، وابن أبي شيبة في مصنفه من طريق الأعمش، عن سليمان بن ميسرة، عن طارق بن شهاب، عن سلمان الفارسي قال: (دخل رجل الجنة في ذباب.... الحديث).. والحديث أعلّه بعضهم[1]، وقوّاه البعض.

---

(١) ذكروا للحديث ثلاث علل:

الأولى: أن طارق بن شهاب اتفقوا على أنه لم يسمع من النبي ﷺ، واختلفوا في صحبته.

الثانية: الأعمش مشهور بالتدليس وقد عنعن.

الثالثة: الحديث رُوي موقوفًا على سلمان رضي الله عنه.. فيحتمل أنه أخذه من بني إسرائيل.

قال ابن باز: "وطارق من صغار الصحابة وغالب روايته من طريق أبي موسى الأشعري، فهي مرسلة صحيحة، فمرسل الصحابي صحيح".[1]

(**طارق بن شهاب**).. أي: البجلي.. في تيسير العزيز الحميد: "قال أبو حاتم: ليست له صحبة، والحديث الذي رواه مرسل. وقال أبو داود: رأى النبي ﷺ ولم يسمع منه شيئًا".

قال الحافظ: "إذا ثبت أنه لقي النبي ﷺ فهو صحابي على الراجح، وإذا ثبت أنه لم يسمع منه، فروايته عنه مرسل صحابي، وهو مقبول على الراجح. وقد أخرج له النسائي عدة أحاديث، وذلك مصير منه إلى إثباتِ صحبته".[2]

الشاهد: أن من ذبح لغير الله – تقرُّباً – ولو شيئًا يسيرًا فقد وقع في الشرك الأكبر ، الموجب للخلود في النار.

قوله: (**دخل الجنة رجل في ذباب**).. "في" للسببية، أي: بسبب ذباب.

قوله: (**مرّ رجلان على قوم لهم صنم**).. الصنم: ما كان منحوتًا على صورة.. والوثن أعم.

قوله: (**حتى يقرِّب له شيئاً**).. أي: يذبح لهذا الصنم تقرُّبًا إليه.

قوله: (**فقالوا لأحدهما: قرِّب، قال: ليس عندي شيء أُقرِّبه**).. اعتذر بالعدم، وهذا يدلّ على أنه لو كان عنده شيء لقرّبه.

قوله: (**فقرَّب ذباباً فخلوا سبيله فدخل النار**).. قال المصنف ما معناه: وفيه أنه دخل النار بسبب لم يقصده، بل فعله تخلّصًا من شرهم.. قال ابن عثيمين: "ونحن نرى خلاف ما يرى المؤلِّف رحمه الله، أي أنه لو فعله بقصد التخلص ولم ينْوِ التقرُّب لهذا الصنم لا يكفر".[3]

مسألة: قوله: (**قال: ما كنت لأقرب لأحد شيئًا دون الله عز وجل**)..

لما ذا ترك الرخصة والله سبحانه يقول: ((إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ))؟ فيه عِدّة احتمالات:

ق١: لأنّ في شريعته عدم إعذار الْمُكرَه ولو بالقتل.

ق٢: أنه أخذ بالعزيمة وترك الرخصة.

---

(١) شرح كتاب التوحيد لابن باز (ص ٤٠).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٤١٤).

(٣) القول المفيد (١/ ٢٢٨).

ق٣: أنه يجهل حكم الأخذ بالرخصة في حال الإكراه.

ق٤: ليس في الحديث ما يدل على الإكراه بالقتل، فقوله (لا يجاوزه أحد حتى يقرِّب له شيئا) لم يقل فيه: (أو يُقتل) فيُحتمل: أو يرجع.. وإنما قتلوه لأنه أهان الصنم بقوله: (ماكنت لأقرب لأحد شيئًا دون الله عز وجل).

مسألة: هل الأولى الأخذ بالرخصة (المُوَافَقة ظاهرًا) أم الصبر في حال الإكراه ولو بالقتل؟

أما إذا كان في أخذه للرخصة ضرر على الإسلام فالصبر أولى.. قال ﷺ لخباب بن الأرت: (كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه... الحديث) رواه البخاري.. فكأنه ﷺ يقول لهم: اصبروا؛ لأن الصحابة قِلّة، ولو وافقوا المشركين ظاهرًا لحصل ضرر على الإسلام.

وأما سوى ذلك فالأخذ بالرخصة أفضل؛ لقوله ﷺ: (إن الله يحب أن تؤتى رُخصه، كما يكره أن تؤتى معصيته) رواه أحمد، وصحّحه الألباني.. وجاء بلفظ: (كما يحب أن تؤتى عزائمه) [1].. ولأن المؤمن لا تزيده حياته إلا خيرًا.



(١) قال الألباني (رحمه الله): "وأما إنكار شيخ الإسلام ابن تيمية اللفظ الثاني في أول "كتاب الإيمان" فمما لا يلتفت إليه بعد وروده من عدة طرق بعضها صحيح". إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٣/ ١٣).

الباب العاشر: بَابُ لا يُذْبَحُ لِلَّهِ بِمَكَانٍ يُذْبَحُ فِيهِ لِغَيْرِ اَللَّهِ

وَقَوْلِ اَللَّهِ تَعَالَى: ((لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ)).

وَعَنْ ثَابِتِ بْنِ اَلضَّحَّاكِ ﷺ قَالَ: نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلاً بِبَوَانَةَ، فَسَأَلَ اَلنَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: (هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ اَلْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟). قَالُوا: لا. قَالَ: (فَهَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟). قَالُوا: لا. فَقَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: (أَوْفِ بِنَذْرِكَ؛ فَإِنَّهُ لا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اَللَّهِ، وَلا فِيمَا لا يَمْلِكُ اِبْنُ آدَمَ). رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَإِسْنَادُهُ عَلَى شَرْطِهِمَا.

الشرح:

١٠ – بَابُ لا يُذْبَحُ لِلَّهِ بِمَكَانٍ يُذْبَحُ فِيهِ لِغَيْرِ اَللَّهِ

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

قال السعدي (رحمه الله): "ما أحسن إتباع هذا الباب بالباب الذي قبله، فالذي قبله من المقاصد، وهذا من الوسائل".[١]

خلاصة الباب:

النهي عن الوسائل الموصلة للذبح لغير الله، وذلك بالنهي عن مشابهة المشركين ظاهرًا، كما نُهينا عن مشابهتهم باطنًا.. وذلك من باب سدِّ الذرائع.. قال ﷺ: (من تشبّه بقوم فهو منهم). رواه أبو داود وحسّنه الألباني.. ومن ذلك عدم الصلاة في أوقات النهي مخالفة للمشركين[٢].. وكذلك فإن سبب النهي عن عبادة الله في أماكن عبادة المشركين لكي لا يُعطي أماكنهم تشريعًا. [٣]

مسألة:

ثبت أن الصحابة – رضي الله عنهم – صلوا في الكنائس والبِيَع.. قال البخاري في صحيحه: باب الصلاة في البِيْعَة، وقال عمر ﷺ: (إنا لا ندخل كنائسكم من أجل التماثيل التي فيها الصور)، وكان ابن عباس (يصلي في البِيْعَة إلا بِيْعَة فيها تماثيل).. فما الجواب؟

ق١: لأنهم اتخذوها معبدًا لله.

ق٢: لأن المسلمين مضطرون للصلاة فيها عند مرورهم بها في أسفارهم.. وهذا القول بعيد فإن الأرض كلّها مسجد.

---

(١) القول السديد (ص: ٦١).

(٢) عن عمرو بن عبسة ﷺ قال: قال ﷺ: (صلِّ صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع، فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار، ثم صل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الظل بالرمح، ثم أقصر عن الصلاة، فإن حينئذ تُسْجَرُ جهنم، فإذا أقبل الفيء فصل، فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلي العصر، ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس، فإنها تغرب بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار) رواه مسلم.

(٣) من المسائل المعاصرة المشابهة لمسائل هذا الباب: ظهور أهل العلم والفضل في القنوات التي يغلب عليها الفساد.. أو إلقاء كلمة دينية في حفلات فيها فساد فالأولى عدم خروجهم لكي لا تُعطى تشريعًا فيظن العوام أنها مباحة.. إلا أن يكون الذي يخرج فيها يُنكر ما فيها؛ ليتضح للناس الخطأ.. والله أعلم

ق٣: لأن الفعل (صلاتَنا) يختلف عن فعلهم (صلاتِهم)، فلا يضر تشابه المكان.[1]

وقد ذكر ابن باز (رحمه الله) القولين الأولين، وذكر آل الشيخ في التمهيد القول الثالث.

وَقَوْلِ اَللَّهِ تَعَالَى: ((لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ)).

الشاهد: أنّ الله سبحانه منع رسوله ﷺ عن الصلاة لله في هذا المسجد المؤسّس على الصلاة لغير الله.

سبب نزول الآيات:

قال ابن كثير: "سبب نزول هذه الآيات الكريمات أنه كان بالمدينة قبل مقدم رسول الله ﷺ إليها رجل من الخزرج يقال له أبو عامر الراهب ، وكان قد تنصر في الجاهلية، وله شرف في الخزرج كبير، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، واجتمع المسلمون عليه، وأظهرهم الله يوم بدر، شَرِقَ اللعين أبو عامر بريقه، وبارز بالعداوة، وخرج فاراً إلى كفار مكة من مشركي قريش، يمالئهم على حرب رسول الله ﷺ، فقدموا عام أحد ، وتقدم أبو عامر في أول المبارزة إلى قومه من الأنصار فخاطبهم ، واستمالهم إلى نصره ، فلما عرفوا كلامه قالوا: لا أنعم الله بك عيناً يا فاسق يا عدو الله، فرجع وهو يقول: والله لقد أصاب قومي بعدي شر، فدعا عليه رسول الله ﷺ أن يموت بعيداً طريداً ، فنالته هذه الدعوة، وذلك أنه لما فرغ الناس من أحد، ذهب إلى هرقل ملك الروم يستنصره على النبي ﷺ فوعده ومنّاه، وأقام عنده، وكتب إلى جماعة من قومه من أهل النفاق أنه سيقدم بجيش يقاتل به رسول الله ﷺ ويغلبه، وأمرهم أن يتخذوا له معقلاً يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كتبه، ويكون مرصداً له إذا قدم عليهم بعد ذلك،

---

(١) قال شيخ الإسلام: أما الصلاة فيها (أي في الكنائس والبِيَع) ففيها ثلاثة أقوال للعلماء:

في مذهب أحمد وغيره: المنع مطلقا؛ وهو قول مالك. والإذن مطلقا وهو قول بعض أصحاب أحمد. والثالث: وهو الصحيح المأثور عن عمر بن الخطاب وغيره، وهو منصوص عن أحمد وغيره، أنه إن كان فيها صور لم يصل فيها؛ لأن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة، ولأن النبي ﷺ لم يدخل الكعبة حتى محي ما فيها من الصور، وكذلك قال عمر: إنا كنا لا ندخل كنائسهم والصور فيها.... وأما إذا لم يكن فيها صور فقد صلى الصحابة في الكنيسة، والله أعلم. الفتاوى الكبرى (٥٩/٢).

قال ابن عبد البر: أجمعوا على أن من صلى في كنيسة أو بيعة في موضع طاهر أن صلاته ماضية جائزة. التمهيد شرح الموطّأ (٢٢٩/٥).

فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء، فبنوه وأحكموه وفرغوا منه قبل خروج رسول الله ﷺ إلى تبوك، وجاءوا فسألوا رسول الله ﷺ أن يأتي إليهم فيصلي في مسجدهم ليحتجوا بصلاته فيه على تقريره وإثباته، وذكروا أنهم إنما بنوه للضعفاء منهم، وأهل العلة في الليلة الشاتية ، فعصمه الله من الصلاة فيه فقال: إنا على سفر، ولكن إذا رجعنا إن شاء الله. فلما قفل عليه السلام راجعاً إلى المدينة من تبوك ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعض اليوم نزل عليه جبريل بخبر مسجد الضرار وما اعتمده بانوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم مسجد قباء الذي أسس في أول يوم على التقوى. فبعث رسول الله ﷺ إلى ذلك المسجد من هدمه قبل مقدمه المدينة..." ا.هـ(١)

مسألة: ما هو المسجد الذي أُسِّس على التقوى من أول يوم؟

ق١: مسجد قُباء.. وهو قول ابن عباس وعروة وعطية والشعبي والحسن وغير واحد.

الدليل: لأن سياق الآية إنما هو في مسجد قباء.

ق٢: مسجد النبي ﷺ.. وهو قول عمر رضي الله عنه وابنه وزيد بن ثابت وغيرهم.

الدليل: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ في بيت بعض نسائه، فقلت: يا رسول الله، أي المسجدين الذي أسس على التقوى؟ قال: فأخذ كفًّا من حصباء، فضرب به الأرض، ثم قال: (هو مسجدكم هذا) لِمسجد المدينة. رواه مسلم.

قال ابن كثير (رحمه الله): "وهذا صحيح، ولا منافاة بين الآية وبين هذا، لأنه إذا كان مسجد قباء قد أسس على التقوى من أول يوم، فمسجد رسول الله ﷺ بطريق الأولى".(٢)

قوله: ((**لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ**)).. قال ابن كثير: "فيه دليل على استحباب الصلاة في المساجد القديمة المؤسسة من أول بنائها على عبادة الله وحده لا شريك له".(٣)

قوله: ((**فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا**)).. عن عُوَيْمِ الأنصاري أن النبي ﷺ أتاهم في مسجد قُباء فقال: (إن الله تبارك وتعالى قد أحسن عليكم الثناء في الطهور في قصة مسجدكم، فما

---

(١) تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢١٠).

(٢) تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢١٤).

(٣) تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢١٦).

هذا الطهور الذي تطهرون به؟) قالوا: والله يا رسول الله، ما نعلم شيئا إلا أنه كان لنا جيران من اليهود، فكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا. رواه أحمد وابن خزيمة في صحيحه، في إسناده ضعيف وله شواهد، وحسّنه الألباني.

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (نزلت هذه الآية في أهل قُباء: (فيه رجال يحبون أن يتطهروا)، قال: (كانوا يستنجون بالماء، فنزلت فيهم هذه الآية) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه، وصحّحه الألباني.

ما جاء في فضائل مسجد قُباء:

١- عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: (كان النبي ﷺ يأتي مسجد قباء راكبا وماشيا)، زاد ابن نُمَيْر: (فيصلي فيه ركعتين) متفق عليه.

٢- وعنه قال: (كان النبي ﷺ يأتي مسجد قباء كل سبت، ماشيا وراكبا) متفق عليه.

٣- وعن أُسَيْدَ بْنَ ظُهَيْرٍ الأنصاري ﷺ عن النبي ﷺ، أنه قال: (صلاة في مسجد قباء كعمرة) رواه الترمذي وابن ماجه وصحّحه الألباني.

وَعَنْ ثَابِتِ بْنِ اَلضَّحَّاكِ ﷺ قَالَ: نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلاً بِبَوَانَةَ، فَسَأَلَ اَلنَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: (هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ اَلْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟). قَالُوا: لا.... الحديث.

درجة الحديث: صحيح على شرط الشيخين كما قال شيخ الإسلام والحافظ.. وصحّحه الألباني.

الشاهد: سؤاله ﷺ عن هذا المكان يدلُّ على النهي عن مشابهة المشركين في الذبح في أماكن عبادتهم.

قوله: "ببُوانة" بضم الباء وقيل بفتحها.

قال البغوي: "موضع في أسفل مكة دون يلملم".[١].. وقال ابن الأثير: "هضبة من وراء ينبع".[٢]

قوله: (**فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله**) دليل على أن هذا نذر معصية، ونذر المعصية لا

---

(١) شرح السنة للبغوي (١٠/ ٣١).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١٦٤).

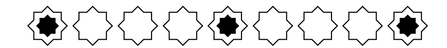
يجوز الوفاء به بالإجماع لهذا الحديث.. واختلفوا هل تجب بنذر المعصية كفارة يمين؟ على قولين:

ق١: تجب.. المشهور في مذهب الإمام أحمد، واختاره ابن باز وابن عثيمين.

لهذا الحديث، ولحديث عائشة مرفوعًا: (لا نذر في معصيةٍ وكفارته كفارة يمين) رواه أحمد وأصحاب السنن.. وفي صحته خلاف [(١)].. وقالوا بأن اليمين قد انعقدت فتجب الكفارة.. وهذا القول أقرب.

ق٢: لا كفارة عليه.. الجمهور، واختاره ابن تيمية.. لحديث عمران بن الحصين مرفوعًا: (لا نذر في معصية الله) رواه مسلم.. قالوا: الحديث يدل على عدم انعقاد نذر المعصية، وبالتالي لا يلزمه شيء.

قوله: (**ولا فيما لا يملك ابن آدم**).. كأن يقول: لله عليّ إن شُفيتُ أن أعتق عبد فلان.. فهو لا يملك عبد فلان فلا وفاء لنذره.



(١) قال الترمذي: هذا حديث لا يصح، لأن الزهري لم يسمع هذا الحديث من أبي سلمة.. وقال أبو داود: سمعت أحمد بن حنبل يقول: أفسدوا علينا هذا الحديث. ا.هـ. وقد استدلّ به الإمام أحمد... وصحّحه الألباني.

الباب الحادي عشر: بَابٌ مِنْ اَلشِّرْكِ اَلنَّذْرُ لِغَيْرِ اَللَّهِ

وَقَوْلُ اَللَّهِ تَعَالَى: ((يُوفُونَ بِالنَّذْرِ)).

وَقَوْلُهُ: ((وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ)).

وَفِي اَلصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ – رضي الله عنها – أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اَللَّهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اَللَّهَ فَلا يَعْصِهِ).

الشرح:

١١ – بَابٌ مِنْ اَلشِّرْكِ اَلنَّذْرُ لِغَيْرِ اَللَّهِ

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

للعلاقة الكبيرة بين الذَّبْح والنَّذر، فأغلب النُّذور تكون ذبحًا.. وأيضًا فإن الذبح والنذر يصاحبهما اعتقاد تعظيم المخلوق.

خلاصة الباب:

أنّ النذر عبادة، وصرف العبادة لغير الله شرك.

تعريف النذر:

لغة: الإيجاب..

وشرعاً: إلزام المكلف المختار نفسه شيئاً لله لم يكن واجباً عليه بأصل الشرع.

مثال النذر لغير الله: كأن يقول: للولي الفلاني عليّ أن شُفي مريضي أن أذبح له.

أنواع النذر:

١- نذرٌ لغير الله.. فهذا شرك، ولا ينعقد أصلاً.

٢- نذرٌ لله.. وهذا نوعان:

أ – نَذْرُ معصية.. فهذا محرّم، ولا يجوز الوفاء به، والراجح أن عليه كفارة.

ب- نَذْرُ طاعة.. وهذا الراجح أنه يُكره الابتداء به[١].. وهو نوعان:

مطلق.. كأن يقول: لله عليّ أن أصوم يومين. وهذا يجب الوفاء به مطلقًا.

مقيّد.. كأن يقول: لله عليّ إن شُفيتُ أن أصوم يومين.. وهذا يجب الوفاء به إذا تحقّق القَيْد.

(١) القول بالكراهة هو الأقرب.. لأن الإنسان يُلزم نفسه عبادة لم يوجبها عليه الشرع، والله لا يحب لنا أن نكلف أنفسنا شيئاً لم يوجبه علينا: (يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ)، وربّما قد يعجز عن هذه العبادة، ويشق على نفسه، وفي الحديث: (لا تنذروا، فإن النذر لا يغني من القدر شيئاً، وإنما يستخرج به من البخيل) رواه مسلم.. قال ابن قدامة: وهذا نهي كراهة لا نهي تحريم، لأنه لو كان حراماً لما مدح الموفين به، لأن ذنبهم في ارتكاب المحرم أشد من طاعتهم في وفائه..

وهناك من قال بالتحريم ومال إليه شيخ الإسلام، وقال ابن عثيمين: والقول بالتحريم قول وجيه..

وهناك من فرّق بين النذر المطلق والمقيد، فالمقيد هو المكروه. قال به صاحب التمهيد.

وَقَوْلُ اَللَّهِ تَعَالَى: ((يُوفُونَ بِالنَّذْرِ)).

الشاهد: أن الله سبحانه ذكر أن من صفات الأبرار أنهم يوفون بالنذر، وهذا مدح، والله تعالى لا يمدح إلا على فعل واجب أو مستحب، أو ترك محرم، لا يمدح على فعل المباح المجرد، وذلك هو العبادة، فمن فعل ذلك لغير الله متقربًا إليه فقد أشرك.

وَقَوْلُهُ: ((وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ)).

الشاهد: من وجهين:

١- أن الله قرن النذر بالنفقة في سبيل الله.. ٢- وأن الله يعلمه ليجازيَنا عليه.. فدلّ على أنه عبادة.

وَفِي اَلصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اَللَّهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اَللَّهَ فَلا يَعْصِهِ).

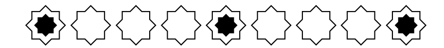
قوله: في "الصحيح" أي: "صحيح البخاري".

الشاهد: أن النبي ﷺ أوجب بالوفاء بالنذر، فدلّ على أنه عبادة.

قوله: (ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه).. قد يستدل بصحة النذر في المباح.. وحكمه حكم اليمين، فيُخيّر بين فعله وكفارة اليمين.. عن بُريدة ﷺ: أن امرأة قالت: يا رسول الله إني نذرت أن أضرب على رأسك بالدف. فقال: (أوف بنذرك) رواه أبو داود وصحّحه الألباني..

وأما نذر اللجاج والغضب[1]، فهو يمين يخير بين فعله وكفارة اليمين.. عن عمران بن حصين مرفوعًا: (لا نذر في غضب، وكفارته كفارة يمين) رواه أحمد، والنسائي.. وفيه كلام ضعّفه الألباني وغيره.

وأما إن نذر نذرًا مكروهًا، استحب أن يكفر ولا يفعله.



(١) سُمِّي بهذا الاسم لأن اللجاج والغضب يحملان عليه غالبًا.. مثل: لو قال: حصل اليوم كذا وكذا، فقال الآخر: لم يحصل، فإن كان حاصلاً فعليّ لله نذر أن أصوم سنة.. فالغرض من هذا النذر التكذيب.

الباب الثاني عشر: بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ الاسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ اللهِ

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ((وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا)).

وَعَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ ﵂ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الشرح:

١٢ - بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ الاسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ اللهِ

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

أن النذر شرك في اللفظ مع اعتقاد، وكذا الاستعاذة.

خلاصة الباب:

أنّ الاستعاذة عبادة، وصرف العبادة لغير الله شرك.

تعريف الاستعاذة:

لغة: طلب العَوْذ، أي الالتجاء، والاعتصام، والتحرز..

شرعًا: الالتجاء إلى الله والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر.

والعياذ يكون لدفع الشر، واللِّياذ لطلب الخير.

قال المتنبي: يـــا من ألوذ به فيما أُؤمله ومن أعوذ به فيما أحـــاذره

لا يجبر الناس عظماً أنت كاسره ولا يهيِّضون عظماً أنت جابره[1]

ضابط الاستعاذة الشركية:

هي التي تشتمل على هذه الأمور الثلاثة أو على أحدها:

١- أن تكون بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

٢- أن تكون بميت أو بحيٍّ غائب.

٣- أن يكون اعتماد القلب فيها على غير الله.

ضابط الاستعاذة الجائزة:

١- أن تكون بحيٍّ حاضر.

٢- في أمر مقدورٍ عليه عمومًا.

٣- أن يعتقد أنها مجرّد سبب والقلب معتمد على الله.

---

(١) قال ابن كثير (رحمه الله): "وقد بلغني عن شيخنا العلامة أبي العباس أحمد ابن تيمية (رحمه الله) أنه كان ينكر على المتنبي هذه المبالغة، ويقول: إنما يصلح هذا لجناب الله عز وجل. وأخبرني العلامة شمس الدين ابن القيم (رحمه الله) أنه سمع الشيخ يقول: ربما قلت هذين البيتين في السجود" ا.هـ. البداية والنهاية (١٥ / ٢٧٩).

دليل الاستعاذة الجائزة:

عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: (ستكون فتن، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرّف لها تستشرفه، فمن وجد منها مَلْجأً، أو مَعَاذًا فلْيُعِذْ به) متفق عليه.

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ((وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا)).

الشاهد: أن الله سبحانه ذكر استعاذة الإنس بالجن على سبيل الذم؛ لأنه نتج عنها عقوبة.. ولأن هذه الاستعاذة بالمخلوق لا تنفع بل تضر وقد قال سبحانه: ((يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ ۚ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ)).

سبب نزول هذه الآية:

أن العرب كانوا في الجاهلية إذا نزلوا منزلاً قالوا: نعوذ بسيّد هذا الوادي من شر سفهاء قومه، فأنزل الله هذه الآية. (١)

قوله: (**وأنّه كان رجالٌ**...).. فُتحت همزة (إن) بسبب عطفها على قوله: (قل أُوحيَ إليَّ أنه استمع نفرٌ...)، وهذه فُتحت لأنها تسدُّ مسدّ مصدر، أي: "قل أوحي إليّ استماع نفرٍ من الجن".. قال ابن مالك:

وهمزُ إنّ افتح لسـدِّ مصدرِ مسدَّها وفي سوى ذاك اكسرِ

قوله: (**فزادُوهم رَهَقًا**).. ورد لها تفسيران عن السلف:

١- الواو عائد على الجن، فيكون المعنى: فزاد الجنُّ الإنسَ خوفًا.

٢- الواو عائد على الإنس، فيكون المعنى: زاد الإنسُ الجنَّ طغيانًا وتكبُّرًا.

قال ابن باز (رحمه الله): "وكلا المعنيين حق". (٢)

وقال ابن عثيمين (رحمه الله): "الصحيح الأول". (٣)

---

(١) انظر: تفسير الطبري = جامع البيان تحقيق شاكر (٢٣/ ٦٥٤).

(٢) شرح كتاب التوحيد لابن باز (ص ٤٤).

(٣) القول المفيد (١/ ٢٥١).

وَعَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ – رضي الله عنها – قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الشاهد: أن الرسول ﷺ أرشدنا إلى الاستعاذة بالله، فدلّ على أنها تُصرف لله لا لغيره.

قوله: "عن خولة بنت حكيم".. أي: ابن أمية السلمية، يقال لها: أم شَرِيك. ويقال لها: خويلة بالتصغير، ويقال: إنها هي الواهبة، وكانت قبل تحت عثمان بن مظعون.

قوله: (من نزل منزلاً).. نكره في سياق الشرط، فتعمُّ كل منزل، سواءً كانت إقامة دائمة أو طارئة.. قاله ابن عثيمين (رحمه الله)(1).. وقال ابن باز (رحمه الله): "ويقولها إذا ركب الطائرة، أو السيارة، أو القطار، ونحوه".(2)

قوله: (أعوذ بكلمات الله).. كلمات الله نوعان:

١- الكونية.. وهي أوامره التي لا رادّ لها.. ومنه قوله تعالى: ((إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ)).

٢- الشرعية.. وهي القرآن الكريم..

قال ابن باز (رحمه الله): "وكلُّ هذا حق"(3).. وقال ابن عثيمين (رحمه الله): "والمراد بالكلمات هنا: الكونية والشرعية".(4)

والاستعاذة بكلمات الله هو استعاذة بصفة من صفاته سبحانه، وهذا جائز ومنه قوله ﷺ: (أعوذ بوجهك)، وقوله: (أعوذ بعزتك)..

قوله: (التامّات).. أي الكاملات.

قوله: (من شرِّ ما خلق).. "ما" مصدرية، فيكون المعنى: من شر كل مخلوق فيه شر، لا من شر كل ما خلقه الله تعالى؛ فإن الجَنّة والملائكة والأنبياء ليس فيهم شر.

قوله: (لم يضره شيء حتى يرحل من منْزله ذلك).. نكرة في سياق النفي، فتدلّ على

---

(١) انظر: القول المفيد (١/ ٢٥٢).

(٢) التعليقات البازية على كتاب التوحيد (ص ٢٥).

(٣) شرح كتاب التوحيد لابن باز (ص ٤٥).

(٤) القول المفيد (١/ ٢٥٣).

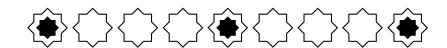
العموم.

فوائد:

١- من هذا الحديث استدل الإمام أحمد على المعتزلة والجهمية بأن القرآن كلام الله.. قال: لو كانت كلمات الله مخلوقة لم يأمر النبي ﷺ بالاستعاذة بها، لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك.

٢- قال ابن باز (رحمه الله) : "وجاء في الحديث: أنه يُستحب تكرارها ثلاثًا، وكان النبي ﷺ إذا دعا دعا ثلاثًا".(١)

٣- قال القرطبي عن هذا الحديث: "هذا خبر صحيح وقول صادق علمنا صدقه دليلاً وتجربة، فإني منذ سمعت هذا الخبر عملت عليه فلم يضرني شيء إلى أن تركته، فلدغتني عقرب بالمهديّة ليلاً، فتفكرت في نفسي فإذا بي قد نسيت أن أتعوذ بتلك الكلمات".(٢)



(١) شرح كتاب التوحيد لابن باز (ص ٤٥).

(٢) المفهم شرح صحيح مسلم (٧/٣٦).

الباب الثالث عشر: بَابٌ مِنْ اَلشِّرْكِ أَنَّ يَسْتَغِيثَ بِغَيْرِ اَللَّهِ أَوْ يَدْعُوَ غَيْرَهُ

وَقَوْلُ اَللَّهِ تَعَالَى: ((وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ * وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ...)) الآية.

وَقَوْلُهُ: ((فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْق...)).

وَقَوْلُهُ: ((وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ...)) الآيتين.

وَقَوْلُهُ: ((أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ...)).

وَرَوَى اَلطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ: أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ اَلنَّبِيِّ ﷺ مُنَافِقٌ يُؤْذِي اَلْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قُومُوا بِنَا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اَللَّهِ ﷺ مِنْ هَذَا اَلْمُنَافِقِ. فَقَالَ اَلنَّبِيُّ ﷺ: (إِنَّهُ لا يُسْتَغَاثُ بِي وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاَللَّهِ).

الشرح:

١٣ – بَابٌ مِنْ اَلشِّرْكِ أَنَّ يَسْتَغِيثَ بِغَيْرِ اَللَّهِ أَوْ يَدْعُوَ غَيْرَهُ

هذا الباب يشمل: الاستغاثة والدعاء.. والاستغاثة نوعٌ خاص من الدعاء.

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

الاستعاذة والاستغاثة كلاهما طلب، إلا أنه قيل أن الاستعاذة طلب كفّ الأمر قبل وقوعه، والاستغاثة طلب رفع الأمر عند حدوثه.

خلاصة الباب:

النهي عن الاستغاثة بغير الله أو دعاء غير الله؛ لأنه شرك بالله.

والدعاء هو أعظم أنواع العبادة كما جاء في الحديث: (الدعاء هو العبادة).

في تيسير العزيز الحميد: "الدعاء عبادة من أجل العبادات، بل هو أكرمها على الله كما تقدم، فإن لم يكن الإشراك فيه شركًا، فليس في الأرض شرك...".

تعريف الاستغاثة:

هي طلب الغَوْث، وهو إزالة الشدة.

الدعاء نوعان:

دعاء عبادة، ودعاء مسألة.. ويراد به في القرآن هذا تارة، وهذا تارة، ويراد به مجموعهما.

دعاء المسألة:

هو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو كشف ضر.. ودليله قوله تعالى: ((وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)).

دعاء العبادة:

هو عبادة الله تعالى بأنواع العبادات، فمن صلّى فقد دعا الله، ومن حجّ فقد دعا الله... وهكذا. ودليله قوله تعالى: ((وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا)).

والنوعان متلازمان.. فكلُّ دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة (أي أنّ من عبدته فيلزم أن تدعوه)، وكل دعاء مسألة متضمّن لدعاء العبادة (أي أن من يسأل الله يتضمن سؤاله أنه يعبد الله).

والفرق بين الاستغاثة والدعاء:

أن الاستغاثة لا تكون إلا من المكروب، والدعاء أعم من الاستغاثة لأنه يكون من المكروب وغيره.

ضابط الاستغاثة الشركية (ويلحق بها دعاء المسألة):

هي التي تشتمل على هذه الأمور الثلاثة أو على أحدها:

١- أن تكون بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

٢- أن تكون بميت أو بحيٍّ غائب.

٣- أن يكون اعتماد القلب فيها على غير الله.

ضابط الاستغاثة الجائزة (ويلحق بها دعاء المسألة):

أن تكون: ١- بحيٍّ حاضر ٢- في أمر مقدورٍ عليه عمومًا ٣- وأن يعتقد أنها مجرّد سبب والقلب معتمد على الله.

دليل الاستغاثة الجائزة:

قوله تعالى: ((فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ...)).

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في: "ومن أنواعه – أي الشرك –: طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا..... وهو محتاج إلى من يدعو له، كما أمرنا النبي ﷺ إذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم، وندعو لهم، ونسأل لهم العافية والمغفرة، فعكس المشركون هذا وزاروهم زيارة العبادة، وجعلوا قبورهم أوثانًا تعبد.." ا.هـ(١)

أمثلة للشرك في الدعاء والاستغاثة(٢):

١- قول البوصيري(٣) في قصيدته البُرْدة:

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٥٣).

(٢) تعلّق عُبّاد القبور بدعاء البدوي أو الدسوقي في مصر، والجيلاني في العراق، وابن عربي في سوريا، والحسين عند الروافض.

(٣) هو محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري (٦٠٨ هـ - ٦٩٦ هـ) شاعر صنهاجي اشتهر بمدائحه النبوية، أشهر أعماله البردية المسماة" الكواكب الدرية في مدح خير البرية" وفيها غلو الصوفية.

يا أكرم الخلق ما لي مَنْ أَلُـــوذُ به... سواك عند حلول الحادث العَمَمِ
إن لم يكن في معادي آخذًا بيدي... فضــــلاً وإلا فقُل يا زلة القدمِ

٢- قول البُرَعيِّ [(١)]:

مــاذا تعامل يـــا شمس النبوّة من ... أضحى إليك من الأشواق في كَبَدِ
فامنعْ جنـــابَ صريعٍ لا صريخَ لهُ ... نائي المزارِ غريب الدار مُبْتَعَــــدِ
أرجـوك في سكرات الموت تشهدُني ... كيمـــا يهون إذ الأنفاسُ في صَعُدِ
وإن نزلتُ ضريحـــًا لا أنيس بـهِ ... فكن أنيسَ وحيــــدٍ فيه مُنفَرِدِ
وإن دعــــا فأجبهُ واحْمِ جانِبَهُ ... من حـاسدٍ شامتٍ أو ظالمٍ نَكِــدِ

شُبُهات وجوابها:

احتج البعض بجواز التوسل ودعاء غير الله بأدلة، منها:

١- احتجوا بحديث عثمان بن حُنَيْف:

"أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: (إن شئتَ دعوتُ، وإن شئت صبرت، فهو خير لك) قال: فادعه، فأمره أن يتوضأ، ويحسن وضوءه، ويدعو بهذا الدعاء: (اللهم إني أسألك، وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت به إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى، اللهم فشفِّعه فِي). رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي وغيرهم، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.. وصحّحه شيخ الإسلام والشوكاني والألباني وغيرهم.

قالوا: فلو كان دعاء غير الله شركًا لم يُعلِّم النبي ﷺ الأعمى هذا الدعاء الذي فيه توسل بالنبي ﷺ.

والجواب:

أنه لا يدل على دعاء غير الله، فالأعمى طلب من النبي ﷺ أن يدعو له، ويشفع له، فهو توسل بدعائه وشفاعته، ولهذا قال في آخره: "اللهم فشفّعه فيّ".. فهذا توسل بدعاء النبي ﷺ، وهذا جائز في حياته ﷺ.

٢- احتجوا بحديث رواه الحاكم في "مستدركه":

(١) هو عبدالرحيم بن أحمد بن عبدالرحيم بن إسماعيل البرعي نسبة إلى قبيلة برع، يمني فقيه صوفي شاعر، عاش في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري وأوائل القرن التاسع.

من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جدّه عن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله ﷺ: (لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله: يا آدم، وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه؟ قال: يا رب، لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إلي، ادعني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك) قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في هذا الكتاب.

الجواب: أن هذا الحديث موضوع.. كما قال الألباني وغيره.. قال الذهبي عن هذا الحديث: "بل موضوع، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم المذكور في إسناده: واهٍ" ا.هـ(١)

ويدل على وضْعه أنه مخالف للقرآن، قال تعالى: ((قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)) فهذا هو الذي قاله آدم.

٣- احتجوا بحديث أبي بردة عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال:

قال رسول الله ﷺ: (إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فلْيُنادِ: يا عباد الله احبسوا، يا عباد الله احبسوا؛ فإن لله عز وجل في الأرض حاضرًا سيحبسه عليكم). أخرجه أبو يعلى في مسنده، وابن السني في عمل اليوم والليلة، والطبراني في الكبير.

والجواب:

في تيسير العزيز الحميد: "هذا الحديث ضعيف، مداره على معروف ابن حسان وهو أبو معاذ السمرقندي، قال ابن عدي: منكر الحديث، وقال السيوطي: حديث ضعيف. وأقول: بل هو باطل" ا.هـ.. وضعّفه الألباني.

وبتقدير ثبوته لا دليل فيه، لأن هذا من دعاء الحاضر فيما يقدر عليه كما قال: "فإن لله في الأرض حاضرًا سيحبسه عليكم".

٤- احتجوا بأقوال منها:

إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور.. وأيضًا: لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه..

---

(١) مختصر تلخيص الذهبي (١٠٦٩/٣).

الجواب: قال ابن القيم: "هو من وضع المشركين عُبّاد الأوثان".[1]

وَقَوْلُ اَللَّهِ تَعَالَى: ((**وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ * وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ...**)) **الآية.**

الشاهد: أن الله سبحانه نهى عن دعاء غيره، ومن فعله فهو من المشركين.

وَقَوْلُهُ: ((**فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ...**)).

وأول الآية في كلام إبراهيم عليه السلام لقومه: ((إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)).

الشاهد: أن الله أمر بدعائه لطلب الرزق.. فدعاء الله عبادة وصرفه لغير الله شرك.

وَقَوْلُهُ: ((**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ...**)) **الآيتين.**

وتتمة الآيتين: ((وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ)).

الشاهد: أن الله سبحانه وصف من دعا غير الله بصفات نبّه عليها المصنف:

أحدها: أنه لا أضل ممن دعا غير الله. الثانية: أنه غافل عن دعاء الداعي لا يدري عنه.

الثالثة: أن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي وعداوته له. الرابعة: تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو. الخامسة: كفر المدعو بتلك العبادة. السادسة: أن هذه الأمور هي سبب كونه أضل الناس.

وَقَوْلُهُ: ((**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ...**)).

تمام الآية: ((وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ)).

الشاهد: يُقرِّر سبحانه ما كان معلومًا بالفطرة أنه لا يجيب المضطر إلا الله. فهل يُجعل معه إله؟ فدلّ على أنّ من دعا غير الله فقد اتخذه إلهًا.

---

(١) المنار المنيف في الصحيح والضعيف (ص: ١٣٩).

وَرَوَى اَلطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ: أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ اَلنَّبِيِّ ﷺ مُنَافِقٌ يُؤْذِي اَلْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قُومُوا بِنَا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اَللَّهِ ﷺ مِنْ هَذَا اَلْمُنَافِقِ. فَقَالَ اَلنَّبِيُّ ﷺ: (إِنَّهُ لا يُسْتَغَاثُ بِي وَإنما يُسْتَغَاثُ بِاَللَّهِ).

درجة الحديث: الحديث رواه الطبراني في المعجم الكبير، ورواه الإمام أحمد في مسنده.. وفي سنده ابن لَهِيعة، وابن لهيعة خلّط في آخر عمره لاحتراق كتبه، قال الهيثمي: "رجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة، وهو حسن الحديث".[١] قال ابن باز: "في إسناده بعض الضعف".[٢]

الشاهد: أنه ﷺ سدّ الذريعة بأنه لا يُستغاث به فيما يقدر عليه، لكي لا يُستغاث به وبمن دونه فيما لا يقدرون عليه.

قوله: روى الطبراني بإسناده.. أي أن الطبراني أسنده، وهذا الإسناد ليس على شرط الصحيح، فلْيُراجع.

في تيسير العزيز الحميد: "قد بيّض المصنف لاسم الراوي، وكأنه والله أعلم نقله عن غيره، أو كتبه من حفظه، والحديث عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه".

قوله: (إنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين).. جاء في تفسير ابن أبي حاتم أنه عبد الله بن أُبي بن سلول.

قوله: (فقال بعضهم).. أي: بعض المؤمنين، وجاء في تفسير ابن أبي حاتم أنه أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

قوله: (قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ).. مرادهم الاستغاثة به فيما يقدر عليه بكفِّ المنافق عن أذاهم، بنحو ضربه أو زجره، لا الاستغاثة به فيما لا يقدر عليه إلا الله.

قوله: (إنه لا يُستغاث بي وإنما يُستغاث بالله).. لما ذا نهاهم ﷺ عن الاستغاثة به في أمر هو يقدر عليه؟

الجواب على ثلاثة أقوال:

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠/ ١٥٩).

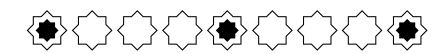
(٢) شرح كتاب التوحيد لابن باز (ص ٤٧).

ق١: الإرشاد إلى حسن اللفظ والحماية منه ﷺ لجناب التوحيد.. قاله المصنف، والشيخ سليمان آل الشيخ.

ق٢: سدًّا للذريعة؛ حتى لا يُستغاث به بأمور لا يقدر عليها إلا الله.

ق٣: لا يُستغاث به في هذه القضية بعينها..

وقال بالاحتمالين الأخيرين ابن باز وابن عثيمين[١].. وأقرب الأقوال: القول الثاني.



(١) غير أن ابن باز قال: "أن النبي ﷺ لا يستطيع قتله لأنه كان ممنوعاً من قتله".. وابن عثيمين قال: "لأن النبي ﷺ كان يعامل المنافقين معاملة المسلمين، ولا يمكنه حسب الظاهر للمنافقين أن ينتقم من هذا المنافق".. انظر: شرح كتاب التوحيد لابن باز (ص ٤٧)، والقول المفيد (١/ ٢٧٦).

الباب الرابع عشر: بَابُ قَوْلِ اَللَّهِ تَعَالَى: ((أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا...)) الآية.

وَقَوْلِهِ: ((وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ)) الآية.

وَفِي اَلصَّحِيحِ عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: شُجَّ اَلنَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، فَقَالَ: (كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهِمْ؟). فَنَزَلَتْ: ((لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ)).

وَفِيهِ: عَنِ ابْنِ عُمَرَ – رضي الله عنهما –: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ يَقُولُ – إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنْ اَلرُّكُوعِ فِي اَلرَّكْعَةِ الأَخِيرَةِ مِنَ اَلْفَجْرِ– : (اَللَّهُمَّ اِلْعَنْ فُلانًا وَفُلانًا)، بَعْدَمَا يَقُولُ: "سَمِعَ اَللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ اَلْحَمْدُ". فَأَنْزَلَ اَللَّهُ: ((لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ)).

وَفِي رِوَايَةٍ: يَدْعُو عَلَى صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، وَالْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، فَنَزَلَتْ: ((لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ)).

وَفِيهِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ حِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ: ((وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ))، فَقَالَ: (يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ – أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا – اِشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ! لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اَللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ اَلْمُطَّلِبِ، لا أُغْنِي عَنْكَ مِنْ اَللَّهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اَللَّهِ، لا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اَللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ، لا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اَللَّهِ شَيْئًا).

الشرح:

١٤ - بَابُ قَوْلِ اَللَّهِ تَعَالَى: ((أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا...)) الآية.

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

الأبواب التي قبله تنهى عن عبادة غير الله، وهذا الباب في بيان البراهين والأدلة العقلية على أن الله سبحانه هو المستحق للعبادة وحده..

قال السعدي (رحمه الله): "هذا شروع في براهين التوحيد وأدلته، فالتوحيد له من البراهين النقلية والعقلية ما ليس لغيره.." ا.هـ[١]

خلاصة الباب:

ذكر البراهين والأدلة العقلية بأن الله وحده هو المستحق للعبادة، ومنها:

١- أن من عُبِد من دون الله لا يخلقون، بل يُخلقون، ولا ينصرون أحدًا، ولا حتى أنفسهم..

٢- أن من عُبِد من دون الله لا يملكون شيئًا.

٣- أن النبي ﷺ وهو أعظم البشر وسيد الأنبياء والأولياء لا يستحق أن يُعبد من دون الله، فكيف بمن دونه.. وعدم استحقاقه للعبودية جاء في هذا الباب في ثلاث نقاط:

الأولى: أن النبي ﷺ لا يستطيع أن يدفع عن نفسه الأذى.

الثانية: أن النبي ﷺ دعا على بعض كفار قريش، ومع ذلك لم تقبل دعوته فيهم.

الثالثة: أن النبي ﷺ صرّح بأنه لا يُغني عن أحد شيئًا.

قَوْلِهِ تَعَالى: ((أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا...)) الآية.

تتمة الآية: ((وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ)).

في تيسير العزيز الحميد: "فحاصل كلام المفسرين على الآية المترجم لها أن قوله تعالى: ((أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ)) توبيخ وتعنيف للمشركين بأنهم يعبدون مع الله تعالى عبادًا لا تخلق شيئًا، وليس فيها ما تستحق به العبادة من الخلق والرزق والنصر، لأنفسهم أو

---

(١) القول السديد (ص: ٧٢).

لمن عبدهم".

وَقَوْلِهِ: ((**وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ**)) **الآية.**

القطمير: اللفافة التي تكون على نواة التمر..

وفي النواة ثلاثة أشياء ذكرها الله في كتابه لبيان حقارة الشيء ، وهي:

١- القطمير.

٢- الفتيل، كما في قوله تعالى: ((يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا)). وهو السلك الذي يكون في شق النواة.

٣- النقير، كما في قوله تعالى: ((أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا)). وهو النقرة التي تكون في أعلى ظهر النواة.

وَفِي اَلصَّحِيحِ عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: شُجَّ اَلنَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، فَقَالَ: (**كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهِمْ؟**). **فَنَزَلَتْ:** ((**لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ**)).

الشاهد: أن النبي ﷺ وهو أعظم البشر وسيد الأنبياء والأولياء لا يستطيع أن يدفع الأذى عن نفسه، ومن كان كذلك فلا يستحق أن يُعبد، فكيف بمن دونه؟

قوله: في "الصحيح".. أي "الصحيحين" علّقه البخاري بصيغة الجزم، ووصله مسلم عن ثابت عن أنس رضي الله عنه.

قوله: (**شُجَّ النبي ﷺ**).. قال أبو السعادات ابن الأثير: "الشجّ في الرأس خاصة في الأصل، وهو أن يضربه بشيء فيجرحه فيه ويُشقّه، ثم استُعمل في غيره من الأعضاء".(١)

قوله: (**وكُسرت رباعِيَتُه**).. قال القرطبي: "والرَّباعِيَة، بفتح الراء وتخفيف الياء، كل سن بعد ثنيّة".(٢)

قال النووي: "وللإنسان أربع رباعيات".(٣).. قال الحافظ: "والمراد أنها كُسرت فذهب منها

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٤٤٥).

(٢) المفهم شرح مسلم (١١/١٤٣).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٢/ ١٤٨).

فَلْقة، ولم تُقلع من أصلها".[1]

روى الطبراني من حديث أبي أمامة قال: "رمى عبد الله بن قَمِئَة رسول الله ﷺ يوم أُحد، فشجّه في وجهه، وكسر رباعِيَته. فقال: خذها وأنا ابن قمئة. فقال رسول الله ﷺ: (ما لك أقمأك الله)، فسلّط الله عليه تيس جبل، فلم يزل ينطحه، حتى قطّعه قطعةً قطعة". إسناده ضعيف، قال الهيثمي: "فيه حفص بن عمر العدني وهو ضعيف".[2]

قوله: فقال: (**كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟**).. زاد مسلم من طريق ثابت عن أنس: (وكسروا رباعيته وأدموا وجهه).. استبعد النبي ﷺ فلاحهم فعاتبه ربه بأنه ليس لك من شأن الخلق شيء، فأمرهم إلى خالقهم إن شاء عذّبهم، وإن شاء غفر لهم، إنما أنت عبدٌ مأمور.

وَفِيهِ: عَنِ ابْنِ عُمَرَ – رضي الله عنهما –: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ يَقُولُ – إذا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنْ اَلرُّكُوعِ فِي اَلرَّكْعَةِ الأخِيرَةِ مِنَ اَلْفَجْرِ– : (اَللَّهُمَّ اِلْعَنْ فُلانًا وَفُلانًا)...... الحديث.

الشاهد: أنه ﷺ دعا عليهم في الصلاة المكتوبة جهرا، وخلفه سادات الأولياء يُؤَمِّنون على دعائه، ومع هذا كله ما استجاب الله له فيهم.

قوله: (**وفيه**): أي في (الصحيح) والمراد به (صحيح البخاري)، ورواه النسائي.

قوله: (**وفي رواية**).. خرّجها البخاري في صحيحة عن سالم بن عبد الله مرسلة كما قال الحافظ.. وقد وصلها الإمام أحمد في مسنده، والترمذي في سننه، وقال: حسن غريب.

قوله: (**يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام**).. إنما دعا عليهم رسول الله ﷺ لأنهم رؤساء المشركين يوم أُحد، والسبب في تلك الأفاعيل التي جرت على سيد المرسلين ﷺ هم وأبو سفيان.. ومع ذلك فما استجيب له فيهم، وتاب الله عليهم وآمنوا وحسُن إسلامهم[3]..

---

(١) فتح الباري (٧/ ٣٦٦).

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٦/ ١١٧).

(٣) لما ارتدّ الناس بعد وفاة النبي ﷺ وقف سهيل بن عمرو خطيباً في أهل مكة يُثبّتهم على الإسلام، وقال لهم: "يا أهل مكة لا تكونوا آخر من أسلم وأوّلُ من ارتد".. فثبت أهل مكة على الإسلام، ولم يرتدُّوا بسبب هذا الرجل الذي جعل الله فيه الخير. انظر: الكامل في التاريخ (٢/ ١٨٦).

وَفِيهِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ حِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ: ((وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ))، فَقَالَ: (يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ – أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا – اِشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ...) الحديث.

الشاهد: أنه ﷺ صرّح بأنه لا يغني عن أحدٍ شيئًا، فكيف بمن دونه؟

قوله: (**وفيه**).. أي: في "صحيح البخاري".

قوله: (**قام رسول الله ﷺ**).. في "الصحيح" من رواية ابن عباس "صعد النبي ﷺ على الصفا".

قوله: حين أنزل الله عليه: ((**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ**)).. عشيرة الرجل: هم بنو أبيه الأدنون أو قبيلته. والأقربين: أي الأقرب فالأقرب منهم؛ لأنهم أحق الناس بِبِرِّك وإحسانك الديني والدنيوي..

قوله: (**اشتروا أنفسكم**).. أي: افتدوها من عذاب الله بالإسلام، وإخلاص العبادة لله وعدم الإشراك به.

جاء في تيسير العزيز الحميد: "وفي صحيح البخاري بعد قوله: (لا أغني عنكم من الله شيئا): (يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئا) فلعل المصنف اختصرها".

قوله: (**يا عباس بن عبد المطلب**).. "ابن" منصوبة، ويجوز في "عباس" الرفع والنصب، وكذا القول في قوله: "ويا صفية عمة رسول الله، و يا فاطمة بنت محمدﷺ".(١)

قوله: (**سليني من مالي ما شئت**).. أي ما يقدر عليه من أمور الدنيا فلا يبخل بها عنهم..

قوله: (**لا أغني عنكِ من الله شيئًا**).. هذا قوله ﷺ لأقرب الناس إليه، والبوصيري وأمثاله يردون كلامه ﷺ فيقول: يا أكرم الخلق مالي من ألوذُ به.. سواكَ عند حلول الحادثِ العممِ.

في مسائل المصنِّف: فإذا صرّح وهو سيد المرسلين بأنه لا يغني شيئا عن سيدة نساء العالمين، وآمن الإنسان أنه ﷺ لا يقول إلا الحق، ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس اليوم، تبين له التوحيد وغربة الدين...



---

(١) المنادى الموصوف بابن وابنة يجوز فيه الوجهان: الضم على البناء والفتح إتباعا لابن..

قال ابن مالك: ونحوَ(زيد) ضُمَّ وافتحنّ مِنْ... نحوِ (أزيدَ بنَ سعيد لا تَهِن).

أما الموصوف ببنت فالضم لا غير، لكن قد استعمله بعض العرب.

وأما ابن فتُنصب لأنها تتبع محل موصوفها.

الباب الخامس عشر: بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ((حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا الْحَقَّ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ)).

وَفِي اَلصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ اَلنَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (إِذَا قَضَى اَللَّهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ اَلْمَلائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خَضَعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ: ((حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا الْحَقَّ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ))، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ اَلسَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُ اَلسَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ – وَصَفَهُ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ: فَحَرَّفَهَا وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ – فَيَسْمَعُ اَلْكَلِمَةَ ، فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيهَا الآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ اَلسَّاحِرِ أَوْ اَلْكَاهِنِ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ اَلشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبَ مَعَهَا مِئَةَ كَذْبَةٍ، فَيُقَالُ أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا ؟ فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ اَلْكَلِمَةِ اَلَّتِي سُمِعَتْ مِنْ اَلسَّمَاءِ).

وَعَنْ اَلنَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: (إِذَا أَرَادَ اَللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُوحِيَ بِالأَمْرِ، تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ، أَخَذَتِ اَلسَّمَاوَاتِ مِنْهُ رَجْفَةٌ – أَوْ قَالَ رِعْدَةٌ شَدِيدَةٌ – خَوْفًا مِنَ اَللَّهِ ﷻ، فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ اَلسَّمَاوَاتِ ؛ صَعِقُوا وَخَرُّوا لِلَّهِ سُجَّدًا ، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ، فَيُكَلِّمُهُ اَللَّهُ مِنْ وَحَيِّهِ بِمَا أَرَادَ، ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ عَلَى اَلْمَلائِكَةِ، كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ، سَأَلَهُ مَلائِكَتُهَا: مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَيَقُولُ: "قَالَ اَلْحَقَّ، وَهُوَ اَلْعَلِيُّ اَلْكَبِيرُ". فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرِيلُ ، فَيَنْتَهِي جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُ اَللَّهُ ﷻ).

الشرح:

١٥ – بَابُ قَوْلِ اَللَّهِ تَعَالَى: ((حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا الْحَقَّ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ)).

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

لَمَّا بيّن المؤلِّف (رحمه الله) في الباب السابق أن أعظم الخلق فضلاً ﷺ لا يستحق أن يُعبد من دون الله، بيّن أن أعظم الخلق قوة وخَلْقًا وهم الملائكة (عليهم السلام) كذلك لا يستحقون ذلك.. والجامع بينهما أنّ الفتنة بهما أعظم.

خلاصة الباب:

في تيسير العزيز الحميد: "أراد المصنف رحمه الله بهذه الترجمة بيان حال الملائكة الذين هم أقوى وأعظم مَن عُبد مِن دون الله، فإذا كان هذا حالهم مع الله تعالى، وهيبتهم منه، وخشيتهم له، فكيف يدعوهم أحد من دون الله؟! وإذا كانوا لا يُدعَون مع الله تعالى لا استقلالا، ولا وساطة بالشفاعة، فغيرهم ممن لا يقدر على شيء من الأموات والأصنام أولى أن لا يدعى، ولا يعبد".

قَوْلِ اَللَّهِ تَعَالَى: ((حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا الْحَقَّ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ)).

الآية التي قبلها:

((قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ * وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ۚ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ...)).

الشاهد: بيان حال الملائكة، وما يحصل لهم من الفزع عند سماع صوت الرب سبحانه وتعالى، ومن كان كذلك لا يستحق أن يعبد.. وإذا كان هذا هو حال الملائكة مع صلاحهم وقُربهم، وقوتهم، فكيف بغيرهم!.

قوله: (**حَتَّى إذا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ**).. أي: زال الفزع عنها.. والمراد الملائكة على ما اختاره ابن جرير وابن كثير وغيرهم.. وقال السعدي: "المراد المشركون".. والصواب الأول.

وقوله: (**قَالُوا الْحَقَّ**).. إذا سمعوا كلام الله وصعقوا ثم أفاقوا، أخذوا يتساءلون، فيقولون: (ماذا

قَالَ رَبُّكُمْ؟) فيقولون: قال (الْحَقُّ) علموا أن الله لا يقول إلا حقًّا.

وَفِي اَلصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ اَلنَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (إذا قَضَى اَللَّهُ الأَمْرَ فِي اَلسَّمَاءِ، ضَرَبَتِ اَلْمَلائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خَضَعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ....) الحديث.

الشاهد: بيان عظمة الله تعالى ، وبيان ضعف الملائكة، فهذا الحديث كالتفسير للآية.

قوله: في "الصحيح".. أي "صحيح البخاري".

قوله: (إذا قضى الله الأمر في السماء).. أي: إذا تكلم الله بأمره الذي قضاه في السماء مما يكون.

قوله: (ضربت الملائكة بأجنحتها خَضَعانًا لقوله).. قال الحافظ: "خضعانًا بفتحتين من الخضوع، وفي رواية بضم أوله وسكون ثانيه، وهو مصدر بمعنى خاضعين".[1]

قوله: (كأنه سلسلة على صفوان).. الصفْوان هو الحجر الأملس.. واختُلف في عَوْد الضمير في قوله (كأنه) على أقوال:

ق١: على صوت الوحي.. أي: كأن الصوت المسموع صوت جرّ السلسلة على الصفوان.. قاله صاحب تيسير العزيز الحميد.. قال الحافظ: "هو مثل قوله في بدء الوحي صلصلة كصلصلة الجرس وهو صوت الملك بالوحي..." ا.هـ[2]

وفي حديث ابن مسعود مرفوعا: (إذا تكلّم الله بالوحي سمع أهل السماء الدنيا صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل...) رواه أبو داود وصحّحه الألباني وقال: وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين.

ق٢: على ضرْب الملائكة بأجنحتها.. أي: كأن صوت ضرْب الملائكة بأجنحتها صوت جرّ السلسلة على الصفوان.. قال به ابن باز[3].. وسياق الحديث يردُّ هذا القول.

ق٣: على وَقْع الصوت على قلوبهم.. أي: كأن وَقْع الصوت على قلوب الملائكة وَقْع صوت جرّ السلسلة على الصفوان في القلوب.. قال به ابن عثيمين.. حيث قال: "وليس المراد تشبيه

(١) فتح الباري (٨/ ٥٣٨).

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر: شرح كتاب التوحيد لابن باز (ص ٥٢).

صوت الله تعالى بهذا؛ لأن الله (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)، بل المراد تشبيه ما يحصل لهم من الفزع عندما يسمعون كلامه بفزع من يسمع سلسلة على صفوان" ا.هـ [1] والله أعلم.

قوله: (**يَنْفُذُهم ذلك**).. أي: يخلص ذلك القول، ويمضي في قلوب الملائكة حتى يفزعوا من ذلك.

قوله: (**حَتَّى إذا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ**).. أي: أُزيل عن قلوب الملائكة الخوف والغشي.

قوله: (**قَالُوا ماذا قَالَ رَبُّكُمْ**).. أي: قال الملائكة بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم.

قوله: (**قَالُوا الْحَقَّ**).. أي: قالوا: قال الله الحق، علموا أن الله لا يقول إلا حقًّا.

قوله: "**فيسمعها مسترق السمع**".. أي: يسمع الكلمة التي قضاها الله مسترق السمع، وهم الشياطين يركب بعضهم بعضًا، فيسمعون أصوات الملائكة بالأمر يقضيه الله..

قال صاحب تيسير العزيز الحميد: "في" صحيح البخاري" عن عائشة مرفوعًا: (إن الملائكة تنْزل في العنان وهو السحاب، فتذكر الأمر قضي في السماء، فتسترق الشياطين السمع فتسمعه، فتوحيه إلى الكُهَّان فيكذبون معها مئة كذبة من عند أنفسهم) وظاهر هذا أنهم لا يسمعون كلام الملائكة الذين في السماء الدنيا، وإنما يسمعون كلام الملائكة الذين في السحاب" ا.هـ.. وفي إبطال التنديد للشيخ حمد العتيق: "وليس كما قال؛ فإن هذا الحديث فإنما دلّ على أنهم يسمعون من الذين في السحاب، وسماعهم منهم لا ينفي سماعهم من الذين في السماء الدنيا، بل سماعهم منها دلّ عليه دليل آخر، وقد قال تعالى: ((وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ * إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ))" ا.هـ

قوله: (**وصفه سفيان بكفه**).. أي: وصف ركوب بعضهم فوق بعض. وسفيان هو ابن عيينة..

قوله: (**فحرَّفها**).. أي أمالها.

قوله: (**وبدّد**).. أي: فرّق بين أصابعه.

قوله: (**فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته**).. أي: يسمع المسترق الفوقاني الكلمة من

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٣١٠).

الوحي، فيلقيها إلى الشيطان الذي تحته، ثم يلقيها الآخر إلى مَنْ تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن.

قوله: (**فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها**).. الشهاب: هو النجم الذي يُرمى به.

عن ابن عباس قال: "كان رسول الله ﷺ جالسا في نفر من أصحابه فرمي بنجم فاستنار، فقال: (ما كنتم تقولون إذا كان هذا في الجاهلية) قالوا: كنا نقول: يولد عظيم، أو يموت عظيم، قال: (فإنها لا يرمى بها لموت أحد، ولا لحياته، ولكن ربنا إذا قضى أمرًا سبّح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلون حملة العرش، فيقول الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم، ويخبر أهل كل سماء سماء حتى ينتهي الخبر إلى هذه السماء، وتخطف الجن السمع فيرمون، فما جاؤوا به على وجهه فهو حق ولكنهم يحرفونه ويزيدون فيه) رواه أحمد بسند صحيح. وصحّحه الألباني.

حفظ السماء من الاستراق مرّ بثلاث مراحل:

١- قبل النبوة.. وكان الاستراق كثيرًا.

٢- عندما بُعث النبي ﷺ.. شُدد عليهم في الاستماع.

٣- لما مات ﷺ.. صارت تستمع ، فتارة تصيبهم الشهب قبل أن يستمعوا ، وتارة بعد أن يستمعوا.

قوله: (**فيكذب معها مئة كَذْبة**).. أي: يكذب الكاهن أو الساحر، أو يكذب الشيطان مع الكلمة التي استرقها مئة كذبة..

قوله: (**فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا كذا...؟**).. هكذا بيض المصنف في هذا الموضع، ولفظ الحديث في "الصحيح" فيقال: (أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا) والمعنى أن الذين يأتون الكُهَّان يصدقونهم في كذبهم، ويستدلون على ذلك بكونهم يصدقون بعض الأحيان فيما سمعوه من الوحي.. كما في حديث عائشة قالت: سأل أناس رسول الله ﷺ عن الكُهَّان؟ فقال لهم رسول الله ﷺ: (ليسوا بشيء)، قالوا: يا رسول الله فإنهم يحدثون أحيانا الشيء يكون حقا، قال رسول الله ﷺ: (تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني، فيُقِرُّها في أذن

وليّه قَرّ الدجاجة[1]، فيخلطون فيها أكثر من مئة كَذْبة) متفق عليه.

قوله: (**فيصدَّق بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء**).. قال المصنِّف في مسائله: الثامنة عشرة: قبول النفوس للباطل، كيف يتعلّقون بواحدة ولا يعتبرون بمئة؟

وَعَنْ اَلنَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: (إذا أَرَادَ اَللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُوحِيَ بِالأمْرِ، تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ، أَخَذَتِ اَلسَّمَاوَاتِ مِنْهُ رَجْفَةٌ – أَوْ قَالَ رَعْدَةٌ شَدِيدَةٌ – خَوْفًا مِنْ اَللَّهِ عز وجل....) الحديث.

درجة الحديث: الحديث رواه ابن أبي عاصم في السنة، وابن خزيمة، والبيهقي، والطبراني وغيرهم، وفيه ضعف.. ضعّفه الألباني.

الشاهد: بيان عظمة الله تعالى، وبيان ضعف الملائكة..

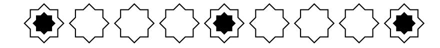
قوله: (**عن النواس بن سمعان**).. (سمعان): قال النووي في شرح مسلم: بكسر السين وفتحها، وذكر القاضي عياض في مشارق الأنوار أن الفتح مذهب الأكثر.

قوله: (**صعقوا وخروا لله سجدا**).. أي: إذا سمعت الملائكة صوت الوحي يُغشى عليهم ثم يفيقون فيسجدون لله.

قوله: (**فيكون أول مَنْ يرفع رأسه جبريل**).. فيه دليل على فضيلة جبريل عليه السلام.. وقد ورد في صفة جبريل أحاديث صحيحة، منها: ما رواه أحمد بإسناد صحيح عن عبد الله بن مسعود قال: "رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته، وله ستمائة جناح، كل جناح منها قد سدّ الأُفُق، يسقط من جناحه من التهاويل والدرِّ والياقوت ما الله به عليم".

في الحديث من الفوائد:

إثبات الكلام خلافًا للجهمية، وإثبات الصوت خلافًا لهم وللأشاعرة.



(١) قال أهل اللغة والغريب: (القرّ) ترديدك الكلام في أذن المخاطب حتى يفهمه، تقول قرّرته أُقرّه قرًّا.. و(قرّ الدجاجة): صوتها إذا قطعته، يقال قرّت تقرّ قرّا وقريرا.. فإن رددته قلت قرقرت قرقرة" لسان العرب (٥/ ٨٤)... قال الخطابي وغيره: "معناه أن الجني يقذف الكلمة إلى وليه الكاهن فتسمعها الشياطين كما تؤذن الدجاجة بصوتها صواحباتها فتتجاوب". انظر: أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) (٣/ ٢٢١٨).

الباب السادس عشر: بَابُ اَلشَّفَاعَةِ

وَقَوْلِ اَللَّهِ ﷻ: ((وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ))، وَقَوْلِهِ: ((قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا))، وَقَوْلِهِ: ((مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ))، وَقَوْلِهِ: ((وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ))، وَقَوْلِهِ: ((قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ...)) الآيتين.

قَالَ أَبُو اَلْعَبَّاسِ: "نَفَى اَللَّهُ عَمَّا سِوَاهُ كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ اَلْمُشْرِكُونَ، فَنَفَى أَنْ يَكُونَ لِغَيْرِهِ مُلْكٌ أَوْ قِسْطٌ مِنْهُ، أَوْ يَكُونَ عَوْنًا لِلَّهِ، وَلَمْ يَبْقَ إِلا اَلشَّفَاعَةُ، فَبَيَّنَ أَنَّهَا لا تَنْفَعُ إِلا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ اَلرَّبُّ؛ كَمَا قَالَ: ((وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ)).

فَهَذِهِ اَلشَّفَاعَةُ اَلَّتِي يَظُنُّهَا اَلْمُشْرِكُونَ هِيَ مُنْتَفِيَةٌ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ؛ كَمَا نَفَاهَا اَلْقُرْآنُ، وَأَخْبَرَ اَلنَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ يَأْتِي فَيَسْجُدُ لِرَبِّهِ وَيَحْمَدُهُ – لا يَبْدَأُ بِالشَّفَاعَةِ أَوَّلاً – ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: اِرْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ).

وَقَالَ لَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ: مَنْ أَسْعَدُ اَلنَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ؟ قَالَ: (مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اَللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ)، فَتِلْكَ اَلشَّفَاعَةُ لأَهْلِ الإِخْلاصِ بِإِذْنِ اَللَّهِ، وَلا تَكُونُ لِمَنْ أَشْرَكَ بِاَللَّهِ.

وَحَقِيقَتُهُ أَنَّ اَللَّهَ سُبْحَانَهُ هُوَ اَلَّذِي يَتَفَضَّلُ عَلَى أَهْلِ الإِخْلاصِ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ بِوَاسِطَةِ دُعَاءِ مَنْ أَذِنَ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ؛ لِيُكْرِمَهُ، وَيَنَالَ اَلْمَقَامَ اَلْمَحْمُودَ.

فَالشَّفَاعَةُ اَلَّتِي نَفَاهَا اَلْقُرْآنُ مَا كَانَ فِيهَا شِرْكٌ، وَلِهَذَا أَثْبَتَ اَلشَّفَاعَةَ بِإِذْنِهِ فِي مَوَاضِعَ، وَقَدْ بَيَّنَ اَلنَّبِيُّ ﷺ أَنَّهَا لا تَكُونُ إِلا لأَهْلِ الإِخْلاصِ وَالتَّوْحِيدِ". اِنْتَهَى كَلامُهُ.

الشرح:

١٦ – بَابُ اَلشَّفَاعَةِ

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

الأبواب السابقة في بيان بطلان دعاء الأولياء مباشرة فكأنهم قالوا: نحن لا نعتقد أنهم آلهة، ولكن ندعوهم ليقربونا إلى الله؛ لأن لهم جاهًا عظيمًا، فأراد المؤلف (رحمه الله) في هذا الباب أن يُبيّن بطلان هذه الحُجة.

خلاصة الباب:

بيان أن الشفاعة ملكٌ لله، فلا تُطلب إلا من مالكها[(١)]، وأنّ طلبها من غير الله هو عين شرك الأولين.

معنى الشفاعة:

لغة: من الشَّفْع(ضد الوتر) وهو الزوج؛ لأن طالب الحاجة كان منفرداً في الأول ثمّ لما انضم إليه الشافع صار شفعاً.

شرعًا: التوسط للغير بجلب منفعة، أو دفع مضرة.

أقسام الشفاعة:

١– شفاعة دنيوية: وهذه خاصة بأمور الدنيا.. وهي قسمان:

أ– جائزة: وهي التي من باب التعاون على البر والتقوى، وليس فيها إضرار على أحد.

ب– محرّمة: وهي ما فقدت الشرطين السابقين، كأن يشفع لأحد بدخوله في عمل محرم، أو يشفع لأحد في وظيفة جائزة فيقدِّمه على من هو أفضل منه.

---

(١) في التمهيد قال الشيخ صالح آل الشيخ: "فمسألة الشفاعة من المسائل التي تخفى على كثيرين بما في ذلك بعض أهل العلم؛ ولذا وقع بعضهم في أغلاط، في مسألة طلب الشفاعة من النبي – عليه الصلاة والسلام – كما فعل النووي وابن قدامة في المغني وغيرهما.. وهذا لا يعد خلافا في المسألة؛ لأن هذا الخلاف راجع إلى عدم فهم حقيقة هذا الأمر، ومسألة الشفاعة مسألة فيها خفاء؛ ولهذا يقول بعض أهل العلم من أئمة الدعوة رحمهم الله: إقامة الحجة في مسائل التوحيد تختلف بحسب قوة الشبهة، فأقل الشبهات ورودا، وأيسر الحجج قدوما على المخالف هو فيما يتعلق بأصل دعوة غير الله معه، وبالاستغاثة بغير الله، والذبح لغيره، ونحو ذلك، ومن أكثرها اشتباها – إلا على المحقق من أهل العلم – مسألة الشفاعة".

٢- شفاعة أخروية: وهي التي يُراد بها أمور الآخرة.. وهي قسمان:

أ- جائزة (مُثبتة): وهي التي تُطلب من الله.. قال تعالى: ((قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا)) فلا تُطلب إلا من مالكها.

ب- شركية (منفية): وهي التي تُطلب من غير الله.

شروط تحقُّق الشفاعة المثبتة:

١- أن يأذن الله للشافع أن يشفع.. قال تعالى: ((وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ)).

٢- أن يرضى الله عن المشفوع له.. قال تعالى: ((وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى)).

أنواع الشفاعات المثبتة:

ست شفاعات: أربع منها خاصة به ﷺ، وثنتان عامّة له ولغيره من المؤمنين.

١- شفاعة خاصة بالنبي ﷺ:

أ- الشفاعة العظمى لأهل الموقف، وهي المقام المحمود..

ب- الشفاعة في دخول أهل الجنة الجنة..

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح ، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد. فيقول: بك أمرت ، لا أفتح لأحد قبلك). رواه مسلم.. وعنه عنده أيضًا: (أنا أول شفيع في الجنة، لم يُصدَّق نبي من الأنبياء ما صُدِّقت، وإن من الأنبياء نبيًّا ما يُصدِّقه من أمته إلا رجل واحد).

ج- الشفاعة في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب.

جاء في الصحيحين أن العباس قال للنبي ﷺ: هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ، ويدافع عنك؟ قال: (نعم ، هو في ضحضاح من نار ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار).. وهذه الشفاعة مستثناة من قوله تعالى عن الكافرين: ((فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ)).

د- الشفاعة في رفع درجات بعض أهل الجنة.(١)

واستُدل بدعاء النبي ﷺ لأبي سلمة لما توفي: (اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين)

---

(١) وهذه الشفاعة ذكر الشيخ صالح الفوزان (حفظه الله) أنها خاصة به ﷺ، وذكر الشيخ ابن عثيمين (رحمه الله) أنها عامة.. والله أعلم.

رواه مسلم.

٢- شفاعة عامّة: له ﷺ وللمؤمنين.

أ- الشفاعة فيمن استحق النار ألا يدخلها..

قال ابن عثيمين (رحمه الله): "وهذه قد يُستدل لها بقول الرسول ﷺ: (ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً ، لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعهم الله فيه) رواه مسلم. فإن هذه الشفاعة قبل أن يدخل النار ، فيشفعهم الله في ذلك".(١)

ب- الشفاعة فيمن دخل النار أن يخرج منها..

في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد مرفوعًا: (فو الذي نفسي بيده، ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون، فيُقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم على النار، فيخرجون خلقا كثيرا...) الحديث.(٢)

---

(١) القول المفيد (١/ ٣٣٤).

(٢) وإكمال الحديث: (فتحرم صورهم على النار، فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار إلى نصف ساقيه، وإلى ركبتيه، ثم يقولون: ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به، فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقا كثيرا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقا كثيرا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدا، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيرا)، وكان أبو سعيد الخدري يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرءوا إن شئتم: (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما)، فيقول الله عز وجل: شَفَعِتِ الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار، فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما، فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له: نهر الحياة، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل، ألا ترونها تكون إلى الحجر، أو إلى الشجر، ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخيضر، وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض؟) فقالوا: يا رسول الله، كأنك كنت ترعى بالبادية، قال: (فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم، يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه، ولا خير قدموه، ثم يقول: ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم، فيقولون: ربنا، أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين، فيقول: لكم عندي أفضل من هذا، فيقولون: يا ربنا، أي شيء أفضل من هذا؟ فيقول: رضاي، فلا أسخط عليكم بعده أبدا) رواه مسلم..

قال ابن خزيمة (رحمه الله) في كتاب التوحيد: هذه اللفظة" لم يعملوا خيراً قط" من الجنس الذي تقول العرب: ينفى الاسم عن الشيء لنقصه عن الكمال والتمام، فمعنى هذه اللفظة على هذا الأصل: لم يعملوا خيراً قط على التمام والكمال، لا على ما أوجب عليه وأمر به.

وهذه الشفاعة أنكرها المعتزلة والخوارج؛ لأنهم يرون أن فاعل الكبيرة مخلّدٌ في النار..

قال آل الشيخ في التيسير: "وقد أجمع عليها الصحابة وأهل السنة قاطبة، وبدّعوا من أنكرها، وصاحوا به من كل جانب، ونادوا عليه بالضلال.." ا.هـ

وَقَوْلِ اَللَّهِ ﷻ: ((وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ)).

الشاهد: نفي الشفاعة من دون الله.

الإنذار هو الإعلام مع التخويف.

ومعنى الآية: أنذر يا محمد بالقرآن الذين هم من خشية ربهم مشفقون وهم المؤمنون بأن يوم القيامة لا أحد يتولاّهم من الخلق، ولا أحد يشفع لهم إلا بإذن الله؛ لعلهم يستقيموا إذا عرفوا أنه لا تنفعهم الشفاعة من دونه سبحانه.

وَقَوْلِهِ: ((قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا)).

أول الآية: ((أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلا يَعْقِلُونَ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً...)).

الشاهد: بيان أن الشفاعة ملك لله وحده.. فلا تُطلب إلا من مالكها.

وَقَوْلِهِ: ((مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ))، وَقَوْلِهِ: ((وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ)).

الشاهد: بعدما ذكر في الآية السابقة الشفاعة المثبتة بيّن في هاتين الآيتين شرطي تحقّق الشفاعة المثبتة: الإذن للشافع، والرضا عن المشفوع.

وَقَوْلِهِ: ((قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ...)) الآيتين.

تمام الآيتين: ((وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ * وَلا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حتّى إذا فُزِّعَ عن قلوبهم...)).

الشاهد: أن الشفاعة من أعظم ما يتعلق به المشركون، فبيّن بطلانها إلا بإذن الله.

وهذه الآية هي التي قال فيها بعض العلماء: إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب لمن

عقلها.

قال ابن القيم في الكلام عليها: "وقد قطع الله الأسباب التي يتعلق بها المشركون جميعها قطعًا، يعلم من تأمله وعرفه أن من اتخذ من دون الله وليًا، فمثله (كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ)، فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له به من النفع، والنفع لا يكون إلا ممن يكون فيه خصالا من هذه الأربع، إما:

مالك[١] لما يريد عابده منه، فإن لم يكن مالكا، كان شريكا[٢] للمالك، فإن لم يكن شريكا له، كان معينا له وظهيرا[٣]، فإن لم يكن معينًا ولا ظهيرًا، كان شفيعًا[٤] عنده، فنفى سبحانه المراتب الأربع نفيا مرتبا منتقلا من الأعلى إلى ما دونه، فنفى الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي يطلبها المشرك، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك وهي الشفاعة بإذنه.." ا.هـ[(١)]

قَالَ أبو اَلْعَبَّاسِ: "نَفَى اَللَّهُ عَمَّا سِوَاهُ كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ اَلْمُشْرِكُونَ، فَنَفَى أَنْ يَكُونَ لِغَيْرِهِ مُلْكٌ أَوْ قِسْطٌ مِنْهُ، أَوْ يَكُونَ عَوْنًا لِلَّهِ، وَلَمْ يَبْقَ إِلا اَلشَّفَاعَةُ، فَبَيَّنَ أَنَّهَا لا تَنْفَعُ إِلا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ اَلرَّبُّ..... إلخ".

الشاهد: أن كلام شيخ الإسلام تفسير للآية الأخيرة.

(**أبو العباس**)، هو شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، الإمام المشهور، صاحب "المصنفات" شهرته وإمامته في علوم الإسلام وتفننه تغني عن الإطناب في وصفه.

قال الذهبي: "لم يأت قبله بخمس مائة سنة مثله"، وفي رواية: "بأربع مائة".. وقال أيضًا: "لو حلفت بين الركن والمقام لحلفت أني لم أر مثله، وما رأى بعينيه مثل نفسه رحمه الله".[(٢)]

وقال ابن دقيق العيد: "لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلا العلوم كلها بين عينيه، يأخذ منها ما يريد ويدع ما يريد".[(٣)]

في تيسير العزيز الحميد: "وبالجملة فما أتى بعد عصر الإمام أحمد له نظير، وكانت وفاته سنة

---

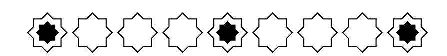
(١) مدارج السالكين (١/ ٣٥١).

(٢) الرد الوافر لابن ناصر الدين (ص: ٣٥).

(٣) الرد الوافر لابن ناصر الدين (ص: ٥٩).

ثمان وعشرين وسبع مئة".

قوله: (**قال أبو العباس**) ختم المصنف الباب بشرح شيخ الإسلام فهو كالخلاصة للباب.



الباب السابع عشر: بَابُ قَوْلِ اَللَّهِ تَعَالَى: ((إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ))

وَفِي اَلصَّحِيحِ عَنْ اِبْنِ اَلْمُسَيِّبِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ اَلْوَفَاةُ، جَاءَهُ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ وَعِنْدَهُ عَبْدُ اَللَّهِ ابْنُ أَبِي أُمَيَّةَ، وَأَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ لَهُ: (يَا عَمِّ قُلْ لا إِلَهَ إِلا اَللَّهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اَللَّهِ). فَقَالا لَهُ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ اَلْمُطَّلِبِ؟ فَأَعَادَ عَلَيْهِ اَلنَّبِيُّ ﷺ، فَأَعَادَا، فَكَانَ آخَرَ مَا قَالَ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ اَلْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ لا إِلَهَ إِلا اَللَّهُ، فَقَالَ اَلنَّبِيُّ ﷺ: (لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ). فَأَنْزَلَ اَللَّهُ ﷻ: ((مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ))، وَأَنْزَلَ اَللَّهُ فِي أَبِي طَالِبٍ: ((إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ)).

الشرح:

١٧ – بَابُ قَوْلِ اَللَّهِ تَعَالَى: ((إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ))

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

الشفاعة ملك لله وحده لا يملكها البشر فلا تُطلب إلا منه سبحانه، وكذلك هداية التوفيق ملك لله وحده لا يملكها البشر فلا تُطلب إلا منه سبحانه.

خلاصة الباب:

أن أعظم البشر ﷺ لا يملك هداية التوفيق، وإنما هي بيد الله سبحانه.. فهذا دليل عجز البشر عن مقام العبودية.

أنواع الهداية:

١- هداية دلالة وإرشاد.. وهي بيان الطريق الصحيح.. ومنه قوله تعالى: ((وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ))، وقوله تعالى: ((وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ)).. وهذه يستطيعها كل أحد.

٢- هداية توفيق وإلهام.. وهي جَعْل العبد يسلك الطريق الصحيح.. ومنه قوله تعالى: ((إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ)).. وهذه لا يستطيعها إلا الله سبحانه.

قَوْله تَعَالَى: ((إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ)).

الشاهد: أن محمدًا ﷺ لا يستطيع هداية من أحب، فكيف بمن دونه.

مسألة: محبة الكافر لا تجوز، وفي الآية أن محمدًا ﷺ يحب عمّه الكافر؟

ق١: أن معنى الآية: إنك لا تهدي من أحببت هدايته.. وقال به صاحب أضواء البيان، واختاره ابن عثيمين.

ق٢: أن المحبة في الآية هي المحبة الطبيعية.. وقال به صاحب تيسير العزيز الحميد.

وَفِي اَلصَّحِيحِ عَنْ اِبْنِ اَلْمُسَيِّبِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ اَلْوَفَاةُ، جَاءَهُ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ وَعِنْدَهُ عَبْدُ اَللَّهِ ابْنُ أَبِي أُمَيَّةَ، وَأبو جَهْلٍ....... الحديث.

قوله في "الصحيح" أي" الصحيحين".

قوله: (عن ابن المسيب).. هو سعيد بن المسيِّب بن حَزَن القرشي المخزومي.. قال ابن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علمًا منه.. مات بعد التسعين وقد ناهز الثمانين، وأبوه

المسيب صحابي، وكذلك جده حَزَن صحابي.

قوله: (**لما حضرت أبا طالب الوفاة**)..

مسألة: كيف الجمع بين الآية: ((وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن)) وفي الحديث أنها حضرت أبا طالب الوفاة ومع ذا دعاه ﷺ للتوبة؟

الجواب قولان:

ق١: حضرت علامات الوفاة، ويدل على ذلك ما وقع من المراجعة بينه وبينهم..

ق٢: أن ذلك ينفع أبا طالب بخصوصه، ويدل على الخصوصية أنه ﷺ لم يترك الشفاعة له، بل شفع له حتى خُفِّف عنه العذاب بالنسبة إلى غيره، وكان ذلك من الخصائص في حقِّه.

قوله: (**قل لا إله إلا الله**).. أي: قل هذه الكلمة، عارفًا لمعناها، معتقدًا بذلك..

في تيسير العزيز الحميد: ولا بد مع ذلك من شهادة أن محمدًا رسول الله.

قوله: (**أحاجّ لك بها عند الله**).. أي أذكرها لك حُجّة، لا أن أجادل.. ويدل على ذلك في الرواية الأخرى: أشهد لك بها عند الله.

قوله: (**هو على ملة عبد المطلب**).. رواه الإمام أحمد بلفظ (أنا).. قال الحافظ: الظاهر أن أبا طالب قال: أنا، فغيّرها الراوي أَنَفة أن يحكي كلام أبي طالب استقباحًا للفظ المذكور، وهي من التصرفات الحسنة" ا.هـ(١)

وأعتقد أن الأفضل قول: (بأنه على ملة عبد المطلب)، بدل قول: (هو على ملة عبد المطلب)؛ لأن في ذلك دفعًا للإيهام. والله أعلم.

قال المصنف: وفيه الرد على من زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه..



(١) فتح الباري (٨/ ٥٠٧).

الباب الثامن عشر: بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وَتَرْكِهِمْ دِينَهُمْ هُوَ اَلْغُلُوُّ فِي اَلصَّالِحِينَ

وَقَوْلِ اَللَّهِ ﷻ: ((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ)).

وَفِي اَلصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – فِي قَوْلِ اَللَّهِ تَعَالَى: ((وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا)). قَالَ: "هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى اَلشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنِ انْصُبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمْ اَلَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيهَا أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا وَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ، وَنُسِيَ اَلْعِلْمُ عُبِدَتْ".

قَالَ اِبْنُ اَلْقَيِّمِ: "قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ اَلسَّلَفِ: لَمَّا مَاتُوا، عَكَفُوا عَلَى قُبُورِهِمْ، ثُمَّ صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُمْ، ثُمَّ طَالَ عَلَيْهِمْ الأَمَدُ فَعَبَدُوهُمْ".

وَعَنْ عُمَرَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: (لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ اَلنَّصَارَى اِبْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اَللَّهِ وَرَسُولُهُ). أَخْرَجَاهُ.

وَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: (إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اَلْغُلُوُّ).

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ اِبْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: (هَلَكَ اَلْمُتَنَطِّعُونَ) "قَالَهَا ثَلاثًا".

الشرح: (باب غُربة الإسلام)

١٨ – بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وَتَرْكِهِمْ دِينَهُمْ هُوَ اَلْغُلُوُّ فِي اَلصَّالِحِينَ

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

لَمّا ذكر المؤلِّف شركيّات عُبّاد القبور في الأبواب السابقة أراد أن يبيِّن سبب ذلك.

خلاصة الباب: أن الغلو في الصالحين هو سبب كفر بني آدم في الماضي، وكذلك في الحاضر.

معنى الغلو:

لغة: مجاوزة الحد.. وشرعًا: مجاوزة الحد المشروع.. وضابط هذا الحد: ما أمر الله به..

والمراد به هنا: مجاوزة الحد في المحبة والتعظيم.

وَقَوْلِ اَللَّهِ ﷻ: ((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ)).

الشاهد: أن الله سبحانه نهى أهل الكتاب عن الغلو في الدين ولكنهم غلوا في دينهم، ونحن مأمورون بمخالفتهم.. وأهل الكتاب هم اليهود والنصارى، والمراد بهم في الآية النصارى..

قال ابن باز (رحمه الله): "هذا للنصارى وكذلك لليهود، لكن النصارى أكثر غلوًّا".(١)

وَفِي اَلصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – فِي قَوْلِ اَللَّهِ تَعَالَى: ((وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا)). قَالَ: هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ..... الحديث.

قوله: في "الصحيح".. أي: "صحيح البخاري". وهذا الأثر اختصره المصنف.(٢)

الشاهد: بيان سبب أول عبادة للأصنام بأنه الغلو في الصالحين.

قال ابن عباس: "كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام".(٣)

---

(١) شرح كتاب التوحيد لابن باز (ص ٦٠).

(٢) والحديث كما في البخاري: عن ابن عباس رضي الله عنهما: (صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بَعْدُ، أما ود كانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع كانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجوف، عند سبإ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم، أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسّخ العلم عبدت).

(٣) تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٥٧).

في تسير العزيز الحميد: "وقد روى الفاكهي عن ابن الكلبي قال: كان لعمرو بن ربيعة رئي من الجن فأتاه فقال: أجب أبا ثمامة وادخل بلا ملامة، ثم ائت سيف جدة، تجد بها أصناما معدة، ثم أوردها تهامة ولا تهب، ثم ادع العرب إلى عبادتها تُجَبْ. قال فأتى عمرو ساحل جدة فوجد بها ودًا وسواعًا ويغوث ويعوق ونسرًا، وهي الأصنام التي عبدت على عهد نوح وإدريس، ثم إن الطوفان طرحها هناك فسفا عليها الرمل، فاستثارها عمرو وخرج بها إلى تهامة، وحضر الموسم ودعا إلى عبادتها فأجيب.. وعمرو بن ربيعة: هو عمرو بن لحي، قاله الحافظ" ا.هـ

وَعَنْ عُمَرَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: (لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ اَلنَّصَارَى اِبْنَ مَرْيَمَ، إنما أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اَللَّهِ وَرَسُولُهُ). أَخْرَجَاهُ.

الشاهد: أنه ﷺ نهى عن مجاوزة الحد الشرعي في مدحه.

قوله: (**لا تطروني**).. الإطراء: مجاوزة الحد في المدح، والكذب فيه..

قوله: (**كما أطرت النصارى ابن مريم**).. أي كما زادت النصارى في مدح ابن مريم فآل بهم الأمر أن عبدوه.. وليس معناه: لا تمدحوني مثل فعل النصارى في ابن مريم حيث جعلوه إلهًا أو ابنًا للإله، ولكن دون ذلك.. وهذا القول قال به طائفة من الصوفية.. جاء في بُردة البوصيري:

دعْ ما ادعته النصارى في نبيِّهمُ   واحكمْ بما شئت مدحاً فيه واحتكمِ

ومعنى كلامه: أي امدحه بكل مدح بأنه يعلم الغيب، ويفرِّج الكُرُبات، ويُجيب الدعوات، يعطي ويمنع، يرفع ويخضع... إلى غير ذلك، لكن لا تقل بأنه إله أو أنه ابن للإله..

وجاء في البردة أيضًا: لو ناسبت قدرَه آياتُه عِظَماً   أحيا اسمه حين يُدعى دارس الرِّمَمِ

قال بعض شراح البردة: حتى القرآن لا يناسب قدره... !!

في تيسير العزيز الحميد: "أي: لا تمدحوني فتغلوا في مدحي كما غلت النصارى في عيسى، فادّعوا فيه الربوبية، وإنما أنا عبد لله فصفوني بذلك كما وصفني به ربي، وقولوا عبد الله ورسوله.. فأبى عباد القبور إلا مخالفة لأمره، وارتكابًا لنهيه، وناقضوه أعظم المناقضة، وظنوا أنهم إذا وصفوه بأنه عبد الله ورسوله، وأنه لا يدعى ولا يستغاث به، ولا ينذر له، ولا يطاف بحجرته، وأنه ليس له من الأمر شيء، ولا يعلم من الغيب إلا ما علمه الله، أن في ذلك هضمًا لجنابه، وغضًا من قدره، فرفعوه فوق منْزلته، وادعوا فيه ما ادعت النصارى في عيسى أو قريبًا منه، فسألوه مغفرة الذنوب، وتفريج الكروب.. وقد ذكر شيخ الإسلام في كتاب "الاستغاثة"

عن بعض أهل زمانه: "أنه جوّز الاستغاثة بالرسول ﷺ في كل ما يستغاث فيه بالله، وصنف فيه مصنفًا.. وكان يقول: إن النبي ﷺ يعلم مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله" ا.هـ [١]

وَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: (إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فإنما أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اَلْغُلُوُّ).

تخريج الحديث ودرجته: الحديث ذكره المصنف غير معزو.. وقد رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه عن ابن عباس.

ولفظ ابن ماجه عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ – غداة العقبة وهو على ناقته –: (القط لي حصى). فلقطت له سبع حصيات هن حصى الحذف فجعل ينفضهن في كفه ويقول: (أمثال هؤلاء فارموا، وإياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)..

قال ابن باز: "رواه أحمد وبعض أصحاب السنن بإسناد جيد، فهو حديث صحيح". [٢]

الشاهد: أنه ﷺ حذّرنا من الغلو؛ لأنه سبب هلاك مَن قَبْلنا.

قال شيخ الإسلام: "هذا عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال" ا.هـ[٣].. وسبب هذا اللفظ العام رمي الجمار وهو داخل فيه.

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ اِبْنِ مَسْعُودٍ ، أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: (هَلَكَ اَلْمُتَنَطِّعُونَ)"قَالَهَا ثَلاثًا".

الشاهد: أنه ﷺ بالغ في التحذير من التنطّع في الدين.

(**المتنطعون**).. قال ابن الأثير: "هم المتعمقون المغالون في الكلام، المتكلمون بأقصى حلوقهم؛ مأخوذ من النَّطْع وهو الغار الأعلى من الفم، ثم استعمل في كل متعمِّق قولاً وفعلاً". [٤]

وقوله: (**هلك المتنطعون**).. لأن التنطّع في الأقوال والأفعال يؤدي إلى الإعجاب بالنفس أو الكِبْر؛ فيكون ذلك سببًا في هلاكه بالخسران في الآخرة.

جاء في مسائل المصنِّف: "الأولى: أن من فهم هذا الباب وبابين بعده؛ تبين له غربة الإسلام،

---

(١) انظر: الاستغاثة في الرد على البكري (ص: ٢٠٧).

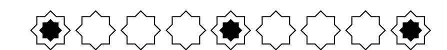
(٢) شرح كتاب التوحيد لابن باز (ص ٦١).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٣٢٨).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٧٤).

ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب" ا.هـ

وهذا حقّ، فلا تجد بلدًا مسلمًا إلا وفيه غلو في قبور الصالحين، وقد يكون ليس قبر رجل صالح، مثل قبر الحسين بن علي - رضي الله عنهما - فأهل العراق يقولون عندنا، وأهل الشام يقولون عندنا، وأهل مصر يقولون عندنا، وبعضهم يقول في المغرب...[١]



(١) انظر: القول المفيد (١/ ٣٧٨).

الباب التاسع عشر: بَابُ مَا جَاءَ مِن اَلتَّغْلِيظِ فِيمَنْ عَبَدَ اَللَّهَ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ، فَكَيْفَ إِذَا عَبَدَهُ؟!

فِي اَلصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها -: أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اَللَّهِ ﷺ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ اَلْحَبَشَةِ، وَمَا فِيهَا مِنْ اَلصُّوَرِ، فَقَالَ: (أُولَئِكِ إِذَا مَاتَ فِيهِمْ اَلرَّجُلُ اَلصَّالِحُ أَوْ اَلْعَبْدُ اَلصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ اَلصُّوَرَ، أُولَئِكِ شِرَارُ اَلْخَلْقِ عِنْدَ اَللَّهِ). فَهَؤُلاءِ جَمَعُوا بَيْنَ اَلْفِتْنَتَيْنِ: فِتْنَةَ اَلْقُبُورِ، وَفِتْنَةَ اَلتَّمَاثِيلِ.

وَلَهُمَا عَنْهَا، قَالَتْ: لَمَّا نُزِلَ بِرَسُولِ اَللَّهِ ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اِغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا، فَقَالَ - وَهُوَ كَذَلِكَ -: (لَعْنَةُ اَللَّهِ عَلَى اَلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اِتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ)، يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا، وَلَوْلا ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا. أَخْرَجَاهُ.

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اَللَّهِ قَالَ: سَمِعْتُ اَلنَّبِيَّ ﷺ - قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ - وَهُوَ يَقُولُ: (إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اَللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ؛ فَإِنَّ اَللَّهَ قَدْ اِتَّخَذَنِي خَلِيلاً كَمَا اِتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلاً لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً، أَلا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، أَلا فَلا تَتَّخِذُوا اَلْقُبُورَ مَسَاجِدَ، فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ).

فَقَدْ نَهَى عَنْهُ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ لَعَنَ - وَهُوَ فِي اَلسِّيَاقِ - مَنْ فَعَلَهُ، وَالصَّلاةُ عِنْدَهَا مِنْ ذَلِكَ، وَإِنْ لَمْ يُبْنَ مَسْجِدٌ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهَا: "خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا"، فَإِنَّ اَلصَّحَابَةَ لَمْ يَكُونُوا لِيَبْنُوا حَوْلَ قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَكُلُّ مَوْضِعٍ قُصِدَتِ اَلصَّلاةُ فِيهِ، فَقَدِ اُتُّخِذَ مَسْجِدًا، بَلْ كُلُّ مَوْضِعٍ يُصَلَّى فِيهِ يُسَمَّى مَسْجِدًا، كَمَا قَالَ ﷺ: (جُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا).

وَلأحمد بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنْ اِبْنِ مَسْعُودٍ ﷺ - مَرْفُوعًا -: (إِنَّ مِنْ شِرَارِ اَلنَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمْ اَلسَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ اَلْقُبُورَ مَسَاجِدَ). وَرَوَاهُ أَبُو حَاتِمٍ فِي صَحِيحِهِ.

الشرح:

١٩ – بَابُ مَا جَاءَ من اَلتَّغْلِيظِ فِيمَنْ عَبَدَ اَللَّهَ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ، فَكَيْفَ إذا عَبَدَهُ؟!

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

لَمّا ذكر في الباب السابق أن الغلوَّ في الصالحين سبب كفر بني آدم ذكر في هذا الباب الغلو في قبورهم؛ لأنه نوع من الغلو فيهم.

خلاصة الباب:

التحذير من وسائل الشرك، وأعظمِها الافتتان بأصحاب القبور.

قوله: باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح..

صورة ذلك: أن يأتي آت إلى قبر رجل صالح فيتحرى ذلك المكان؛ كي يعبد الله وحده دون ما سواه بأي نوع من أنواع العبادة؛ رجاء بركة هذه البقعة.. فهذا العمل جاء فيه تغليظ ووعيد.

وما جاء في الباب من التغليظ:

١- أنه ﷺ سمى من فعل ذلك شرار الخلق عند الله.

٢- أنه ﷺ لعن من فعل ذلك.

٣- أنه ﷺ نهى نهيًا صريحًا عن اتخاذ القبور مساجد.

ما يُفعل عند القبور نوعان:

١- مشروع.. زيارتُها من غير شدِّ رحل لتَذكرِ الآخرة (محسن لنفسه)، وللدعاء لأهلها (محسن لغيره).

٢- ممنوع.. وهو نوعان:

أ- محرّم ووسيلة للشرك.. كالصلاة عندها والتمسح بها، والتوسل إلى الله بأهلها (من غير عبادة أهلها).

ب- شرك أكبر.. كدعاء أهل القبور والاستغاثة بهم، وطلب الحوائج الدنيوية والأخروية منهم...

قال السعدي (رحمه الله):

"فعليك بهذا التفصيل الذي يحصل به الفرقان في هذا الباب المهم، الذي حصل به من

الاضطراب والفتنة ما حصل، ولم ينجُ من فتنته إلا من عرف الحق واتَّبَعه".[١]

صور اتخاذ القبور مساجد:

١- الصلاة إليها (أي جعلها قبلة).. قال رسول الله ﷺ: (لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها) رواه مسلم.

٢- الصلاة عندها (وإن لم يُبْن مسجد).. قال ﷺ: (جُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا) متفق عليه، أي كل مكان يُصلى فيه يُسمى مسجدًا.

٣- بناء المساجد عليها.. يدل عليه أحاديث الباب.

مسألة: حكم الصلاة في مسجد فيه قبر؟

الراجح أنه لا تصح الصلاة في هذا المسجد مطلقًا سواءً القبر في قبلته أم لا.

قال ابن باز: "إذا كان في المسجد قبر فالصلاة غير صحيحة، سواء كان خلف المصلين، أو أمامهم، أو عن أيمانهم، أو عن شمائلهم".. ا.هـ[٢]. وفرّق بعضهم بين ما كان في قبلة المسجد وما ليس في قبلته.

وقد أفتت اللجنة الدائمة: "أنه لا يجوز الصلاة في مسجد فيه قبر، سواء كان المسجد أولاً، أو القبر".[٣]

وذكر الشيخ سليمان بن عبدالله: أن الصلاة لا تنعقد أصلاً.[٤]

فِي اَلصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ – رضي الله عنها –: أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اَللَّهِ ﷺ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ اَلْحَبَشَةِ، وَمَا فِيهَا مِنْ اَلصُّوَرِ، فَقَالَ: (أُولَئِكِ إذا مَاتَ فِيهِمْ اَلرَّجُلُ اَلصَّالِحُ أَوْ اَلْعَبْدُ اَلصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَى... الحديث.

قوله: في "الصحيح".. أي في "الصحيحين".

الشاهد: أن النبي ﷺ وصف من بنوا المسجد على القبر وصوّروا فيه صور العبد الصالح ليعبدوا الله بأنهم شرار الخلق.

---

(١) القول السديد (ص: ٩٦).

(٢) تحفة الإخوان بأجوبة مهمة تتعلق بأركان الإسلام (ص: ٦٨).

(٣) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة – ١ (١/ ٤٠٨).

(٤) تيسير العزيز الحميد (ص: ٢٧٤).

قوله: (**أن أم سلمة**).. هي هند بنت أبي أمية القرشية المخزومية؛ تزوجها ﷺ بعد أبي سلمة سنة ٤هـ، وكانت قد هاجرت مع أبي سلمة إلى الحبشة، وهي آخر زوجات النبي ﷺ موتًا، ماتت سنة ٦٢هـ.

وفي رواية أخرى في الصحيحين: أن أم حبيبة، وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير...

قوله: (**ذكرت لرسول الله ﷺ**).. في مرض موته ﷺ، كما جاء مبينًا في رواية البخاري.

قوله: (**كَنِيسة**).. معبد النصارى.. في رواية البخاري يقال: لها ماريَة.

قوله: (**أولئكِ**).. بكسر الكاف خطاب لأم سلمة، ويجوز فتحها باعتبار الجنس، والكسر أشهر..

قوله: (**إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح**).. شكٌّ من بعض رواة الحديث.

قوله: (**بنوا على قبره مسجدًا**).. أي: موضعًا للعبادة، وإن لم يسمَّ مسجدًا كالكنائس والمشاهد.

قوله: (**أولئك شرار الخلق عند الله**).. لأن عملهم هذا وسيلة إلى الشرك.

قوله: (**فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين... إلى آخره**).. هذا من كلام شيخ الإسلام، ذكره المصنف عنه، وقد قاله شيخ الإسلام في اقتضاء الصراط المستقيم بلفظ: "فجمع بين التماثيل والقبور".

وَلَهُمَا عَنْهَا، قَالَتْ: لَمَّا نُزِلَ بِرَسُولِ اَللَّهِ ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذا اِغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا، فَقَالَ – وَهُوَ كَذَلِكَ –: (لَعْنَةُ اَللَّهِ عَلَى اَلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اِتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ... الحديث.

في تيسير العزيز الحميد: هكذا ثبت في أول هذا الحديث "ولهما" وفي آخره: "أخرجاه" بخط المصنف، وأحد اللفظين يغني عن الآخر، لأن المراد صاحبا "الصحيحين".

الشاهد: أنه ﷺ خشي وهو في سكرات الموت أن يُتّخذ قبره مسجدًا، فلعن من فعل ذلك وهم اليهود والنصارى؛ لكي نحذر من أن نشابههم.

قوله: (**لما نُزِل**).. أي: نزل به ملك الموت لقبض روحه.

قوله: (**طفق**).. بكسر الفاء وفتحها والكسر أفصح، وبه جاء القرآن.. ومعناه: جعل.

قوله: (**يطرح خَميصة**).. الخميصة كساء له أعلام.

قوله: (**فإذا اغتم بها كشفها**).. أي: إذا احتبس نفسه عن الخروج كشفها عن وجهه.

قوله: "**يحذِّر ما صنعوا**".. الظاهر أن هذا من كلام عائشة رضي الله عنها.

قوله: (**ولولا ذاك**).. أي: لولا تحذير النبي ﷺ ما صنعوا ولعن من فعل ذلك.

قوله: (**لأبرز قبره**).. أي: لدفن خارج بيته.. والمعنى أن سبب دفنه ﷺ في حجرته وعدم إبراز قبره خارج بيته هو خشية الصحابة أن يتّخذ الناس قبره مسجدًا. وهذا دليل على العمل بسدّ الذرائع.

قوله: (**غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا**).. (خشي) فيها روايتان:

١- فتح الخاء.. وتقتضي أن النبي ﷺ هو الذي خشي ذلك..

٢- ضمّ الخاء.. وتقتضي أن الذي وقعت منه الخشية هم الصحابة.. وهذا أظهر.

وَلِمُسْلِمٍ، عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اَللَّهِ قَالَ: سَمِعْتُ اَلنَّبِيَّ ﷺ - قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ - وَهُوَ يَقُولُ: (إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اَللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ... الحديث.

الشاهد: أنه ﷺ نهى نهيًا صريحًا عن اتخاذ القبور مساجد.

قوله: "**عن جندب بن عبد الله**"، أي: ابن سفيان البجلي أبو عبد الله، صحابي مات بعد الستين.

قوله: (**إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل**).. الخليل: هو المحبوب غاية المحبة..

قال القرطبي (رحمه الله): "قد امتلأ بما تخلله من محبة الله تعالى وتعظيمه فلا يتسع لمخالة غيره".[1]

قوله: (**فإن الله قد اتخذني خليلاً**).. دليل صريح على أن محمدًا ﷺ خليل الرحمن.

والفرق بين الخلة والمحبة: ان الخُلّة لا تقبل الاشتراك بخلاف المحبّة.

قوله: "**ولو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلاً**".. فيه دليل على أن الصِّدِّيق رضي الله عنه أفضل الصحابة..

---

(١) المفهم في شرح مسلم (٥/٦٠)

قوله: (**ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد**).. قال ابن باز: "وفي مسلم: (أنبيائهم، وصالحيهم مساجد) وسقطت لأنه نقلها من اقتضاء الصراط المستقيم، وقد سقطت من هناك."(١)

قوله: (**فقد نهى عنه في آخر حياته... إلخ**).. قال ابن قاسم في حاشيته: "هذا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية على الحديث ، أدرجه المصنف – رحمهما الله تعالى – غير منسوب؛ لأنه معلوم عند غالب من يقرأ هذا الكلام" ا.هـ

ومراد شيخ الإسلام: أنّ من صلّى إلى القبور أو صلّى عندها فقد اتخذها مسجدًا ملعون من فعله.

وقوله: (**نهى عنه في آخر حياته**).. أي: نهى عن اتخاذ القبور مساجد قبل أن يموت بخمس كما في حديث جندب.

قوله: (**ثم إنه لعن – وهو في السياق – من فعله**).. أي: في سياق الموت، كما في حديث عائشة – رضي الله عنها –.

وَلأحمد بِسَنَدٍ جَيِّدٍ، عَنْ اِبْنِ مَسْعُودٍ ﷺ – مَرْفُوعًا –: (إِنَّ مِنْ شِرَارِ اَلنَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمْ اَلسَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَاَلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ اَلْقُبُورَ مَسَاجِدَ). وَرَوَاهُ أبو حَاتِمٍ فِي صَحِيحِهِ.

درجة الحديث: الحديث رواه أيضًا ابن خزيمة في صحيحه.. وهو صحيح بشواهده صحّحه الذهبي وغيره.. وروى البخاري أوّله معلّقًا بصيغة الجزم.

الشاهد: أن النبي ﷺ وصف الذين يتخذون القبور مساجد بأنهم من شرار الناس.

قوله: (**من تدركهم الساعة وهم أحياء**).. لأن الله سبحانه يقبض أرواح المؤمنين قبل قيام الساعة.. قال ﷺ: (ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشأم، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته) رواه مسلم(٢).

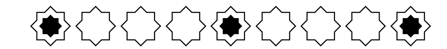
---

(١) شرح كتاب التوحيد لابن باز (ص ٦٥).

(٢) والحديث كاملاً: عن عبد الله بن عمرو ب قال: قال رسول الله ﷺ: (يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين – لا أدري: أربعين يوما، أو أربعين شهرا، أو أربعين عاما – فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود، فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين، ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشأم، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه، حتى تقبضه، فيبقى

قوله: (والذين يتخذون القبور مساجد).. أي: إن من شرار الناس الذين يتخذون القبور مساجد، بالصلاة عندها وإليها، وبناء المساجد عليها.

في تيسير العزيز الحميد: "فأبى عبّاد القبور إلا الضرب بهذه الأحاديث الجدار ونبذها وراء الظهر، أو الدفع في صدورها وأعجازها بحمل ذلك على غير قبور الأنبياء والصالحين، أما قبورهم فتجوز الصلاة إليها وعندها، وبناء المساجد والقباب عليها رجاء أن تصل إليهم العواطف الروحانية، ولا ريب أن هذا مراغمة ومحادة لله ورسوله.." ا.هـ



شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع، لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا، فيتمثل لهم الشيطان، فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دارٌّ رزقهم، حسنٌ عيشهم، ثم يُنفخ في الصور، فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا، قال: وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله، قال: فيُصعق، ويصعق الناس، ثم يرسل الله – أو قال ينزل الله – مطرا كأنه الطل أو الظل – نعمان الشاك – فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى، فإذا هم قيام ينظرون، ثم يقال: يا أيها الناس هلم إلى ربكم، وقفوهم إنهم مسئولون، قال: ثم يقال: أخرجوا بعث النار، فيقال: من كم؟ فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، قال: فذاك يوم يجعل الولدان شيبا، وذلك يوم يكشف عن ساق) رواه مسلم.

الباب العشرون: بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ اَلْغُلُوَّ فِي قُبُورِ اَلصَّالِحِينَ يُصَيِّرُهَا أَوْثَانًا تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اَللَّهِ

رَوَى مَالِكٌ فِي اَلْمُوَطَّأِ: أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: (اَللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ، اِشْتَدَّ غَضَبُ اَللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اِتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ).

وَلابْنِ جَرِيرٍ بِسَنَدِهِ عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: ((أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ))، قَالَ: "كَانَ يَلُتُّ لَهُمْ اَلسَّوِيقَ، فَمَاتَ، فَعَكَفُوا عَلَى قَبْرِهِ".

وَكَذَا قَالَ أَبُو اَلْجَوْزَاءِ عَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ: "كَانَ يَلُتُّ اَلسَّوِيقَ لِلْحَاجِّ".

وَعَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – قَالَ: "لَعَنَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ زَائِرَاتِ اَلْقُبُورِ، وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا اَلْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ". رَوَاهُ أَهْلُ اَلسُّنَنِ.

الشرح:

٢٠ – بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ اَلْغُلُوَّ فِي قُبُورِ اَلصَّالِحِينَ يُصَيِّرُهَا أَوْثَانًا تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اَللَّهِ

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

الباب السابق في التحذير من الغلوِّ في قبور الصالحين، وهذا الباب بيان نتيجة الغلو فيها.

خلاصة الباب:

أن نتيجة الغلو في قبور الصالحين بزيادة تعظيمها هو عبادتها من دون الله.

في تيسير العزيز الحميد: أراد المصنف رحمه الله بهذه الترجمة أمورًا:

الأول: التحذير من الغلو في قبور الصالحين..

الثاني: أن الغلو فيها يؤول إلى عبادتها.

الثالث: أنها إذا عبدت سميت أوثانًا ولو كانت قبور الصالحين..

الرابع: التنبيه على العلة في المنع من البناء عليها واتخاذها مساجد..

قوله: "يُصيِّرها أوثانًا".. الأوثان جمع وثن، وهو ما عُبد من دون الله من قبر، أو شجر، أو حجر، أو بقاع، أو غير ذلك.. أما الصنم فهو: ما عُبد من دون الله وهو على صورة إنسان أو حيوان.. وقد يراد بالصنم الوثن، والعكس.. إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا.

رَوَى مَالِكٌ فِي اَلْمُوَطَّأِ: أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: (اَللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ، اِشْتَدَّ غَضَبُ اَللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اِتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ).

درجة الحديث: رواه مالك مرسلاً عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ قاله.. وله شاهد عند أحمد من طريق سفيان عن حمزة ابن المغيرة عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة رفعه: (اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد، لعن الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد).. حسّنه ابن حجر، وقال الألباني: وقد صح موصولاً من حديث أبي هريرة.

قوله: (اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد).. قد استجاب الله دعاء رسوله ﷺ.. قال ابن القيم في نونيّته:

ودعا بأن لا يجعل القبر الذي... قد ضمّه وثناً من الأوثـانِ.

فأجاب رب العالمين دعــاءه... وأحاطه بثلاثة من الجدرانِ.

حتى غدت أرجاؤه بدعائـــه... في عِزّةٍ وحمايــــةٍ وصِيَانِ.

في تيسير العزيز الحميد: "ويؤخذ من الحديث المنع من تتبع آثار الأنبياء والصالحين كقبورهم ومجالسهم، ومواضع صلاتهم للصلاة.. ولا نعلم أحدًا أجازه أو فعله إلا ابن عمر على وجه غير معروف عند عباد القبور، وهو إرادة التشبه برسول الله ﷺ في الصلاة فيما صلى فيه ونحو ذلك. ومع ذلك فلا نعلم أحدا وافقه عليه من الصحابة، بل خالفه أبوه وغيره، لئلا يفضي ذلك إلى اتخاذها أوثانا كما وقع.. قال ابن وضاح: سمعت عيسى بن يونس يقول: أمر عمر بن الخطاب بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي ﷺ فقطعها، لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها، فخاف عليهم الفتنة" ا.هـ

مسألة: قد يستدل عُبّاد القبور بقبر النبي ﷺ بأنه داخل مسجده؟

الجواب في نقاط:

الأولى: أنه ﷺ لم يُدفن في المسجد.

الثانية: أن المسجد لم يُبنَ على قبره.

الثالثة: أن إدخال القبر في المسجد (عام ٩٤هـ تقريبًا) ليس باتفاق الصحابة، بل عارضه علماء التابعين كسعيد بن المسيب رحمه الله.

الرابعة: أن القبر ليس في المسجد حتى بعد إدخاله؛ لأنه في حجرة مستقلّة عن المسجد..

وقد كانت الجدران التي تحيط بالحجرة مثلثة؛ لئلا يُستقبل القبر عند الصلاة.. قال ابن القيم في نونيته: وأحاطه بثلاثة من الجدرانِ.. ثم تمّ إدخال الحجرة تمامًا في المسجد، والمصلين يحيطون بها من كل جانب وذلك في زمن الدولة العثمانية.. ولَمّا قامت دولة التوحيد حرسها الله منعت الصلاة في البقعة الشرقية بعد الحجرة، وعندما تمّت التوسعة الأخيرة لم يوسِّعوا من الجهة الشرقية من جهة القبر، ورجعوا كثيرًا عن القبر.

مسألة:

بناء القبة الخضراء على قبره ﷺ هل تدل على أن السكوت عنها يدل على الجواز؟

قال الصنعاني (رحمه الله): "فإن قلت: هذا قبر رسول الله قد عمرت عليه قبة عظيمة، أنفقت فيها الأموال. قلت: هذا جهل عظيم بحقيقة الحال، فإن هذه القبة ليس بناؤها منه، ولا من الصحابة، ولا من تابعيهم، ولا تابعي التابعين، ولا من علماء أمته ، وأئمة ملته، بل هذه القبة

المعمولة على قبره ﷺ، من أبنية بعض ملوك مصر المتأخرين، وهو قلاوون الصالحي ، المعروف بالملك المنصور في سنة ٦٧٨هـ" ا.هـ(١)

وأما السكوت عنها إلى الآن فمن باب درأ المفاسد؛ لأن إزالتها ينبني عليه ضررٌ عظيم لغربة الدين الحق في هذه الأزمنة المتأخرة. والله المستعان.

وَلابْنِ جَرِيرٍ بِسَنَدِهِ عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: ((أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ))، قَالَ: كَانَ يَلُتُّ لَهُمْ اَلسَّوِيقَ، فَمَاتَ، فَعَكَفُوا عَلَى قَبْرِهِ.. وَكَذَا قَالَ أبو اَلْجَوْزَاءِ، عَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ: "كَانَ يَلُتُّ اَلسَّوِيقَ لِلْحَاجِّ".

الشاهد: أن نتيجة غلوِّهم في اللاتّ صار إلهًا يُعبد من دون الله.

قوله: (**ولابن جرير**).. هو الإمام الحافظ محمد بن جرير بن يزيد الطبري صاحب "التفسير" و"التاريخ" وغيرهما.

قوله: (**عن سفيان**).. إما ابن عيينة، وإما الثوري وهو الأظهر..

قوله: (**عن منصور**).. هو ابن المعتمر بن عبد الله السلمي أبو عتّاب الكوفي.

قوله: (**عن مجاهد**).. ابن جبر التابعي الجليل، من أكبر تلاميذ عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

قوله: "كان يَلُتُّ السويق للحاج".. لتّ السويق(٢): خلطه بسمن ونحوه. وقد قيل: إن اسم الرجل صُرمة بن غَنْم، وعن ابن عباس: كان يلت السويق على الحجر فلا يشرب منه أحد إلا سمن فعبدوه، رواه ابن أبي حاتم.

قوله: (**وكذا قال أبو الجوزاء... إلى آخره**).. هو أوس بن عبد الله الرَّبَعي، ثقة مشهور.

وهذا الأثر ذكره المصنف ولم يعزه، وقد رواه البخاري..

وَعَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – قَالَ: "لَعَنَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ زَائِرَاتِ اَلْقُبُورِ، وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا اَلْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ". رَوَاهُ أَهْلُ اَلسُّنَنِ.

درجة الحديث: رواه أصحاب السنن، حسّنه الترمذي، وضعّفه الألباني، وحسّنه برواية

(١) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (٨٤/١).

(٢) السوِيق: طعامٌ يُتَّخَذ من مدقوق الحنطةِ والشعير: سُمِّي بذلك لانسياقه في الحلق. والجمع: أسْوِقَةٌ.

(زوّارات).[1]

الشاهد: أن رسول الله ﷺ لعن الغالين في القبور، ومن ذلك الغلو اتخاذ المساجد عليها والسرج.

وقد قرن بين زائرات القبور، وبين المتخذين عليها المساجد والسرج؛ لأن زيارة المرأة للقبور قد يجعلها تغلو فيها.

قوله: "لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور"..

مسألة: حكم زيارة النساء للقبور؟

ق١: مستحبة.. الحنفية، والمالكية، ورواية للحنابلة.. واختاره الألباني.

لعموم حديث: (نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها[2] رواه مسلم، ولحديث عائشة – رضي الله عنها –: قالت: قلت: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال: (قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون) رواه مسلم.. واللعن المذكور في الحديث إنما هو للمكثرات من الزيارة؛ لضعف رواية (زائرات).

ق٢: مكروهة.. الشافعية والحنابلة في المشهور.

لحديث أم عطية – رضي الله عنها –: (نُهينا عن اتباع الجنائز ولم يُعزم علينا) متفق عليه.

ق٣: محرّمة.. اختيار شيخ الإسلام وابن باز وابن عثيمين.

لحديث الباب، ولدرأ المفاسد.

قوله: (والسُّرُج).. أي توقد عليها السُّرُج ليلاً ونهارًا تعظيمًا وغلوًّا فيها.[3]

قوله: (رواه أهل "السنن").. في تيسير العزيز الحميد: "يعني هنا أبا داود، وابن ماجه، والترمذي فقط، ولم يروه النسائي" ا.هـ.. والصحيح أن النسائي رواه أيضًا في السنن الصغرى.



(١) والحديث من طريق أبي هريرة، وابن عباس، وحسان بن ثابت: (لعن رسول الله ﷺ زوّارات القبور) رواه الترمذي وابن ماجه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) عند أصحاب السنن زيادة: (فإنها تذكر الآخرة) وهي زيادة صحيحة.

(٣) ويُلحق بالسّرج الإنارة الليلية، إذا قُصد التعظيم.. لذا تُمنع مطلقًا سدًّا للذريعة.. اختاره ابن عثيمين.

الباب الحادي والعشرون: بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ اَلْمُصْطَفَى ﷺ جَنَابَ اَلتَّوْحِيدِ، وَسَدِّهِ كُلَّ طَرِيقٍ يُوَصِّلُ إِلَى اَلشِّرْكِ

وَقَوْلِ اَللَّهِ تَعَالَى: ((لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ...)) الآية.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: (لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّ صَلاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ). رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ وَرُوَاتُهُ ثِقَاتٌ.

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ اَلْحُسَيْنِ: أَنَّهُ رَأَى رَجُلاً يَجِيءُ إِلَى فُرْجَةٍ كَانَتْ عِنْدَ قَبْرِ اَلنَّبِيِّ ﷺ فَيَدْخُلُ فِيهَا فَيَدْعُو، فنَهَاهُ، وَقَالَ: أَلا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي، عَنْ جَدِّي، عَنْ رَسُولِ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: (لا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ تَسْلِيمَكُمْ يَبْلُغُنِي أَيْنَ كُنْتُمْ). رَوَاهُ فِي اَلْمُخْتَارَةِ.

الشرح:

٢١ – بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ اَلْمُصْطَفَى ﷺ جَنَابَ اَلتَّوْحِيدِ، وَسَدِّهِ كُلَّ طَرِيقٍ يُوَصِّلُ إِلَى اَلشِّرْكِ

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

الذي قبله لبيان أن الغلو (بالأفعال) في قبور الصالحين عمومًا يوصل إلى عبادتها، وهذا الباب يبيّن أن المصطفى ﷺ حذّر أشد التحذير من الغلو (بالأفعال) في قبره خاصة؛ لأنه ﷺ أعظم الصالحين والفتنة بقبره أشد.(١)

خلاصة الباب:

أنه ﷺ حريص على أمته، ومن حرصه عليهم أنه حذّر أمته من الغلو في قبره خاصة وفي القبور عامة.

ومن مظاهر الغلو في قبره ﷺ:

١– شدّ الرحال بقصد زيارته.. في "الصحيحين" عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: (لا تُشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى).. وفي "الموطأ" و"السنن" عن بصرة بن أبي بصرة الغفاري أنه قال لأبي هريرة وقد أقبل من الطور: لو أدركتك قبل أن تخرج إليه لما خرجت سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا تُعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى).. وروى الإمام أحمد بإسناد جيد عن قَزَعة قال: أتيت ابن عمر فقلت: "إني أريد الطور. فقال: إنما تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد المدينة، والمسجد الأقصى، فدع عنك الطور فلا تأته".

٢– زيارة قبره في أوقات محدّدة، وبصفة معيّنة.

٣– الإكثار من زيارة قبره.

٤– تحري الدعاء عند قبره.

قوله: (حماية المصطفى جناب التوحيد): الجناب هو الجانب.. والمعنى: حماية حدود التوحيد

---

(١) في الوجيز: "في آخر الكتاب يذكر المصنف باباً شبيهاً بهذا الباب إلا أنه يتعلق بالأقوال ، لأن الأبواب قبله تتعلق بالأقوال، وهذا الباب يتعلق بالأفعال، لأن الأبواب قبله تتعلق بالأفعال، وهذا من حسن تصنيف المؤلف رحمه الله".

من الشرك.

وَقَوْلِ اَللَّهِ تَعَالَى: ((لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ...)) الآية.

الشاهد: بيان حرصه وشفقته ﷺ على أمته.

معنى الآية: خطاب للمسلمين عمومًا[1] وللعرب خصوصًا، بأنه جاءهم رسول منهم يشقُّ عليه ما يضرهم.

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في الهوى إلا وهو يذكر لنا منه علمًا. وقال: (ما بقي شيء يقرّب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بينته لكم) رواه الطبراني بإسناد جيد.

وروى مسلم في "صحيحه" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مثلي كمثل رجل استوقد نارًا فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي في النار يقعن فيها، وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها). قال: (فذلك مثلي ومثلكم، أنا آخذ بحجزكم عن النار، هَلُمَّ عن النار، هَلُمَّ عن النار، فتغلبونني وتَقَحَّمون فيها).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: (لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّ صَلاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ). رَوَاهُ أبو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ وَرُوَاتُهُ ثِقَاتٌ.

درجة الحديث: رواته ثقات مشاهير إلا عبد الله بن نافع الصائغ فيه لين لا يمنع الاحتجاج به. قال ابن معين: هو ثقة، وقال أبو زرعة: لا بأس به. وقال أبو حاتم الرازي: ليس بالحافظ تعرف وتنكر".[2] قال شيخ الإسلام: "وهذا إسناد حسن، فإن رواته كلهم ثقات مشاهير، لكن عبد الله بن نافع الصائغ الفقيه المدني صاحب مالك فيه لين لا يقدح في حديثه".[3]، والحديث صحّحه الألباني وغيره.

---

(١) رجّح العموم ابن عثيمين (رحمه الله)؛ لأنه في الآية قال (من أنفسكم)، وإذا جاءت (من أنفسهم) فالمراد عموم الأمة، وإذا جاءت (منهم) فالمراد العرب.

(٢) ذكر أقوالهم ابن حجر في تهذيب التهذيب (٦/ ٥١).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٧٠).

الشاهد: تحذيره ﷺ لأمته من جعل قبره عيدًا، يعتادون زيارته في أوقات محدّدة؛ لأن ذلك يوصل إلى الغلو فيه.

قوله: (**لا تجعلوا بيوتكم قبورا**).. قال شيخ الإسلام: "أي لا تعطّلوها من الصلاة فيها والدعاء والقراءة فتكون بمنْزلة القبور" ا.هـ[1]

في "الصحيحين" عن ابن عمر مرفوعا: (اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبورا).

قوله: (**ولا تجعلوا قبري عيدًا**).. قال شيخ الإسلام: "العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد، عائدًا إما بعود السنة أو بعود الأسبوع أو الشهر ونحو ذلك وتقدم ذلك" ا.هـ[2]

ومعنى الحديث نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص، واجتماع معهود كالعيد الذي يكون على وجه مخصوص، في زمان مخصوص.. **ليس كما قال بعضهم:** "هذا أمر بملازمة قبره والعكوف عنده واعتياد قصده وانتيابه، ونهى أن يجعل كالعيد الذي إنما يكون في العام مرة أو مرتين، فكأنه قال: لا تجعلوه كالعيد الذي يكون من الحول إلى الحول، واقصدوه كل ساعة وكل وقت".

قال ابن القيم (رحمه الله): "وهذا مراغمة ومحادّة ومناقضة لما قصده الرسول ﷺ وقلب للحقائق، ونسبة الرسول ﷺ إلى التلبيس والتدليس بعد التناقض" ا.هـ[3]

قوله: (**وصلُّوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**).. عن أبي هريرة مرفوعًا: (ما من أحد يسلِّم عَلَيَّ إلا رد الله عَلَيَّ روحي حتى أرد عليه السلام) رواه أبو داود وحسّنه الألباني..

وعن أوس بن أوس مرفوعًا: (أكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة وليلة الجمعة فإن صلاتكم معروضة علي) قالوا: يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرِمْت؟ قال: (إن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء) رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه.. وصحّحه الألباني.

فهذه الأحاديث وغيرها تدل على أن صلاتنا عليه تبلغه سواء كنا عند قبره أو لم نكن، فلا مزية لمن سلم عليه أو صلى عند قبره.. كما قال الحسن بن الحسن: "ما أنتم ومن بالأندلس إلا

---

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى (١/ ٢١).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٤٩٦).

(٣) إغاثة اللهفان (١/ ١٩٢).

سواء".[1]

وأما حديث: (من صلى عليّ عند قبري سمعتُه، ومن صلى علي غائبًا بُلِّغتُه) رواه البيهقي، وغيره.. حديث ضعيف أو موضوع لا يُحتجّ به.. فيه محمد بن مروان السُّدِّي الصغير، قال فيه يحيى بن معين: "ليس بثقة"، وقال النسائي: "متروك الحديث".. قال شيخ الإسلام: "إنما يرويه محمد بن مروان السدي عن الأعمش، وهو كذّاب بالاتفاق، وهذا الحديث موضوع على الأعمش بإجماعهم".[2]

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ اَلْحُسَيْنِ: أَنَّهُ رَأَى رَجُلاً يَجِيءُ إِلَى فُرْجَةٍ كَانَتْ عِنْدَ قَبْرِ اَلنَّبِيِّ ﷺ فَيَدْخُلُ فِيهَا فَيَدْعُو، فَنَهَاهُ، وَقَالَ: أَلا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي، عَنْ جَدِّي.... الحديث.

درجة الحديث: الحديث في المختارة، وحسّنه السخاوي، وصحّحه الألباني..

قوله: (عن علي بن الحسين).. أي: ابن علي بن أبي طالب المعروف بزين العابدين رضي الله عنه، وهو أفضل التابعين من أهل بيته وأعلمهم.. قال الزهري: "ما رأيت قرشيًّا أفضل منه".[3]

الشاهد: تحذيره ﷺ لأمته من جعل قبره عيدًا، يعتادون زيارته في أوقات محدّدة؛ لأن ذلك يوصل إلى الغلو فيه[4].

قال شيخ الإسلام: "وكره مالك لأهل المدينة كلما دخل إنسان المسجد أن يأتي قبر النبي ﷺ؛ لأن السلف لم يكونوا يفعلون ذلك، وقال مالك (رحمه الله): ولن يُصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، بل كان الصحابة والتابعون يأتون إلى مسجده ﷺ فيصلون خلف أبي بكر وعمر وعثمان وعلي (رضي الله عنهم)، ثم إذا قضوا الصلاة قعدوا، أو خرجوا ولم يكونوا يأتون القبر للسلام، لعلمهم أن الصلاة والسلام عليه في الصلاة أكمل وأفضل وهي المشروعة. وأما دخولهم عند قبره للصلاة والسلام عليه هناك، أو الصلاة والدعاء فإنه لم يشرعه لهم بل

---

(١) عزا هذا القول شيخ الإسلام لسعيد بن منصور في سننه. انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٣٣٩).. والحسن هو ابن الحسن بن علي بن أبي طالب.

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٢٤١).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٨٧).

(٤) قال شيخ الإسلام: "فانظر كيف هذه السنة كيف مخرجها من أهل المدينة وأهل البيت الذين لهم من رسول الله ﷺ قرب النسب وقرب الدار، لأنهم إلى ذلك أحوج من غيرهم، فكانوا أضبط" ا.هـ. اقتضاء الصراط المستقيم (٢/١٧٦).

نهاهم... وكان ابن عمر يسلم عليه ثم ينصرف، لا يقف لا لدعاء له ولا لنفسه، ولهذا كره مالك ما زاد على فعل ابن عمر من وقوف له أو لنفسه؛ لأن ذلك لم ينقل عن أحد من الصحابة فكان بدعة محضة... وابن عمر كان يسلم ثم ينصرف ولا يقف، يقول: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبت ثم ينصرف، ولم يكن جمهور الصحابة يفعلون كما فعل ابن عمر، بل كان الخلفاء وغيرهم يسافرون للحج وغيره ويرجعون ولا يفعلون ذلك، إذ لم يكن هذا عندهم سنة سنها لهم. وكذلك أزواجه كن على عهد الخلفاء وبعدهم يسافرون إلى الحج ثم ترجع كل واحدة إلى بيتها كما وصّاهن بذلك..." ا.هـ(١)

في تيسير العزيز الحميد: "قال عبيد الله بن عمر: ما نعلم أحدًا من أصحاب النبي ﷺ فعل ذلك إلا ابن عمر".

شُبْهة:

روى القاضي عياض بإسناده عن مالك في قصته مع المنصور وأنه قال لمالك: يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله ﷺ؟ فقال: ولِمَ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله يوم القيامة، بل استقبله واستشفع به يشفعه الله فيك.(٢)

الجواب: قال شيخ الإسلام: "أربع علل تقدح في ثبوت هذه الحكاية من جهة الإسناد، كل واحدة منها كافية لردها: الأولى: الانقطاع بين محمد بن حميد وبين مالك.. والثانية: الطعن في عدالته فهو ضعيف من جهة عدالته بل رمي بالكذب من أئمة معتبرين.. والثالثة: تفرد هذا الرجل المطعون في عدالته بهذه الحكاية عن أصحاب مالك على كثرة عددهم وعدالتهم وملازمتهم لمالك.. والرابعة: جهالة بعض رواة هذه القصة..." ا.هـ(٣)

شُبْهة:

حديث: (من زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي) رواه الطبراني والبيهقي والدارقطني؟

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/٣٨٦).

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/٩٢).

(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (المقدمة/ ٢٨).

الجواب: قال شيخ الإسلام: "ولم يثبت عن النبي ﷺ حديث واحد في زيارة قبر مخصوص، ولا روى أحد في ذلك شيئًا، لا أهل الصحيح ولا السنن، ولا الأئمة المصنفون في المسند كالإمام أحمد وغيره. وإنما روى ذلك من جمع الموضوع وغيره، وأَجَلُّ حديث روي في ذلك ما رواه الدارقطني، وهو ضعيف باتفاق أهل العلم، بل الأحاديث المروية في زيارة قبره كقوله: (من زارني وزار أبي إبراهيم الخليل في عام واحد ضمنت له على الله الجنة)، و(من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي)، و(من حج ولم يزرني فقد جفاني) ونحو هذه الأحاديث، كلها مكذوبة موضوعة" ا.هـ[١]

شُبْهة:

يستدل بعضهم بجواز التوسل بالنبي ﷺ بعد موته بقصة ذكرها ابن كثير في تفسيره قال: وقد ذكر جماعة منهم الشيخ أبو منصور الصباغ في كتابه "الشامل" الحكاية المشهورة عن العُتْبي قال: "كنت جالسا عند قبر النبي ﷺ فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول: ((وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا)) وقد جئتك مستغفرا لذنبي مستشفعا بك إلى ربي ثم أنشأ يقول:

يا خير من دُفِنت بالقاع أعْظُمُهُ ... فطاب من طيبهن القاعُ والأَكَمُ
نفسي الفداءُ لقبرٍ أنت ساكنُهُ ... فيه العفافُ وفيه الجودُ والكـــرمُ

ثم انصرف الأعرابي فغلبتني عيني فرأيت النبي ﷺ في النوم فقال: يا عُتْبي اِلْحق الأعرابي فبشّره أن الله قد غفر له".

الجواب من وجوه:

أولاً: معنى الآية خاص بحياته ﷺ بدليل أن في الآية: ((وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ)) وهذا لا يكون بعد مماته..

ثانيًا: قصة العُتْبي ضعيفة السند.. قال الحافظ ابن عبدالهادي: "حكاية ذكرها بعض الفقهاء والمحدثين وليست بصحيحة ولا ثابتة إلى العُتْبي، وقد رويت عن غيره بإسناد مظلم".[٢]

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٢٩٦).

(٢) الصارم المنكي في الرد على السُبكي (١/٣٢١).. والقصة رواها البيهقي في شعب الإيمان قال: عن أبي يزيد الرقاشي عن محمد بن روح بن يزيد البصري: حدثني أيوب الهلالي قال: "حج أعرابي...القصة).. قال الألباني (رحمه الله): "وهذا

ثالثًا: أنّ ذِكْر العلماءِ لهذه القصة لا يدل على تأييدهم لها، فقد نقلها ابن كثير في تفسيره كما نقل الإسرائيليات، ونقلها النووي في كتابه الأذكار بدون سند ولم يعلّق عليها، ونقلها ابن قدامة في المغني بصيغة التمريض ولم يعلّق عليها.. ولو فرضنا تأييدهم لها فالعبرة بالدليل الصحيح.

رابعًا: أن التشريع وخاصة في أمور العقيدة لا يؤخذ من الرؤى والمنامات والقصص الضعيفة، هذا إن لم يُخالفها الكتاب والسنة، فما بالك وهي مخالفة للأحاديث الثابتة الصحيحة.. قال شيخ الإسلام: "واحتجوا بهذه الحكاية التي لا يثبت بها حكم شرعي، لا سيما في مثل هذا الأمر الذي لو كان مشروعا مندوبا: لكان الصحابة والتابعون أعلم به، وأعمل به من غيرهم...." ا.هـ(١)

قوله: رواه في "المختارة".. المختارة: كتاب جمع فيه مؤلفه الأحاديث الجياد الزائدة على "الصحيحين"، ومؤلفه هو أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي الحافظ ضياء الدين الحنبلي..

قال شيخ الإسلام: "تصحيح الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي في مختاره خير من تصحيح الحاكم، فكتابه في هذا الباب خير من كتاب الحاكم بلا ريب".(٢)



إسناد ضعيف مظلم، لم أعرف أيوب الهلالي ولا من دونه. وأبو يزيد الرقاشي أورده الذهبي في"المقتنى في سرد الكنى"(٢ / ١٥٥) ولم يسمه، وأشار إلى أنه لا يعرف بقوله: "حكى شيئا". وأرى أنه يشير إلى هذه الحكاية. وهي منكرة ظاهرة النكارة، وحسبك أنها تعود إلى أعرابي مجهول الهوية!". السلسلة الصحيحة (٦/ ١٠٣٥).

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/٢٨٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٤٢٦).

الباب الثاني والعشرون: بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الأمَّةِ يَعْبُدُ الأوْثَانَ

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ)).

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ((قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ)).

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ((قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا)).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: (لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ اَلْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ). قَالُوا: يَا رَسُولَ اَللَّهِ! اَلْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: (فَمَنْ؟). أَخْرَجَاهُ.

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ اَللَّهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زَوَى لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ اَلْكَنْزَيْنِ: الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي أَنْ لا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لأُمَّتِكَ أَنْ لا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوْ اِجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِيَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا).

وَرَوَاهُ الْبَرْقَانِيُّ فِي صَحِيحِهِ، وَزَادَ: (وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَّةَ اَلْمُضِلِّينَ، وَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمْ اَلسَّيْفُ لَمْ يُرْفَعْ إِلَى يَوْمِ اَلْقِيَامَةِ، وَلا تَقُومُ اَلسَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلاثُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ اَلنَّبِيِّينَ، لا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى اَلْحَقِّ مَنْصُورَةٌ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اَللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى).

الشرح:

٢٢ - بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الأُمَّةِ يَعْبُدُ الأَوْثَانَ

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

لَمّا بيّن (رحمه الله) في الأبواب السابقة مظاهر الشرك الذي وقع فيها الناس، أنكر ذلك البعض واستدلوا بأن هذه الأمة معصومة من الوقوع في الشرك، فأراد في هذا الباب أن يردّ عليهم بالأدلة.

خلاصة الباب:

ذكر الأدلة على أن بعض هذه الأمة سيعبد الأوثان.. فليسوا معصومين من ذلك.

أدلة القائلين بأن هذه الأمة لا يمكن أن تقع في الشرك:

١- أن من قال لا إله إلا الله فلا يقع منه الشرك.

٢- حديث جابر ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم) رواه مسلم.

وأدلة الباب ترد على هذه الأدلة.. وهنا ردّ خاص على حديث جابر:

١- أن يأس الشيطان لا يدل على عدم الوقوع؛ فهو لا يعلم الغيب.. (ابن عثيمين).

٢- الألف واللام في قوله (المصلون) تدل على العموم، أي يئس أن يجتمع على عبادته كل الناس في جزيرة العرب.

٣- قوله (المصلون) أل للعهد.. فالمقصود بهم الصحابة.

قال ابن باز (رحمه الله): "وكل الإجابات الثلاث صحيحة".(١)

٤- يئس أن يعبده من أقام الصلاة على حقيقتها؛ لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر.

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ)).

الشاهد: أن اليهود وقعوا في الشرك، وهو الإيمان بالجبت والطاغوت.

سبب نزول الآية: عن ابن عباس قال: لما قدم كعب بن الأشرف (مكة) أتوه فقالوا له: نحن أهل السقاية والسدانة وأنت سيد أهل (المدينة) فنحن خير أم هذا الصنبور المنبتر من قومه

---

(١) شرح كتاب التوحيد لابن باز (ص ٧٢).

يزعم أنه خير منا؟ قال: بل أنتم خير منه، فنزلت عليه: (إن شانئك هو الأبتر)، قال: وأنزلت عليه: (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب...).[١]

ومعنى **الجبت**: قيل السحر، وقيل الشرك، وقيل الشيطان، وقيل غير ذلك..

والطاغوت: يقول الطبري: "والصواب من القول عندي في "الطاغوت": أنه كل ذي طغيان على الله، فعُبِد من دونه".[٢]

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ((قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ)).

الشاهد: أن اليهود وقعوا في الشرك، وهو عبادة الطاغوت.

روى مسلم في "صحيحه" عن ابن مسعود قال: "سئل رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير أهي مما مسخ الله؟ فقال: (إن الله لم يهلك قومًا - أو قال: لم يمسخ قومًا - فيجعل الله لهم نسلاً ولا عاقبة، وإن القردة والخنازير كانت قبل ذلك).

وقوله: (وعَبَدَ الطاغوت).. قال شيخ الإسلام: "الصواب أنه معطوف على قوله: (مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ)، فهو فعل ماض معطوف على ما قبله من الأفعال الماضية، أي: من لعنه الله ومن غضب عليه، ومن جعل منهم القردة والخنازير، ومن عبد الطاغوت، لكن الأفعال المقدمة الفاعل فيها هو اسم الله مظهرًا ومضمرًا، وهنا الفاعل اسم من عبد الطاغوت، وهو الضمير في "عبد"، ولم يعد سبحانه لفظ "من" لأنه جعل هذه الأفعال كلها صفة لصنف واحد وهم اليهود".[٣]

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ((قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا)).

الشاهد: أن في الأمم السابقة من بنى المساجد على القبور.

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره وقال: إسناده صحيح.

(٢) تفسير الطبري (٥/ ٤١٩).. وقد فُسِّر الجبت والطاغوت بتفاسير أخرى.. ومما ذُكر: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (الجبت): السحر، (والطاغوت): الشيطان.. وعن ابن عباس وعكرمة وأبي مالك: (الجبت): الشيطان، زاد ابن عباس: بالحبشية.. وعنه أيضًا: (الجبت): الشرك، وعنه (الجبت): الأصنام، وعنه (الجبت): حيي ابن أخطب، وعن الشعبي (الجبت): الكاهن. وعن مجاهد (الجبت): كعب ابن الأشرف.

(٣) مجموع الفتاوى (١٤/ ٤٥٥).

قوله: (**لنتّخِذنّ عليهم مسجدًا**).. أُختلف في القائلين:

ق١: هم المسلمون.. قالوه تعظيما لهم ودلالة للناس عليهم.

ق٢: هم الكفار..

وعلى كُلٍّ فهم مذمومون بهذا الفعل.. فلا يُستدل بجوازه.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: (لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ اَلْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ). قَالُوا: يَا رَسُولَ اَللَّهِ! اَلْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: (فَمَنْ؟). أَخْرَجَاهُ.

الشاهد: أنه ﷺ أقسم أن أمته ستتبع اليهود والنصارى.. واليهود والنصارى أشركوا كما ثبت في الآيات السابقة، وسيكون في هذه الأمة من يُشرك بالله سواءً بسواء.

ولفظ الحديث في الصحيحين: (لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ من كان قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم). قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: (فمن؟!).

قوله: (**سنن**).. بالفتح، أي: طريق.. وبالضم جمع سُنّة أي طُرُق.

قوله: (**حذو القذة بالقذة**)[١].. هو بنصب حذو على المصدر، و(القُذَّة) واحدة القُذَذ وهي ريش السهم، وله قُذّتان متساويتان، أي: لتفعلن أفعالهم، ولتتبعن طرائقهم حتى تشبهوهم وتحاذوهم، كما تشبه قُذّة السهم القُذّة الأخرى.

قوله: (**حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**).. في حديث عبد الله بن عمرو: (ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى لو كان فيهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك) رواه الترمذي وضعّفه الألباني.. وفي حديث ابن عباس: (حتى لو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه) رواه الحاكم وصحّحه الألباني.

قوله: "قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: (فمن؟)".. أي: فمن هم غير أولئك؟ وفي رواية أبي هريرة في البخاري: (لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها، شبرا بشبر وذراعا بذراع)، فقيل: يا رسول الله، كفارس والروم؟ فقال: (ومن الناس إلا أولئك).

في تيسير العزيز الحميد: "ولا تعارض، فالتفسير ببعض الأمم لا ينفي التفسير بأمة أخرى، إذ

---

(١) لفظة (حذو القذة بالقذة) ليست في الصحيحين، وإنما في رواية أحمد.

المقصود التمثيل لا الحصر".

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ ثَوْبَانَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ اَللَّهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زَوَى لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ......) الحديث.

الشاهد: في قوله: (ولا تقوم الساعة حتى يلحق حيٌّ من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان).

قوله: (**عن ثوبان**).. ثوبان مولى النبي ﷺ.. مات بحمص سنة أربع وخمسين.

قوله: (**زوى لي الأرض**).. زوى الشيء جمعه وقبضه، والمعنى: أن الله طوى له الأرض وجعلها أمامه مجموعة.

في تيسير العزيز الحميد: "وظاهر هذا اللفظ يقتضي أن الله تعالى قوّى إدراك بصره، ورفع عنه الموانع المعتادة فأدرك البعيد من موضعه كما أدرك بيت المقدس من مكة، ويحتمل أن يكون مثّلها الله له، والأول أولى".

قوله: (**وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها**).. قال القرطبي: "هذا الخبر وجد مخبره كما قاله، فكان ذلك من دلائل نبوته، وذلك أن ملك أمته اتسع إلى أن بلغ أقصى بحر طنجة، الذي هو منتهى عمارة المغرب وإلى أقصى المشرق، ما وراء خراسان والنهر وكثير من بلاد الهند والسند والصَّغَد. ولم يتسع ذلك الاتساع من جهة الجنوب والشمال، ولذلك لم يذكر عليه السلام أنه أريه ولا أخبر أن ملك أمته يبلغه".[1]

وقوله: (**زوى**).. يحتمل أن يكون مبنيًّا للفاعل، وأن يكون مبنيًّا للمفعول، والأول أظهر.

قوله: (**وأعطيت الكنْزين: الأحمر والأبيض**).. الأحمر هو الذهب وهو كنْز الروم؛ لأن الغالب عندهم كان الذهب، والأبيض الفضة وهو كنز فارس؛ لأن الغالب عندهم كان الفضة.. أو العكس.

وقد أُنفقت كنوزهما في سبيل الله كما وقع في زمن عمر وعثمان (رضي الله عنهما).

قوله: (**وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة**).. هكذا ثبت في أصل المصنف "بعامة" بالباء وهي رواية صحيحة في أصل "مسلم" وفي بعض أصوله بسنة عامة بحذفها.

---

(١) المفهم في شرح مسلم (٢٣/٦٦).

قال القرطبي: "وكأنها زائدة؛ لأن عامّة صفة لسنة، فكأنه قال: بسنة عامّة".[1]

ويعني بالسنة: الجدب العام..

قوله: (**من سِوى أنفسهم**).. أي: من غيرهم.. يعني الكفار.

قوله: (**فيستبيح بيضتهم**).. البيضة: الحوزة.. وبيضة القوم: ما حازوه من البلاد والأرض.. وقيل: بيضتهم معظمهم وجماعتهم.. والمعنى عام: يستبيح أرضهم وجماعتهم.

قوله: (**ولو اجتمع عليهم من بأقطارها**).. الأقطار جمع قُطْر، وهو الجانب والناحية، أي: بأطراف الأرض.

قوله: (**وإن ربي قال: يا محمد إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد**).. قضاء الله نوعان:

١- قضاء شرعي (الأمور الشرعية) قد لا يقع.. مثاله: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه).

٢- قضاء كوني (الأمور الكونية) يقع ولا يُردّ.. مثاله: (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدُنّ في الأرض مرتين ولتعلُنّ علوًّا كبيرا). وهو المراد في الحديث.

قوله: (**حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا... إلى آخره**).. "حتّى" لها معنيان:

١- غائية.. والمعنى: حتى يوجد ذلك منهم فإن وجد فإنه يسلط عليهم عدوهم من الكفار...

٢- عاطفة.. والمعنى: أن أمر الأمة ينتهي إلى أن يكون بعضهم يُهلك بعضًا.. ويدلّ عليه حديث خبّاب بن الأرَتّ قال: قال رسول الله ﷺ: (إني سألت الله ثلاثا: فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة، سألته أن لا يهلك أمتي بسنة فأعطانيها، وسألته أن لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فأعطانيها، وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها) رواه الترمذي والنسائي وصحّحه الألباني.

والأقرب أن المعنيين محتملان.. فأهلك بعضهم بعضًا وسلّط الله عليهم عدوّهم.

قوله: ورواه البُرْقاني في "صحيحه".. البرقاني هو الحافظ الكبير أبو بكر محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي الشافعي، صنّف المسند الصحيح ضمّنه ما اشتمل عليه "الصحيحان" وجمع حديث الثوري، وحديث شعبة، وطائفة.

قوله: (**وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين**).. أي: الأمراء والعلماء والعُبّاد، الذين يقتدي بهم الناس، ويحكمون فيهم بغير علم فيُضلون ويَضلون..

---

(١) المصدر السابق.

عن زياد بن حُدير قال: قال لي عمر: "هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قلت: لا. قال: يهدمه زلة العالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين". رواه الدارمي وصحّحه الألباني.

وما أحسن ما قال ابن المبارك (رحمه الله):

"وهل أفسد الدين إلا الملو... ك وأحبار سوء ورهبانها". [(١)]

قوله: (**وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة**).. أي القتل.. وكذلك وقع، فإن السيف لما وضع فيهم بقتل عثمان ﷺ لم يرتفع إلى اليوم، ولن يرتفع إلى يوم القيامة..

قوله: (**ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين**).. أي ينْزلون معهم في ديارهم، ويصيرون منهم بالردة ونحوها.

قوله: (**وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان**).. الفئام الجماعات الكثيرة.. وفي رواية أبي داود: (وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان).. وهذا هو شاهد الترجمة.

في تيسير العزيز الحميد: وفي معنى هذا ما في "الصحيحين" عن أبي هريرة مرفوعًا: (لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخَلَصة) قال: وذو الخَلَصة طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية. وروى ابن حبان عن معمر قال: إن عليه الآن بيتًا مبنيًّا مغلقًا.. وفي "صحيح مسلم" عن عائشة مرفوعًا: (لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبد اللات والعزى) وقيل: إن القبر المنسوب إلى ابن عباس بالطائف إنه قبر اللات، وكانوا يعبدونه، ويطوفون به ويقربون إليه القرابين وينذرون له النذور ويسألونه قضاء حاجتهم وتفريج كربتهم... ا.هـ

قوله: (**وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي**).. المراد بالحديث من قامت له شوكة.

قال الحافظ: "قد ظهر مصداق ذلك في زمن النبي ﷺ، فخرج مسيلمة الكذاب باليمامة، والأسود العنسي باليمن، ثم خرج في خلافة أبي بكر طليحة بن خويلد في بني أسد بن خزيمة، وسَجَاح التميمية في بني تميم، وقُتل الأسود قبل أن يموت النبي ﷺ، وقتل مسيلمة الكذاب في خلافة أبي بكر ﷺ، وتاب طليحة ومات على الإسلام على الصحيح في زمن عمر ﷺ. ويقال: إن سجاح تابت أيضًا، ثم خرج المختار بن أبي عبيد الثقفي...... إلخ". [(٢)]

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢١٣).

(٢) فتح الباري (٦/ ٦١٧).

قال ابن عثيمين: "ظهر بعضهم، وبعضهم يُنتظر".(١)

قوله: (**ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم مَنْ خذلهم ولا مَنْ خالفهم**).. قال الشيخ صالح الفوزان (حفظه الله): "فَهُم الطائفة المنصورة[1] وهم الفرقة الناجية[2] وهم أهل الحديث[3] وهم أهل السنّة والجماعة[4]، لا كما يقول بعض المعاصرين: إن الفرقة الناجية غير الطائفة المنصورة، وهذا تفريق بغير علم" ا.هـ(٢)

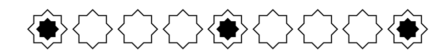
قال الإمام أحمد (رحمه الله): "إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم" ا.هـ(٣)

قال ابن عثيمين (رحمه الله): "وأهل الحديث هم كل من يتحرّى العمل بسنة رسول الله ﷺ..." ا.هـ(٤)

قوله: (**حتى يأتي أمر الله**).. وأمر الله هو أن يبعث الله ريحًا طيّبة في آخر الزمان فتقبض روح كل مؤمن ومؤمنة.. قال ﷺ: (ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشأم، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته) رواه مسلم.. عن أنس مرفوعًا: (لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله) رواه مسلم.

مسألة: أين مكان هذه الطائفة المنصورة؟

قال ابن باز (رحمه الله): "وقد جاءت في روايات أنها تكون بالشام، ولكن إن صحّ هذا فالمراد أحيانًا، وليس دائمًا، ولكن غالبها روايات ضعيفة، وليس لها مكان معيّن، قد تجتمع، وقد تفترق، وليس في حديث صحيح ما يدل على أنها تكون في مكان معيّن".(٥)



(١) القول المفيد (١/ ٤٧٩).

(٢) إعانة المستفيد (١/ ٣٤٠).

(٣) فتح الباري (١٣/ ٢٩٣).

(٤) القول المفيد (١/ ٤٨٢).

(٥) شرح كتاب التوحيد لابن باز ص (٧٤).

الباب الثالث والعشرون: بَابُ مَا جَاءَ فِي اَلسِّحْرِ

وَقَوْلِ اَللَّهِ تَعَالَى: ((وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ)).

وَقَوْلِهِ: ((يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ)).

قَالَ عُمَرُ: "اَلْجِبْتُ اَلسِّحْرُ، وَالطَّاغُوتُ اَلشَّيْطَانُ".

وَقَالَ جَابِرٌ: "اَلطَّوَاغِيتُ كُهَّانٌ كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ اَلشَّيْطَانُ، فِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٌ".

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: (اِجْتَنِبُوا اَلسَّبْعَ اَلْمُوبِقَاتِ). قَالُوا يَا رَسُولَ اَللَّهِ! وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: (اَلشِّرْكُ بِاَللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ اَلنَّفْسِ اَلَّتِي حَرَّمَ اَللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ اَلرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اَلْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ اَلزَّحْفِ، وَقَذْفُ اَلْمُحْصَنَاتِ اَلْغَافِلاتِ اَلْمُؤْمِنَاتِ).

وَعَنْ جُنْدَبٍ – مَرْفُوعًا –: (حَدُّ اَلسَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ). رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وَقَالَ: "اَلصَّحِيحُ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ".

وَفِي صَحِيحِ اَلْبُخَارِيِّ عَنْ بَجَالَةَ بْنِ عَبَدَةَ قَالَ: "كَتَبَ عُمَرُ بْنُ اَلْخَطَّابِ ﷺ: أَنِ اُقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ. قَالَ: فَقَتَلْنَا ثَلاثَ سَوَاحِرَ".

وَصَحَّ عَنْ حَفْصَةَ – رضي الله عنها – أَنَّهَا أَمَرَتْ بِقَتْلِ جَارِيَةٍ لَهَا سَحَرَتْهَا، فَقُتِلَتْ. وَكَذَلِكَ صَحَّ عَنْ جُنْدَبٍ.

قَالَ أحمد: "عَنْ ثَلاثَةٍ مِنْ أَصْحَابِ اَلنَّبِيِّ ﷺ".

الشرح:

٢٣ – بَابُ مَا جَاءَ فِي اَلسِّحْرِ

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

الأبواب السابقة في الشرك العملي ووسائله، وهذا الباب وستة أبواب بعده في الشرك الاعتقادي.

خلاصة الباب: بيان حكم السحر، وحكم الساحر.

معنى السحر:

لغة: ما لطُف وخَفِيَ سببه..

اصطلاحًا: تأثير الشياطين في بدن أو عقل الإنسان عند التقرّب إليهم.(١)

أنواع السحر وأحكامها:

١- سِحْر باستخدام الشياطين.. وهذا كفر بلا خلاف.. قال تعالى: ((وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ)).

٢- سِحْر باستخدام الأدوية والعقاقير والأدخنة.. وحكمه:

ق١: كُفْر.. (الجمهور).

ق٢: ليس بكفر.. (الشافعية).. لحديث: (اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك بالله، والسحر...) ففرّق بين الشرك والسحر.

هذا التقسيم ذكره أغلب الشرّاح، ولكن عند التأمل نجد أن السِّحْر الاصطلاحي هو ما كان باستخدام الشياطين، وأما ما كان باستخدام الأدوية والعقاقير فليس بسحر، وإن سُمِّي سحرًا فعلى سبيل المجاز.(٢)

---

(١) أكثر الشرّاح قالوا بأن السحر: "رقى، وعزائم، وأعمال، تؤثر في بدن الإنسان، وعقله..."، ولكن المتأمل يجد أن الرقى والعزائم وسيلة للسحر وليست هي السحر.. والله أعلم.

(٢) في تيسير العزيز الحميد: وعند التحقيق ليس بين القولين اختلاف، فإن من لم يُكفِّر لظنه أنه يتأتى بدون الشرك وليس كذلك بل لا يأتي السحر الذي من قبل الشياطين إلا بالشرك وعبادة الشيطان والكواكب، ولهذا سماه الله كفرًا في قوله: (إنما نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ)..

وأما سحر الأدوية والتدخين ونحوه فليس بسحر، وإن سمي سحرًا فعلى سبيل المجاز كتسمية القول البليغ والنميمة سحرًا،

فالصواب أن السحر هو ما كان باستخدام الشياطين.. وما كان باستخدام غير ذلك فليس بسحر وهو عمل محرّم لضرره.

تأثير السحر نوعان:

١- حقيقي.. تأثيره حقيقي على بدن الإنسان وعقله.. وهذا النوع أنكرته المعتزلة.. ومنه قوله تعالى: ((فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ)).

٢- تخييلي (يُسمّى القُمْرة).. تأثيره وهْمي على نظر العين، بحيث يرى المسحورُ الشيءَ على خلاف ما هو.. ومنه قوله تعالى: ((فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ)).. ومنه ما سُحر به النبيُّ ﷺ.. عن عائشة – رضي الله عنها –: "أن النبي ﷺ سُحر حتى إنه ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، وأنه قال لها ذات يوم: (أتاني ملكان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رِجلي، فقال: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب، قال: من طبّه؟ قال: لبيد بن أعصم في مشط ومُشاطة في جُفِّ طلعةِ ذكر في بئر ذي أروان) رواه البخاري.

قال ابن باز (رحمه الله): "ثبت أن النبي ﷺ قد سُحر، لكنه لم يؤثِّر عليه شيئًا في أمور الرسالة، وإنما كان فيما يتعلّق بينه وبين أهله كما هو في الصحيحين".[١]

حكم الساحر:

الصواب أن الساحر كافر وهو قول الجمهور[٢]؛ لأن السحر ناقض من نواقض الإسلام..

وحكمه: القتل رِدّةً إن كان مسلمًا، ويُقتل تعزيرًا إن كان كافرًا من أصله..

قال ابن عثيمين (رحمه الله): "والحاصل أنه يجب أن نقتل السحرة، سواء قلنا بكفرهم أم لم نقل" ا.هـ[٣]

ولكنه يكون حرامًا لمضرته يُعزَّر من يفعله تعزيرًا بليغًا... ا.هـ

(١) شرح كتاب التوحيد لابن باز ص (٧٨).

(٢) وذهب الشافعية إلى التفصيل، فإن كان في عمل الساحر ما يوجب الكفر، كفر بذلك، وإلا لم يكفر.. واستدلوا بحديث عن عمرة؛ أن عائشة – رضي الله عنها – دبّرت أَمَة لها، فاشتكت عائشة، فسأل بنو أخيها طبيبا من الزط. فقال: إنكم تخبروني عن امرأة مسحورة، سحرتها أَمَة لها، فأُخبرت عائشة. قالت: سحرتيني؟ فقالت: نعم. فقالت: ولِمَ؟ لا تنجين أبدا. ثم قالت: بيعوها من شر العرب مَلَكة. رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد وصحّحه الألباني.. قالوا: لو كفرت لصارت مرتدة يجب قتلها ولم يجز استرقاقها.

(٣) القول المفيد (١/ ٥٠٩).

مسألة: هل يُستتاب الساحر لإسقاط الحدّ عنه؟

ق١: نعم يُستتاب.. (الشافعي ، ورواية عن أحمد)، واختاره ابن تيمية.

الدليل: لأن المشرك يستتاب، والسحر ليس بأعظم من الشرك.

ق٢: لا يُستتاب.. (أبو حنيفة، ومالك، والمشهور في مذهب أحمد)، واختاره ابن باز وابن عثيمين.

الدليل: لأن الصحابة لم يستتيبوا السحرة الذين قتلوهم، ولأن السحرة شرّهم عظيم وتوبتهم لا يُدرى عن صدقها.

في تيسير العزيز الحميد: "وأما قياسه على المشرك فلا يصح، لأنه أكثر فسادًا وتشويها من المشرك" ا.هـ

قال ابن باز: "أما من جاء إلى ولاة الأمور من غير أن يقبض عليه يخبر عن توبته، وأنه كان فعل كذا فيما مضى من الزمان وتاب إلى الله سبحانه وظهر منه الخير فهذا تقبل توبته؛ لأنه جاء مختاراً طالباً للخير معلناً توبته من غير أن يقبض عليه أحد أو يدّعي عليه أحد..." ا.هـ[١]

وَقَوْلِ اَللَّهِ تَعَالَى: ((وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ)).

الشاهد: أن من تعلّم السحر فهو كافر؛ لأنه ليس له في الآخرة من نصيب.

في تيسير العزيز الحميد: فدلّت الآية على تحريم السحر، وهو كذلك، بل هو محرم في جميع أديان الرسل عليهم السلام كما قال تعالى: ((وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى)).. وقد نص أصحاب أحمد على أنه يكفر بتعلمه وتعليمه.. ا.هـ

وَقَوْلِهِ: ((يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ)).. قَالَ عُمَرُ: "اَلْجِبْتُ اَلسِّحْرُ، وَالطَّاغُوتُ اَلشَّيْطَانُ".. وَقَالَ جَابِرٌ: "اَلطَّوَاغِيتُ كُهَّانٌ كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ اَلشَّيْطَانُ، فِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٌ".

الشاهد: أن من صفات اليهود أنهم يؤمنون بالسِّحر، وقد قال الله عنهم: ((أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ)) فدلّ على أنه كفر.

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٨/ ٨٢).

وقوله: (**قال عمر: الجِبْت السحر، والطاغوت الشيطان**).. تفسير بالمثال؛ لأن الطاغوت أعمّ من الشيطان، والجبت أعم من السحر.

والأثر أخرجه ابن جرير الطبري مسندًا في تفسيره.(١)

وقد فُسِّر الجِبْت: بأنه كل ما لا خير فيه من السحر وغيره.

وأما الطاغوت فسره ابن القيم بأنه: "كل ما تجاوز به العبد حدّه من معبود أو متبوع أو مطاع".(٢)

وقوله: (**قال جابر: الطواغيت كُهّان... إلخ**).. هذا أيضا من باب التفسير بالمثال.

هذا الأثر ورد في البخاري معلّقًا بصيغة الجزم بلفظ: وقال جابر: "كانت الطواغيت التي يتحاكمون إليها في جهينة واحد، وفي أسلم واحد، وفي كل حي واحد، كهان ينزل عليهم الشيطان". وقد وصله ابن أبي حاتم.

في تيسير العزيز الحميد: "ومطابقة هذا للترجمة ظاهر من جهة أن الساحر طاغوت من الطواغيت؛ إذ كان هذا الاسم يطلق على الكاهن فالساحر أولى؛ لأنه أشر وأخبث".

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: (اِجْتَنِبُوا اَلسَّبْعَ اَلْمُوبِقَاتِ). قَالُوا يَا رَسُولَ اَللَّهِ! وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: (اَلشِّرْكُ بِاَللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ اَلنَّفْسِ.....) الحديث.

تخريجه: هكذا ذكره المصنّف من غير عزو.. وهو متفق عليه.

الشاهد: أن السحر من الكبائر التي تُهلك صاحبها، وقد قرنه ﷺ بالشرك.

قوله: (**اجتنبوا**).. أبلغ من قوله: اتركوا ؛ لأن الاجتناب معناه أن تكون في جانب وهي في جانب آخر، وهذا يستلزم البعد عنها.

قوله: (**السبع الموبقات**).. أي: المهلكات.. والسبع ليس على الحصر.. عن ابن عباس: "هي إلى السبعين أقرب"، وفي رواية: "إلى السبعمئة". (٣)

وقد جاء في أحاديث أن من الكبائر: عقوق الوالدين، والإلحاد في الحرم، واليمين الغموس،

---

(١) انظر: تفسير الطبري = جامع البيان (٨/ ٤٦٢).

(٢) إعلام الموقعين (١/ ٤٠).

(٣) الروايتان أخرجهما الطبري في تفسيره، وفي رواية السبعمئة زيادة: "غير أنه لا كبيرة مع استغفار، ولا صغيرة مع إصرار". جامع البيان (٨/ ٢٤٥).

وشهادة الزور، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، وسوء الظن بالله، والزنا، والسرقة، وغير ذلك.

قال الحافظ: "ويحتاج عندها إلى الجواب عن الحكمة في الاقتصار على سبع، ويجاب بأن مفهوم العدد ليس بحجة وهو جواب ضعيف، أو بأنه أعلم أولاً بالمذكورات، ثم أُعلم بما زاد، فيجب الأخذ بالزائد، أو أن الاقتصار وقع بحسب المقام بالنسبة للسائل، أو من وقعت له واقعة ونحو ذلك".(١)

قوله: (**الشرك بالله**).. قدّمه؛ لأنه أعظم الموبقات.

قوله: (**والسحر**).. هذا الشاهد، وقد قُرِن بالشرك، وعطفه عليه من باب عطف الخاص على العام.

قوله: (**وقتل النفس التي حرم الله**).. أي: حرّم قتلها إلا بالحق..

قال ابن عثيمين (رحمه الله): "والنفس المحرمة أربعة أنفس، هي: نفس المؤمن، والذمي، والمعاهد، والمستأمِن – بكسر الميم– (طالب الأمان)...

الذمي: هو الذي بيننا وبينه ذمة ؛ أي: عهد على أن يقيم في بلادنا معصوما مع بذل الجزية.

وأما المُعاهَد: فيقيم في بلاده، لكن بيننا وبينه عهد أن لا يحاربنا ولا نحاربه.

وأما المستأمَن؛ فهو الذي ليس بيننا وبينه ذمة ولا عهد، لكننا أمّناه في وقت محدد" ا.هـ(٢)

قوله: (**وأكل الربا**).. أي: تناوله بأي وجه كان.. في التيسير: "قال ابن دقيق العيد: وهو مجرب لسوء الخاتمة نعوذ بالله من ذلك".

قوله: (**وأكل مال اليتيم**).. يعني التعدي فيه، وعبّر بالأكل، لأنه أهم وجوه الانتفاع..

قوله: (**والتولي يوم الزحف**).. أي: الفرار من وجوه الكفار وقت ازدحام الطائفتين في القتال، وإنما يكون كبيرة إذا فر إلى غير فئة أو غير متحرف لقتال..

قوله: (**وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**).. أي رميهن بفاحشة الزنا.. و"المحصنات": الحرائر العفيفات.. و"الغافلات"، أي: لا خبر عندهن من ذلك، فهو كناية عن البريئات، لأن

---

(١) فتح الباري (١٢/ ١٨٣).

(٢) القول المفيد (١/ ٤٩٩).

الغافل بريء عما بُهت به من الزنا، و"المؤمنات" أي: بالله تعالى احترازًا عن قذف الكافرات، فإنه من الصغائر.

وَعَنْ جُنْدَبٍ – مَرْفُوعًا –: (حَدُّ اَلسَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ) رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ، وَقَالَ: "اَلصَّحِيحُ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ".

درجة الحديث: قال ابن باز: "والصواب ما قاله الترمذي أنه موقوف" ا.هـ[(١)]

وله شواهد موقوفة صحّحها الألباني.

قوله: (**عن جندب**).. هو جندب الخير بن كعب الأزْدي قاتل الساحر، لا جندب بن عبد الله البجلي.

قوله: (**حد الساحر ضربة بالسيف**).. روي بالهاء (ضربه)، وبالتاء (ضربةٌ) وكلاهما صحيح.

وقصة الحديث: "أن ساحرا كان يلعب عند الوليد بن عقبة[(٢)]، فكان يأخذ سيفه فيذبح نفسه، ولا يضره، فقام جندب إلى السيف فأخذه فضرب عنقه، ثم قرأ: ((أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ)).. وفي لفظ: "فقال: إن كان صادقا فليحي نفسه!". [(٣)] [(٤)]

وَفِي صَحِيحِ اَلْبُخَارِيِّ عَنْ بَجَالَةَ بْنِ عَبَدَةَ قَالَ: كَتَبَ عُمَرُ بْنُ اَلْخَطَّابِ ﷺ: أَنِ اُقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ. قَالَ: فَقَتَلْنَا ثَلاثَ سَوَاحِرَ.. وَصَحَّ عَنْ حَفْصَةَ – رضي الله عنها – أَنَّهَا أَمَرَتْ بِقَتْلِ جَارِيَةٍ لَهَا سَحَرَتْهَا، فَقُتِلَتْ.. وَكَذَلِكَ صَحَّ عَنْ جُنْدَبٍ.. قَالَ أحمد: "عَنْ ثَلاثَةٍ مِنْ أَصْحَابِ اَلنَّبِيِّ ﷺ".

---

(١) شرح كتاب التوحيد لابن باز ص (٧٧).

(٢) الوليد بن عقبة والي عثمان ﷺ على الكوفة.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ١٧٦).

(٤) قال الألباني (رحمه الله): ومثل هذا الساحر المقتول، هؤلاء الطرقية الذين يتظاهرون بأنهم من أولياء الله، فيضربون أنفسهم بالسيف والشيش، وبعضه سحر وتخييل لا حقيقة له، وبعضه تجارب وتمارين، يستطيعه كل إنسان من مؤمن أو كافر إذا تمرس عليه وكان قوي القلب، ومن ذلك مسهم النار بأفواههم وأيديهم، ودخولهم التنور، ولي مع أحدهم في حلب موقف تظاهر فيه أنه من هؤلاء، وأنه يطعن نفسه بالشيش، ويقبض على الجمر فنصحته، وكشفت له عن الحقيقة، وهددته بالحرق إن لم يرجع عن هذه الدعوى الفارغة! فلم يتراجع، فقمت إليه وقربت النار من عمامته مهددا، فلما أصر أحرقتها عليه، وهو ينظر! ثم أطفأتها خشية أن يحترق هو من تحتها معاندا. وظني أن جندبا ﷺ، لو رأى هؤلاء لقتلهم بسيفه كما فعل بذلك الساحر (ولعذاب الآخرة أشد وأبقى). سلسلة الأحاديث الضعيفة (٣/٦٤٣).

الشاهد: بيان عقوبة الساحر في الدنيا بأنها القتل؛ فدل على عِظم ذنب السحر وخطره.

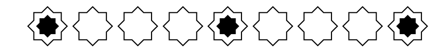
لفظ بَجَالة في البخاري ليس فيه ذكر قتْل الساحر والساحرة، وإنما جاء عند أحمد.(١)

وأثر حفصة رواه مالك في الموطأ، ورواه عبد الرزاق..

ولفظه في مصنف عبد الرزاق عن ابن عمر: "أن جارية لحفصة سحرتها، واعترفت بذلك فأمرت بها عبد الرحمن بن زيد فقتلها، فأنكر ذلك عليها عثمان، فقال ابن عمر: ما تنكر على أم المؤمنين من امرأة سحرت واعترفت.. فسكت عثمان".

قوله: (**وكذلك صح عن جندب**).. كما سبق.

قوله: قال أحمد: "عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ".. أي ثبت عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ قتل الساحر.. وهم: عمر، وابنته حفصة، وجندب الأزدي.



(١) لفظ البخاري: (كنت كاتبا لجَزْء بن معاوية، عمِّ الأحنف، فأتانا كتاب عمر بن الخطاب قبل موته بسنة، فرقوا بين كل ذي محرم من المجوس، ولم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس).. وجاء عند أحمد بلفظ: حدثنا سفيان، عن عمرو، سمع بجالة، يقول: كنت كاتبا لجزء بن معاوية - عم الأحنف بن قيس - فأتانا كتاب عمر قبل موته بسنة: أن اقتلوا كل ساحر - وربما قال سفيان: وساحرة - وفرقوا بين كل ذي محرم من المجوس، وانهوهم عن الزمزمة، فقتلنا ثلاثة سواحر، وجعلنا نفرق بين الرجل وبين حريمته في كتاب الله...

الباب الرابع والعشرون: بَابُ بَيَانِ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ

قَالَ أحمد: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا عَوْفٌ، عَنْ حَيَّانَ بْنِ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا قَطَنُ بْنُ قَبِيصَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ الْعِيَافَةَ وَالطَّرْقَ وَالطِّيَرة مِنَ الْجِبْتِ).

قَالَ عَوْفٌ: الْعِيَافَةُ زَجْرُ الطَّيْرِ، وَالطَّرْقُ الْخَطُّ يُخَطُّ بِالأَرْضِ، وَالْجِبْتُ قَالَ الْحَسَنُ: رَنَّةُ الشَّيْطَانِ. إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ. وَلأَبِي دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيِّ، وَابْنِ حِبَّانَ - فِي صَحِيحِهِ - لَهُمُ الْمُسْنَدُ مِنْهُ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ). رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

وَلِلنَّسَائِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَة: (مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ).

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (أَلَا هَلْ أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ: الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما -: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا).

الشرح:

٢٤ – بَابُ بَيَانِ شَيْءٍ مِنْ أنواع السِّحْرِ

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

لَمّا بيّن في الباب السابق حكم السحر والساحر وخطورته، أراد أن يبيّن أنواعًا من الأعمال التي لها شبه بالسحر للتحذير منها، وأنها ليست من كرامات الأولياء؛ لئلا ينخدع الناس بأصحابها.

خلاصة الباب:

بيان بعض أنواع الأعمال التي لها شبه بالسحر للتحذير منها، وأنها ليست من كرامات الأولياء؛ لئلا ينخدع الناس بأصحابها.

ذكر سبعةً من هذه الأنواع:

١– العيافة: مِن عاف الشيء إذا تركه.. وهي إرسال الطير للتفاؤل بمسيره أو للتشاؤم.

وهي طريقةٌ جاهلية إذا أرادوا القيام بعمل يُطلقون الطير فإن ذهب يمينًا تفاءلوا فأقدموا، وإن ذهب شمالاً تشاءموا فأحجموا.. وهي نوع خاص من الطِّيَرة.

علاقتها بالسحر: من جهة أنها شيء خفي أثّر في النفس فجعلها تُقدم أو تُحجم.

٢– الطَّرْق: من وضع طُرُق في الأرض، فهي وَضْع خطوط في الأرض ومَسْح بعضها للاستدلال على الأمور الغيبية.. والذي يقوم بهذه الطريقة يُسمى رمّال.

علاقتها بالسحر: لأنها نوع من الكِهانة تستند لأمر خفي لا يصح اتخاذه وكذلك السحر..

شُبْهة:

عن معاوية بن الحكم السلمي ﷺ قلت: ومِنّا رجال يخطُّون قال ﷺ: (كان نبي من الأنبياء يخُطّ، فمن وافق خطّه فذاك) رواه مسلم.

الجواب:

أن النبي ﷺ علق الإباحة بأمر مستحيل، وهو معرفة تلك الطريقة التي فعلها هذا النبي، وهي معجزة له لا يمكن أن يصل إليها أحد.

٣– الطِّيَرة: سيأتي بيانها قريبًا إن شاء الله..

علاقتها بالسحر: من جهة أنها شيء خفي أثّر في النفس فجعلها تُقدم أو تُحجم.

٤- التنجيم: سيأتي بيانه قريبًا إن شاء الله..

علاقته بالسحر: من جهة أن المنجّم يستند لأمر خفي لا يصح اتخاذه وكذلك الساحر.

٥- عقْد العُقد والنفث فيها: وهي من وسائل السحر.

٦- النميمة: نقل الكلام بين الناس بغرض الإفساد.

علاقتها بالسحر: من جهة النتيجة وهي التفريق بين الناس، فالساحر يُفرّق وكذا النمّام.

٧- البيان: هي البلاغة والفصاحة.. وهو نوعان:

محمود: الذي فيه إظهار الحق وبيانه.

مذموم: الذي يقلب الحق باطلاً والباطل حقًّا.. وهذا هو الذي من السحر.. ومنه قوله ﷺ: (إن الله عز وجل يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وصحّحه الألباني.

وعلاقته بالسحر: من جهة النتيجة، فيشترك البيان المذموم والسحر في قلب الحقائق.

قَالَ أحمد: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثنَا عَوْفٌ، عَنْ حَيَّانَ بْنِ الْعَلاءِ، حَدَّثَنا قَطَنُ بْنُ قَبِيصَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ الْعِيَافَةَ وَالطَّرْقَ وَالطِّيَرة مِنَ الْجِبْتِ).. قَالَ عَوْفٌ: الْعِيَافَةُ زَجْرُ الطَّيْرِ، وَالطَّرْقُ الْخَطُّ يُخَطُّ.... إلخ.

درجة الحديث: صحّحه ابن حبان، وحسّنه النووي في رياض الصالحين، وضعّفه الألباني.

قوله: "قال أحمد".. هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل.

(**ومحمد بن جعفر**).. هو المشهور بغُنْدر الهذلي البصري "ثقة مشهور".

(**وعوف**).. هو ابن أبي جَميلة البصري، المعروف بعوف الأعرابي "ثقة".

(**وحيّان بن العلاء**).. وقيل: حيان بن مُخارق، وقيل ابن عُمير.. "مختلف في توثيقه".

(**وقَطَن**).. أبو سهلة البصري، تابعي "صدوق".

قوله: (عن أبيه).. هو قَبِيصة ابن المُخارق الهلالي، صحابي نزل البصرة.

قوله: (من الجبت).. أي: من أعمال السحر.

قوله: (والجِبْت قال الحسن).. هو الحسن البصري إمام التابعين.

قوله: (**رنّة الشيطان**).. أي: صوت الشيطان.[1]

قال ابن عثيمين (رحمه الله): "والظاهر أن (رنة الشيطان) أي: وحي الشيطان ؛ فهذه من وحي الشيطان وإملائه".[2]

وقول الحسن: (رنّة الشيطان) جاء في تفسير ابن كثير، وجاء في المسند بلفظ: "إنه الشيطان".

قوله (**ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه لهم المسند منه**).. أي رواه أبو داود في سننه، والنسائي في الكبرى، وابن حبان في صحيحه من دون ذِكْر التفسير الذي فسّره به عوف.

فائدة: ذَكَر المصنِّف (رحمه الله) السند لأنه سيذكر تفسير أحد الرواة وهو عوف الأعرابي.

وَعَنِ اِبْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنِ اِقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ فَقَدِ اِقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ). رَوَاهُ أبو دَاوُدَ، وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

درجة الحديث: صحيح، صحّحه النووي، والذهبي، والألباني.. ورواه أحمد وابن ماجه.

الشاهد: أن علم النجوم من السِّحر.

قوله: (**من اقتبس**).. أي تعلّم.

قوله: (**شُعبة**).. أي: طائفة وقطعة من النجوم.

قوله: (**فقد اقتبس شعبة من السحر**).. هذا هو الشاهد، حيث دلّ على أن التنجيم نوع من أنواع السحر؛ من جهة أن المنجّم يستند لأمر خفي لا يصح اتخاذه وكذلك الساحر.

قال شيخ الإسلام: "فقد صرح رسول الله ﷺ بأن علم النجوم من السحر. وقد قال الله تعالى: ((وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى)) وهكذا الواقع فإن الاستقراء يدل على أن أهل النجوم لا يفلحون لا في الدنيا ولا في الآخرة".[3]

قوله: (**زاد ما زاد**).. يعني: كلما زاد من علم النجوم زاد من السحر.

(١) قال في تيسر العزيز الحميد: لم أجد فيه كلاماً.

(٢) القول المفيد (١/ ٥١٧).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٩٣).

وَلِلنَّسَائِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَة: (مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ).

درجة الحديث: ضعّفه الذهبي والألباني، وحسّنه ابن مفلح في الآداب الشرعية.

وسند الحديث: من طريق عباد بن ميسرة المنقري، عن الحسن، عن أبي هريرة..

قال ابن باز: "إسناد هذا الحديث فيه ضعف لأنه من رواية الحسن عن أبي هريرة، وقد ذكر جمع من العلماء أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة فيكون منقطعًا، وهو من رواية عباد بن ميسرة وفيه ضعف، لكن له شواهد من حيث المعنى".[١]

الشاهد: أن عَقْد العُقدة ثم النفث فيها من السحر، وهذا النوع شرك أكبر لأن فيه استعانة بالشياطين.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (أَلا هَلْ أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ: الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الشاهد: أن النميمة تُفرِّق بين الناس كما يُفرِّق السحر.

قوله: (**ما العَضْه؟**).. قال ابن الأثير: "هكذا يروى في كتب الحديث، والذي جاء في كتب الغريب (ألا أنبئكم ما العِضَة) بكسر العين وفتح الضاد. وتُجمع على عِضين، ومنه قوله تعالى: ((الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ)).. أي: أصنافًا وأعضاءً وأجزاءً" ا.هـ[٢]. إذن فمعناها من التفريق.

ذكر أبو نُعيم عن يحيى بن أبي كثير قال: "يفسد النمام في ساعة ما لا يفسد الساحر في شهر".[٣]

وقوله: (**القَالة بين الناس**).. أي: كثرة القول ونقله بين الناس.

وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ عُمَرَ – رضي الله عنهما –: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا).

---

(١) شرح كتاب التوحيد لابن باز ص (٨١).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٢٥٤).

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ٧٠).

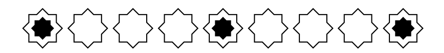
الشاهد: أن البيان من السحر؛ لتأثيره على السامع.

(**البيان**): البلاغة والفصاحة.

قال ابن عبد البر "بمعناه": "تأوّلَتْهُ طائفة على الذم، لأن السحر مذموم، وذهب أكثر أهل العلم وجماعة أهل الأدب إلى أنه على المدح، لأن الله تعالى مدح البيان.. قال: وقد قال عمر بن عبد العزيز لرجل سأله عن حاجة، فأحسن المسألة، فأعجبه قوله فقال: "هذا والله السحر الحلال" ا.هـ[١]

قال ابن باز: "البيان إذا كان في الحق، والدعوة إلى الكتاب والسنة، فهذا ممدوح، أما إذا أريد به الخداع، واللَّبس فهذا ذم وعيب، والحديث يحتمل الاثنين" ا.هـ[٢]

قال ابن عثيمين: "البيان من حيث هو بيان لا يمدح عليه ولا يذم، ولكن يُنظر إلى أثره والمقصود منه، فإن كان المقصود منه رد الحق وإثبات الباطل فهو مذموم ؛ لأنه استعمال لنعمة الله في معصيته، وإن كان المقصود منه إثبات الحق وإبطال الباطل فهو ممدوح" ا.هـ[٣]



---

(١) الاستذكار (٨/ ٥٥٨).

(٢) شرح كتاب التوحيد لابن باز ص (٨٢).

(٣) القول المفيد (١/ ٥٢٨).

الباب الخامس والعشرون: بَابُ مَا جَاءَ فِي الكُهَّان وَنَحْوِهِمْ

رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَنْ أَتَى عَرَّافًا، فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، فَصَدَّقَهُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَنْ أَتَى كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ). رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَلِلأَرْبَعَةِ وَالْحَاكِمِ - وَقَالَ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: (مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ) ولأبي يَعَلَى - بِسَنَدٍ جَيِّدٍ - عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مِثْلُهُ مَوْقُوفًا.

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ – مَرْفُوعًا -: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ، وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ). رَوَاهُ الْبَزَّارُ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ.

وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الأَوْسَطِ - بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ - مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، دُونَ قَوْلِهِ: (وَمَنْ أَتَى... إِلَى آخِرِهِ).

قَالَ الْبَغَوِيُّ: "الْعَرَّافُ الَّذِي يَدَّعِي مَعْرِفَةَ الأُمُورِ بِمُقَدِّمَاتٍ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى الْمَسْرُوقِ وَمَكَانِ الضَّالَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ".

وَقِيلَ: "هُوَ الْكَاهِنُ، وَالْكَاهِنُ هُوَ الَّذِي يُخْبِرُ عَنِ الْمُغَيَّبَاتِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ". وَقِيلَ: "الَّذِي يُخْبِرُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ".

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: "الْعَرَّافُ اسْمٌ لِلْكَاهِنِ، وَالْمُنَجِّمِ، وَالرَّمَّالِ، وَنَحْوِهِمْ، مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ فِي مَعْرِفَةِ الأُمُورِ بِهَذِهِ الطُّرُقِ".

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - فِي قَوْمٍ يَكْتُبُونَ "أَبَا جَادٍ" وَيَنْظُرُونَ فِي النُّجُومِ -: "مَا أَرَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ خَلاقٍ".

الشرح:

٢٥ – بَابُ مَا جَاءَ فِي الكُهَّان وَنَحْوِهِمْ

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

لأن الكُهَّان والسحرة يجمعهما الاستعانة بالشياطين.. والفرق أن السحر قيام بعمل، والكهانة إخبار عن غيب.

خلاصة الباب:

بيان حكم الكاهن، وحكم الإتيان إليه؛ للتحذير منهم.

قوله: (**ونحوهم**).. أي من العرّافين والرمّالين ومن يدّعي علم الغيب.

تعريف الكاهن:

لغة: مأخوذ من التكهن، وهو التخمين، والتطلع إلى أمور غيبية.

شرعاً: هو من يدّعي معرفة الغيب بطرق شيطانية.

ضابط الكهانة والعرافة:

أن يكون الإخبار عن المستقبل باستخدام أمور غير حسِّيَّة.

وأما الإخبار عن المستقبل باستخدام أمور حسابية، أو حسَّيَّة فليس من الكهانة.

مثال: الإخبار عن وقت الكسوف أو حالة الطقس؛ فتستند إلى أمور حسابية حسَّيَّة فليست من الكهانة.

قال ابن عثيمين (رحمه الله): "والشيء الذي يدرك بالحس إنكاره قبيح؛ كما قال السفاريني: فكلُّ معلومٍ بحِسٍّ أو حِجا ... فنُكْرُهُ جهلٌ قبيحٌ بالهِجا.. فالذي يُعلم بالحس لا يمكن إنكاره ولو أن أحدا أنكره مستندا بذلك إلى الشرع؛ لكان ذلك طعنا بالشرع" ا.هـ[١]

حكم إتيان الكاهن والعرّاف:

١- أن يأتيَه ليسأله سؤالا مجردا ولا يُصدِّقه.. فهذا محرّم، وعقوبته لا تقبل له صلاة أربعين يومًا.

٢- أن يأتيَه فيسأله فيصدقه.. وهذا قسمان:

---

(١) القول المفيد (١/ ٥٣٢).

أ- أن يعتقد أنه يعلم الغيب فهذا كفر أكبر؛ لأن تصديقه في علم الغيب تكذيب للقرآن.

ب- أن يعتقد أنه لا يعلم الغيب، ولكن تخدمه الشياطين.. فيه خلاف:

ق١ / يكفر؛ لعموم: (من أتى كاهنًا فصدّقه...).

في تيسر العزيز الحميد: "يكفر متى اعتقد صدقه بأي وجه كان، لاعتقاده أنه يعلم الغيب، وسواء كان ذلك من قِبَل الشياطين، أو من قِبَل الإلهام لا سيما وغالب الكُهَّان في وقت النبوة إنما كانوا يأخذون عن الشياطين" ا.هـ

ق٢/ محرّم؛ لحديث: (من أتى عرافاً فصدقه بما يقول، لم تقبل له صلاة أربعين يوماً).. وهو الأقرب، ويُحمل تكفيره على من صدقه مع اعتقاده أنه يعلم الغيب.

٣- أن يأتيَه للمشاهدة فقط.. فهذا محرّم؛ لحديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله: أموراً كنا نصنعها في الجاهلية، كنا نأتي الكُهَّان، قال: (فلا تأتوا الكُهَّان) رواه مسلم.

٤- أن يأتيَه ليفضح أمره.. فهذا لا بأس به.. وقد سأل النبي ﷺ ابن صياد[1] ليفضح أمره.

في الوجيز لشيخنا الصيدلاني: "ذهب بعض العلماء المعاصرين إلى أن مشاهدة السحرة، والكُهَّان عن طريق شاشة التلفاز، أو قراءة البروج في المجلات، والمواقع الالكترونية يأخذ حكم إتيان الكهان.. وهذا القول له وجه قوي من حيث النظر.. والله أعلم". انتهى كلامه حفظه الله.

جاء في التمهيد: "وإذا قرأ هذه الصفحة وهو يعلم بُرْجه الذي وُلد فيه، أو يعلم البرج الذي يناسبه، وقرأ ما فيه، فكأنه سأل كاهنا، فلا تقبل له صلاة أربعين يوما، فإن صدق بما في تلك

---

(١) عن عمر رضي الله عنه أنه انطلق مع رسول الله ﷺ في رهط قبل ابن صياد حتى وجده يلعب مع الصبيان عند أطم بني مغالة، وقد قارب ابن صياد يومئذ الحلم، فلم يشعر حتى ضرب رسول الله ﷺ ظهره بيده، ثم قال رسول الله ﷺ لابن صياد: (أتشهد أني رسول الله؟) فنظر إليه ابن صياد، فقال: أشهد أنك رسول الأميين، فقال ابن صياد لرسول الله ﷺ: أتشهد أني رسول الله؟ فرفضه رسول الله ﷺ، وقال: (آمنت بالله وبرسله) ثم قال له رسول الله ﷺ: (ماذا ترى؟) قال ابن صياد: يأتيني صادق وكاذب، فقال له رسول الله ﷺ: (خلط عليك الأمر) ثم قال له رسول الله ﷺ: (إني قد خبأت لك خبيئا) فقال ابن صياد: هو الدُّخ، فقال له رسول الله ﷺ: (اخسأ، فلن تعدو قدرك)، فقال عمر بن الخطاب: ذرني يا رسول الله أضرب عنقه، فقال له رسول الله ﷺ: (إن يكُنْه فلن تسلط عليه، وإن لم يكُنْه فلا خير لك في قتله). متفق عليه.

البروج فقد كفر بما أنزل على محمد، وهذا يدلك على غربة التوحيد بين أهله".[١]

رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَنْ أَتَى عَرَّافًا، فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، فَصَدَّقَهُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا).

لفظة: (**فصدّقه**) ليست عند مسلم، وإنما عند أحمد.. قال الألباني: أخرجه أحمد بسند صحيح على شرط الشيخين.

الشاهد: التحذير من إتيان العرّاف والكاهن.

قوله: (**عن بعض أزواج النبي ﷺ**) في بعض الروايات أنها حفصة رضي الله عنها.

قوله: (**لم تقبل له صلاة أربعين يومًا**).. في تيسير العزيز الحميد: إذا كانت هذه حال السائل، فكيف بالمسؤول؟

قال الشيخ صالح آل الشيخ: "تقع مجزئة لا يجب عليه قضاؤها، ولكن لا ثواب له فيها؛ لأن الذنب والإثم الذي اقترفه حين أتى العراف فسأله عن شيء، يقابل ثواب الصلاة أربعين يوما أسقط هذا هذا".[٢]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَنْ أَتَى كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ) رَوَاهُ أبو دَاوُدَ.

درجة الحديث: في تيسير العزيز الحميد: "ضعّف البخاري هذا الحديث من جهة إسناده. وقال البغوي: سنده ضعيف، وقال الذهبي: ليس إسناده بالقائم" ا.هـ. وصحّحه الألباني.[٣]

الشاهد: حكم من أتى الكاهن فصدقه بأنه كافر.

قوله: (**فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**).. أي: فقد كفر بالقرآن؛ لأن في القرآن: ((قل لا يعلمُ من في السماواتِ والأرضِ الغيبَ إلا الله)).

قال ابن عثيمين (رحمه الله): "فالذي يصدِّق الكاهن في علم الغيب وهو يعلم أنه لا يعلم

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٣٤٩).

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٣٢٠).

(٣) لفظ أبي داود: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (مَن أتى كاهنًا – قال موسى في حديثه: فصدقه بما يقول – أو أتى امرأة، – قال مُسدّد: امرأته حائضًا، أو أتى امرأة – قال مسدد: يعني: امرأته في دبرها – فقد برئ مما أنزل على محمد ﷺ)، ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجة بنحوه وقال الترمذي: لا نعرفه إلا من حديث الأثرم.

الغيب إلا الله؛ فهو كافر كفرا أكبر مخرجا عن الملة، وإن كان جاهلا ولا يعتقد أن القرآن فيه كذب فكفره كفر دون كفر" ا.هـ[١].. وإن كان الأقرب أن تصديق الكاهن مع الاعتقاد أنه لا يعلم الغيب إلا الله أن ذلك محرّم كما سبق، وتُحمل الأحاديث التي فيها كُفر من صدّقه على من اعتقد أنه يعلم الغيب. والله أعلم.

وَللأَرْبَعَةِ وَالْحَاكِمِ - وَقَالَ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا - عَنْ....: (مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ).

في تيسير العزيز الحميد: "هكذا بيض المصنف اسم الراوي، وقد رواه أحمد، والبيهقي، والحاكم، عن أبي هريرة مرفوعًا[٢]... وعلى هذا فعزو المصنف إلى الأربعة ليس كذلك، فإنه لم يروه أحد منهم، وأظنه تبع في ذلك الحافظ، فإنه عزاه في "الفتح" إلى أصحاب السنن والحاكم فوهم، ولعله أراد الذي قبله" ا.هـ

درجة الحديث: صحّحه الحاكم، ووافقه الذهبي، وصحّحه الشيخ سليمان على شرط البخاري، وصحّحه الألباني.

الشاهد: حكم من أتى الكاهن والعراف فصدّقه بأنه كافر.

قال ابن عثيمين: "جاء المؤلف بهذا الحديث مع أن الأول والثاني مغنيان عنه؛ لأن كثرة الأدلة مما يقوي المدلول" ا.هـ[٣]

ولأبي يَعَلَى - بِسَنَدٍ جَيِّدٍ - عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مِثْلُهُ مَوْقُوفًا.

"أبو يعلى" اسمه أحمد بن علي بن المثنى الموصلي الإمام صاحب التصانيف كـ"المسند" (ت٣٠٧هـ).

فقد روى الحديث مثل حديث أبي هريرة إلاّ أنه موقوف على ابن مسعود، فهذا يؤيّد ما سبق.

قال ابن باز: "وهذا له حكم الرفع؛ لأنه لا يقوله من رأيه، بل لا يكون إلا عن النبي ﷺ".[٤]

---

(١) القول المفيد (١/ ٥٣٩).

(٢) ولفظ أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد عن عوف عن خِلاس عن أبي هريرة والحسن عن النبي ﷺ... فذكره.

(٣) القول المفيد (١/ ٥٤١).

(٤) شرح كتاب التوحيد لابن باز ص (٨٤).

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَينٍ – مَرْفُوعًا –: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ، وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ). رَوَاهُ الْبَزَّارُ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ.. وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الأَوْسَطِ – بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ – مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، دُونَ قَوْلِهِ: (وَمَنْ أَتَى... إِلَى آخِرِهِ).

درجة الحديث: في إسناده زَمعة بن صالح وهو ضعيف عند الأكثر، وللحديث شواهد صحّحه الألباني بشواهده.

الشاهد: التحذير من فعل الكهانة، أو طلبها من الكهّان.

قوله: (**ليس منا**).. قال ابن باز: "أي ليس من المتبعين لسنة رسول الله ﷺ، أما التكفير فيؤخذ من أدلة أخرى فيها التفصيل، وإن كان ظاهره التكفير" ا.هـ[1]

قوله: (**من تطيّر**).. أي: فعل الطِّيَرة، (أو تُطُيِّر له) أي: أمر من يتطير له، وكذلك معنى (تكهن أو تكهن له)، (أو سحر أو سحر له).

وقوله: "**رواه البزّار بإسناد جيّد**".. البزّار هو: أبو بكر أحمد البزّار، إمامٌ جليل صاحب المسند ت٢٩٢هـ.

وقوله: "**ورواه الطبراني في الأوسط**".. الطبراني: سليمان بن أحمد اللخمي الشامي، أبو القاسم صاحب المعاجم، توفي بأصبهان سنة (٣٦٠ هـ).

قَالَ الْبَغَوِيُّ: الْعَرَّافُ الَّذِي يَدَّعِي مَعْرِفَةَ الأمُورِ بِمُقَدِّمَاتٍ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى الْمَسْرُوقِ وَمَكَانِ الضَّالَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ... وَقِيلَ: هُوَ الْكَاهِنُ، وَالْكَاهِنُ هُوَ..... إلخ.

"**البغوي**" هو: الإمام الحافظ الجليل، الحسين بن مسعود البغوي، نسبة إلى "بَغْ" من بلاد المشرق، له "تفسير البغوي" و"شرح السنّة".. من أئمة الشافعية ويُلقّب بمحيي السنّة.

تعريف العرّاف:

مأخوذ من المعرفة.. وهو من يدعي معرفة الأمور.

الفرق بين الكاهن والعراف:

ق١: الكاهن يتكلم في أمور المستقبل، والعرّاف يتكلم في الأمور الحاضرة.

---

(١) المصدر السابق.

ق٢: الكاهن يستخدم الشياطين، والعرّاف يستخدم الحَدْس والتّخمين والخطّ في الأرض، وما أشبه ذلك.

وقد يطلق العرّاف على الكاهن والعكس، فهما إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْمٍ يَكْتُبُونَ "أَبَا جَادٍ"، وَيَنْظُرُونَ فِي النُّجُومِ: مَا أَرَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ خَلاقٍ.

تخريج الأثر: رواه الطبراني عن ابن عباس مرفوعًا[١].. وهو ضعيف.. ضعّفه الألباني[٢] وغيره، فيه خالد بن يزيد العمري.. قال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الأثبات، وقال الهيثمي بعد أن عزاه للطبراني: "وفيه خالد بن يزيد العمري وهو كذاب".[٣]

الشاهد: أن استخدام هذه الطريقة لمعرفة الغيب من الكهانة.

لهذه الطريقة استخدامان:

١- مباح.. وهو استخدامها لوضع التواريخ والحساب، ولا يُستدل بها على الأمور الغيبية.

٢- محرّم.. وهو استخدامها لمعرفة الأمور المستقبلية.

طريقة الاستخدام المباح:

جعل كل رقم يوافق كل حرف حسب الترتيب الأبجدي: أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ.

أ	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩

ي	ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص
١٠	٢٠	٣٠	٤٠	٥٠	٦٠	٧٠	٨٠	٩٠

ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ
١٠٠	٢٠٠	٣٠٠	٤٠٠	٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠	٩٠٠	١٠٠٠

مثال:

(١) ولفظه: (رب معلم حروف أبي جاد دارس في النجوم ليس له عند الله من خلاق يوم القيامة)..

(٢) ضعّفه في ضعيف الجامع الصغير، وقال عنه في السلسلة الضعيفة: موضوع.

(٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٥/ ١١٧).

نظم بعضهم وفاة الأئمة الأربعة بقوله:

فنعمانهم (عف) و(قطع) لمالك.. وللشافعي (در) و (رُم) لابن حنبلِ.

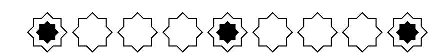
فنعمانهم أي النعمان بن ثابت وهو أبو حنيفة (عف): (ع) = ٧٠، (ف) = ٨٠.. الناتج = ١٥٠ هـ.... وهكذا.

مثال آخر:

قال صاحب تحفة الأطفال:

أبياتها (ندّ بدا) لذي النهى.. تاريخها (بُشرى لمن يُتْقِنُها)

أي عدد أبيات التحفة: (٦١) بيتًا.. وتاريخ نظمها: ١١٩٨ هـ



الباب السادس والعشرون: بَابُ مَا جَاءَ فِي النُّشْرَةِ

عَنْ جَابِرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ النُّشْرَةِ؟ فَقَالَ: (هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ). رَوَاهُ أحمد بِسَنَدٍ جَيِّدٍ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَقَالَ: "سُئِلَ أحمد عَنْهَا؟ فَقَالَ: ابْنُ مَسْعُودٍ يَكْرَهُ هَذَا كُلَّهُ".

وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ قَتَادَةَ، قُلْتُ لابْنِ الْمُسَيِّبِ: رَجُلٌ بِهِ طِبٌّ أَوْ يُؤْخَذُ عَنِ امْرَأَتِهِ، أَيُحَلُّ عَنْهُ أَوْ يُنْشَّرُ؟ قَالَ: "لا بَأْسَ بِهِ، إِنَّمَا يُرِيدُونَ بِهِ الإِصْلاحَ، فَأَمَّا مَا يَنْفَعُ فَلَمْ يُنْهَ عَنْهُ".

وَرُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ: "لا يَحُلُّ السِّحَرَ إِلا سَاحِرٌ".

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: "النُّشْرَةُ حَلُّ السِّحَرِ عَنِ الْمَسْحُورِ، وَهِيَ نَوْعَانِ: أَحَدُهُمَا حَلٌّ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ، وَهُوَ الَّذِي مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ قَوْلُ الْحَسَنِ، فَيَتَقَرَّبُ النَّاشِرُ وَالْمُنْتَشِرُ إِلَى الشَّيْطَانِ بِمَا يُحِبُّ، فَيُبْطِلُ عَمَلَهُ عَنِ الْمَسْحُورِ، وَالثَّانِي: النُّشْرَةُ بِالرُّقْيَةِ وَالتَّعَوُّذَاتِ وَالأَدْوِيَةِ وَالدَّعَوَاتِ الْمُبَاحَةِ، فَهَذَا جَائِزٌ".

الشرح:

٢٦ - بَابُ مَا جَاءَ فِي النُّشْرَةِ

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

لَمّا بيّن في الباب السابق السحر وشيءٍ من أنواعه، أراد أن يُبّين أن النشرة قد تكون من ساحر، وقد تكون من غير ساحر، فإذا كانت من ساحر فإنها تابعة للسِّحْر.

خلاصة الباب:

بيان النُّشْرة وأنواعها والصحيح منها.

تعريف النُّشْرة:

لغة: من الكشف والإزالة.

شرعاً: حلّ السحر عن المسحور.

أقسام النشرة:

١- جائزة: وهي حلّ السحر عن المسحور عن طريق الرقية الشرعية، أو الأدوية المجربة المباحة. والأفضل تسميتها رُقْيَة.

٢- محرمة: وهي حل السحر عن المسحور عن طريق السحر، والتعاويذ الشركية.

الطريقة الصحيحة لحلّ السحر:

١- إن عُلم مكان السحر فيؤخذ، ويُتلف عن طريق مختصٍّ.. كما ثبت في حلّ السحر عن النبي ﷺ.

٢- إن لم يُعلم مكانه فيُحل عن طريق الرُّقية الشرعية والأدوية المجربة المباحة، وقد مرّ معنا في باب ما جاء في الرُّقى والتمائم.. ومما ورد:

قراءة الفاتحة وآية الكرسي، وآيات السحر: (في الأعراف ويونس وطه[١]، والقواقل "السور التي تبدأ بقُلْ").[٢]

---

(١) وهي: الأعراف: (١١٧...١٢٢)، يونس: (٧٩...٨٢)، طه: (٦٨، ٦٩).

(٢) وهي: الإخلاص، والفلق، والناس.. وليست منها الكافرون والجن وإن كانتا تبدآن بـ(قُلْ).

وهي رُقية مُجرّبة للسحر عامة ولمن حُبس عن أهله خاصة، تُقرأ على الرجل وزوجته ويُنفث مع القراءة، وتُكرّر حتى الشفاء بإذن الله..

وورد كذلك عن السلف أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدُقُّه بين حجرين، ثم يضربه بالماء ويقرأ فيه ما سبق، ثم يحسو منه ثلاث حسوات، ثم يغتسل به.. وهذه ثبتت عن وهب بن منبِّه..

قال ابن باز: "فإنّ هذا مجرب لزوال هذا البلاء، وإن قرأت من دون سدر يكفي" ا.هـ[١]

وقال: "والغالب أنه يزول في المرة الأولى، وقد يحتاج له مرة ثانية أو ثالثة" ا.هـ[٢]

وقال: "والأَوْلى أن يكرر سورة (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)، والمعوذتين ثلاث مرات، ثم يدعو له بالشفاء: (اللهم رب الناس، أذهب الباس، واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما)، ثم يكرر ذلك ثلاث مرات، وهكذا يرقيه يقول: (بسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك، بسم الله أرقيك)، ويكررها ثلاثا ويدعو له بالشفاء والعافية، وإن قال في رقيته: (أعيذك بكلمات الله التامات من شر ما خلق)، وكررها ثلاثا فحسن كل هذا، ومن العلاج المفيد، أن يقرأ هذه الآيات والسور والدعاء في ماء ثم يشرب منه المسحور ويغتسل بباقيه" ا.هـ[٣]

مسألة: حكم حلّ السِّحْر بالسِّحْر؟

ق١: محرّم.. الجمهور.. لأن السحر محرّم بل شرك، والله سبحانه لم يجعل الشفاء فيما حرّمه.

ق٢: جائز.. بعض فقهاء الحنابلة.. واستدلوا بقول سعيد بن المسيِّب الآتي..

عَنْ جَابِرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ النُّشْرَةِ؟ فَقَالَ: (هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ). رَوَاهُ أحمد بِسَنَدٍ جَيِّدٍ، وَأبو دَاوُدَ، وَقَالَ: سُئِلَ أحمد عَنْهَا ؟ فَقَالَ: "ابْنُ مَسْعُودٍ يَكْرَهُ هَذَا كُلَّهُ".

درجة الحديث: حسّنه ابن حجر، وصحّحه الألباني.

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٢٨/ ٣٤٥).

(٢) فتاوى نور على الدرب لابن باز بعناية الشويعر (٣/ ٣٠٦).

(٣) مجموع فتاوى ابن باز (٦/ ٢٨٩).

الشاهد: أن النُّشْرة المعهودة محرّمة.

قوله: (**سئل عن النشرة**).. الألف واللام في النشرة للعهد، أي: النشرة المعهودة التي كان أهل الجاهلية يصنعونها.

قوله: (**هي من عمل الشيطان**).. لأنها سحر، والسحر من عمل الشيطان.

قوله: (**وقال: سئل أحمد عنها فقال: "ابن مسعود يكره هذا كله"**).. الكراهة عند المتقدمين يراد بها التحريم.. أي يُحرِّم النشرة التي من عمل الشيطان، والنشرة التي بكتابة وتعليق كالتمائم. قال ابن عثيمين: "أجاب رحمه الله بقول الصحابي، وكأنه ليس عنده أثر صحيح عن النبي ﷺ في ذلك، وإلا لاستدل به". (١)

وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ قَتَادَةَ، قُلْتُ لابْنِ الْمُسَيِّبِ: رَجُلٌ بِهِ طِبٌّ أَوْ يُؤْخَّذُ عَنِ امْرَأَتِهِ، أَيُحَلُّ عَنْهُ أَوْ يُنْشَّرُ؟ قَالَ: "لا بَأْسَ بِهِ، إنما يُرِيدُونَ بِهِ الإصْلاحَ، فَأَمَّا مَا يَنْفَعُ فَلَمْ يُنْهَ عَنْهُ".

هذا الأثر علقه البخاري بصيغة الجزم، ووصله أبو بكر الأثرم في كتاب "السنن".

قوله: (**رجل به طِب**) أي: سحر، وكنَّوا عن السحر بالطب تفاؤلاً، كما قالوا للديغ: سليم.

قوله: (**أو يُؤخَّذ**) أي: يُحبس عن امرأته، ولا يصل إلى جماعها.

قوله: (**قلت لابن المسيّب**).. أي سعيد بن المسيّب، أحد أعلام التّابعين وأحد الفقهاء السبعة الذين انتهت إليهم الفتوى في زمانهم، وهو عالِم المدينة وفقيهها.

قوله: (**قال لا بأس به... إلى آخره**).. يعني أن النشرة لا بأس بها لأنهم يريدون بها الإصلاح، أي: إزالة السحر، ولم ينه عما يراد به الإصلاح، إنما ينهى عما يضر..

مسألة: على ما ذا يُحمل قول ابن المسيب (رحمه الله)؟

ق١: على الاستعانة بالساحر لحلّ السحر.

ق٢: على حلّ السحر بالرُّقية الشرعية والأدوية المباحة.(٢)

---

(١) القول المفيد (١/ ٥٥٥).

(٢) في الوجيز: الظاهر – والله أعلم – أن ابن المسيب يرى جواز حل السحر بالسحر، كما هو ظاهر كلامه أعلاه، وأصرح منه ما روى ابن جرير في التهذيب من طريق يزيد بن زريع عن قتادة عن سعيد بن المسيب أنه كان لا يرى بأساً إذا كان بالرجل سحر أن يمشي إلى من يطلق عنه، فقال: هو صلاح. قال قتادة: وكان الحسن يكره ذلك، يقول: لا يعمل ذلك إلا ساحر، فقال سعيد بن المسيب: إنما نهى الله عما يضر، ولم ينه عما ينفع. وفي هذا دليل أنه يريد حله بالسحر،

قال ابن عثيمين: "ولكن على كل حال حتى ولو كان ابن المسيب ومن فوق ابن المسيب ممن ليس قوله حجة يرى أنه جائز ؛ فلا يلزم من ذلك أن يكون جائزا في حكم الله حتى يُعرض على الكتاب والسنة، وقد سئل الرسول ﷺ عن النشرة؟ فقال: (هي من عمل الشيطان)".[1]

وَرُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ: "لا يَحُلُّ السِّحَرَ إِلا سَاحِرٌ".

في تيسير العزيز الحميد: هذا الأثر ذكره ابن الجوزي في "جامع المسانيد" بغير إسناد، ولفظه: (لا يُطلق السحر إلا ساحر).

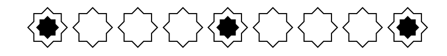
قوله: (**عن الحسن**).. هو ابن أبي الحسن، واسمه يسار البصري الأنصاري مولاهم، إمام فاضل من خيار التابعين.

قوله: (**لا يحل السحر إلا ساحر**).. أي: لا يحل السحر بغير الطريق الشرعية المعروفة إلا ساحر.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: "النُّشْرَةُ حَلُّ السِّحَرِ عَنِ الْمَسْحُورِ، وَهِيَ نَوْعَانِ: أَحَدُهُمَا حَلٌّ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ، وَهُوَ الَّذِي مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ قَوْلُ الْحَسَنِ..... إلخ".

هذا كلام ابن القيم في إعلام الموقعين.[2]

قال ابن عثيمين (رحمه الله): "هذا الكلام جيد ولا مزيد عليه".[3]



لا بالرقى الشرعية، لأنه عارض قول الحسن.. وقد تكلف بعض العلماء في دفع ذلك عن ابن المسيب".

(١) القول المفيد (١/ ٥٥٧).

(٢) انظر إعلام الموقعين (٤/ ٣٠١).

(٣) القول المفيد (١/ ٥٥٧).

الباب السابع والعشرون: بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّطَيُّرِ

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ((أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)).

وَقَوْلِهِ: ((قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ)).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لا عَدْوَى، وَلا طِيَرَةَ، وَلا هَامَةَ، وَلا صَفَرَ). أَخْرَجَاهُ.

زَادَ مُسْلِمٌ: (وَلا نَوْءَ وَلا غُولَ).

وَلَهُمَا عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لا عَدْوَى، وَلا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ). قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: (الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ).

وَلأَبِي دَاوُدَ - بِسَنَدٍ صَحِيحٍ - عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: ذُكِرَتِ الطِّيَرَة عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: (أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ، وَلا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ لا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلا أَنْتَ، وَلا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلا أَنْتَ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِكَ).

وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ – مَرْفُوعًا -: (الطِّيَرَة شِرْكٌ ، الطِّيَرَة شِرْكٌ، وَمَا مِنَّا إِلا... وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ). رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ، وَجَعَلَ آخِرَهُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ.

وَلأحمد مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍو: (مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَة عَنْ حَاجَتِهِ فَقَدْ أَشْرَكَ). قَالُوا: فَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: (أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ لا خَيْرَ إِلا خَيْرُكَ، وَلا طَيْرَ إِلا طَيْرُكَ، وَلا إِلَهَ غَيْرُكَ).

وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ: (إِنَّمَا الطِّيَرَة مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ).

الشرح:

٢٧ – بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّطَيُّرِ

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

الأبواب السابقة في السحر وما يلحق به، وهذا الباب في الطِّيَرة وسبق بيان أنها من أنواع السّحر؛ من حيث أنها تأثير خفي في نفس المتطيّر.

خلاصة الباب:

١– حقيقة التطير. ٢– حُكمه. ٣– صُوَرُه. ٤– ضابطه. ٥– بيان طريقة السلامة منه.

تعريف التطـيُّر:

لغة: مصدر: تطيّر تطيُّراً وطِيَرة، وهو استخدام الطير في التفاؤل والتشاؤم.

شرعًا: التشاؤم بمرئي أو مسموع أو معلوم.[١]

قال ابن القيم: "كانوا يزجرون الطير والوحش، ويثيرونها، فما تيامن منها، وأخذت ذات اليمين سمَّوه سانحاً، وما تياسر منها سمَّوه بارحاً، وما استقبلهم منها فهو الناطح، وما جاءهم من الخلف فهو القعيد، فمن العرب من يتشاءم بالبارح، ويتبرك بالسانح، ومنهم من يرى خلاف ذلك" ا.هـ[٢]

وفعلهم هذا محرم من أصله حتى لو تفاءلوا بالسانح؛ لأن هذا من الأزلام.

حكم التطير:

الأصل: أنه شرك أصغر؛ لأنه من باب اتخاذ سبباً لم يجعله الشارع سبباً، ولأنه كذلك يقدح في التوكل على الله.

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ((أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)).

الآية في الحديث عن آل فرعون وأولها: ((فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا ...)).

الشاهد: أن التطيّر جاء في سياق الذم؛ لأنه من صفات أعداء الله، وأصحابه جاهلون.

---

(١) الغالب أن دلالة اللغة أوسع من دلالة الاصطلاح لكن في التطير العكس.

(٢) مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٢٩).

معنى الآية: أن آل فرعون إذا جاءهم الخصب والسعة والعافية قالوا: نحن الجديرون به، وإذا جاءهم بلاء وضيق وقحط يقولون: هذا بسبب موسى وأصحابِه.. فأخبر سبحانه أن هذا القدر الذي تطيّروا به هو من عند الله، أي أن الذي قدّره هو الله سبحانه، ولكن أكثرهم لا يعلمون أن ذلك كذلك، فلجهلهم بذلك كانوا يتطيرون بموسى ومن معه.

وَقَوْلِهِ: ((**قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ**)).

الشاهد: أن التطير مذموم؛ لأنه صادر عن أعداء الله.

هذه الآية في سياق الحديث عن أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون، فقالوا للرسل: ((إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ))، فقال الرسل: ((طَائِرُكُم مَّعَكُمْ..)).. أي ما أصابكم فأنتم سببه، وقيل: تطيُّركم إنما يعود عليكم.

قوله: (**أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ**).. أي: من أجل أنا ذكرناكم وأمرناكم بتوحيد الله، قابلتمونا بهذا الكلام؟!

قوله: (**بل أنتم قوم مسرفون**).. (بل) هنا للإضراب الإبطالي؛ أي: ما أصابكم ليس منها، بل هو من إسرافكم أي من تجاوزكم للحد الذي يجب أن تكونوا عليه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لا عَدْوَى، وَلا طِيَرَةَ، وَلا هَامَةَ، وَلا صَفَرَ). أَخْرَجَاهُ.

زَادَ مُسْلِمٌ: (**وَلا نَوْءَ وَلا غُولَ**).[1]

الشاهد: نفي الاعتقاد بأن الطِّيَرة لها تأثير، وكذلك العدوى والهامة والصفر والنَّوْء والغُول..

قوله: (**لا عدوى**).. العدوى: انتقال المرض من المريض إلى الصحيح..

وبتعريف أعم: انتقال السوء من صاحبه إلى غيره.. لأن المنتقل قد يكون مرضًا، وقد يكون غيره.. ومنه حديث: حامل المسك ونافخ الكير.

---

(١) في بعض روايات هذا الحديث: (فقال أعرابي: يا رسول الله فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء فيجيء البعير الأجرب، فيدخل فيها فيجربها كلها؟ قال: فمن أعدى الأول)..

وفي رواية في "مسلم" أن أبا هريرة كان يحدث بحديث: (لا عدوى) ويُحدِّث عن النبي ﷺ أنه قال: (لا يورد ممرِض على مصِح) ثم إن أبا هريرة اقتصر على حديث (لا يورد ممرض على مصح) وأمسك عن حديث: (لا عدوى)، فراجعوه فيه، فقالوا: سمعناك تحدثه، فأبى أن يعترف به. قال أبو سلمة الراوي عن أبي هريرة: فلا أدري أنسي أبو هريرة أو نسخ أحد القولين الآخر.

مسألة:

هناك أحاديث ظاهرها يدل على أن العدوى لها تأثير.. مثل حديث: (لا يُورَد مُمرِض على مصِحٍّ) متفق عليه، وحديث: (وفِرَّ من المجذوم كما تفِرُّ من الأسد) رواه البخاري.. وحديث عمرو بن الشريد، عن أبيه، قال: كان في وفد ثقيف رجل مجذوم، فأرسل إليه النبي ﷺ: (إنّا قد بايعناك فارجع) رواه مسلم.

فكيف الجمع بينها وبين هذا الحديث؟

ق١: بعضهم ردّ حديث: (لا عدوى) لأن أبا هريرة رجع عنه.

ق٢: وبعضهم رجّحه وردّ ما سواه من الأخبار.(١)

ق٣: وبعضهم حمل حديث (لا عدوى) لمن قوي يقينه.

ق٤: أن النفي في قوله (لا عدوى) على الوجه الذي كانوا يعتقدونه في الجاهلية من إضافة الفعل إلى غير الله تعالى، وأن هذه الأمراض تعدي بطبعها.. وهذا هو الراجح.. وهو قول البيهقي، واختاره ابن القيم، وابن باز، وابن عثيمين، والألباني.

في تيسير العزيز الحميد: "وأما أمره بالفرار من المجذوم، ونهيه عن إيراد الممرض على المصح، وعن الدخول إلى موضع الطاعون، فإنه من باب اجتناب الأسباب التي خلقها الله تعالى، وجعلها أسبابًا للهلاك والأذى، والعبد مأمور باتقاء أسباب الشر إذا كان في عافية...." ا.هـ

مسألة:

تجوز مخالطة المريض إذا قوي التوكل على الله لا سيما إذا كانت فيه مصلحة عامة أو خاصة.. وعلى هذا يحمل الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي من حديث جابر: (أن النبي ﷺ أخذ بيد مجذوم فأدخلها معه في القصعة ثم قال: كل باسم الله، ثقة بالله، وتوكلا عليه) ضعّفه الألباني.. وقد أخذ به الإمام أحمد. وروي ذلك عن عمر، وابنه، وسلمان رضي الله عنهم. ذكره ابن رجب بمعناه.(٢)

---

(١) وأعلوا بعضها بالشذوذ كحديث: (فر من المجذوم فرارك من الأسد) وبأن عائشة أنكرته كما روى ابن جرير عنها: أن امرأة سألتها عنه فقالت: ما قال ذلك، ولكنه قال: (لا عدوى) وقال: (فمن أعدى الأول) قالت: وكان لي مولى به هذا الداء، فكان يأكل في صحافي، ويشرب في أقداحي، وينام على فراشي..

(٢) انظر: لطائف المعارف (ص: ٦٩).

قوله: (**ولا طِيَرة**).. هي التشاؤم بمرئي أو مسموع..

ومعنى لا طيرة: نفي تأثير الطِّيَرة، ومعناه يشمل النهي.. أي: الطِّيَرة لا تؤثِّر فلا تتطيّروا.

مثال:

إنسان خرج من بيته وهو ينوي سفرا.. فحصل أمامه حادث فاستدلّ بهذا الحادث على أنه سيفشل في سفره.. فرجع إلى بيته وألغى سفره.. فهذا تطيّر.

والطِّيَرة ليس لها أصل، بخلاف العدوى، وإنما هي من الشيطان، فهي تخيُّلٌ من الإنسان بسبب وسوسة الشيطان.. ولا يتشاءم إلا من ضعُف إيمانه، أما قوي الإيمان فيتوكّل على الله ولا تؤثِّر فيه.

وقد جاءت أحاديث ظن بعض الناس أنها تدل على جواز الطِّيَرة:

الحديث الأول:

عن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن كان الشؤم في شيء ففي الفرس، والمسكن، والمرأة) [متفق عليه]، وفي حديث ابن عمر عند البخاري: (لا عدوى ولا طيرة، إنما الشؤم في ثلاث: في الفرس، والمرأة، والدار)..

الجواب:

ق١: إنكار الحديث.. وهو قول عائشة – رضي الله عنها – قالت: "كذب والذي أنزل الفرقان على أبي القاسم من حدث بها، ولكن رسول الله ﷺكان يقول: (كان أهل الجاهلية يقولون: إن الطِّيَرة في المرأة والدار والدابة) ثم قرأت عائشة: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ). رواه أحمد وابن خزيمة والحاكم وصححه بمعناه.

ق٢: أنّ هذا مستثنى من الطِّيَرة.. قاله الخطابي وابن قتيبة، واختاره ابن باز.

ق٣: أنه ﷺ لم يجزم بالشؤم في هذه الثلاثة، بل علّقه على الشرط.. واختاره الألباني.

ق٤: أن الشؤم بهذه الثلاثة إنما يلحق من تشاءم بها فيكون شؤمها عليه، ومن توكل على الله ولم يتشاءم ولم يتطير لم تكن مشؤومة عليه.. ويدل عليه حديث أنس عند ابن حبان بسند صحيح: (الطِّيَرة على من تطير).

ق٥: أن الله سبحانه قد يخلق أعيانًا مشؤومة، وأعيانًا مباركة لمن قاربها وساكنها.. أي قد

يكون فيها بركة ويُمْن لمن قاربها وساكنها، وقد يكون فيها شرّ ونحس.. لكن لا يدل على أنه يجوز التطيّر بها.. قال به ابن القيم[1].. وهذا أقرب الأقوال.

الحديث الثاني:

ما روى مالك عن يحيى بن سعيد قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، دارٌ سكناها والعدد كثير والمال وافر فقل العدد وذهب المال؟ فقال النبي ﷺ : (دعوها ذميمة) رواه أبو داود عن أنس بنحوه.

وجوابه:

أمرهم بالانتقال لأنهم استثقلوها واستوحشوا منها؛ ولأن مقامهم فيها قد يقودهم إلى الطِّيَرة.. فيكون من باب الوقاية من التطيّر لا من باب التطيّر.

الحديث الثالث:

(حديث اللقحة لما منع النبي ﷺ حربًا ومُرّة من حلبها وأذن ليعيش) رواه مالك.

وجوابه:

هذا ليس من التطير، ولكن من باب طلب الفأل الحسن[2].. كما قال ابن عبد البر.[3]

قوله: (ولا هامَة).. بتخفيف الميم على الصحيح.. واختُلف في معناها:

ق١: طائر البومة.. قال الفرّاء: الهامة طائر من طير الليل.. قال ابن الأعرابي: كانوا يتشاءمون بها إذا وقعت على بيت أحدهم يقول: نعت إلي نفسي أو أحدًا من أهل داري.[4]

ق٢: عظام الميت تكون على شكل طائر يسمونه الصدى.. قاله أبو عبيد[5]، وبه جزم ابن رجب.

قال ابن رجب: "وهذا شبيه باعتقاد أهل التناسخ أن أرواح الموتى تنتقل إلى أجساد حيوانات

---

(١) انظر: مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٥٥).

(٢) وقد روى ابن وهب في "جامعه" ما يدل على هذا فإنه قال في هذا الحديث: فقام عمر بن الخطاب فقال: أتكلم يا رسول الله أم أصمت؟ فقال: (بل اصمت وأخبرك بما أردت، ظننت يا عمر أنها طيرة، ولا طير إلا طيره، ولا خير إلا خيره، ولكن أحب الفأل الحسن).

(٣) انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢٤/ ٧١).

(٤) ذكر القولين صاحب تيسير العزيز الحميد.

(٥) انظر: غريب الحديث (١/ ١٥١).

من غير بعث ولا نشور" ا.هـ.(١)

ق٣: دودة تخرج من رأس الميت تطلب بثأره..

ذكر الزبير بن بكار في "الموفقيات" أن العرب كانت في الجاهلية تقول: إذا قتل الرجل، ولم يؤخذ بثأره، خرجت من رأسه هامة، وهي دودة فتدور حول قبره وتقول: اسقوني. وفي ذلك يقول شاعرهم:

يا عمرو إن لا تدع شتمي ومنقصتي... أضربك حتى تقول الهامة اسقوني.

قال: وكانت اليهود تزعم أنها تدور حول قبره سبعة أيام ثم تذهب.(٢)

قوله: (**ولا صَفَر**).. بفتح الفاء.. واختُلف في معناها:

ق١: هي حية تكون في البطن تصيب الماشية والناس، وهي أعدى من الجرب عند العرب. قاله رؤبة بن العجّاج(٣)، وهو قول سفيان بن عيينة، وأحمد، والبخاري، وابن جرير..

فعلى هذا فالمراد نفي ما كانوا يعتقدونه من العدوى، وعطفه على العدوى من عطف الخاص على العام.

ق٢: المراد به شهر صفر؛ لأن أهل الجاهلية كانوا يتشاءمون بصفر.. واختاره ابن رجب، وابن عثيمين.

قوله: (**ولا نَوْء**).. النَّوء واحد الأنواء: أي ليس لها تأثير، وسيأتي الكلام عليه في باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء.

قوله: (**ولا غُول**).. جمعه أغوال وغيلان، وهو جنس من الجن والشياطين كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تتراءى للناس فتتغول تغولاً، أي: تتلون تلونًا في صور شتى، فتضلهم عن الطريق وتهلكهم، فنفاه النبي ﷺ وأبطله.

والمعنى: أنها لا تستطيع أن تُضلّ أحدًا.. ومنه الحديث: (إذا تغوّلت الغيلان فبادروا بالأذان) رواه أحمد وضعّفه الألباني وله شواهد(٤).. أي: ادفعوا شرها بذكر الله، وهذا يدل على أنه لم يرد بنفيها

---

(١) لطائف المعارف (ص: ٧٤).

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٢٤١)، الآداب الشرعية لابن مفلح (٣/ ٣٦٨).

(٣) انظر: لسان العرب (٤/ ٤٦٣).

(٤) الحديث من طريق الحسن عن جابر ﷺ، فإسناده منقطع؛ لأن الحسن لم يسمع من جابر ﷺ.. وله شواهد من

عدمها.. ومنه حديث أبي أيوب: "كان لي تمر في سهوة فكانت الغول تجيء فتأخذ". رواه أحمد والترمذي والحاكم وصحّحه.

مسألة: لا يعالج التشاؤم المعهود بألفاظ التفاؤل..

مثال: قولهم: صفر الخير.. أو قولهم عند سماع البومة: خير خير.

في تيسير العزيز الحميد: "قال عكرمة: كنا جلوسًا عند ابن عباس فمر طائر يصيح. فقال رجل من القوم: خير خير. فقال ابن عباس: لا خير ولا شر.. فبادره بالإنكار عليه لئلا يعتقد تأثيره في الخير والشر. وخرج طاووس مع صاحب له في سفر، فصاح غراب، فقال الرجل: خير. فقال طاووس: وأي خير عند هذا لا تصحبني.. انتهى. ملخصًا".

قال ابن عثيمين: "وبعض الناس إذا انتهى من شيء في صفر أرّخ ذلك وقال: انتهى في صفر الخير، وهذا من باب مداواة البدعة ببدعة، والجهل بالجهل؛ فهو ليس شهر خير ولا شهر شر" ا.هـ(١)

وَلَهُمَا عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لا عَدْوَى، وَلا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ). قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: (الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ).

قوله: (ويعجبني الفأل).. الفأل هو الاستبشار بمرئي أو بمسموع، ولا ينبني عليها إقدام أو إحجام.

وكان ﷺ يُعجبه الفأل؛ لأن التفاؤل حسن ظن بالله، بعكس التشاؤم فإنه سوء ظن بالله.. والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال.

قال حافظ حكمي (رحمه الله): ومن شرط الفأل أن لا يُعتمد عليه ، وأن لا يكون مقصوداً ، بل أن يتفق للإنسان ذلك من غير أن يكون له على بال" ا.هـ(٢). ولكن كان ﷺ يبحث عن الاسم الحسن!

حديث أبي هريرة، وسعد، وابن عمر وكلها ضعيفة.. وأصح ما ورد في ذلك ما رواه عبد الرزاق في مصنفه وابن أبي شيبة في مصنفه عن يُسير بن عمرو قال: ذُكرت عند عمر رضي الله عنه الغيلان فقال: "إنه لا يتحوّل شيء عن خلقه الذي خُلق له، ولكن فيهم سحرة كسحرتكم، فإذا رأيتم من ذلك شيئًا فأذّنوا". إسناده صحيح كما قال الحافظ في الفتح (٦/٣٤٤).

(١) القول المفيد (١/ ٥٦٧).

(٢) معارج القبول بشرح سلم الوصول (٣/ ٩٩٣).

قوله: (**قالوا وما الفأل؟ قال الكلمة الطيبة**).. هكذا في رواية مسلم، وفي رواية الصحيحين: **قال:** (**الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم**).. أي أن الفأل هو الكلمة الطيبة التي تستبشر بها النفوس.

كأن معنى الحديث: لا أتشاءم ولكن أتفاءل..

ومعناه لنا: لا تتشاءموا ولكن تفاءلوا؛ فنحن تبع لنبينا ﷺ.

وَلأَبِي دَاوُدَ - بِسَنَدٍ صَحِيحٍ - عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: ذُكِرَتِ الطِّيَرة عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: (**أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ، وَلا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإذا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ... الحديث**).

درجة الحديث: صحّحه النووي في رياض الصالحين.. وقال الحافظ في "الإصابة": رجاله ثقات، لكن حبيب كثير الإرسال.. ضعّفه الألباني، وقال: في سنده حبيب بن أبي ثابت كثير التدليس، ولم يصرح بالتحديث...

الشاهد: الإرشاد إلى التفاؤل، وأن المسلم لا ترده الطِّيَرة، وبيان ما يقول إذا وقع في قلبه شيء.

قوله: (**عن عقبة بن عامر**).. صوابه (عروة بن عامر) كذا أخرجه أحمد وأبو داود وغيرهما، وربما نقله من ابن السني أو أخذه عن النووي في كتابه رياض الصالحين..

و(**عروة بن عامر**) مكّي اختُلف في نسبه، فقال أحمد بن حنبل في روايته: عن عروة بن عامر القرشي، وقال غيره الجهني.. واختُلف في صحبته، فقال البارودي: له صحبة، وذكره ابن حبان في ثقات التابعين، وقال المزي: لا صحبة له تصح.

قوله: "**ذُكرت الطِّيَرة عند رسول الله ﷺ**".. رُبما أن المقصود: التأثر بالمرئي والمسموع.. لأنه قال بعدها: أحسنها الفأل، فالفأل ليس من الطِّيَرة. ولكن يشبهها من جهة التأثر.

قوله: (**فقال: أحسنها الفأل**).. أي أحسن التأثر ما كان فألًا.

قوله: (**ولا ترد مسلمًا**).. هذا ضابط الطِّيَرة وهي التي ينبني عليها عمل.

قوله: (**فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل....**).. هذا من الوقاية قبل التطير.

قوله: (**فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ لا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إلا أَنْتَ...**). دعاء عظيم يدل على حقيقة التوكل على الله؛ لأن القلب ضعف عن التوكل على الله، وجاء في آخره: (ولا حول ولا قوة إلا بك)

لأن القلب قد ضعف فناسب أن يطلب الاستعانة من الله.

وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ – مَرْفُوعًا –: (الطِّيَرة شِرْكٌ، الطِّيَرة شِرْكٌ، وَمَا مِنَّا إِلا... وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ). رَوَاهُ أبو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ، وَجَعَلَ آخِرَهُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ.

درجة الحديث: صحيح، صحّحه الألباني وغيره..

لفظ أبي داود: (الطِّيَرة شرك، الطِّيَرة شرك "ثلاثًا"، وما مِنّا...).

الشاهد: أن الطِّيَرة شرك.. وإنما كانت شركًا؛ لأن فيها تعلق القلب بغير الله سبحانه، وإساءة الظن به.

قوله: (**الطِّيَرة شرك**).. أي من الشرك الأصغر؛ لأنه قال: شرك، ولم يقل الشرك.

قوله: (**وما مِنّا إلا...**).. في الحديث إضمار والتقدير: وما مِنّا إلا تطير.. وقال الخلخالي: "حذف المستثنى لما يتضمنه من الحالة المكروهة، وهذا نوع من أدب الكلام". (١)

قوله: (**وجعل آخره من قول ابن مسعود**).. أي أن قوله: (وما منا إلا... ولكن...إلخ) مدرج في الحديث من كلام ابن مسعود رضي الله عنه.

وَلأحمد مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍو: (مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرة عَنْ حَاجَتِهِ فَقَدْ أَشْرَكَ). قَالُوا: فَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: (أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ لا خَيْرَ إِلا خَيْرُكَ، وَلا طَيْرَ إِلا طَيْرُكَ، وَلا إِلَهَ غَيْرُكَ).

درجة الحديث: صحّحه الالباني وغيره.. وضعّفه البعض؛ لأن في سنده ابن لهيعة وفيه مقال مشهور.. لكن الراوي عنه ابن وهب وروايته عنه مستقيمة.

الشاهد: أن الطِّيَرة المترتب عليها عمل شرك.. كفارة هذا الشرك الدعاء بـــ: (اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك).. ففي الدعاء إفراد الله بالربوبية وبالألوهية تكفيرًا لهذا الشرك.

---

(١) ذكره صاحب تيسير العزيز الحميد..

والخلخالي هو شمس الدين محمد بن مظفر الدين الخلخالي نسبة لقرية خلخال في طرف أذربيجان، من تصانيفه: مفتاح تلخيص المفتاح في البلاغة، وشرح المصابيح، ومختصر ابن الحاجب، مات سنة ٧٤٥ تقريبا. انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٦/ ١٢).

قوله: (**لا خير إلا خيرك**).. حصر الخير بأنه من عند الله وحده.

وقوله: (**لا طير إلا طيرك**).. حصر الطير (أي القَدَر الذي يتشاءمون منه) بأنه من عند الله وحده..

ومعناه: أنه لن يقع إلا ما قدّرته يا رب.

وقوله: (**لا إله غيرك**).. إفراده بالألوهية، كما أفردناه بالربوبية في (لا خير إلا خيرك...).

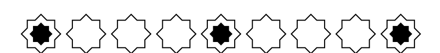
هذا الدعاء بعد الوقوع في الطِّيَرة، والدعاء السابق (اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت...) قبل الوقوع في الطِّيَرة.

وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ: (إنما الطِّيَرة مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ).

درجة الحديث: في إسناده ابن علاثة مختَلف فيه، وانقطاع بين مسلمة الجهني والفضل.(١)

الشاهد: أن هذا ضابط الطِّيَرة المحرّمة وهي التي ينبني عليها إقدام أو إحجام، أما ما يقع في النفس فلا يخلو منه أحد.

و(**الفضل بن عباس**).. هو ابن العباس بن عبد المطلب ابن عم النبي ﷺ وأكبر ولد العباس.



(١) والحديث: قال أحمد: حدثنا حماد بن خالد، قال: حدثنا ابن علاثة، عن مسلمة الجهني، قال: سمعته يحدث، عن الفضل بن عباس، قال: خرجت مع رسول الله ﷺ، يوما فبرح ظبي، فمال في شقه فاحتضنته، فقلت: يا رسول الله، تطيرتَ؟ قال: (إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك).. ومعنى فبرح من البارح وهو: ما مر من الصيد من يمينك إلى يسارك، والعرب تتطير به، لأنه لا يمكنك أن ترميه حتى تنحرف.

ابن علاثة وثّقه ابن معين، وقال البخاري: في حديثه نظر.. ومسلمة الجهني لم يوثقه غير ابن حبان، ثم هو لم يدرك الفضل بن عباس.

في تيسير العزيز الحميد: هذا الحديث رواه أحمد في "المسند" وفي إسناده نظر. وقرأت بخط المصنف: فيه رجل مختلف فيه، وفيه انقطاع أي: بين مسلم وبين الفضل.

الباب الثامن والعشرون: بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّنْجِيمِ

قَالَ الْبُخَارِيُّ - فِي صَحِيحِهِ -: "قَالَ قَتَادَةُ: خَلَقَ اللَّهُ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلاثٍ: زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا، فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ أَخْطَأَ، وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لا عِلْمَ لَهُ بِهِ". انْتَهَى

وَكَرِهَ قَتَادَةُ تَعَلُّمَ مَنَازِلِ الْقَمَرِ، وَلَمْ يُرَخِّصِ ابْنُ عُيَيْنَةَ فِيهِ "ذَكَرَهُ حَرْبٌ عَنْهُمَا". وَرَخَّصَ فِي تَعَلُّمِ الْمَنَازِلِ: أحمد، وَإِسْحَاقُ.

وَعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (ثَلاثَةٌ لا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ). رَوَاهُ أحمد وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ.

الشرح:

٢٨ – بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّنْجِيمِ

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

التطير من أنواع السحر، وكذلك التنجيم.. والعلاقة من حيث الاستناد لأمر خفي.

خلاصة الباب:

بيان حكم نوعَيْ التنجيم.

تعريف التنجيم:

التنجيم: مصدر نجّم بتشديد الجيم؛ أي: استخدام النجوم اعتقادًا أو استدلالاً.

أقسام التنجيم:

١– علم التأثير.. وهو اعتقاد أن هذه النجوم لها تأثير في حوادث الكون..

وهذا اعتقاد قديم كان في قوم نمرود، الذي بُعث إليهم إبراهيم عليه السلام، وهم الصابئة الذي يعبدون الكواكب، ويعتقدون أنها تدبِّر الكون.. ولا يزال هذا الاعتقاد موجودًا إلى اليوم.. والله المستعان.

قال الشيخ صالح آل الشيخ: "ومما يدخل في التنجيم في هذا العصر بوضوح – مع غفلة الناس عنه – ما يكثر في المجلات مما يسمونه البروج، فيخصصون صفحة أو أقل منها في الجرائد، ويجعلون عليها رسم بروج السنة برج الأسد، والعقرب، والثور، إلى آخره، ويجعلون أمام كل برج ما سيحصل فيه".(١)

٢– علم التسيير.. وهو تعلم سير النجوم لمعرفة بعض مصالح الدين أو الدنيا.. فليس له علاقة بعلم الغيب.

حكم علم التأثير:

أ / شرك أكبر في الربوبية.. إذا اعتقد أن هذه النجوم مؤثرة بذاتها، بمعنى أنها هي التي تخلق الحوادث.

ب / كفر مخرج عن الملة.. إذا استدل بها على علم الغيب (قبل وقوع الحادث).

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٣٤٨).

ج / شرك أصغر.. إذا اعتقد أنها سبب للحوادث (بعد وقوع الحادث).

حكم علم التسيير:

١- أن يستدل بسيرها على المصالح الدينية؛ فهذا مطلوب.

٢- أن يستدل بسيرها على المصالح الدنيوية.. وهو نوعان:

أ/ أن يستدل بها على الجهات.. فهذا جائز، قال تعالى: ((وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ)).

ب/ أن يستدل بها على الفصول وهو ما يعرف بتعلم منازل القمر[١].. فهذا كرهه بعض السلف، وأجازه آخرون: كرهه قتادة وسفيان بن عُيينة، سداً للذريعة.. وأجازه الإمام أحمد، واختاره ابن تيمية.

شُبْهة:

استدل بعض المنجمين على صحة علم التأثير بقوله تعالى عن إبراهيم: ((فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ)).

الجواب:

قوله هذا مثل قول إبراهيم – عليه السلام – للكوكب: ((هَذَا رَبِّي)).. ليس اعتقادًا، ولكن ليقيم الحجة عليهم.. فكذلك نظره في النجوم ليس اعتقادًا ولكن ليصدّقوه؛ لأنهم يعتقدون أن النجوم لها تأثير.

قال ابن كثير (رحمه الله): أَحبَّ أن يختلي بآلهتهم ليكسرها فقال لهم كلاما هو حقٌّ في نفس الأمر، فهموا منه أنه سقيم على مقتضى ما يعتقدونه ((فتولَّوا عنهُ مُدْبِرين))، قال قتادة: والعرب تقول لمن تفكر: نظر في النجوم.. يعني قتادة أنه نظر إلى السماء متفكرا فيما يلهيهم به فقال: ((إِنِّي سَقِيم)) ا.هـ[٢]

شُبْهة:

استدل بعض المنجمين بقوله تعالى: ((وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ)) على أن المراد بها الاهتداء إلى علم الغيب.

الجواب:

---

(١) القمر له كل ليلة منزلة حتى يتم ثمان وعشرين، وفي تسع وعشرين وثلاثين لا يظهر في الغالب..

(٢) تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٤).

يُجاب عليهم بقوله تعالى: ((وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۗ))، ولا مزيد على كلام الله سبحانه.

قَالَ الْبُخَارِيُّ – فِي صَحِيحِهِ –: قَالَ قَتَادَةُ: خَلَقَ اللَّهُ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلاثٍ: زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا..... إلخ.

هذا الأثر علقه البخاري في "صحيحه" بصيغة الجزم..

الشاهد:

أن الله سبحانه لم يذكر في القرآن للنجوم إلا ثلاث حكم فقط: زينة، ورجومًا، وعلامات اهتداء.. فما زاد فلا دليل عليه.

زينةً للسماء.. من قوله تعالى: ((وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ)).

رجوماً للشياطين.. من قوله تعالى: ((وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ ۖ)).

علاماتٍ يُهتدى بها.. من قوله تعالى: ((وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ)).

وَكَرِهَ قَتَادَةُ تَعَلُّمَ مَنَازِلِ الْقَمَرِ، وَلَمْ يُرَخِّصِ ابْنُ عُيَيْنَةَ فِيهِ "ذَكَرَهُ حَرْبٌ عَنْهُمَا". وَرَخَّصَ فِي تَعَلُّمِ الْمَنَازِلِ أحمد، وَإِسْحَاقُ.

الشاهد: بيان أقوال السلف في حكم تعلم علم التسيير للنجوم للاستدلال بها على الأوقات.

فهذا اختلافهم في هذا القسم، فما ظنك بعلم التأثير؟!

قوله: (**ذكره حرب عنهما**).. هو الإمام الحافظ حرب بن إسماعيل الكرماني، من أجلّة أصحاب الإمام أحمد، وله مصنفات جليلة منها كتاب "المسائل" التي سئل عنها الإمام أحمد وغيره..

وإسحاق هو ابن إبراهيم بن مخلد الحنظلي النيسابوري الإمام، المعروف بـ"ابن راهَوَيه".. في السِّيَر: ""قال حنبل: سمعت أبا عبد الله، وسئل عن إسحاق بن راهويه، فقال: مثل إسحاق يسأل عنه؟! إسحاق عندنا إمام. وعن الإمام أحمد أيضا، قال: لا أعرف لإسحاق في الدنيا نظيرا". (١)

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٧٢).

وَعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (ثَلاثَةٌ لا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ). رَوَاهُ أحمد وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ.

درجة الحديث: صحّحه الحاكم، والذهبي، وضعّفه الألباني، في سنده أبو حريز مختلف فيه.. وللحديث شواهد.

وتمام الحديث: (ومن مات مدمنا للخمر سقاه الله عز وجل من نهر الغُوطة). قيل: وما نهر الغُوطة؟ قال: (نهر يجري من فروج المومسات، يؤذي أهل النار ريح فروجهم).

الشاهد: الوعيد الشديد لمن صدّق بالسحر، والتنجيم من السحر.

قوله: (**ثلاثة لا يدخلون الجنة**).. اختلف أهل العلم في هذا الحديث وأمثاله على أقوال:

ق١: يُحمل على ظاهره فلا يدخل الجنة أصلاً مدمن الخمر ونحوه.. وهو قول الخوارج والمعتزلة.

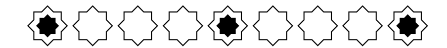
ق٢: أن هذا من نصوص الوعيد، وصاحبه تحت المشيئة.. وقد كره السلف تأويلها وقالوا: أمروها كما جاءت. ومال إليه المصنّف وابن باز.

ق٣: يُحمل على من فعل ذلك مستحلًّا.. وقال به أكثر الشرّاح.

ق٤: يُحمل على أنهم لا يدخلون الجنة إلا بعد العذاب.. ومال إليه ابن عثيمين وقال: "وهذا أقرب إلى القواعد وأبْيَن حتى لا تبقى دلالة النصوص غير معلومة؛ فتقيد النصوص بعضها ببعض".[١]

ق٥: أنّ من كانت هذه حاله حري أن يختم له بسوء الخاتمة، فيموت كافرا، فيكون هذا الوعيد باعتبار ما يؤول حاله إليه.

قوله: (**ومُصدِّق بالسحر**).. هذا الشاهد، ووجه الاستشهاد أن التنجيم من السحر للحديث: (من اقتبس شعبة من النجوم اقتبس شعبة من السحر).



(١) القول المفيد (٢/ ١٦).

الباب التاسع والعشرون: بَابُ مَا جَاءَ فِي الِاسْتِسْقَاءِ بِالأَنْوَاءِ

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ((وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ)).

وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ بِالأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ).

وَقَالَ: (النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَلَهُمَا عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ ﷺ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: (هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟). قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمَ. قَالَ: (قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ).

وَلَهُمَا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَعْنَاهُ، وَفِيهِ: "قَالَ بَعْضُهُمْ لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الآيات: ((فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ)) إلى قوله: ((وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ))".

الشرح:

٢٩ – بَابُ مَا جَاءَ فِي الِاسْتِسْقَاءِ بِالأَنْوَاءِ

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

علاقة الخاص بالعام.. فالذي قبله في بيان حكم نسبة الحوادث عمومًا للنجوم، وهذا خاص بنسبة الأمطار لها.

خلاصة الباب:

بيان حكم الاستسقاء بالأنواء.

تعريف الاستسقاء بالأنواء:

الاستسقاء: نسبة السقيا، أو طلب السُّقْيا..

في التمهيد: "باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء "يعني: باب ما جاء في نسبة السقيا إلى النوء، وعبّر بلفظ الاستسقاء؛ لأنه جاء في الحديث" والاستسقاء بالنجوم".

الأنواء: جمع نوء ، وهي منازل النجوم.. مأخوذ من قولهم: ناء، أي طلع.

فمعنى الاستسقاء بالأنواء: نسبة السقيا إلى منازل النجوم، وتشمل طلب السقيا من النجم.

حكم الاستسقاء بالأنواء قسمان:

القسم الأول: شرك أكبر.. وهو نوعان:

أ / شرك أكبر في الربوبية: إذا اعتقد أن هذه الأنواء هي التي تُنزِّل المطر.

ب / شرك أكبر في الألوهية: إذا استغاث بالأنواء، كأن يقول: يا نوء كذا اسقنا.

القسم الثاني: شرك أصغر.. إذا اعتقد أنها سبب لنزول المطر؛ لاتخاذه سببًا لم يشرعه الله.

وأما قولهم: مُطرنا في وقت كذا فجائز؛ لأنه نسبة وقت، وليس فيه اعتقاد تأثير أو سببية.. وذلك بخلاف قولهم: مُطرنا بوقت كذا.. فالباء للسببية.. أي بسبب وقت كذا.

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ((**وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ**)).

الشاهد: أن الله سبحانه ذمّ الكافرين بأنهم ينسبون النعمة والمطر لغير الله..

قوله: (**رِزْقكم**).. أي شكركم؛ لأن الشكر رزق من الله.

والمعنى: تجعلون شكركم هو تكذيبَكم، وذلك بنسبة المطر إلى غير الله.. وهذا قول جمهور

المفسرين.

وقال ابن القيم: "أي: وتجعلون حظَّكم من هذا الرزق الذي به حياتكم التكذيب به".[1]

يعني: القرآن.

في تيسير العزيز الحميد: والآية تشمل المعنيين.

وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ بِالأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ).
وَقَالَ: (النَّائِحَةُ إِذا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا...) الحديث.

الشاهد: أن الاستسقاء بالنجوم من أمر الجاهلية، فدلّ على تحريمه.

قوله: (**عن أبي مالك الأشعري**).. صحابي واسمه الحارث بن الحارث الشامي.. وفي الصحابة أبو مالك الأشعري اثنان غير هذا، جزم به الحافظ.[2]

قوله: (**الفخر بالأحساب**).. أي: التشرف بالآباء والتعاظم بعدِّ مناقبهم ومآثرهم وفضائلهم.

عن أبي هريرة مرفوعًا: (إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقي، أو فاجر شقي، الناس بنو آدم وآدم من تراب، لَيَدَعَنَّ رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه الألباني..

قوله: (**والطعن في الأنساب**).. أي: الوقوع فيها بالذم والعيب أو يقدح في نسب أحد من الناس..

ولهذا لما عيّر أبو ذر ﷺ رجلاً بأمه، قال له النبي ﷺ: (أعيّرته بأمه؟! إنك امرؤٌ فيك جاهلية) متفق عليه.

قوله: (**والاستسقاء بالنجوم**).. وهذا الشاهد. أي: نسبة السقيا ومجيء المطر إلى النجوم والأنواء.

قوله: (**والنياحة**).. أي: رفع الصوت بالندب على الميت.

(١) شفاء العليل (ص: ٤٢).

(٢) انظر: تهذيب التهذيب (٢/ ١٣٧).

قوله: (**تُقام يوم القيامة**).. أي: تبعث من قبرها.

قوله: (**وعليها سربال من قطران ودرع من جرب**).. (السربال): هي الثياب والقُمُص، (القطران) معروف: ويسمى "الزفت"، وقيل: إنه النحاس المذاب.. (درع من جرب): الدرع ثوب المرأة يكون أيضًا من جرب وهو المرض المعروف.. فيكون ما تلبسه القطران والجرب.. وإذا اجتمع قطران وجرب زاد البلاء؛ لأن الجرب أي شيء يمسه يتأثر به، فكيف ومعه قطران؟!

قال ابن عثيمين: "والحكمة أنها لما لم تغطِّ المصيبة بالصبر غُطِّيت بهذا الغطاء: سربال من قطران ودرع من جرب؛ فكانت العقوبة من جنس العمل".(١)

وَلَهُمَا عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ ﷺ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ..... الحديث.

الشاهد: أن من نسب المطر إلى الكوكب فهو كافر..

قوله: (**عن زيد بن خالد**).. أي: الجهني المدني، صحابي مشهور.

قوله: (**صلَّى لنا**).. أي: صلَّى بنا، فاللام بمعنى الباء. قال الحافظ: "وفيه جواز إطلاق ذلك مجازًا، وإنما الصلاة لله".(٢)

قوله: (**على إثر سماء**).. أي عقب مطر، وأطلق على المطر سماء لكونه ينْزل من جهة السماء.. كما قال الشاعر: إذا نزل السماء بأرض قومٍ... رعيناه وإن كانوا غِضابا.

قوله: (**هل تدرون؟**).. استفهام للتنبيه.. وفي رواية النسائي: (ألم تسمعوا ما قال ربكم الليلة؟).

قوله: (**مؤمن بي وكافر**).. المراد بالكفر هنا هو الأصغر؛ لأنه نسب المطر إلى غير الله.

قوله: (**مطرنا بنوء كذا...**).. أي بواسطة نوء كذا.

(١) القول المفيد (٢/ ٢٦).

(٢) فتح الباري (٢/ ٥٢٣).

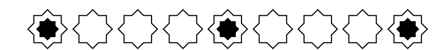
وَلَهُمَا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَعْنَاهُ، وَفِيهِ: "قَالَ بَعْضُهُمْ لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الآيات: ((فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ)) إلى قوله: ((وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ))".

قوله: (**ولهما**).. الحديث لمسلم فقط.. ولفظه: قال ابن عباس – رضي الله عنهما –: مُطر الناس على عهد النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: (أصبح من الناس شاكر، ومنهم كافر، قالوا: هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا) قال: فنزلت... الحديث.

قوله: (**قال بعضهم**).. ذكر الواقدي: "أن عبد الله بن أُبي هو القائل في ذلك الوقت: مُطرنا بنوء الشِّعْرى"[1]. قال الشيخ سليمان آل الشيخ: وفي صحة ذلك نظر.

قوله: (**فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ**).. قال ابن جرير: "قال بعض أهل العربية: معنى قوله: (فلا أقسم): فليس الأمر كما تقولون، ثم استؤنف القسم بعد، فقيل: (أقسم)".[2]

(**ومواقع النجوم**).. يعني نجوم القرآن.. قال ابن عباس: "نزل القرآن في ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا جملة واحدة، ثم فرق في السنين بعد".[3]



(١) مغازي الواقدي (٢/ ٥٩٠).

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان (٢٣/ ١٤٧).

(٣) المصدر السابق.

الباب الثلاثون: بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ((وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ...)) الآية.

وَقَوْلِهِ: ((قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ...)) إلى قوله: ((أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ...)) الآية.

عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ، وَوَالِدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ). أَخْرَجَاهُ.

وَلَهُمَا عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإِيمَان: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ)..

وَفِي رِوَايَةٍ: (لا يَجِدُ أَحَدٌ حَلاوَةَ الإِيمَان حَتَّى... إلخ).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "مَنْ أَحَبَّ فِي اللَّهِ، وَأَبْغَضَ فِي اللَّهِ، وَوَالَى فِي اللَّهِ، وَعَادَى فِي اللَّهِ، فَإِنَّمَا تُنَالُ وَلايَةُ اللَّهِ بِذَلِكَ، وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الإِيمَان - وَإِنْ كَثُرَتْ صَلاتُهُ وَصَوْمُهُ - حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ، وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مُؤَاخَاةِ النَّاسِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ لا يُجْدِي عَلَى أَهْلِهِ شَيْئًا". رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى -: ((وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ)) قَالَ: "الْمَوَدَّةُ".

الشرح:

٣٠- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ((وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ...)) الآية.

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

الأبواب السابقة في الاعتقاد، وبدأ في هذه الأبواب الآتية ببيان العبادات القلبية.

خلاصة الباب:

أن من أنواع المحبة نوع واجب وهو محبة التعظيم والتذلل يُصرف لله وحده، ويُلحق بها محبة الأنبياء والصالحين..

أنواع المحبة من حيث الحكم:

١- محبة **واجبة**.. وهي محبة التعظيم والتذلل والعبادة وتستلزم الطاعة المطلقة وهي محبة الله سبحانه.. ويُلحق بها محبة الرسل والأولياء والصالحين، وأعظمهم نبينا محمد ﷺ.

٢- محبة **جائزة**.. وهي المحبة الطبيعية، كمحبة الوالدين والزوج والأولاد.

٣- محبة **مُحرّمة**.. وهي محبة المعاصي والمحرمات، ومحبة أهلها..

٤- محبة **كفرية**.. وهي محبة الكفار ودينهم ومحبة انتصارهم.

٥- **شركية**.. وهي صرف محبة العبادة لغير الله، أو تقديم محبة غيره عليه، أو مساواة محبة غيره به سبحانه.

ومن الأسباب الجالبة لأن نحب الله سبحانه:

١- التعرف على صفات الله.

٢- التفكر في نعم الله العامة ، والخاصة.

٣- الإكثار من ذكر الله، وأعظم الذكر القرآن الكريم.

من فضائل محبة الله:

في "الصحيحين" عن أنس رضي الله عنه: أن رجلاً سأل النبي ﷺ متى الساعة، فقال: (ما أعددت لها؟) قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله، فقال رسول الله ﷺ: (أنت مع من أحببت).. وفي رواية للبخاري: فقلنا: ونحن كذلك، قال (نعم)، قال

أنس: ففرحنا يومئذ، فرحًا شديدًا.

قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ((وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ...)) الآية.

الشاهد: أن من صفات المشركين أنهم يُساوون محبة آلهتهم بمحبة الله.. فكيف بمن أحب الأنداد أكثر من حب الله! فكيف بمن لم يحب الله أصلاً، ولم يحب إلا الند وحده!.

وقوله: (**يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ**).. فيه قولان:

ق١: أن المشركين يُحبون آلهتهم كحبهم لله.

فهم يساوون آلهتهم بالله في المحبة، وهذه المساواة هي التي في قوله تعالى: ((تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ)).. وهو العدل المذكور، في قوله: ((ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ)).. فليس المقصود مساواة الله في الخلق والرزق، فما كان أحد من المشركين يساوون أصنامهم بالله في ذلك. وهذا القول رجّحه شيخ الإسلام.

ق٢: أن المشركين يحبون أندادهم، كما يحب المؤمنون الله.

قال شيخ الإسلام: "وهذا متناقض، وهو باطل، فإن المشركين لا يحبون الأنداد مثل محبة المؤمنين الله".(١)

وقوله: (**وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ**).. فيها قولان أيضًا.. قال ابن القيم: "والقولان مرتبان على القولين في قوله: ((يحبونهم كحب الله))".(٢)

وَقَوْلِهِ: ((قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ...)) إلى قوله: ((أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ...)) الآية.

تمام الآية: ((قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)).

الشاهد: الوعيد لمن قدم محبوباته على حب الله ورسوله، وتسمية من فعل ذلك بأنه من

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ١٨٨).

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٢١).

الفاسقين.

قوله: ﴿**فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ**﴾.. وعيد.. أي: انتظروا ماذا يحل بكم من عذاب الله.

وقوله: ﴿**وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾.. أي: الخارجين عن طاعة الله.. وهو تنبيه على أن من فعل ذلك فهو من الفاسقين فهذا تشديد، ووعيد عظيم..

وهذه الآية شبيهة بقوله: ((قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي)) فلما كثر المدعون لمحبة الله، طولبوا بإقامة البينة، فجاءت هذه الآية ونحوها.. قال الحسن البصري وغيره من السلف: "زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية".(١)

وشرط المحبة موافقة المحبوب، فتحب ما يحب، وتكره ما يكره، وتبغض ما يبغض..

عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ، وَوَالِدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ). أَخْرَجَاهُ

الشاهد: أنه لا يكمل الإيمان إلا بتقديم محبته ﷺ على الولد والوالد والناس أجمعين، بل حتى من محبة النفس.. فإذا كان هذا في محبة الرسول ﷺ، ومحبته تابعة لمحبة الله، فمحبة الله سبحانه أولى بالتقديم.

قوله: (**لا يؤمن**).. قال ابن عثيمين: "هذا نفي الإيمان، ونفي الإيمان تارة يراد به نفي الكمال الواجب، وتارة يراد به نفي الوجود ؛ أي: نفي الأصل. والمنفي في هذا الحديث هو كمال الإيمان الواجب؛ إلا إذا خلا القلب من محبة الرسول (إطلاقا)؛ فلا شك أن هذا نفي لأصل الإيمان" ا.هـ(٢)

في صحيح البخاري قال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: (لا، والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك). فقال له عمر: فإنه الآن، والله لأنت أحب إلي من نفسي. فقال النبي ﷺ: (الآن يا عمر).. أي الآن كمل إيمانك.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم (٢/ ٣٢).

(٢) القول المفيد (٢/ ٥٠).

وَلَهُمَا عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإِيمَان: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلا لِلَّهِ..... الحديث.

الشاهد: أن تمام الإيمان وحلاوته لا تحصل إلا بتقديم محبة الله ومحبة رسوله على ما سواهما.

قوله: (**ثلاث**).. أي: ثلاث خصال. وجاز الابتداء بثلاث وهو نكرة، لأن المضاف إليه منوي ولذلك جاء التنوين.

قوله: (**وجد بهن حلاوة الإيمان**).. دليل على أن للإيمان حلاوة، وهو ما يجده المؤمن في قلبه من الراحة والطمأنينة والانشراح.

قوله: (**أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**)..

قال شيخ الإسلام: "فحلاوة الإيمان المتضمنة للذة والفرح يتبع كمال محبة العبد لله، وذلك بثلاثة أمور: تكميل هذه المحبة، وتفريعها، ودفع ضدها. **فتكميلها:** أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، فإن محبة الله ورسوله لا يكتفى فيها بأصل الحب، بل لا بد أن يكون الله ورسوله، أحب إليه مما سواهما. **وتفريعها:** أن يحب المرء لا يحبه إلا لله. **ودفع ضدها:** أن يكره ضد الإيمان، كما يكره أن يقذف في النار" ا.هـ(١)

مسألة: قوله: (**مما سواهما**).. جَمع ضمير الرب سبحانه، وضمير الرسول ﷺ وقد أنكره ﷺ على الخطيب، لما قال: "ومن يعصهما فقد غوى"(٢)، فكيف الجمع؟

من أحسن الأقوال:

ما قاله البيضاوي وغيره: "أنه ثنى الضمير هنا؛ لأن المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين، لا كل واحدة، فإنها وحدها لاغية، وأمر بالإفراد في حديث الخطيب إشعارًا بأن كل واحد من العصيانين مستقل باستلزام الغواية".(٣)

قوله: (**وأن يُحب المرء لا يحبه إلا لله**).. اللام للتعليل.. أي من أجل الله؛ لأنه قائم بطاعة الله عز وجل..

---

(١) العبودية (ص: ١١١)، مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٠٦).

(٢) وحديث الخطيب: عن عدي بن حاتم ﷺ أن رجلا خطب عند النبي ﷺ، فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى. فقال رسول الله ﷺ: (بئس الخطيب أنت، قل: ومن يعص الله ورسوله) رواه مسلم.

(٣) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة (١/ ٤٢).

عن أبي ذر مرفوعًا: (إذا أحب أحدكم صاحبه فليأته في منْزله فليخبره أنه يحبه لله) رواه أحمد بسند صحيح، وفي حديث ابن عمر عند البيهقي أن النبي ﷺ قال: (إذا أحب أحدكم عبدا فليخبره؛ فإنه يجد مثل الذي يجد له) ضعّفه الألباني.

قوله: (**وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ...**).. قال ابن عثيمين: "هذه الصورة في كافر أسلم؛ لأن الكافر يألف ما كان عليه أولاً".(١)

قوله: (**وفي رواية: لا يجد أحد**).. هذه الرواية أخرجها البخاري في "صحيحه".

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَنْ أَحَبَّ فِي اللَّهِ، وَأَبْغَضَ فِي اللَّهِ، وَوَالَى فِي اللَّهِ، وَعَادَى فِي اللَّهِ، فَإنما تُنَالُ وَلايَةُ اللَّهِ بِذَلِكَ، وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الإيمَان..... إلخ.

درجة الأثر: رواه ابن جرير كما في جامع العلوم والحكم (شرح حديث جبريل)، وفي سنده ليث بن أبي سليم وهو ضعيف. وللأثر شاهد حسن عند الترمذي وأبي داود.(٢)

الشاهد: أن ولي الله هو من يقدم محبة الله على كل شيء.. وبذلك يحصل له طعم الإيمان.

قال شيخ الإسلام: "من كان مؤمنًا تقيًّا كان لله وليًّا".(٣)

قوله: (**وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئًا**).. أي: المؤاخاة على أمر الدنيا لا ينفع أهله أصلاً، بل يضرهم، كما قال تعالى: ((الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ))..

وفي الحديث القدسي الذي رواه مالك وابن حبان في صحيحه: (وجبت محبتي للمتحابين فِيَّ، وللمتجالسين فِيَّ، وللمتزاورين فِيَّ، وللمتباذلين فِيَّ) صحّحه النووي وغيره من حديث معاذ رضي الله عنه.

قال الشيخ سليمان آل الشيخ: وهذا الكلام قاله ابن عباس – رضي الله عنهما – في أهل زمانه، فكيف لو رأى الناس فيما هم فيه من المؤاخاة على الكفر والبدع والفسوق والعصيان؟! ولكن هذا مصداق قوله عليه السلام: (بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ) ا.هـ

---

(١) القول المفيد (٢/ ٥٥).

(٢) عن أبي أمامة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله فقد استكمل الإيمان) رواه أبو داود وصحّحه الألباني.

(٣) مجموع الفتاوى (٢/ ٢٢٤).

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ – فِي قَوْلِهِ تَعَالَى –: ((وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ)) قَالَ: "الْمَوَدَّةُ".

هذا الأثر رواه عبدُ بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصحّحه، وفيه ضعف.

قال ابن عثيمين: "لكن معناه صحيح".[1]

الشاهد: أن المحبة على أمور الدنيا تنقطع يوم القيامة.

(**وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ**).. قال الطبري في التفسير: "قال قتادة: أسباب الندامة يوم القيامة، والأسباب: المواصلة التي يتواصلون بها ويتحابون بها، فصارت عداوة يوم القيامة، يلعن بعضهم بعضًا".[2]

قوله: (**قال: المَوَدّة**).. أي: المحبة التي كانت بينهم في الدنيا.

(١) القول المفيد (٢/ ٦١).

(٢) تفسير الطبري تحقيق شاكر (٣/ ٢٩٠).

الباب الحادي والثلاثون: بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ((إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)).

وَقَوْلِهِ: ((إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ)).

وَقَوْلِه: ((وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ...)).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ - مَرْفُوعًا -: (إِنَّ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ، وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ اللَّهِ، وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ؛ إِنَّ رِزْقَ اللَّهِ لا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ).

وَعَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ). رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ.

الشرح:

٣١ - بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ((إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)).

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

لَمّا كان الباب الذي قبله في المحبة ناسب أن يكون هذا الباب في الخوف؛ لأن العبادة ترتكز عليهما.

قال ابن القيم (رحمه الله) في نونيّته:

وعِبادةُ الرحمن: غايةُ حُبِّهِ... مع ذُلِّ عابِدِه هما قطبانِ.

خلاصة الباب:

أن خوف العبادة لا يجوز صرفه لغير الله، فمن صرفه لغير الله فقد أشرك.

أنواع الخوف:

١- الخوف الواجب (خوف العبادة).. وضابطه: الذي يردّ عن محارم الله..

قال ابن القيم: "سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: "حَدُّ الخوف ما حجزك عن معاصي الله، فما زاد على ذلك: فهو غير محتاج إليه".(١)

٢- الخوف الجائز.. وهو الخوف الطبيعي، كالخوف من أسد أو من عدو.. ومنه خوف موسى عليه السلام في قوله تعالى: ((فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ)).

قال السعدي: "وهذا الخوف إن كان خوفًا محقّقًا قد انعقدت أسبابه، وأما إن كان الخوف وهميًّا: كالخوف الذي ليس له سبب أصلاً، أو له سبب ضعيف، فهذا مذموم يدخل صاحبه في وصف الجبناء" ا.هـ(٢)

٣- الخوف المحرّم.. وضابطه: كل خوف يؤدي إلى ترك واجب، أو فعل محرم دون الشرك.. كمن خاف من الناس فترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤- الخوف الشركي.. وله صُورتان:

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٣٧١).

(٢) القول السديد (ص: ١٣٢).

أ- خوف السِّر: وضابطه: الخوف من الميت أو الغائب، بسبب تعظيمه له، كالخوف من الأولياء والأصنام وأصحاب القبور. [1] ومنه قول قوم هود لنبيهم: ((إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ)).

ب- الخوف من المخلوق في شيء من خصائص الخالق: مثل: قطع الرزق، أو إدخال نار الآخرة.

جاء في الثناء على الخائفين من الله:

قال تعالى عن الملائكة: ((وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ)).

وقال تعالى عن الأنبياء: ((الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ)).

وقال تعالى عن الصالحين: ((إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ)).

قَوْل اللَّهِ تَعَالَى: ((إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)).

قبلها: ((الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ)).

الشاهد: أن الله سبحانه أمر عباده بالخوف منه، وأنه شرطٌ للإيمان.

سبب نزول الآية والتي قبلها: لما رجع المشركون عن أحد قالوا: لا محمدا قتلتم ولا الكواعب أردفتم، بئس ما صنعتم، ارجعوا.. فسمع رسول الله ﷺ بذلك فندب المسلمين، فانتدبوا حتى بلغوا حمراء الأسد، فقال المشركون: نرجع من قابل فرجع رسول الله ﷺ. [2]

قوله تعالى: ((**إنما ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ**)).. أي: يخوفكم أولياءه، ويوهمكم أنهم ذو بأس وشدة.. في قراءة ابن مسعود (يخوِّفكم أولياءه).

---

(١) في تيسير العزيز الحميد: "لو أصاب أحدا منهم ظلم لم يطلب كشفه إلا من المدفونين في التراب وإذا أراد أن يظلم أحدا فاستعاذ بالله أو ببيته لم يعذه ولو استعاذ بصاحب التربة أو بتربته لم يقدم عليه أحدا ولم يتعرض له بالأذى، حتى أن بعض الناس أخذ من التجار أموالا عظيمة أيام موسم الحج ثم بعد أيام اظهر الإفلاس فقام عليه أهل الأموال فالتجأ الى قبر في جدة يقال له المظلوم فما تعرض له أحد بمكروه خوفا من سر المظلوم".

(٢) انظر: تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم (٢/ ١٦٦).

قال ابن القيم: "والمعنى عند جميع المفسرين: يخوفكم بأوليائه، قال قتادة: يُعظِّمهم في صدوركم".[1]

قوله: (**وخافونِ إن كنتم مؤمنين**).. في تيسير العزيز الحميد: "أمر تعالى بإخلاص هذا الخوف له، وأخبر أن ذلك شرط في الإيمان، فمن لم يأت به لم يأت بالإيمان الواجب" ا.هـ

قال ابن عثيمين: "ويُفهم من الآية أن الخوف من الشيطان وأوليائه منافٍ للإيمان، فإن كان الخوف يؤدي إلى الشرك فهو منافٍ لأصله، وإلا فهو منافٍ لكماله" ا.هـ[2]

وَقَوْلِهِ: ((**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ**)).

الشاهد: أن من صفات المؤمنين أنهم لا يخشون خشية العبادة إلا من الله..

والفرق بين الخوف والخشية:

قال ابن عثيمين: "والخشية نوع من الخوف، لكنها أخص منه، والفرق بينهما:

١- أن الخشية تكون مع العلم بالمخشي وحاله؛ لقوله تعالى: ((إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ))، والخوف قد يكون من جاهل.

٢- أن الخشية تكون بسبب عظمة المخشي، بخلاف الخوف فقد يكون لضعف الخائف" ا.هـ[3]

وَقَوْلِهِ: ((**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ...**)).

الشاهد: أن الله سبحانه ذمّ من ساوى بين الخوف منه بالخوف من الناس.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ – مَرْفُوعًا –: (إِنَّ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ، وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ اللَّهِ، وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ.....) الحديث.

درجته: هذا الحديث رواه أبو نعيم في "الحلية"، والبيهقي.. في سنده محمد بن مروان السُّدي..

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ١١٠).

(٢) القول المفيد (٢/ ٧٠).

(٣) القول المفيد (٢/ ٧٣).

قال البيهقي: ضعيف. وفيه أيضًا عطية العوفي، أورده الذهبي في الضعفاء والمتروكين.

قال الشيخ سليمان آل الشيخ: إسناده ضعيف، ومعناه صحيح، وتمامه: (وإن الله بحكمته جعل الرَّوح والفرح في الرضى واليقين، وجعل الهم والحَزَن في الشك والسَّخَط).

الشاهد: ذم من قدّم رضا الناس على سخط الله، فدلّ أنه لا يخاف من الله حق الخوف.

قوله: (**إن من ضعف اليقين**).. الضعف بفتح الضاد في لغة تميم، وبضمها في لغة قريش..

قوله: (**أن تُرضي الناس بسخط الله**).. أي: توافقهم على ترك المأمور، أو فعل المحظور استجلابًا لرضاهم.

قوله: (**وأن تحمدهم على رزق الله**).. بأن تضيفه إليهم وتنسى المنعم المتفضل على الحقيقة وهو الله رب العالمين..

مسألة:

هل ينافي قوله: (وأن تحمدهم على رزق الله) حديث: (من لا يشكر الناس لا يشكر الله)[(١)]؟

لا ينافي الحديث؛ لأن المراد بقول ابن مسعود: إضافة النعمة إلى السبب ونسيان الخالق، وفي الحديث المراد بشكر الناس عدم كفر إحسانهم ومجازاتهم على ذلك بما استطعت، فإن لم تجد فجازهم بالدعاء.. ذكره سليمان آل الشيخ في التيسير.

قوله: (**وأن تَذمَّهم على ما لم يُؤتِك الله**).. أي: إذا طلبتهم شيئًا فمنعوك ذممتهم على ذلك، فلو علمت يقينًا أن المتفرد بالعطاء والمنع هو الله وحده، وأن المخلوق مُدَبَّر، لا يَمْلِكُ لنفسه ضَرّاً وَلا نَفْعاً فضلاً عن غيره لقطعت العلائق عن الخلائق وتوجهت بقلبك إلى الخالق تبارك وتعالى..

وَعَنْ عَائِشَةَ – رضي الله عنها – أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ.....) الحديث.

درجة الحديث: مختلف في رفعه ووقفه، رواه الترمذي وابن حبان وصحّحه الألباني.

ولفظ الترمذي: عن رجل من أهل المدينة قال: كتب معاوية إلى عائشة أن اكتبي لي كتابًا

---

(١) رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد بسند صحيح، وصحّحه الألباني.

توصيني فيه، ولا تكثري عليّ، فكتبت عائشة إلى معاوية: سلام عليك أما بعد فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكَلَه الله إلى الناس، والسلام عليك).

الشاهد: الحث على تقديم الخوف من الله بطلب رضاه ولو في سخط الناس.

في تيسير العزيز الحميد: "وإنما يحمل الإنسان على إرضاء الخلق بسخط الخالق هو الخوف منهم، فلو كان خوفه خالصًا لله لما أرضاهم بسخطه" ا.هـ



الباب الثاني والثلاثون: بَابُ قَوْلِ اَللَّهِ تَعَالَى: ((وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ))

وَقَوْلِهِ: ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ...)) الآية.

وَقَوْلِهِ: ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)).

وَقَوْلِهِ: ((وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)).

وَعَنِ اِبْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – قَالَ: ((حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)) قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام حِينَ أُلْقِيَ فِي اَلنَّارِ، وَقالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالَ لَهُ النَّاس: ((إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا...)) الآية. رَوَاهُ اَلْبُخَارِيُّ وَالنَّسَائِيُّ.

الشرح:

٣٢ – بَابُ قَوْلِ اَللَّهِ تَعَالَى: ((وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ))

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

الباب الذي قبله في الخوف، وهذا الباب في التوكل.. فمن توكل على الله كفاه وأمّنه.

خلاصة الباب:

أن التوكل عبادة قلبية لا يجوز صرفها لغير الله سبحانه.

في تيسير العزيز الحميد: "ومراد المصنف بهذه الترجمة النص على أن التوكل فريضة يجب إخلاصه لله تعالى لأنه من أفضل العبادات، وأعلى مقامات التوحيد. بل لا يقوم به على وجه الكمال إلا خواص المؤمنين، كما تقدم في صفة السبعين ألفًا.. ولذلك أمر الله به في غير آية من القرآن أعظم مما أمر بالوضوء والغسل من الجنابة..." ا.هـ

قال ابن القيم: "التوكل أصل لجميع مقامات الإيمان والإحسان، ولجميع أعمال الإسلام، وأن منْزلته منها كمنْزلة الجسد من الرأس، فكما لا يقوم الرأس إلا على البدن، فكذلك لا يقوم الإيمان ومقوماته إلا على ساق التوكل..." ا.هـ(١)

تعريف التوكل:

لغة: الاعتماد والتفويض.

شرعًا: اعتماد القلب على الله سبحانه في حصول المطلوب ودفع المكروه، مع الأخذ بالأسباب المأمور بها.

أقسام التوكل من حيث الحكم:

١– التوكل على الله.. وهذا واجب.. بشرط ألاّ يصل إلى التواكل (ترك الأسباب).(٢)

٢– التوكل على المخلوق.. شرك أكبر.. إذا علّق قلبه بالمخلوق واعتقد أن الأمر بيده في جلب

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٢٥٨).

(٢) روي أن عمر بن الخطاب ﷺ لقي ناسا من أهل اليمن في الحج بلا زاد.. فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون. قال: أنتم المتواكلون، إنما المتوكل الذي يُلقي حبه في الأرض ويتوكل على الله عز وجل. انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٨٨).

المنافع أو دفع المضار. كالذين يعلقون قلوبهم بالأموات أو الغائبين أو الأولياء.

وأمّا إذا علّق قلبه بالأسباب، أو بالمخلوق فيما يقدره عليه فبعضهم يجعله من الشرك الأصغر.. كأن يعلّق قلبه في قوّة جيشه لهزيمة الأعداء، أو في رئيسه للترقية.

قال بعض السلف: لا يجوز أن يقول: توكلت على الله ثم عليك؛ لأن المخلوق ليس له نصيب من التوكل.

فإذا قيل لك: أتوكل عليك أو اعتمد عليك؟ فالأسلم أن تقول: توكّل على الله وحده أو اعتمد على الله وحده وأنا أبذل السبب.

٣- توكيل المخلوق.. بعضهم يجعله من التوكل على المخلوق الجائز، ويستدل بأن النبي ﷺ وكّل علي بن أبي طالب بذبح ما بقي من هديه، ووكّل أبا هريرة على الصدقة... والصواب أن هذا ليس من هذا الباب.. فليس من التوكّل الذي هو اعتماد القلب وإنما هو إسناد عملك الخاص بك إلى غيرك..

القول في الأسباب:

١- قوم ينفون الأسباب.. قالوا: الإحراق ليس بالنار، وإنما يحصل عند النار (أي نزل القدر عند ملامسة النار)، والارتواء ليس بالماء ، لكن حصل عند الماء ، وهكذا.. (مذهب القدرية).

٢- قوم يثبتون الأسباب ، لكن لا يأخذون بها ، حتى لا يلتفت القلب إليها.. (مذهب الصوفية).

٣- قوم يأخذون بالأسباب الصحيحة، واعتمادهم على الله وحده.. (مذهب أهل السنة والجماعة).

والقاعدة في باب الأسباب: أن ترك الأسباب قدح في العقل، والاعتماد على الأسباب قدح في الشرع.

قال شيخنا الشيخ عبد الله الصيدلاني: "والحق أن كليهما قدح في الشرع، والعقل" ا.هـ وصدق.

قال ابن قاسم – رحمه الله -: "ولم يذكر تعالى للتوكل جزاء غير تولي كفايته العبد، فقال:

((فَهُوَ حَسْبُهُ)) ولم يأتِ في غيره من العبادات، فدل على عظم شأن التوكل وفضيلته، وأنه أجل أنواع العبادة، فصرفه لغير الله شرك أكبر".[1]

شُبْهة:

يستدل البعض على ترك الأسباب بقوله تعالى: ((كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ))؟

الجواب: أننا لا ننفي كرامات الأولياء، وهذه كرامة لمريم..

شُبْهة:

ويستدلون أيضًا على ترك الأسباب بحديث: (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصا وتروح بطانا)[2]؟

الجواب: أن في هذا الحديث توكل على الله مع بذل السبب، فإن الطير تغدو باذلة السبب في طلب الرزق.

قَوْل اَللَّهِ تَعَالَى: ((وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)).

الشاهد: في الآية تقديم الجار والمجرور يدلّ على حصر التوكل على الله وحده.

المعنى: أن موسى عليه السلام أمر قومه بدخول الأرض المقدسة متوكلين على الله إن كانوا مؤمنين في هزيمة الجبارين.

قال ابن القيم: "فجعل التوكل على الله شرطًا في الإيمان، فدل على انتفاء الإيمان عند انتفائه. وفي الآية الأخرى: ((وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ)) فجعل دليل صحة الإسلام التوكل".[3]

وَقَوْلِهِ: ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ...)) الآية.

الشاهد: في آخر الآية: ((وعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُون)) ففيه حصر التوكل على الله وحده.

---

(١) حاشية ثلاثة الأصول (ص ٣٩).

(٢) رواه أحمد بسند صحيح من حديث عمر رضي الله عنه.

(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٢٥٥).

قوله: ﴿**إذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ**﴾.. في التيسير: "قال السدي: هو الرجل يريد أن يهم بمعصية، فيقال له: اتق الله فيجل قلبه. رواه ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن أبي حاتم".

وقوله: ﴿**وَإذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً**﴾.. دليل على زيادة الإيمان ونقصانه..

وقوله: ﴿**وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾.. أي: يعتمدون عليه بقلوبهم..

في الآية وصف المؤمنين حقًّا بثلاث مقامات من مقامات الإحسان: الخوف، وزيادة الإيمان، والتوكل على الله وحده..

وفي الآية التي بعدها: ((الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا...)) ذكر سبحانه العمل (إقامة الصلاة والإنفاق) وفيه دليل على أن الإيمان لا بد فيه من العمل.

وَقَوْلِهِ: ((**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**)).

الشاهد: أن الله وحده هو الكافي لرسوله وللمؤمنين، فلْيتوكلوا عليه.

في تفسير الآية قولان:

ق١: أن الله حَسْبُك، وهو سبحانه أيضًا حَسْبُ أتباعك المؤمنين، فالله هو الكافي لرسوله وللمؤمنين.

ق٢: أن الله حَسْبُك، وكذلك حَسْبُك المؤمنون.. أي أن الله والمؤمنين يكفون الرسول ﷺ.

قال ابن القيم: "وهذا خطأ محض لا يجوز حمل الآية عليه، فإن الحسب والكفاية لله وحده كالتوكل والتقوى والعبادة... قال تعالى: ((وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ)) ففرق بين الحسب والتأييد، فجعل الحسب له وحده، وجعل التأييد له بنصره وبعباده..." ا.هـ[1]

وَقَوْلِهِ: ((**وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**)).

الشاهد: وعْدٌ من الله سبحانه بأن من توكل عليه فسوف يكفيه.. فلا نتوكل إلا عليه.

قال ابن القيم: "أي: كافيه، ومن كان الله كافيه وواقيه، فلا مطمع فيه لعدوه، ولا يضره إلا أذًى لا بُدّ منه كالحر والبرد والجوع والعطش... قال بعض السلف: جعل الله لكل عمل جزاء

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٣٨).

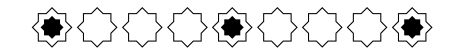
من نفسه، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته، فقال: (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) ولم يقل: فله كذا وكذا من الأجر، كما قال في الأعمال..." ا.هـ[1]

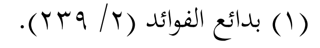
وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – قَالَ: ((حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)) قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام حِينَ أُلْقِيَ فِي اَلنَّارِ، وَقالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالَ لَهُ النَّاس: ((إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا...)) الآية. رَوَاهُ اَلْبُخَارِيُّ وَالنَّسَائِيُّ.

الشاهد: أن التوكل عبادة حقَّقها خليلا الرحمن، وهما لنا قدوة، وبيان فضل هذه الكلمة في الشدائد.

قوله: (**قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار**).. في رواية أخرى عند البخاري عن ابن عباس: قال: كان آخر قول إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار: ((حَسْبِي اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ))..

قوله: (**وقالها محمد ﷺ... إلى آخره**).. وذلك لما انصرف أبو سفيان وجيشه من أحد أرادوا الرجوع، ومرّ به ركب من عبد قيس فقال: أخبروا محمدًا أنَّا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم، فبلّغ الركب رسالة أبي سفيان فقال ﷺ ومن معه: ((حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ))، وخرج النبي ﷺ في سبعين راكبًا حتى انتهى إلى حمراء الأسد، وهي من المدينة على ثلاثة أميال، ثم ألقى الله الرعب في قلب أبي سفيان.. وأنزل الله سبحانه: ((فانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ الله وَفَضْلٍ لمْ يَمْسَسْهُمْ سُوء...)). والقصة مشهورة في السير والتفاسير.





(١) بدائع الفوائد (٢/ ٢٣٩).

الباب الثالث والثلاثون: بَابُ قَوْلِ اَللَّهِ تَعَالَى: ((أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ))

وَقَوْلِهِ: ((وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ)).

وَعَنِ اِبْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – : أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنِ اَلْكَبَائِرِ؟ فَقَالَ: (اَلشِّرْكُ بِاَللَّهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اَللَّهِ، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اَللَّهُ).

وَعَنِ اِبْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: "أَكْبَرُ اَلْكَبَائِرِ: الإشْرَاكُ بِاَللَّهِ، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اَللَّهِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اَللَّهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اَللَّهِ". رَوَاهُ عَبْدُ اَلرَّزَّاقِ.

الشرح:

٣٣- بَابُ قَوْلِ اَللَّهِ تَعَالَى: ((أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ))

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

ذكره المصنِّف (رحمه الله) بعد باب التوكل، ولو أنه عقده بعد باب الخوف لكان أنسب.. وهذه الأبواب كلها في أعمال القلوب.

خلاصة الباب:

أن المؤمن ينبغي أن يكون بين خوف ورجاء.. لا يأمن مكر الله، ولا يقنط من رحمته.

قال ابن القيم: "الخوف من أجلِّ منازل الطريق، وخوف الخاصة أعظم من خوف العامة، فإن العبد إما أن يكون مستقيمًا أو مائلاً عن الاستقامة. فإن كان مائلاً عن الاستقامة فخوفه من العقوبة على ميله، وهو ينشأ من ثلاثة أمور: **أحدها**: معرفته بالجناية وقبحها، **والثاني**: تصديق الوعيد وأن الله رتب على المعصية عقوبتها، **الثالث**: أنه لا يعلم أنه يُمنع من التوبة، ويحال بينه وبينها إذا ارتكب الذنب.. فبهذه الأمور الثلاثة يتم له الخوف.. وأما إن كان مستقيمًا مع الله، فخوفه يكون من جريان الأنفاس لعلمه بأن الله مقلب القلوب" ا.هـ[١]

فخوف المستقيم مع الله هو الخوف من مكر الله.

معنى مكر الله:

إيصال العقوبة إلى من يستحقُّها من حيث لا يشعر.

وهو عدلٌ منه سبحانه وتعالى بمن يستحق، قال تعالى: ((وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ))، أما المكر من المخلوقين فهو مذموم لأنه بغير حق.

مسألة: هل تُطلق صفة المكر على الله سبحانه؟

المكر، والاستهزاء، والسخرية، والكَيْد، والنسيان.. لا يوصف بها الله سبحانه إلا في باب المُقابلة والجزاء. فهي صفات نقص للمخلوقين، ولكن تُطلق على الله سبحانه في المقابلة والجزاء لتدل على الكمال.

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٢٨٣).

مسألة: ما الأفضل للعبد: تغليب الخوف أم الرجاء؟

ق١: يُغلِّب جانب الخوف على جانب الرجاء مطلقاً؛ ليرتدع عن المعاصي.

ق٢: يُغلِّب جانب الخوف في حال الصحة ، وجانب الرجاء في حال المرض.

ق٣: يُغلِّب جانب الخوف عند إرادة الوقوع في المعصية أو التكاسل عن الطاعة، ويغلب جانب الرجاء في غير ذلك.

ق٤: يوازن بين مقام الخوف، والرجاء كما قيل: هما كجناحي الطائر.. وهو الصواب.

قال شيخ الإسلام: "وينبغي أن يكون خوفه ورجاؤه واحداً، فأيهما غلب هلك صاحبه، ونص عليه الإمام أحمد، لأن من غلب خوفُه رجاءه وقع في نوع من اليأس، ومن غلب رجاؤه وقع في نوع من الأمن من مكر الله..." ا.هـ(١)

قَوْل اَللَّهِ تَعَالَى: ((أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ)).

الشاهد: ذمّ الله سبحانه من يأمن من مكره.

ومعنى الآية: استنكار من الله سبحانه وتعالى على من يغترّ بالنعم وينسى العقوبة أن يأخذهم على غِرّة وهم آمنون منعَّمون.. ولا يأمن مكر الله إلا الخاسر.

في الحديث: عن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ قال: (إذا رأيت الله عز وجل يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج)، ثم تلا رسول الله ﷺ: ((فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ)). رواه أحمد وصحّحه الألباني.

وَقَوْلِهِ: ((وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ)).

الشاهد: ذمّ من يقنط من رحمة الله.. وأن المهتدي لا يقنط من رحمة الله.

والاستفهام في الآية إنكاري أي: لا أحد يقنط من رحمة ربه إلا (الضالون): التائهون عن الحق.

والقنوط هو أشد اليأس.. وقال ابن عثيمين: "اليأس أن يستبعد زوال المكروه، والقنوط أن يستبعد حصول المطلوب".(٢)

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/ ٣٥٩).

(٢) القول المفيد (٢/ ١٠٧).

وَعَنِ اِبْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما –: أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنِ اَلْكَبَائِرِ؟ فَقَالَ: (اَلشِّرْكُ بِاَللَّهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اَللَّهِ، وَالأمْنُ مِنْ مَكْرِ اَللَّهُ).

تخريج الحديث ودرجته: رواه البزار وابن أبي حاتم، من طريق شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس.. ورجاله ثقات إلا شبيب بن بشر، وثّقه ابن معين، وليّنه ابن أبي حاتم.. قال ابن كثير: "في إسناده نظر، والأشبه أن يكون موقوفًا"(١).. وحسّنه الشيخ سليمان آل الشيخ.

الشاهد: أن الأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله من الكبائر.

ضابط الكبائر:

كل عمل رُتِّب عليه عقوبة خاصة، سواءً كانت في الدنيا أو في الآخرة.. ذكره شيخ الإسلام.(٢)

قوله: (**سئل عن الكبائر فقال**:....).. أجاب ﷺ السائل بما يناسب حاله فربما رأى عنده شيء من الأمن من مكر الله أو اليأس من رَوح الله.. وإلا فالكبائر أكثر.

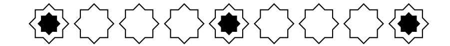
قوله: (**واليأس من روح الله**).. اليأس: قَطْع الرجاء والأمل، ورَوح الله: رحمته، وقيل: الفرج والتنفيس.

وَعَنِ اِبْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: "أَكْبَرُ اَلْكَبَائِرِ: الإشْرَاك بِاَللَّهِ، وَالأمْنُ مِنْ مَكْرِ اَللَّهِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اَللَّهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اَللَّهِ". رَوَاهُ عَبْدُ اَلرَّزَّاقِ.

رواه عبد الرزاق وابن جرير والطبراني.. قال ابن كثير: "وهو صحيح إليه بلا شك".(٣)

الشاهد: أن ابن مسعود ﷺ جعل الأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله من أكبر الكبائر.

قوله: "**رواه عبد الرزاق**".. عبد الرزاق بن همّام الصنعاني، الإمام الجليل، صاحب المصنَّف، شيخ العلماء والمحدِّثين، روى عنه: الإمام أحمد، وإسحاق بن راهوَيْه، وغيرهما من كبار الأئمة.



(١) تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم ت سلامة (٢/ ٢٧٩).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٦٥١).

(٣) تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم (٢/ ٢٧٩).

الباب الرابع والثلاثون: بَابٌ مِنَ الإيمَان بِاللَّهِ: الصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ((وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ)). قَالَ عَلْقَمَةُ: "هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ".

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (اِثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ).

وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ – مَرْفُوعًا -: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ).

وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا اِبْتَلاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ). حَسَّنَهُ التِّرْمِذِيُّ.

الشرح:

٣٤ – بَابٌ مِنَ الإيمَان بِاللَّهِ: الصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

أنه من أعمال القلوب، وعلاقته بكتاب التوحيد من حيث أنه يدل على التسليم لله فيما قضاه الله وقدّره.

خلاصة الباب:

فضل الصبر على أقدار الله، وأنه من شعب الإيمان بالله.

تعريف الصبر:

لغة: الحبس.. ومنه قولهم: قُتل فلان صبرا، إذا حبس أو ربط فقتل من دون مبارزة ولا قتال.

شرعًا: حبس النفس على ما ينفعها ، وحبسها عمّا يضرها.

أنواع الصبر:

١- الصبر على المأمور: بأن يُلزم نفسه طاعة الله – ولو ثقلت عليه – ويستقيم عليها.. وهذا أعلى مراتب الصبر، كما قال ابن القيم.[١]

٢- الصبر عن المحظور: بأن يلزم نفسه ترك المعصية، وإن مالت إليها النفس، وتوفرت الدواعي.

٣- الصبر على المقدور (أي المصائب): وهو حبس النفس عن الجزع، واللسان عن التشكي، والجوارح عن لطم الخدود، وشق الجيوب، ونحوها.

ومراد المؤلف من هذا الباب هو بيان النوع الثالث.. ويشمل هذه الأنواع قوله تعالى: ((وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ))..

قوله: (**أقدار الله**).. جمع قَدَر، ويُطلق على فعل المقدِّر وهو الله تعالى، وعلى المقدور.. أي يُطلق على الفعل والنتيجة.

وأقدار الله: مصائب، وطاعات، ومعاصي.

فالصبر على المصائب واجب، وأما الرضا فيجب بفعل الله، ويُستحب بالمقدور.

---

(١) انظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٤٤).

مثال ذلك: قدّر الله على سيارة شخص أن تحترق، فيجب على الإنسان أن يرضى بفعل الله؛ لأنه من تمام الرضا بالله ربًّا.. وأما بالنسبة للمقدور الذي هو احتراق السيارة؛ فالصبر عليه واجب، والرضا به مستحب وليس بواجب على القول الراجح.. ذكره ابن عثيمين.[1]

وما يُقدِّره الله من غير المصائب: قد يكون طاعات، وقد يكون معاصي.. فالطاعات يجب الرضا بها، والمعاصي لا يجوز الرضا بها من حيث هي مقدور، أما من حيث كونها قدر الله؛ فيجب الرضا بتقدير الله بكل حال..

قال ابن القيم: فلذاك نرضى بالقضا ونسخط الــ... مقضيْ حين يكون بالعصيانِ.

مسألة: الإنسان عند المصيبة على أربعة أحوال:

١- الجزع: باللسان أو بالجوارح.. وهذا محرّم، وقد يؤدي إلى الكفر بالله.. قال تعالى: ((وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ)).

٢- الصبر: وهذا واجب.

٣- الرضا: وهو أعلى من الصبر، فبعد أن يحبس نفسه عن التسخط يرتقي إلى الاطمئنان لما حصل.

أ- بفعل الله.. واجب.

ب- بالمقدور.. مستحب، على الصحيح.

والفرق بين الرضا والصبر: الراضي لا يتمنى غير حاله التي هو عليها بخلاف الصابر.

٤- الشكر: وهذه أعلى المراتب.. بأن يرى أن هناك مصائب أعظم منها، أو يرى أن مصائب الدنيا أهون من مصائب الدين، أو يرى أن هذه المصيبة سبب لتكفير الذنوب فيشكر الله.. وهذا مستحب.

جاء في فضل الصبر:

قال النبي ﷺ: (ما أُعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر) رواه البخاري ومسلم.

وقال عمر رضي الله عنه: "وجدنا خير عيشنا بالصبر". رواه البخاري "معلّقاً".

---

(١) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ١١١).

وقال علي بن أبي طالب ﷺ: "ألا إن الصبر من الإيمان بمنْزلة الرأس من الجسد فإذا قطع الرأس بان الجسد، ثم رفع صوته فقال: ألا لا إيمان لمن لا صبر له".[١]

قال الإمام أحمد: "ذكر الله الصبر في تسعين موضعًا". [٢]

مسألة: ما ذا يُقال عند نزول المصيبة؟

الجواب: يقول ما علّمنا ربنا سبحانه بقوله: ((الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)).. وأما قول البعض: "لا حول ولا قوة إلا بالله"، فليس هذا موضعه.. قال شيخ الإسلام: "إن هذه الكلمة (لا حول ولا قوة إلا بالله) كلمة استعانة، لا كلمة استرجاع، وكثير من الناس يقولها عند المصائب بمنزلة الاسترجاع، ويقولها جزعاً، لا صبراً".[٣]

وقال أيضاً: "فإن الاستعانة، والتوكل إنما يتعلق بالمستقبل، فأما ما وقع فإنما فيه الصبر، والتسليم، والرضا" ا.هـ[٤]

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ((وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ)).

بداية الآية قوله تعالى: ((مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ...)).

والمعنى كما في تفسير السعدي: أن المصائب تقع بإذن الله، ومن آمن بذلك بأنها بقَدَر الله فإن الله يهدي قلبه للصبر الذي يتبعه الرضا والقبول.

الشاهد: أن الصبر ناتج عن الإيمان.

قَالَ عَلْقَمَةُ: "هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ".

هذا الأثر رواه ابن جرير وابن أبي حاتم عن علقمة وهو صحيح.. ذكره الشيخ سليمان.

وفي البخاري معلّقًا: وقال علقمة: عن عبد الله "ابن مسعود" ((وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ)): "هو الذي إذا أصابته مصيبة رضي وعرف أنها من الله".

وذكر ابن كثير في تفسير الآية: قال سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان ((وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ

---

(١) انظر: الصبر والثواب عليه لابن أبي الدنيا (ص: ٢٤).

(٢) انظر: مدارج السالكين (١/ ١٣٠).

(٣) الاستقامة (٢/ ٨١)، الزهد والورع والعبادة (ص: ١١٩)، مجموع الفتاوى (١٠/ ٦٨٦).

(٤) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٢١).

قَلْبَهُ)): يعني يسترجع يقول "إنا لله وإنا إليه راجعون".[1]

(**وعلقمة**).. هو ابن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي ولد في حياة النبي ﷺ.. وهو من كبار التابعين وعلمائهم مات بعد الستين.

الشاهد:

تفسير علقمة للآية بأن الإيمان بأن المصيبة بقدر الله ينتج عنه الرضا والتسليم.. والرضا والتسليم لا يكونان إلا بعد الصبر.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (اِثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ).

الشاهد: أن النبي ﷺ ذكر أن النياحة التي تدل على عدم الصبر من شُعَب الكفر..

قوله: (**بهم كفر**).. قال شيخ الإسلام: "أي: هاتان الخصلتان هما كفر قائم في الناس".[2]

وقوله: (**كفر**).. ليس المراد الكفر الأكبر المخرج من الملة.. فهناك فرق بين الكفر المعرف باللام كما في قوله: (ليس بين العبد وبين الكفر أو الشرك إلا ترك الصلاة) وبين كفر منكّر في الإثبات.

قوله: (**الطعن في النسب**).. أي: عَيْبه، ويدخل فيه أن يقال: هذا ليس ابن فلان مع ثبوت نسبه.

قوله: (**والنياحة على الميت**).. النياحة: مأخوذة من نوح الحمام لأن الباكي يبكي على صفة نوح الحمام.. ومعناها: رفع الصوت بالندب بتعديد شمائل الميت على وجه التسخط على القدر.. كقول النائحة: واعضداه، واناصراه، واكاسياه ونحو ذلك.. وفي الحديث المتفق عليه: (أنا بريء من الصالقة والحالقة والشاقة). الصالقة التي ترفع صوتها بالبكاء.

فأما الكلمات اليسيرة إذا كانت صدقاً لا على وجه التسخط فلا تحرم، ولا تنافي الصبر الواجب، نص عليه الإمام أحمد، لما رواه في مسنده عن أنس أن أبا بكر دخل على النبي ﷺ

---

(١) تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم (٨/ ١٣٨).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٣٧).

قال ابن عثيمين: "الباء يحتمل أن تكون بمعنى "من"؛ أي: هما منهم كفر، ويحتمل أن تكون بمعنى "في"؛ أي: هما فيهم كفر" ا.هـ القول المفيد (٢/ ١١٣).

بعد وفاته فوضع فمه بين عينيه، ووضع يديه على صدغيه، وقال: "وانبياه، واخليلاه، واصفياه".

وكذلك صحّ عن فاطمة أنها ندبت أباها ﷺ فقالت: "يا أبتاه، أجاب ربا دعاه، يا أبتاه، من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه". رواه البخاري.. "قاله في تيسير العزيز الحميد".

وكذلك البكاء اليسير الذي لا يكون معه رفع صوت ولا دعاء بالويل والثبور فليس منهيًّا عنه..

بل قال شيخ الإسلام: "البكاء على الميت على وجه الرحمة حسن مستحب، ولا ينافي الرضا بقضاء الله، بخلاف البكاء عليه لفوات حظه منه" ا.هـ[1]

في الحديث:

قال ﷺ لما مات ابنه إبراهيم: (إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون) متفق عليه.

وَلَهُمَا عَنِ اِبْنِ مَسْعُودٍ – مَرْفُوعًا –: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ).

الشاهد: أن هذه الامور تنافي الصبر فليست من أفعال المسلمين.

قوله: (**ليس منا**).. هذا من نصوص الوعيد[2] لتكون أبلغ في الزجر.. فلا تُفسر، مع اعتقاد أن صاحبها لا يخرج من الإسلام للنصوص الاخرى.. وقيل أي: ليس من أهل سنتنا وطريقتنا.

قوله: (**من ضرب الخدود**).. قال الحافظ: "خصّ الخد بذلك لكونه الغالب، وإلا فضرب بقية الوجه مثله".[3]

قوله: (**وشق الجيوب**).. جمع جيب، وهو الذي يدخل فيه الرأس من الثوب.

قوله: (**ودعا بدعوى الجاهلية**).. قال ابن عثيمين: "كل دعوى منشؤها الجهل".[4]

وقال شيخ الإسلام: "كقولهم: وا لهفاه وا كبداه وا نصيراه"[5].. وهو الأقرب لسياق الحديث.

---

(١) أمراض القلوب وشفاؤها (ص: ٥٨)، التحفة العراقية (ص: ٥٨)، مجموع الفتاوى (١٠/ ٤٧).

(٢) وقد جاء عن سفيان الثوري وأحمد كراهة تأويلها ليكون أوقع في النفوس، وأبلغ في الزجر.

(٣) فتح الباري (٣/ ١٦٤).

(٤) القول المفيد (٢/ ١١٦).

(٥) مجموع الفتاوى (١١/ ٦٤٢).

وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إذا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإذا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

تخريج الحديث ودرجته: رواه الترمذي، وحسّنه.. وفي إسناده سعد بن سنان. قال الذهبي في موضع: "سعد ليس حجة"[(١)].. وفي آخر: "كأنه غير صحيح"[(٢)].. ورواه أحمد من طريق عبد الله بن مغفّل[(٣)].. له شواهد.. صحّحه الألباني.

الشاهد: أن المصائب التي تقع على العبد إذا صبر عليها واحتسب فإنها دليل على أن الله أراد بعبده الخير.

عن أبي هريرة ﷺ قال: ذُكرت الحمى عند رسول الله ﷺ، فسبّها رجل، فقال النبي ﷺ: (لا تسبَّها، فإنها تنفي الذنوب، كما تنفي النار خبث الحديد) رواه ابن ماجه وصحّحه الألباني.

قوله: (إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا).. عقوبة الدنيا أنواع:

١- العقوبة في الدين.. وهي أشدها؛ لأنه لا ينتبه لها.. كأن تُصغّر عنده المعاصي فيستمر عليها.. وما أكثر من أصيبوا بهذه العقوبة وهم لا يشعرون.. وإن النظر للحرام لعلى ذلك من الشاهدين.. ودُعاءُ أُمِّ جُريج يدل على ذلك.[(٤)]

---

(١) الكاشف (١/ ٤٢٨).

(٢) نقله عنه المناوي في فيض القدير (١/ ٢٥٨).

(٣) والحديث عند أحمد: حدثنا عفان، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن يونس، عن الحسن، عن عبد الله بن مغفل: أن رجلا لقي امرأة كانت بغيا في الجاهلية، فجعل يلاعبها حتى بسط يده إليها، فقالت المرأة: مه، فإن الله عز وجل قد ذهب بالشرك - وقال عفان مرة: ذهب بالجاهلية - وجاءنا بالإسلام. فولّى الرجل، فأصاب وجهه الحائط، فشجه، ثم أتى النبي ﷺ، فأخبره، فقال: (أنت عبد أراد الله بك خيرا. إذا أراد الله عز وجل بعبد خيرا عجل له عقوبة ذنبه، وإذا أراد بعبد شرا أمسك عليه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة كأنه عير).

(٤) عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ، قال: (لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى، وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جُريج، كان يصلي، جاءته أُمُّه فدعته، فقال: أجيبها أو أصلي، فقالت: اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات، (قال: ولو دعت عليه أن يُفتن لفُتن)، وكان جريج في صومعته، فتعرضت له امرأة وكلمته فأبى، فأتت راعيا فأمكنته من نفسها، فولدت غلاما، فقالت: من جريج، فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه وسبوه، فتوضأ وصلى ثم أتى الغلام، فقال: من أبوك يا غلام؟ قال: الراعي، قالوا: نبني صومعتك من ذهب؟ قال: لا، إلا من طين. وكانت امرأة ترضع ابنا لها من بني إسرائيل، فمر بها رجل راكب ذو شارة فقالت: اللهم اجعل ابني مثله، فترك ثديها وأقبل على الراكب، فقال: اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديها يمصه، - قال: أبو هريرة كأني أنظر إلى النبي ﷺ يمص إصبعه - ثم مر بأَمَة، فقالت: اللهم لا تجعل ابني

٢- العقوبة في الأنفس.. كالأمراض، أو موت الأقارب والأحباب.

٣- العقوبة في المال.. كنقصه أو تَلَفِه.. والعقوبة في الأنفس والمال هما المرادان بتعجيل العقوبة.

قوله: (**وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه**).. أي: لم يجازه بذنبه في الدنيا.

قوله: (**حتى يُوافِيَ به يوم القيامة**).. أي: حتى يجيء يوم القيامة مستوفي الذنب كاملة، فيُعاقب عليه بما يستحق.. ((وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ)).

وهذه الجملة هي آخر الحديث.. فأما قوله: وقال النبي ﷺ: (إن عظم الجزاء...إلخ) فهو أول حديث آخر لكن لما رواهما الترمذي بإسناد واحد عن صحابي واحد جعلهما المصنف كالحديث الواحد..

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذا أَحَبَّ قَوْمًا اِبْتَلاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ). حَسَّنَهُ التِّرْمِذِيُّ.

درجة الحديث: رواه الترمذي وحسّنه، وحسّنه الألباني.. ورواه ابن ماجه.

وروى الإمام أحمد عن محمود بن لبيد مرفوعًا: (إذا أحب الله قومًا ابتلاهم فمن صبر فله الصبر، ومن جزع فله الجزع). قال المنذري: "رواته ثقات".(١)

الشاهد: الجزاء من جنس العمل فمن صبر على المصائب ورضي بقضاء الله فإن الله يرضى عنه..

قوله: (**إن عظم الجزاء مع عظم البلاء**).. أي إذا صبر واحتسب.

في حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ: سئل النبي ﷺ أي الناس أشد بلاء؟ قال: (الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رِقّة أُبتلي على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة) رواه الدارمي، وابن ماجه، والترمذي وصحّحه.. وصحّحه الألباني.

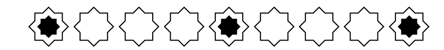
مثل هذه، فترك ثديها، فقال: اللهم اجعلني مثلها، فهناك تراجعا الحديث، فقالت: حَلْقَى، مرّ رجل حسن الهيئة فقلت: اللهم اجعل ابني مثله، فقلت: اللهم لا تجعلني مثله، ومروا بهذه الأمة وهم يضربونها ويقولون زنيت، سرقت، فقلت: اللهم لا تجعل ابني مثلها فقلت: اللهم اجعلني مثلها فقال: الراكب جبار من الجبابرة، وهذه الأمة يقولون: سرقت، زنيت، ولم تفعل) متفق عليه.

(١) الترغيب والترهيب (٤/ ١٤٢).

قوله: (**وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم**).. صريح في حصول الابتلاء لمن أحبه الله.. إذا وفّقه الله للصبر والرضا على ذلك.

قوله: (**فمن رَضِي فله الرِّضا ومن سخِط فله السُّخْط**).. الجزاء من جنس العمل.

قال شيخ الإسلام: "وأما ما جاء من الأثر: (من لم يصبر على بلائي، ولم يرض بقضائي فليتخذ ربًّا سواي). فهذا إسرائيلي ليس يصح عن النبي ﷺ".[1]



(١) نقله ابن القيم عن شيخه في مدارج السالكين (٢/ ١٧٠).

الباب الخامس والثلاثون: بَابُ مَا جَاءَ فِي الرِّيَاءِ

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ((قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ...)) الآية.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – مَرْفُوعًا –: (قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ – مَرْفُوعًا –: (أَلا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟) قَالُوا: بَلَى. قَالَ: (الشِّرْكُ الْخَفِيُّ: يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلاتَه؛ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ). رَوَاهُ أحمد.

الشرح:

٣٥ – بَابُ مَا جَاءَ فِي الرِّيَاءِ

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

الرياء من أعمال القلوب، لأنه من النية، والنية محلها القلب.

خلاصة الباب:

أن الرياء شرك بالله، والله سبحانه لا يقبل إلا العمل الخالص، لا يقبل عملاً فيه شرك.

تعريف الرياء:

لغة: مصدر مِن راءى يُرائي.. أي: قام بالعمل ليراه الناس.

شرعًا: أداء العبادة من أجل أن يراه الناس؛ فيَعْظُمَ عندهم.

ويُلحق به من أدّى العبادة ليسمع به الناس.. في الصحيحين: (من سَمَّعَ سَمَّعَ الله به، ومن رَاءَى رَاءَى اللهُ بِه).

مسألة: العبادة إذا خالطها رياء؟ فلها حالان[1]:

١- أن تكون أعماله جميعها رياءً.. فهذا صاحبها منافق خالص.

٢- أن يكون عمل من أعماله دخله الرياء.. فله حالان:

أ / أن يكون العمل من أصله رياءً.. فهذا لا يُقبل كله.

ب/ أن يكون أصل العمل لله، ثم طرأ عليه الرياء.. فله حالان:

الأولى: أن يُجاهد نفسه لدفع الرياء.. فلا إثم عليه، وعمله مقبول.

الثانية: أن يستسلم للرياء ويستمر فيه.. فإن كان العمل لا يرتبط أوله بآخرة كقراءة القرآن فيبطل ما دخله الرياء فقط.. وإن كان يرتبط أوله بآخره كالصلاة ففيه قولان:

ق١: يبطل جميع العمل.. ابن عثيمين.

ق٢: يبطل ما دخله الرياء فقط.. الإمام أحمد.

صور لا تدخل في الرياء:

١- أن يفرح الإنسان بفعل الطاعة؛ لقوله ﷺ: (من سرته حسنته، وساءته سيئته فهو مؤمن).

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم (١/ ٧٩).

رواه أحمد ، والترمذي ، وقال: حسن صحيح ، وصححه الألباني.

٢- أن يحصل الثناء له بعد العمل، عن أبي ذر ﷺ قال: قيل لرسول الله ﷺ: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير، ويحمده الناس عليه؟ قال: (تلك عاجل بشرى المؤمن). رواه مسلم.

٣- أن ينشط الإنسان في العبادة عند رؤية العابدين.

٤- أن يُظهر العمل لأجل أن يقتدي الناس به.

٥- أن يزيد في إتقان القراءة لينتفع الناس بذلك.. عن أبي موسى ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: (لو رأيتني وأنا أسمع قراءتك البارحة لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود)، فقال: لو علمت لحبرته لك تحبيرا. رواه النسائي في الكبرى والبيهقي وابن حبان وصحّحه.

٦- أداء العبادة لتعليم الآخرين.. جاء في حديث مالك بن الحويرث قال: إني لأصلي بكم وما أريد الصلاة، أصلي كيف رأيت النبي ﷺ يصلي... الحديث. رواه البخاري.

٧- أداء العبادة لدفع توهم السوء.. جاء في حديث الرجلين اللذين صليا في رحالهما ولم يصليا مع النبي ﷺ وهما في المسجد، فقال ﷺ: (فلا تفعلا، إذا صليتما في رحالكما ثم أتيتما مسجد جماعة فصليا معهم، فإنها لكما نافلة). رواه أصحاب السنن بسند صحيح.

تنبيه:

يظن البعض أنه يخلص عمله لله ولكن لو تأمل لوجد أن له مقصدًا آخر.. قال ابن تيمية: "حكي أن أبا حامد الغزالي بلغه أن من أخلص لله أربعين يوماً تفجَّرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه، قال: فأخلصت أربعين يوماً، فلم يتفجَّر شيء، فذكرت ذلك لبعض العارفين، فقال لي: إنما أخلصت للحكمة، ولم تخلص لله.." ا.هـ(١)

الوقاية من الرياء:

قال ﷺ: (يا أبا بكر، لَلشِّرك فيكم أخفى من دبيب النمل)، فقال أبو بكر: وهل الشِّرك إلا من جعل مع الله إلها آخر؟ فقال النبي ﷺ: (والذي نفسي بيده لَلشِّرك أخفى من دبيب النمل، ألا أدلك على شيء إذا قلته ذهب عنك قليله وكثيره؟) قال: (قل: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم) رواه البخاري في الأدب المفرد وصحّحه الألباني.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٦٦).

قوله: (**باب ما جاء في الرياء**).. أي ما جاء فيه من الوعيد.

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ((**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ**...)) **الآية.**

وتمام الآية: ((فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)).

الشاهد: أن الله واحد فلا يجوز أن يُشرك معه في العبادة.. والرياء من الشرك..

وقال أكثر الشرّاح أن الشاهد في تمام الآية: ((وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)).

قوله: (**فمن كان يرجو لقاء ربه**).. لقاء الله سبحانه نوعان:

١- عامٌّ لكل إنسان، قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ)).

٢- خاصٌّ بالمؤمنين، وهو لقاء الرضا والنعيم كما في هذه الآية المترجم لها.. وهذا اللقاء يتضمن رؤيته سبحانه.

قوله: (**فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً**).. العمل الصالح ما كان خالصًا صوابًا.. قال الفضيل بن عياض (رحمه الله) في قوله تعالى: ((لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا)) قال: "أخلصه وأصوبه.. قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إذا كان العمل خالصا ولم يكن صوابا لم يُقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يُقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا؛ والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة" ا.هـ(١)

قوله: (**وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً**).. (أحدًا) نكرة في سياق النهي فيدل على العموم.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – مَرْفُوعًا –: (قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الشاهد: أن الله لا يقبل إلا العمل الخالص.. والرياء ينافي الإخلاص.

قوله: (**قال الله تعالى**:...).. هذا حديث قُدْسي.. والفرق بينه وبين الحديث النبوي:

أن الحديث النبوي ما كان معناه من الله سبحانه ولفظه من النبي ﷺ، والقُدْسي ما كان معناه من الله سبحانه ولفظه ينسبه النبي ﷺ إلى الله سبحانه ولكنه ليس قرآنًا.. والقرآن لفظه ومعناه من الله.. وهناك فروق أخرى.

قوله: (**أنا أغنى الشركاء عن الشرك**).. لا يلزم من اسم التفضيل إثبات غنًى للشركاء، فقد

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٣٧٣).

تقع المفاضلة بين الشيئين وإن كان أحدهما لا فضل فيه كقوله تعالى: ((آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ))..

قوله: (**تركتُه وشِرْكه**).. أي لم أُثِبْه على عمله الذي أشرك فيه.. في رواية عند ابن ماجه وغيره: (فأنا منه بريء وهو للذي أشرك).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ – مَرْفُوعًا –: (أَلا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟) قَالُوا: بَلَى. قَالَ: (الشِّرْكُ الْخَفِيُّ: يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلاتَه؛ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ).

درجة الحديث: رواه أحمد وابن ماجه والبيهقي وابن حبان.. وفيه قصة: أن الرسول ﷺ خرج على أصحابه وهم يتذاكرون المسيح الدجال، فقال: (ألا أخبركم... الحديث).

في سنده كَثِير بن زيد، ورُبيح بن عبد الرحمن مختلف فيهما.. حسّنه الألباني، وقال الشيخ سليمان: "في سنده ضعف ومعناه صحيح".

الشاهد: أن الرياء هو الشرك الخفي، وخطره عظيم، حتى أن النبي ﷺ خافه على خير أمته أشد من خوفه عليهم من المسيح الدجال.

قوله: (**أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال**).. قال ابن باز: "الدجال ممكن أن يُعرف بعلامات لكن الشرك الخفي أشد منه؛ لأنه يكون في القلوب، ولا يطّلع عليه الناس" ا.هـ[1]

قوله: (**الشرك الخفي**).. تقدم في باب "الخوف من الشرك" تسميته بالشرك الأصغر.. فظاهره أنه من الأصغر مطلقًا، وهو ظاهر قول الجمهور. وقال ابن القيم: "وقد يكون هذا شركًا أكبر بحسب حال قائله ومقصده" ا.هـ[2]



(١) شرح كتاب التوحيد لابن باز ص (١٠٧).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٣٥٢).

الباب السادس والثلاثون: بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ إِرَادَةُ الإِنْسَانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ((مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا...)) الآيتين.

وفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيلَةِ: إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلا انْتَقَشَ. طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ: أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ).

الشرح:

٣٦ – بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ: إِرَادَةُ الإِنْسَانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

الباب الذي قبله خاص في الرياء، وهذا الباب عام بإرادة العمل الدنيا.. فيدخل الرياء في إرادة الدنيا.

والفرق بين البابين: أن الرياء هو إرادة أمرٍ معنوي يقع في نفوس الآخرين، وإرادة الدنيا يكون بأمرٍ محسوس يقع لمن أراده مباشرة كالمال والجاه والسلطة.. وهذا توضيح دقيق فانتبه له.

خلاصة الباب:

أن الإنسان إذا أراد بعمل الآخرة الدنيا فقط فقد أشرك، وليس له في الآخرة من نصيب.

إرادة الإنسان بعمله الأخروي الدنيا قسمان:

١- أن يريد الدنيا فقط، وهو عن الآخرة غافل.. فهذا ليس له في الآخرة من نصيب[1].. وهو مقصود الباب.

مثال: من أذّن ليأخذ المال، ولا يريد ثواب الآخرة.. ومن جاهد ليأخذ من الغنائم ولا يُريد الآخرة.. وغير ذلك.. وهذا الأمر خطير؛ لأن الوعيد عليه شديد.

٢- أن يريد الآخرة وإرادة الدنيا تبع.. فيجوز، والأَوْلى عدم تشريك الدنيا..

ويدل على الجواز أن الشارع يُرغِّب في بعض أعمال الآخرة بثواب دنيوي، ومن ذلك:

الحج.. قال تعالى: ((لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ...)).[2]

الاستغفار.. قال تعالى: ((فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا...)).

صلة الرَّحِم.. قال ﷺ: (من سرّه أن يُبسط له في رزقه، أو يُنْسَأَ له في أَثَرِه، فلْيصلْ رَحِمَه) متفق

(١) قال السعدي (رحمه الله) في القول السديد: وهذا العمل على هذا الوصف لا يصدر من مؤمن، فإن المؤمن ولو كان ضعيف الإيمان لا بد أن يريد الله والدار الآخرة. ا.هـ

(٢) في تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم : قال ابن عباس: "منافع الدنيا والآخرة: أما منافع الآخرة فرضوان الله تعالى وأما منافع الدنيا فما يصيبون من منافع البدن والذبائح والتجارات، وكذا قال مجاهد وغير واحد إنها منافع الدنيا والآخرة ((لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ))".

عليه
.

قال بعض السلف: مثل الدنيا والآخرة مثل الأمَة وسيدتها، فمن نكح الأمة لم يملك سيدتها، ومن نكح السيدة ملك الأمة والسيدة، فمن ابتغى الآخرة أُعطي الدنيا والآخرة.. قال سبحانه: ((مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ...)).

تنبيهٌ مُهِمّ:

إذا كان هذا العمل الدِّيني ليس واجبًا بأصل الشرع ونفعه متعدٍّ للآخرين فيجوز أخذ الأجر على هذا النفع ولو لم يقصد به الآخرة.. كمن علّم الصبيان القرآن؛ فإن تعليمه لهم ليس واجبًا عليه، ونفعه متعدٍّ، ولكن الأفضل أن يطلب الآخرة بذلك.. وكمن رقى المرضى ليحصل على المال.

ويدل على ذلك حديث ابن عباس – رضي الله عنهما –: أن نفرًا من أصحاب النبي ﷺ مرُّوا بماءٍ، فيهم لديغ أو سَلِيم، فعرض لهم رجل من أهل الماء، فقال: هل فيكم من راقٍ، إن في الماء رجلاً لديغًا أو سليمًا، فانطلق رجلٌ منهم، فقرأ بفاتحة الكتاب على شاء[1]، فبرأ، فجاء بالشاء إلى أصحابه، فكرهوا ذلك وقالوا: أخذت على كتاب الله أجرًا، حتى قدموا المدينة، فقالوا: يا رسول الله، أخذ على كتاب الله أجرًا، فقال رسول الله ﷺ: (إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله) رواه البخاري.

مسألة: هل حصول أجر الدنيا لمن أرادها تبعًا يُنقص من أجر الآخرة؟

نعم.. ويدل عليه حديث عبد الله بن عمرو، أن رسول الله ﷺ قال: (ما من غازية تغزو في سبيل الله فيصيبون الغنيمة، إلا تعجلوا ثُلُثَيْ أجرِهم من الآخرة، ويبقى لهم الثلث، وإن لم يصيبوا غنيمة، تمّ لهم أجرهم). رواه مسلم

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ((مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا...)) الآيتين.

تتمة الآيتين: ((مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ)).

---

(١) شاء جمع شاة وهي الواحدة من الغنم للذكر والأنثى كما في المعجم الوسيط.

معنى الآية:

أن من أراد بعمله عَرَض الدنيا وزينتَها من الشهوات فإن الله يُعطيه ما أراد من غير نُقصان، وأما الآخرة فليس له إلا النار، وحبط عمله..

والأقرب أن الآية نزلت في الكفّار؛ لأنهم لا يريدون بأعمالهم الآخرة.. وفيه تحذير لنا من مشابهتهم.

قوله: ((**نُوَفِّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يُبخسون**)).. أي أن ما أرادوه يحصلُ لهم ثم خصّصتها آية الإسراء: ((مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ)).

وفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيلَةِ... الحديث).

قوله: "في الصحيح".. أي: البخاري.. وقد رواه البخاري بلفظين جمعهما المصنّف بهذا الذي ذكره.

الشاهد: أن من صارت الدنيا همّه فهو عبدٌ لها.

قوله: (**تعس عبد الدينار**).. بكسر العين، ويجوز الفتح.. دعاء بالشقاء والهلاك..

قوله: (**الخميصة والخميلة**).. قال ابن باز: "الخميصة: كساء سادة، والخميلة: كساء مُنَقّش".(١)

وقال ابن عثيمين: "الخميصة: كساء جميل، والخميلة: فراش وثير".(٢)

قوله: (**عبد الدينار، عبد الدرهم، عبد الخميصة، عبد الخميلة**).. سمّاه عبدًا لأن قلبه تعلّق بهذه الأمور تعلُّق العبد بالرب، فكانت أكبر همِّه، يرضى من أجلها، ويسخط من أجلها.. وعبد الدينار والدرهم من أراد الأموال بكل أنواعها، وعبد الخميصة والخميلة من أراد الأثاث والمظاهر.. فهذه الدنيا: أموالٌ وأثاثٌ ومظاهر.

قوله: (**إن أُعطي رضي، وإن لم يُعط سخط**).. هذا ضابط عابد الدنيا: رضاه وسخطه من أجلها.

---

(١) شرح كتاب التوحيد لابن باز ص (١٠٩).

(٢) القول المفيد (٢/ ١٤٢).

قوله: (**تعس وانتكس**).. دعاء عليه بالشقاء والخسران؛ لأنه أراد السعادة والربح، فعوقب بنقيض قصده.. عن أنس بن مالك ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: (من كانت الآخرة همّه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همّه جعل الله فقره بين عينيه، وفرّق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدر له) رواه الترمذي وصحّحه الألباني.

قوله: (**وإذا شيك فلا انتقش**) أي: أصابته شوكة فلا يقدر على انتقاشها، وهو إخراجها بالمنقاش.

والمعنى أنه إذا أصابه شرٌّ لم يخرج منه.

وفي الحديث دعاءٌ عليه بأن لا يحصل له المطلوب، ولا يزول عنه المكروه.

قوله: (**طوبى لعبد**).. طوبى قيل هي الجنة، وقيل اسم شجرة في الجنة، وقيل: الحياة الطيبة.. وهذا أعمّ.

قوله: (**آخذٍ بعنان فرسه في سبيل الله**).. أي: في طريق الجهاد.

قوله: (**أشعثَ رأسُه**).. أشعث صفة لعبد مجرور[1] بالفتحة لأنه غير مصروف للصفة ووزن الفعل.

قوله: (**مغبرَّةٍ قدماه**).. صفة مجرورة بالكسرة.. والمراد بأن هذا العبد لا يهتم بمظاهر الدنيا.

قوله: (**إن كان في الحراسة**).. أي: حماية الجيش.. **قوله:** (**كان في الحراسة**).. أي: امتثل.

قوله: (**وإن كان في الساقة كان في الساقة**).. أي: إن جعل في مؤخرة الجيش صار فيها ولزمها.

والمعنى: أنه لا يهتم بنوع العمل الذي يُطلب منه بل يؤديه من غير تطلع للرئاسة، فمقصده الآخرة.

قوله: (**إن استأذن لم يؤذن له وإن شَفع لم يُشفّع**).. لأنه ليس بذي جاه.. كما في الحديث: (رُبّ أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبرّه) رواه مسلم.



(١) في تيسير العزيز الحميد (ص: ٤٦٧): "هو بنصب أشعث صفة لعبد".. والصواب أنّ "أشعث" مجرور، فربما أنه خطأ من النسّاخ..

الباب السابع والثلاثون: بَابُ مَنْ أَطَاعَ اَلْعُلَمَاءَ وَالأمَرَاءَ فِي تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اَللَّهُ، أَوْ تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَهُ فَقَدْ اِتَّخَذَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ

وَقَالَ اِبْنُ عَبَّاسٍ: "يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ اَلسَّمَاءِ، أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ، وَتَقُولُونَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ؟!".

وَقَالَ الإمَامُ أحمد: "عَجِبْتُ لِقَوْمٍ عَرَفُوا الإسْنَادَ وَصِحَّتَه، يَذْهَبُونَ إِلَى رَأْيِ سُفْيَانَ، وَاَللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ((فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ))، أَتَدْرِي مَا اَلْفِتْنَةُ؟ اَلْفِتْنَةُ: اَلشِّرْكُ، لَعَلَّهُ إِذَا رَدَّ بَعْضَ قَوْلِهِ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ اَلزَّيْغِ فَيَهْلِكَ".

وَعَنْ عَدِيٍّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه: أَنَّهُ سَمِعَ اَلنَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ هَذِهِ الآية: ((اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ...))، فَقُلْتُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ. قَالَ: (أَلَيْس يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اَللَّهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اَللَّهُ فَتُحِلُّونَهُ ؟) فَقُلْتُ: بَلَى، قَالَ: (فَتِلْكَ عِبَادَتُهُم). رَوَاهُ أحمد، وَاَلتِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ.

الشرح:

٣٧ – بَابُ مَنْ أَطَاعَ اَلْعُلَمَاءَ وَالأمَرَاءَ فِي تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اَللَّهُ، أَوْ تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَهُ فَقَدْ اِتَّخَذَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

في الأبواب السابقة قرّر التوحيد.. وهذا الباب وما بعده يتحدث عن لوازم التوحيد من تعظيم جانب الربوبية.

خلاصة الباب:

أن من لوازم التوحيد الطاعة المطلقة في التحليل والتحريم، والذي يُحلِّل ويحرِّم هو الرب سبحانه.. فمن أطاع المحلِّل والمحرِّم فقد اتخذه ربًّا.. ويُسمى شرك الطاعة.. قال سبحانه: ((وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ)) أي إن أطعتموهم في استباحة الميتة.

والمراد بالعلماء: العلماء بشرع الله، وبالأمراء: أولو الأمر المنفِّذون له، وهذان الصنفان هما المذكوران في قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ))؛ فجعل الله طاعته مستقلة، وطاعة رسوله مستقلة، وطاعة أولي الأمر تابعة، ولهذا لم يكرر الفعل "أطيعوا"؛ فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.. قال ﷺ: (لا طاعة في معصية، إنما الطاعة في المعروف) متفق عليه.. وقال: (على المرء المسلم السمع والطاعة ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) متفق عليه.

من أطاع العلماء والأمراء في مخالفة أمر الله في التحليل والتحريم لا يخلو من حالين:

١ – أن يعلم أنهم خالفوا أمر الله.. وله ثلاث صُوَر:

أ/ أن يعتقد أن لهم حق التشريع، أو أن حكمهم أفضل من حكم الله.. فهذا شرك أكبر.

ب/ أن يعتقد أن التشريع لله، ولكن أطاعهم لهوًى في نفسه.. فهذا لا يكفر ولكنه فاسق عاصٍ لله.

ج/ أن يعتقد أن التشريع لله، ولكن أطاعهم لأنه مُكره (إكراهٌ مُلجئ).. فهذا لا يؤاخذ؛ لحديث: (إن الله قد تجاوز عن أمتي الخطأ، والنسيان، وما استكرهوا عليه) رواه ابن ماجه وصحّحه الألباني.

٢- أن يجهل أنهم خالفوا أمر الله وظن أنهم على حق.. فهذا لا يأثم إلا إن كان جهله عن تفريط.

مثال: لو قال العالم أو الأمير أكل لحم الجزور حرامٌ عليكم في الدِّين.. فإن اعتقدوا أن له حق التشريع فأطاعوه فقد اتخذوه ربًّا من دون الله.

ويُشترط أن يكون هذا الأمر ليس فيه خلاف معتبر.

مسألة: هل اتباع العالم والأخذ بقوله يدخل في هذا الباب؟

هذا الباب في طاعة العالم والأمير في مخالفة الله، أمّا طاعته في تبيين شرع الله فليس من هذا الباب، بل واجب على الجاهل أن يُطيع العالم الذي يثق بدينه وعلمه، وطاعته إياه ليس لشخصه، بل لأنه يُبيِّن أمر الله ويُوضِّحه.

تقسيم الناس في معرفة الحكم في مسألةٍ ما:

إمّا عامّي، وإمّا طالب علم، وإمّا عالم وصل مرحلة الاجتهاد.. فالعامّي يُقلِّد من يثق بدينه وعلمه، وطالب العلم يأخذ بقول من كان دليله أقوى، وأمّا المجتهد فيأخذ الحكم من الأدلة ولا يُقلِّد أحدًا.. والله أعلم.

من أقوال الأئمة في تعظيم اتِّباع رسول الله ﷺ وذمِّ تقليدهم:

الإمام أبي حنيفة (رحمه الله): "إذا صحّ الحديث فهو مذهبي".(١)

الإمام مالك (رحمه الله): "ليس أحد بعد النبي ﷺ إلا ويؤخذ من قوله ويترك إلا النبي ﷺ".(٢)

الإمام الشافعي (رحمه الله): "إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ودعوا ما قلت". وورد عنه أيضًا: "إذا صحّ الحديث فهو مذهبي".(٣)

الإمام أحمد (رحمه الله): "لا تقلِّدني ولا تقلِّد مالكا ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري وخُذْ من حيث أخذوا".(١).

---

(١) انظر: الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) (١/ ٦٧).

(٢) قال السبكي في الفتاوى (١/ ١٣٨): "فما أحسن ما قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: "ليس أحد بعد النبي ﷺ إلا ويؤخذ من قوله ويترك إلا النبي ﷺ، "وأخذ هذه الكلمة من ابن عباس مجاهد وأخذها منهما مالك - رضي الله عنه - واشتهرت عنه".

(٣) انظر: المجموع شرح المهذب (١/ ٦٣).

وورد عنه أيضًا: "من ردّ حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة".[٢]

وَقَالَ اِبْنُ عَبَّاسٍ: "يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ اَلسَّمَاءِ، أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ، وَتَقُولُونَ: قَالَ أبو بَكْرٍ، وَعُمَرُ ؟!".

تخريج الأثر ودرجته: هذا الأثر ذكره بهذا اللفظ شيخ الإسلام وابن القيم في عدد من كتبهما منها مجموع الفتاوى وزاد المعاد.. وجاء عند أحمد في مسنده بلفظ آخر[٣].. وله شواهد.

الشاهد: أن ابن عباس – رضي الله عنهما – غضب لما قدّموا قول أبي وبكر وعمر – رضي الله عنهما – على قول رسول الله ﷺ فيما يظهر له.

ومناسبة كلامه: قاله لمن ناظره في متعة الحج، وكان ابن عباس يأمر بها، فاحتج عليه المناظر بنهي أبي بكر وعمر عنها، أي: هما أعلم منك وأحق بالاتباع. فقال هذا الكلام الصادر عن محض الإيمان وتجريد المتابعة للرسول ﷺ وإن خالفه من خالفه كائنًا من كان. فإذا كان هذا كلام ابن عباس لمن عارضه بأبي بكر وعمر وهما هما فماذا تظنه يقول لمن يعارض سنن الرسول ﷺ بإمامه وصاحب مذهبه الذي ينتسب إليه؟.. قاله الشيخ سليمان.

وَقَالَ الإِمَامُ أحمد: "عَجِبْتُ لِقَوْمٍ عَرَفُوا الإسْنَادَ وَصِحَّتَه، يَذْهَبُونَ إِلَى رَأْيِ سُفْيَانَ، وَاَللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ((فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ))، أَتَدْرِي مَا اَلْفِتْنَةُ؟ اَلْفِتْنَةُ: اَلشِّرْكُ، لَعَلَّهُ إذا رَدَّ بَعْضَ قَوْلِهِ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ اَلزَّيْغِ فَيَهْلِكَ".

هذا الأثر رواه عنه الفضل بن زياد وأبو طالب.. وذكره بمعناه شيخ الإسلام في كتابه الصارم

---

(١) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/ ١٣٩).

(٢) انظر: مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص: ٢٤٩).

(٣) ولفظه عند أحمد في مسنده عن ابن عباس، قال: "تمتع النبي ﷺ"، فقال عروة بن الزبير: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة. فقال ابن عباس: ما يقول عُرَيَّة؟ قال: يقول: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة. فقال ابن عباس: أُراهم سيهلكون، أقول: قال النبي ﷺ، ويقول: نهى أبو بكر وعمر. وفي سنده شَرِيك النخعي وهو ضعيف..... وقد جاء عند أحمد من طريق آخر قال عروة لابن عباس: حتى متى تضل الناس يا ابن عباس؟ قال: ما ذاك يا عُرَيَّة؟ قال: تأمرنا بالعمرة في أشهر الحج، وقد نهى أبو بكر وعمر. فقال ابن عباس: "قد فعلها رسول الله ﷺ"فقال عروة: "هما كانا أتبع لرسول الله ﷺ، وأعلم به منك"وسنده صحيح على شرط الشيخين.

المسلول.[١]

الشاهد: إنكار الإمام أحمد على من يعرف الدليل ويتركه لقول إمامه.

قوله: "عجِبت".. العَجَب نوعان: عجب استحسان، وعجب إنكار.. والمقصود هنا هو الإنكار.

قوله: عرفوا الإسناد وصِحّته.. أي عرفوا سند الحديث وهل هو صحيح أم ضعيف.

قوله: (يذهبون إلى رأي سفيان).. الثوري الإمام الزاهد العابد الثقة، وكان له أصحاب ومذهب مشهور فانقطع.. فهو ينكر على من أخذ برأي إمامه وترك الحديث وهو يعلم سنده وصِحّته.

قوله: (إذا رد بعض قوله) أي: قول النبي ﷺ.

قوله: (أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك) هذا تنبيه على أن رد قول الرسول ﷺ سبب لزيغ القلب الذي هو سبب الهلاك في الدنيا والآخرة.. ومثله قوله تعالى: ((وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا ۚ صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ)).. انصرفوا عن القرآن وتلقِّيه فعاقبهم الله بأن صرف قلوبهم عن الحق عقوبة لهم.

وَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ﷺ: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ هَذِهِ الآية: ((اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ...))، فَقُلْتُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ. قَالَ: (أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اَللَّهُ فَتُحَرِّمُونَهُ... الحديث.

أول الحديث: عن عدي بن حاتم ﷺ قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال:(يا عَدي اطرح هذا الوثن من عنقك)، فطرحته، فسمعته يقرأ في سورة براءة... الحديث.

درجة الحديث: في سنده "غطيف بن أعين" مجهول قال عنه الترمذي: "ليس بالمعروف". وحسّنه بمجموع طرقه، وقد حسّنه شيخ الإسلام في الإيمان، والألباني في السلسلة.

(١) ولفظه: "أعجب لقوم سمعوا الحديث وعرفوا الإسناد وصحته يدعونه ويذهبون إلى رأي سفيان وغيره قال الله: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} وتدري ما الفتنة؟ الكفر قال الله تعالى: {وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ} فيدعون الحديث عن رسول الله ﷺ وتغلبهم أهواؤهم إلى الرأي..."الصارم المسلول (ص: ٥٧).

تنبيه: ذكر المصنّف أن الترمذي حسّنه، والذي في سنن الترمذي قوله: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.. قال الألباني: "التحسين المذكور لم يرد في النسخة التي ننقل عنها، وإنما هي زيادة استفدتها من "تخريج الكشاف" للحافظ العسقلاني، و"الدر المنثور" للسيوطي".[1]

الشاهد: أن طاعة العلماء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرّمه عبادة لهم بنص الحديث.

قوله: (**عن عدي بن حاتم**).. أي: حاتم الطائي المشهور.. مات مشركًا، وعَدِي يكنى أبا طَريف صحابي شهير، حسن الإسلام، مات سنة ثمان وستين وله مئة وعشرون سنة.

قوله: (**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله**).. الأحبار جمع حَبْر وهو العالم، والرهبان جمع راهب وهو العابد.. وأربابًا جمع رب.

قوله: (**أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه... إلى آخره**).. مما أحلّ النصارى مما حرمه الله: أكل لحم الخنزير، وإسقاط الختان، واتخاذ الصور في الكنائس، وتعظيم الصليب.

وأما اليهود فقد بدّلوا حد الرجم في الزنا بالتحميم، وهو تسويد وجه الزاني والزانية.

قوله: (**فتلك عبادتهم**).. تسمى هذه العبادة بـ(شرك الطاعة).



(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٧/ ٨٦٤).

الباب الثامن والثلاثون: بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا...)) الآيات.

وَقَوْلِهِ: ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ)).

وَقَوْلِهِ: ((وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا)).

وَقَوْلِهِ: ((أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ...)) الآية.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ). قَالَ النَّوَوِيُّ: "حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رُوِّيْنَاهُ فِي كِتَابِ "الْحُجَّة" بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ".

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ خُصُومَةٌ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: نَتَحَاكَمُ إِلَى مُحَمَّدٍ – عَرَفَ أَنَّهُ لا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ –، وَقَالَ الْمُنَافِقُ: نَتَحَاكَمُ إِلَى الْيَهُودِ؛ لَعَلِمَهُ أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ الرِّشْوَةَ، فَاتَّفَقَا أَنْ يَأْتِيَا كَاهِنًا فِي جُهَيْنَةَ فَيَتَحَاكَمَا إِلَيْهِ، فَنَزَلَتْ: ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ...)).

وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي رَجُلَيْنِ اخْتَصَمَا، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: نَتَرَافَعُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ الآخَرُ: إِلَى كَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ، ثُمَّ تَرَافَعَا إِلَى عُمَرَ، فَذَكَرَ لَهُ أَحَدُهُمَا الْقِصَّةَ، فَقَالَ لِلَّذِي لَمْ يَرْضَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَكَذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ فَقَتَلَهُ.

الشرح:

٣٨ - بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا...)) الآيات.

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

الذي قبله في الطاعة في الحُكم، وهذا في التحاكم..

خلاصة الباب:

أن من لوازم توحيد الله وجوب التحاكم إليه سبحانه، ومن تحاكم إلى غير شريعة الله فقد كذب في توحيده لله.. والتحاكم إلى غير ما أنزل الله شرك، ويُسمى (شرك التشريع).

الحكم بغير ما أنزل الله له ثلاثة أحكام:

١- كُفر.. في ثلاثة أحوال:

أ / إذا اعتقد جواز الحكم بغير ما أنزل الله..

ب / إذا اعتقد أن حكم غير الله مِثل حكم الله..

ج / إذا اعتقد أن حكم غير الله أحسن من حكم الله..

٢- ظُلم.. إذا اعتقد أن الحكم بما أنزل الله أحسن الأحكام، ويجب تطبيقه، ولكن حمله البغض والحقد للمحكوم عليه حتى حكم بغير ما أنزل الله.

٣- فِسق.. إذا اعتقد أن الحكم بما أنزل الله أحسن الأحكام، ويجب تطبيقه، لكن حكم بغيره لهوى في نفسه؛ كأن يحكم لشخص لرشوة رشي إياها، أو لكونه قريبا أو صديقا، أو يطلب من ورائه حاجة، وما أشبه ذلك.. فهذا فاسق، وإن كان أيضا ظالما، لكن وصف الفسق في حقه أولى من وصف الظلم.

وَصَف الله الحاكمين بغير ما أنزل الله بثلاثة أوصاف:

١- قال تعالى: ((وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)).

٢- وقال تعالى: ((وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)).

٣- وقال تعالى: ((وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)).

واختلف أهل العلم في ذلك:

ق١: إن هذه الأوصاف لموصوف واحد؛ لأن الكافر ظالم وفاسق؛ لقوله تعالى: ((وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ))، وقوله: ((وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ))، أي: كفروا.

ق٢: إنها لموصوفين متعددين، وإنها على حسب الحكم، وهذا هو الراجح على التفصيل السابق.

قَوْله تَعَالَى: ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا...)) الآيات.

الآية بعدها: ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا)).. وجاء في آخر هذه الآيات: ((فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)).

الشاهد: أن الله سبحانه أنكر على من يدّعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله، وعلى الأنبياء قبله، وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ..

وَقَوْلِهِ: ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ)).

وَقَوْلِهِ: ((وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا)).

الشاهد في الآيتين: أن من دعا إلى التحاكم إلى غير ما أنزل الله، فقد أتى بأعظم الفساد.. وأن التحاكم إلى الله ورسوله إصلاح في الأرض.

وَقَوْلِهِ: وَقَوْلِهِ: ((أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ...)) الآية.

الشاهد: أن الله استنكر على من ابتغى غير حُكم الله ورسوله، وسمّاه حُكم الجاهلية.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ). قَالَ النَّوَوِيُّ: "حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رُوِّيْنَاهُ فِي كِتَابِ "الْحُجَّة" بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ".

تخريج الحديث ودرجته: رواه المقدسي في كتاب الحُجة على تارك المحجّة، ورواه النووي في الأربعين النووية وصحّحه، ووثّقه الحافظ في الفتح، وضعّفه ابن رجب والألباني.. في سنده نعيم بن حماد ضعيف، وفيه انقطاع بين عقبة بن أوس، وعبدالله بن عمرو.

قال الشيخ سليمان آل الشيخ: "ومعناه صحيح قطعًا وإن لم يصح إسناده. وأصله في القرآن كثير كقوله تعالى: ((فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ)) وغير ذلك من الآيات، فلا يضر عدم صحة إسناده" ا.هـ[1]..

قال ابن باز وابن عثيمين: "ومعناه صحيح".[2]

الشاهد: أن الإنسان لا يؤمن الإيمان الكامل حتى يكون هواه وميله تبعًا لشريعة محمد ﷺ.

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ خُصُومَةٌ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: نَتَحَاكَمُ إِلَى مُحَمَّدٍ – عَرَفَ أَنَّهُ لا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ –، وَقَالَ الْمُنَافِقُ..... الحديث.

تخريجه: رواه ابن جرير مرسلاً.

الشاهد: أن التحاكم إلى غير الشريعة من التحاكم إلى الطاغوت.

قوله: (**عرف أنه لا يأخذ الرشوة**).. الرشوة: بتثليث الراء..

قال ابن باز: "فهذا يدل على أن المنافق أشر من اليهود؛ لأنهم يلبِّسون على الناس أمرهم ويحصل بهم الضلال، فصاروا بذلك في الدرك الأسفل من النار" ا.هـ[3]

وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي رَجُلَيْنِ اِخْتَصَمَا، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: نَتَرَافَعُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ الآخَرُ: إِلَى كَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ، ثُمَّ تَرَافَعَا إِلَى عُمَرَ، فَذَكَرَ لَهُ أَحَدُهُمَا الْقِصَّةَ....

تخريجه: علّقه البغوي في تفسيره، والحافظ في الفتح، من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، والكلبي متهم بالوضع، وأبو صالح متروك ولم يسمع من ابن عباس.

قال الشيخ سليمان آل الشيخ: "وبالجملة فهذه القصة مشهورة متداولة بين السلف والخلف تداولاً يغني عن الإسناد، ولها طرق كثيرة، ولا يضرها ضعف إسنادها" ا.هـ[4]

قال ابن باز: "وفي القصتين نظر، لكن المعنى صحيح".[5]

الشاهد: أن عمر رضي الله عنه قتل الذي لم يرض بحكم رسول الله ﷺ، وإن كانت القصة في صحتها

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص: ٤٩٢).

(٢) شرح كتاب التوحيد لابن باز ص (١١٤)، القول المفيد (٢/ ١٧٧).

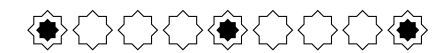
(٣) شرح كتاب التوحيد لابن باز ص (١١٤).

(٤) تيسير العزيز الحميد (ص: ٤٩٦).

(٥) شرح كتاب التوحيد لابن باز ص (١١٤).

نظر..

وكعب بن الأشرف المذكور هنا.. هو طاغوت من رؤساء اليهود وعلمائهم، عربي من بني طَيْ.. قَتَله محمد بن مسلمة، وأبو نائلة، وأبو عبس بن جبر، وعباد بن بشر رضي الله عنهم.



الباب التاسع والثلاثون: بَابُ مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ((وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ...)) الآية.

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ قَالَ عَلِيٌّ: "حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟!".

وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ رَأَى رَجُلاً اِنْتَفَضَ لَمَّا سَمِعَ حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصِّفَاتِ اِسْتِنْكَارًا لِذَلِكَ. فَقَالَ: "مَا فَرَقُ هَؤُلاءِ؟ يَجِدُونَ رِقَّةً عِنْدَ مُحْكَمِهِ، وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ ؟!" اِنْتَهَى.

وَلَمَّا سَمِعَتْ قُرَيْشٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ أَنْكَرُوا ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ((وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ...)).

الشرح:

٣٩ - بَابُ مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

التوحيد توحيد معرفة وإثبات، وتوحيد قصد وطلب: توحيد المعرفة والإثبات هو توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.. وتوحيد القصد والطلب هو توحيد الألوهية، وزاد قوم: وتوحيد الحاكمية، والصحيح أنه داخل في توحيد الألوهية.. فلما تحدّث المصنِّف في الأبواب السابقة عن توحيد الألوهية وضمّنه بوجوب التحاكم إلى الله ورسوله، أردف هنا بباب الأسماء والصفات..

خلاصة الباب:

وجوب إثبات أسماء الله وصفاته التي وردت في الكتاب والسنة وعدم جحودها، من غير تكييف ولا تحريف ولا تمثيل.

حكم من جحد شيئًا من أسماء الله وصفاته:

١- إن كان جحوده تكذيبًا، كأن يقول: ليس لله سمع أو ليس لله بصر أو ليس لله وجه.. فهذا كفر أكبر؛ لأنه مكذِّب بالقرآن.

٢- إن كان جحوده جحود تأويل بأن يُثبت اللفظ ويؤوِّل معناه.. فهذا نوعان:

أ / إن كان تأويله له مساغ في اللغة.. فهذا بِدعة.

ب / إن كان تأويله ليس له مساغ في اللغة.. فهذا كفر؛ لأن حقيقته التكذيب.

مثال ذلك: لو قال في قوله تعالى: ((بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ)): المراد بيديه السماوات والأرض، فهو كفر؛ لأنه لا مسوغ له في اللغة العربية، لكن إن قال: المراد باليد النعمة أو القوة فلا يكفر؛ لأن اليد في اللغة تطلق بمعنى النعمة.

أشهر طوائف الجحود:

١- الأشاعرة: يثبتون الأسماء، وبعض الصفات.. وحكم هذه الطائفة: أنها مبتدعة، ومثلهم الماتريدية.

٢- المعتزلة: وهؤلاء يثبتون الأسماء، وينكرون الصفات.. وهم مبتدعة، إلا غلاتهم الذين

ينكرون العلم فهم كفار.

٣- الجهمية: وهؤلاء ينكرون الأسماء، والصفات.. وجمهور السلف على تكفيرهم ، كما قال ابن القيم في النونية:

ولقد تقلد كفرهم خمسون في ... عشر من العلماء في البلدان.

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ((**وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ** ...)) **الآية.**

الشاهد: أن الله تعالى سمى جحود اسم من أسمائه كفرًا، فدل على أن جحود شيء من أسماء الله وصفاته كفر.

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ قَالَ عَلِيٌّ : "حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟!".

هذا الأثر علّقه البخاري أولاً ثم ذكر إسناده، فرواه عن عبيد الله بن موسى عن معروف بن خُرَّبوذ عن أبي الطفيل عن علي به ولفظه: "أتحبون أن يكذب الله ورسوله".

الشاهد: أن جحود الأسماء والصفات وإنكارها تكذيب لله ورسوله، فيحدّث العامّة بما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات وأثبته رسوله بعمومها، وأما التفصيل في ذلك فقد ينكرونها فيقعون في تكذيب الله ورسوله.

ومثل قول علي ﵁ قول ابن مسعود ﵁ حين قال: "ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة" رواه مسلم.

قال الحافظ: "وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوي البدعة، وظاهره في الأصل غير مراد فالإمساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب" ا.هـ[1]

تنبيه:

العلم الذي لا يُخبر به العامّة هو العلم الذي لا يضرهم جهله، أما العلم الذي ينفعهم في أصول دينهم وعباداتهم ومعاملاتهم فيُخبرون به، ولكن بتبيين واضح حتى لا يفهمون غير المقصود..

وإن الإخبار بأسماء الله وصفاته من أصول الدين فيُخبر به العامّة ولكن بتبيين واضح، وعدم

(١) فتح الباري (١/ ٢٢٥).

التفاصيل التي لا يحتاجونها..

وآيات الصفات من المحكم وليست من المتشابه..

قال شيخ الإسلام (رحمه الله): "ما وجدتّ أحداً من أهل العلم من السلف جعل آيات الصّفات من المتشابه".. ا.هـ "بمعناه".[١]

وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ رَأَى رَجُلاً اِنْتَفَضَ لَمَّا سَمِعَ حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصِّفَاتِ اِسْتِنْكَارًا لِذَلِكَ. فَقَالَ: "مَا فَرَقُ هَؤُلاءِ؟ يَجِدُونَ رِقَّةً عِنْدَ مُحْكَمِهِ، وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ؟!" اِنْتَهَى.

درجته: قال ابن باز: "هذا سند عظيم".[٢]

قوله: "روى عبد الرزاق".. هو ابن همّام الصنعاني، الإمام الحافظ صاحب التصانيف كـ"المصنف" وغيره. روى عنه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، وخلق لا يحصون، مات سنة ٢٢١هـ.

و"**مَعْمَر**".. ابن راشد الأزدي من تلاميذ الزهري، نزل اليمن، ثقة ثبت، مات سنة ١٥٤هـ.

و"**ابن طاوس**".. هو عبد الله بن طاوس اليماني، ثقة فاضل عابد، مات سنة ١٣٢هـ.

و"**أبوه**".. طاوس بن كيسان اليماني ثقة فقيه فاضل من جُلّة أصحاب ابن عباس وعلمائهم، مات سنة ١٠٦ هـ.

قوله: "انتفض".. أي: ارتعد لما سمع حديثًا عن النبي ﷺ فاستنكره، إما لأن عقله لا يحتمله، أو لكونه اعتقد عدم صحته فأنكره.

قوله: "ما فرق هؤلاء".. يحتمل وجهين:

١- بفتح الراء "فَرَقُ" بمعنى أفزع، و"ما" استفهامية إنكارية.. فالمعنى: ما أفزع هذا وأضرابه؟

٢- بتشديد الراء "فرّقَ". و"ما" نافية أي: لم يُفرّق هذا وأضرابه بين الحق والباطل، ولا عرفوا ذلك.

قوله: "يجدون رقة".. ضد القسوة، أي: لينًا وقبولاً للمحكم.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٩٤)

(٢) شرح كتاب التوحيد لابن باز ص (١١٦).

قوله: "ويهلكون عند متشابهه".. أي: يهلكون بالإنكار والتكذيب، وقوله: "متشابهه" أي ما يشتبه عليهم فهمه، لا أن آيات الصفات هي المتشابه كما تقوله الجهمية ونحوهم.

وطريقة أهل السنة أنهم يردون المتشابه إلى المحكم ، ويفسرونه به.. وأما أهل الزيغ والضلال فإنهم يتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله.

قال الشافعي: "آمنت بالله، وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسول الله، وما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله".[(١)]

وَلَمَّا سَمِعَتْ قُرَيْشٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ أَنْكَرُوا ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ((وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ)).

تخريجه: رواه ابن جرير في تفسيره، وابن المنذر في الدر المنثور.. وقد رُوي مرسلاً عن ابن جرير عن مجاهد..

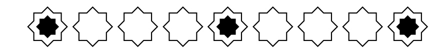
قال ابن الجوزي: "قوله تعالى: ((وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ)) في سبب نزولها ثلاثة أقوال:

ق١: أن النبي ﷺ لما قال لكفار قريش: اسجدوا للرحمن، قالوا: وما الرحمن؟ فنزلت هذه الآية، وقيل لهم: إن الرحمن الذي أنكرتم هو ربي، هذا قول الضحاك عن ابن عباس.

ق٢: أنهم لما أرادوا كتاب الصلح يوم الحديبية، كتب عليّ رضي الله عنه: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل بن عمرو: ما نعرف الرحمن إلا مسيلمة، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة، وابن جريج، ومقاتل.

ق٣: أن رسول الله ﷺ كان يوماً في الحِجْر يدعو، وأبو جهل يستمع إليه وهو يقول: يا رحمن، فولّى مدبراً إلى المشركين فقال: إن محمداً كان ينهانا عن عبادة الآلهة وهو يدعو إلهين! فنزلت هذه الآية" ا.هـ[(٢)]

الشاهد: أن إنكار أسماء الله سبحانه كفر.



(١) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٣٥٤).

(٢) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٤٩٥).

الباب الأربعون: بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ((يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا...)) الآيَة.

قَالَ مُجَاهِدٌ - مَا مَعْنَاهُ -: "هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ هَذَا مَالِي، وَرِثْتُهُ عَنْ آبَائِي".

وَقَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: "يَقُولُونَ لَوْلا فُلانٌ لَمْ يَكُنْ كَذَا".

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: "يَقُولُونَ هَذَا بِشَفَاعَةِ آلِهَتِنَا".

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ - بَعْدَ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الَّذِي فِيهِ: (أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ...) الْحَدِيثِ وَقَدْ تَقَدَّمَ -: "وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، يَذُمُّ سُبْحَانَهُ مَنْ يُضِيفُ إِنْعَامَهُ إِلَى غَيْرِهِ وَيُشْرِكُ بِهِ.. قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: هُوَ كَقَوْلِهِمْ: كَانَتِ الرِّيحُ طَيِّبَةً، وَالْمَلَّاحُ حَاذِقًا، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ جَارٍ عَلَى أَلْسِنَةِ كَثِيرٍ".

الشرح:

٤٠ – بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ((يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا...)) الآية.

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

الباب الذي قبله باب "مَن جحد شيئاً من الأسماء والصّفات" فيه تنقُّصٌ للرُّبوبيّة، وكذلك في هذا الباب فإن الذي يُضيفُ النّعم إلى غير الله سبحانه وتعالى قد تنقّص الرّبوبيّة.

خلاصة الباب:

إن إنكار نعمة الله بنسبتها إلى غيره كفر.. ولا يكمل إيمان العبد إلا بنسبة النعم لخالقها سبحانه.

حكم نسبة النعم إلى الأسباب:

١- شرك أكبر.. في حالتين:

أ / إذا اعتقد أن هذه الأسباب هي التي أوجدت هذه النعمة.. كاعتقاد أن النجم هو الذي ينزل المطر.

ب / إذا نسب النعمة إلى سبب خفي لا تأثير له إطلاقا، كأن يقول: لولا الولي الفلاني ما حصل كذا وكذا.. وهذا الولي ميت أو غير حاضر.

٢- شرك أصغر.. في حالتين:

أ / إذا نسب النعمة إلى سبب ظاهر لكنه غير مشروع.. كأن يقول: شفيتُ بسبب الخيط.

ب / إذا نسب النعمة إلى سبب صحيح ثابت شرعا أو حسًّا ولم ينسبها لله أولاً.. كأن يقول: لولا فلان لكان كذا.. وقد يكون كفر نعمة إذا تناسى أن الله هو المنعم المتفضل.

٣- جائز.. في حالتين:

أ / إذا نسب النعمة لله أولاً ثم للسبب.. كأن يقول: لولا الله ثم فلان كان كذا.

ب / إذا قصد الإخبار فقط.. كأن يُقال: من أين لك هذا المال؟ فيقول: ورثته من أبي.. والأفضل أن ينسبه لله أولاً ثم للسبب.

أركان شكر نعمة الله ثلاثة:

١- التحدُّث بها ظاهراً، كما قال تعالى: ((وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)).

٢- الاعتراف بها باطناً، أي اليقين بأنّها من الله سبحانه وتعالى.

٣- صرفُها في طاعة الله سبحانه.. أي: الاستعانة بها على طاعة الله، فمن استعان بها على معصية الله فلم يشكرها.

قَوْل اللَّهِ تَعَالَى: ((يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا...)) الآية.

هذه الآية من سورة النحل التي تُسمى سورة النِّعَم؛ لكثرة النِّعَم التي ذكرها الله سبحانه فيها، وأول هذه النِّعَم التي في السورة نعمة إنزال الوحي وإرسال الرسل، ثم نعمة خلق الإنسان، ونعمة البهائم.. إلخ. ثم بيّن أن هذه النعم من الله سبحانه بقوله: ((وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ))، ثم أخبر في هذه الآية أن الناس يعرفون نعمة الله أي بأنها من الله ثم ينكرونها بنسبتها لغير الله، فقال في آخر الآية: ((وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ)).

ثم ذكر المصنّف أقوال المفسرين للآية:

قَالَ مُجَاهِدٌ – مَا مَعْنَاهُ –: "هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ هَذَا مَالِي، وَرِثْتُهُ عَنْ آبَائِي".

هذا الأثر رواه ابن جرير وابن أبي حاتم، ولفظه كما في "الدر المنثور": "هي المساكن والأنعام وما ترزقون منها، وسرابيل من الحديد والثياب، تعرف هذا كفار قريش ثم تنكره بأن تقول: هذا كان لآبائنا فورثونا إياه".(١)

قوله: "قال مجاهد".. هو إمام المفسرين في التابعين، عرض المصحف على ابن عباس – رضي الله عنهما – يوقفه عند كل آية ويسأله عن تفسيرها.. قال سفيان الثوري: "إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به".(٢)

قوله: هو قول الرجل: هذا مالي ورثته عن آبائي.. هذا القول له حكمان:

١- إن قصد الإخبار فقط فلا بأس بذلك.

٢- إن نسبها إلى السبب، مع نسيان المسبب كان ذلك من كفر النعمة.

وَقَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: "يَقُولُونَ لَوْلا فُلانٌ لَمْ يَكُنْ كَذَا".

هذا الأثر رواه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم ولفظه – كما في "الدر"-: "لولا فلان ما

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥/ ١٥٥).

(٢) جامع البيان "تفسير الطبري" (١/ ٩١).

أصابني كذا وكذا، ولولا فلان لم أصب كذا وكذا".[1]

و"عون".. هو ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي أبو عبد الله الكوفي، ثقة عابد مات قبل سنة عشرين ومئة.

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: "يَقُولُونَ هَذَا بِشَفَاعَةِ آلِهَتِنَا".

"ابن قتيبة".. هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري الحافظ، صاحب التفسير والمعارف وغيرها.

قوله: "هذا بشفاعة آلهتنا".. هذا أشد الأقوال ولا يصدر من مسلم.

وَقَالَ أبو الْعَبَّاسِ – بَعْدَ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الَّذِي فِيهِ: (أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ...) الْحَدِيثِ وَقَدْ تَقَدَّمَ –: وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ..... إلخ.

إذا نجوا من البحر يُثنون على الريح وعلى الملاّح مثل نسبة المطر إلى الأنواء. لذا لا ينبغي أن يضاف ذلك إلا إلى الله وحده؛ لأن غاية الأمر في ذلك أن يكون الريح والملاح سببًا، أو جزء سبب. ولو شاء الرب تبارك وتعالى لسلبه سببيته، فلم يكن سببًا أصلاً.



(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥/ ١٥٥).

الباب الحادي والأربعون: بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ((فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ))

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ – فِي الآية –: "الأنْدَادُ هُوَ الشِّرْكُ، أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةٍ سَوْدَاءَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَهُوَ أَنْ تَقُولَ: وَاللَّهِ وَحَيَاتِكَ يَا فُلانَ، وَحَيَاتِي، وَتَقُولَ: لَوْلا كُلَيْبَةُ هَذَا لأَتَانَا اللُّصُوصُ، وَلَوْلا الْبَطُّ فِي الدَّارِ لأتَى اللُّصُوصُ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، وَقَوْل الرَّجُلِ: لَوْلا اللَّهُ وَفُلانٌ، لا تَجْعَلْ فِيهَا فُلانًا، هَذَا كُلُّهُ بِهِ شِرْكٌ". رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ.

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: "لأَنْ أَحْلِفَ بِاللَّهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا".

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فُلانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلانٌ). رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

وَجَاءَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ: أَنَّهُ يَكْرَهُ أنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ وَبِكَ، وَيُجَوِّزُ أَنْ يَقُولَ: بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ. قَالَ: وَيَقُولُ لَوْلا اللَّهُ ثُمَّ فُلانٌ، وَلا تَقُولُوا: لَوْلا اللَّهُ وَفُلانٌ.

الشرح:

٤١ – بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ((فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)).

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

الباب الذي قبله خاص بنسبة النعم لغير الله، وهذا الباب عام في كل لفظ شركي.

خلاصة الباب:

التحذير من بعض الألفاظ الشركية الخفية.. وورد في هذا الباب:

١- الحلف بغير الله.

٢- نسبة الفضل لغير الله.

٣- التشريك في المشيئة.

٤- التشريك في الاستعاذة.

قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ((فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)).

الشاهد: أن الله سبحانه نهى أن يُجعل له أندادًا، وأدلة الباب الأخرى تُعطي أمثلة للأنداد.

وهذه الآية من سورة البقرة، والآية التي قبلها هي أول أمْر في القرآن الكريم من حيث ترتيبه: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ))، وهذه الآية بعدها وهي أول نهي.. فكان أول أمر بعبادة الله، وأول نهي عن الشرك.. وأول الآية: ((الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)).. فبيّن الله نعمته على الناس ثم نهاهم أن يجعلوا له أندادًا.

قال ابن القيم: "فكيف تجعلون له أندادًا؟ وقد علمتم أنه لا نِدّ له يشاركه في فعله".[1]

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ – فِي الآية –: "الأَنْدَادُ هُوَ الشِّرْكُ، أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةٍ سَوْدَاءَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَهُوَ أَنْ تَقُولَ: وَاللَّهِ وَحَيَاتِكَ يَا فُلانَ، وَحَيَاتِي، وَتَقُولَ: لَوْلا كُلَيْبَةُ هَذَا..." إلخ.

---

(١) بدائع الفوائد (٤/ ١٣٤).

درجة الأثر: سنده جيد كما في تيسير العزيز الحميد.

الشاهد: أن ابن عباس بيّن أن الشرك شديد الخفاء فيقع فيه الناس وهم لا يشعرون، وضرب أمثلة من شرك الألفاظ التي هي من الشرك الأصغر.. وتفسيره من باب التفسير بالمثال.

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ.

قوله: "عن عمر بن الخطاب".. هكذا وقع في الكتاب، وصوابه عن ابن عمر.. نبّه عليه في تيسير العزيز الحميد.

درجته: صحيح صحّحه ابن حبان، وصحّحه الألباني.. وقد أخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والحاكم.

قوله: (من حلف بغير الله).. "من" شرطية؛ فتكون للعموم.. يشمل كل محلوف به سوى الله، ولا يشمل الحلف بصفات الله؛ لأن الصفة تابعة للموصوف، وعلى هذا فيجوز أن تقول: وعِزّة الله، وقدرة الله؛ وكلام الله، والقرآن لأفعلنّ كذا.

وقوله: (بغير الله).. ليس المراد بغير هذا الاسم، بل المراد بغير المسمى بهذا الاسم، فإذا حلف بالله أو بالرحمن أو بالسميع ؛ فهو حلف بالله.

قوله: (كفر أو أشرك).. شكٌّ من الراوي. قال ابن عثيمين (رحمه الله): "والظاهر أن صواب الحديث "أشرك".. ا.هـ[١].. وقد جاءت كذلك في رواية ابن حبان.

وَقَالَ اِبْنُ مَسْعُودٍ ﷺ: "لأَنْ أَحْلِفَ بِاللَّهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا".

تخريجه: ذكره ابن جرير بغير سند.. ورواه الطبراني بإسناد موقوفًا هكذا.. قال المنذري: "رواه الطبراني موقوفا ورواته رواة الصحيح ".[٢]

الشاهد: أن الحلف بغير الله شرك، والحلف بالله كاذبًا من كبائر الذنوب، والشرك أعظم خطرًا. في التيسير: "وإنما رجّح ابن مسعود ﷺ الحلف بالله كاذبًا على الحلف بغيره صادقًا، لأن الحلف بالله توحيد، والحلف بغيره شرك، وإن قُدِّر الصدق في الحلف بغير الله فحسنة التوحيد

(١) القول المفيد (٢/ ٢١٢).

(٢) الترغيب والترهيب (٣/ ٣٧٢).

أعظم من حسنة الصدق، وسيئة الكذب أسهل من سيئة الشرك. ذكره شيخ الإسلام".[1]

وَعَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فُلانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلانٌ). رَوَاهُ أبو دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

درجته: صحيح، صحّحه النووي في رياض الصالحين، والألباني في الصحيحة.. وقد رواه أيضًا أحمد والنسائي في الكبرى.

الشاهد: نهي النبي ﷺ عن قول: ما شاء الله وشاء فلان، والإرشاد إلى استخدام "ثم" لأنها تدل على الترتيب لا التسوية بين المعطوف والمعطوف عليه.. وسيأتي الكلام عن المشيئة في بابه إن شاء الله.

وَجَاءَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ: أَنَّهُ يَكْرَهُ أنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ وَبِكَ، وَيُجَوِّزُ أَنْ يَقُولَ: بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ. قَالَ: وَيَقُولُ لَوْلا اللَّهُ ثُمَّ فُلانٌ، وَلا تَقُولُوا: لَوْلا اللَّهُ وَفُلانٌ.

هذا الأثر ذكره عبد الرزاق عن مَعْمَر، وابن أبي الدنيا في كتاب الصمت.

قوله: إبراهيم النخعي.. من فقهاء التابعين، ومن تلاميذ ابن مسعود رضي الله عنه.

الشاهد: أن السلف يكرهون – والكراهة عندهم كراهة تحريم – التشريك بين الخالق والمخلوق في الاستعاذة، وفي قول "لولا".

مسألة:

الاستعاذة بالمخلوق تجوز بحي حاضر قادر.. وقد سبق في باب الاستعاذة.



(١) تيسير العزيز الحميد (ص: ٥١٥). وانظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/ ٥٥٢).

الباب الثاني والأربعون: بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالْحَلِفِ بِاللَّهِ

عَنْ اِبْنِ عُمَرَ – رضي الله عنهما – أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ). رَوَاهُ اِبْنُ مَاجَهْ بِسَنَدٍ حَسَنٍ.

الشرح:

٤٢ - بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالْحَلِفِ بِاللَّهِ

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

الباب الذي قبله في أن الحلف يجب أن يكون بالله، وهذا الباب في تعظيم الحلف بالله.

خلاصة الباب:

أن من تعظيم الله سبحانه:

١- تحريم الحلف بغير الله، ٢- وجوب الصدق لمن حلف بالله، ٣- وجوب الرضا لمن حُلف له بالله.

تعريف الحَلِف:

لغة: مصدر حَلَف، يحلِف.. وهو الملازمة؛ لأن الإنسان يلزمه الثبات على ما حلف عليه.

شرعًا: هو تأكيد الشيء بذكر معظَّمٍ بصيغة مخصوصة..

وحروف القسم ثلاثة: الباء، والتاء، والواو.

حكم الحلف بغير الله:

١- شرك أكبر.. إن اعتقد أن المحلوف به مساوٍ لله تعالى في التعظيم والعظمة.

٢- شرك أصغر.. إن لم يعتقد ذلك.

مسألة:

قال ﷺ للأعرابي: (أفلح وأبيه إن صدق) رواه مسلم، وقال ﷺ للذي سأله: أي الصدقة أفضل؟: (أما وأبيك لَتُنبِأَنَّه: أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر، وتأمل البقاء.... الحديث) رواه مسلم ونحو ذلك من الأحاديث.. فما الجواب؟ ذكر العلماء عن ذلك أجوبة:

١- هذه اللفظة غير محفوظة، وقد جاءت: (أفلح إن صدق).. (ابن عبد البر في الاستذكار).

الرد: هذا جواب عن هذا الحديث فقط فما الجواب عن الأحاديث الأخرى؟.

٢- أن فيه تصحيف والصواب: (أفلح والله إن صدق). ذكره ابن عبد البر أيضًا[1]، والرد عليه كالسابق.

---

(١) انظر: الاستذكار (٢/ ٣٧٠).

٣- أن هذا اللفظ كان يجري على ألسنتهم من غير قصد للقسم به.. (البيهقي[١]، والنووي[٢]).

الرد: أحاديث النهي عامة مطلقة ليس فيها تفريق بين من قصد القسم وبين من لم يقصد.

٤- أن هذا من خصائص النبي ﷺ..

٥- أن هذا كان في أول الأمر ثم نُسخ.. (ذكره الشيخ سليمان، واختاره ابن باز وابن عثيمين)[٣] وهو الأقرب.

ويؤيده أن ذلك كان مستعملاً شائعًا، حتى ورد النهي عن ذلك كما في حديث ابن عمر أن النبي ﷺ أدرك عمر بن الخطاب يسير في ركب يحلف بأبيه فقال: (ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت) رواه البخاري، ومسلم.. وكانت قريش تحلف بآبائها فقال: (ولا تحلفوا بآبائكم) رواه مسلم.

حكم الحلف بالأمانة:

شرك أصغر، قال ﷺ: (من حلف بالأمانة فليس منا) رواه أبو داود وصححه الألباني..

حكم قول: أخبرني بالأمانة؟

إن أراد استحلافه بها فهذا شرك أصغر، وإن أراد أخبرني بأمانة وصدق فجائز.

حكم قول: بذمتي؟

إن قصد الحلف فشرك أصغر، وإن قصد في ذمتي أي أدخله في ذمتي وعهدي فجائز.. في صحيح مسلم قال ﷺ: (ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك).

حكم قول: (وأَيْمُ الله أو "وايم" الله بهمزة الوصل للتخفيف) أو (وأَيْمُ الحق)؟

جائزة ، لأن (أيم) جمع يمين، فتكون من الحلف بالله.

حكم الحلف بالطلاق؟

كأن يقول: عليّ بالطلاق أن أفعل كذا (قاصدًا اليمين)؟.. فهذه يمين مؤّكده بالطلاق،

---

(١) انظر: السنن الكبرى للبيهقي (١٠/ ٥٢).

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم (١/ ١٦٨).

(٣) انظر: شرح كتاب التوحيد لابن باز (ص ١٢٣)، القول المفيد (٢/ ٢١٥).

وليست حلفًا بالطلاق، ويُسمّى حلفًا بالطلاق مجازًا[1].. وأما هل يقع الطلاق فله حالان:

١- إن أنجز الأمر الذ حلف عليه فلا يقع الطلاق؛ لأنه علّق وقوع الطلاق بعدم فعل الأمر وقد فعله.

٢- إن لم يُنجز الأمر ولم يفعله.. ففيه خلاف بين العلماء فالجمهور من المذاهب الأربعة على وقوع الطلاق، وخالف شيخ الإسلام بأنه يمين يكفِّر عنها واختاره ابن باز وابن عثيمين.. ولكن لا يُفتى بذلك، فالمسألة ترجع للقضاء للفصل في هذا الأمر.

عَنْ اِبْنِ عُمَرَ – رضي الله عنهما – أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ). رَوَاهُ اِبْنُ مَاجَهْ بِسَنَدٍ حَسَنٍ.

درجة الحديث: صححه الألباني.. وقال الشيخ سليمان: "إسناده جيد على شرط مسلم عند الحاكم وغيره، وأصل هذا الحديث في "الصحيحين" عن ابن عمر بلفظ: (لا تحلفوا بآبائكم، من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت) وليس فيه هذه الزيادة".

في الحديث ثلاثة أمور كلها تدل على تعظيم الله تعالى:

١- (لا تحلفوا بآبائكم).. تحريم الحلف بغير الله.

٢- (من حلف بالله فليصدق).. وجوب الصدق لمن حلف بالله.

٣- (ومن حُلف له بالله فليرض).. وجوب الرضا لمن حُلف له بالله.

قوله: (لا تحلفوا بآبائكم).. خُصَّ النهي عن الحلف بالآباء لأنه كان منتشرًا في الجاهلية، وإلاّ فالحكم واحد لكل من حلف بغير الله.

قوله: (من حلف بالله فليصدق).. ويجوز الحلف على غلبة الظن.. جاء في البخاري أن عمر رضي الله عنه كان يحلف أن ابن صيّاد هو الدجال عند النبي ﷺ، فلم ينكره النبي ﷺ.

قوله: (ومن حُلف له بالله فليرضَ).. أي يجب الرضا تعظيمًا لله الذي حُلف به.. ولكن هذا الأمر ليس على إطلاقه..

---

(١) لو كانت حلفًا بالطلاق فإنه حَلِفٌ بغير الله، والحلف بغير الله لا ينعقد أصلاً.. وصيغة الحلف بالطلاق أن يقول: والطلاق لأفعلنّ كذا..

المحلوف عليه لمن حلف بالله له موضعين:

الأول: في الخصومة أمام القاضي يجب الرضا به.. أي: إذا حلف خصمك عند القاضي.. وأكثر الشُّرَّاح على أن هذا هو المراد من الحديث.. منهم المصنّف، والسعدي، وابن باز.

الموضع الثاني: في غير الخصومة أمام القاضي.. يجب تصديقه إلا في ثلاث حالات:

أ / إذا عُلم يقينًا أنه كاذب..

ب / ترجّح كذبه.. فلا يُصدّق في الحالتين؛ لأن الشرع لا يأمر بشيء يخالف الحس والواقع.

ج / إذا كان الحالف فاسقًا لا يُعظِّم الله، أو كان جاهلاً بعظمة الحلف بالله.. فهنا يجب التثبُّت؛ لقوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا...)).

قوله: (**ومن لم يرضَ فليس من الله**).. وعيد شديد بأن الله بريء ممن لم يقنع بالحلف به.. ويدخل في هذا الوعيد من إذا بُذلت له اليمين بالله فلم يرضَ إلا بالحلف بالطلاق؛ لأنه سوء أدب ، وترك لتعظيم الله ، واستدراك على حكم الله ، ورسوله.. ذكره السعدي.(1)

مسألة: جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: (رأى عيسى ابن مريم رجلا يسرق، فقال له: أسرقت؟ قال: كلا والله الذي لا إله إلا هو، فقال عيسى: آمنت بالله، وكذّبتُ عيني).. للحديث توجيهان:

١- أن عيسى عليه السلام كذّب عينه لاحتمال أن يكون الرجل أخذ شيئًا له فيه حق، أو قد أذن له صاحبه في أخذه، أو أخذه ليقلبه، ولم يقصد الغصب والاستيلاء.. قاله القرطبي.(2)

ولكن فيه نظر فإن النبي ﷺ أثبت سرقته حيث قال في الحديث: (رجلاً يسرق).

٢- أن الله تعالى كان في قلب عيسى عليه السلام أجل من أن يحلف به أحد كاذبًا.. فدار الأمر بين تهمة الحالف، وتهمة بصره، فرد التهمة إلى بصره.. قاله ابن القيم.(3)

قال الشيخ سليمان في التيسير: "هذا القول أحسن من الأول وهو الصواب إن شاء الله تعالى".



(١) انظر: القول السديد (ص: ١٦٢).

(٢) انظر: المفهم شرح مسلم (١٩/٩٤).

(٣) انظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ١١٥).

الباب الثالث والأربعون: بَابُ قَوْلِ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ

عَنْ قُتَيْلَةَ: أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ، تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ. فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: "وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَأَنْ يَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتَ". رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَصَحَّحَهُ.

وَلَهُ أَيْضًا عَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، قَالَ: (أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا؟ بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ).

وَلابْنِ مَاجَهْ عَنِ الطُّفَيْلِ – أَخِي عَائِشَةَ لأُمِّهَا – قَالَ: رَأَيْتُ كَأَنِّي أَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ، قُلْتُ: إِنَّكُمْ لأنتم الْقَوْمُ لَوْلا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ. قَالُوا: وَإِنَّكُمْ لأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ. ثُمَّ مَرَرْتُ بِنَفَرٍ مِنْ النَّصَارَى، فَقُلْتُ: إِنَّكُمْ لأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ. قَالُوا: وَإِنَّكُمْ لأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ. فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَخْبَرْتُ بِهَا مَنْ أَخْبَرْتُ ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ: (هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَدًا؟). قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: (أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ طُفَيْلاً رَأَى رُؤْيَا أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ، وَإِنَّكُمْ قُلْتُمْ كَلِمَةً كانَ يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا؛ فَلا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ).

الشرح:

٤٣ – بَابُ قَوْلِ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

هذا الباب تابع للذي قبله في أنه من باب الشرك في الألفاظ.

خلاصة الباب:

أن قول "ما شاء الله وشئت": شرك في الألفاظ، وهو من الشرك الأصغر، إلا إذا اعتقد أن المعطوف مساو لله فهذا شرك أكبر.

درجات نسبة المشيئة الجائزة:

١- الأكمل والأفضل إفراد الله بالمشيئة.. فيُقال: ما شاء الله وحده.

كما في حديث ابن عباس: (بل ما شاء الله وحده)، وكما في حديث الطفيل: (ولكن قولوا: ما شاء الله وحده)، وسبق قول ابن عباس: (لا تجعل فيها فلاناً).

٢- الدرجة الثانية: عطف مشيئة العبد على مشيئة الله بـ(ثم). فيقال: ما شاء الله، ثم شاء فلان.

شُبْهة:

احتجّ البعض بجواز قول: "ما شاء الله وشئت" بقوله تعالى: ((وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ))، وقوله: ((وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ)) ونحو ذلك.

الجواب من وجهين:

١- أن ذلك لله وحده، لا شريك له، كما أنه تعالى يقسم بما شاء من مخلوقاته.

٢- في الآية أخبر عن فعلين متغايرين، فأخبر تعالى أنه أغناهم (بأن قدّر غناهم) وأن رسوله أغناهم (بتعاطي الفعل).. والله أنعم على زيد بالإسلام، والنبي ﷺ أنعم عليه بالعتق، وهذا بخلاف المشاركة في الفعل الواحد.. ذكر ذلك الشيخ سليمان آل الشيخ في التيسير..

معنى ما شاء الله ثم شئت؟

في الكلام محذوف وتقديره: "الذي شاء الله يكون".. أي أن الذي يريده الله يكون، ثم تأتي إرادتك بعد إرادة الله؛ لأن للخلق مشيئة تحت مشيئة الخالق سبحانه.. قال تعالى: ((وَمَا

تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ)) فأثبت للخلق مشيئة.

عَنْ قُتَيْلَةَ: أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ، تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ. فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إذا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: "وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَأَنْ يَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتَ". رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَصَحَّحَهُ.

درجة الحديث: صحيح، صحّحه النسائي وابن حجر والألباني.

قوله: "عن قُتَيْلة".. بنت صيفي الجهنية، أو الأنصارية (صحابية).

قوله: "إنكم تشركون تقولون: ما شاء الله وشئت".. هذا نص في أن هذا اللفظ من الشرك، لأن النبي ﷺ أقر اليهودي على تسمية هذا اللفظ تنديدًا أو شركًا.

وفي الحديث:

١- أن اليهود يعرفون الشرك الأصغر، وكثير ممن يدعي الإسلام لا يعرف الشرك الأكبر.

٢- قبول الحق ممن جاء به، وإن كان عدوًّا مخالفًا في الدين.

وَلَهُ أَيْضًا عَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، قَالَ: (أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا ؟ بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ).

تخريجه ودرجته: رواه النسائي، كما قال المصنف لكن في "اليوم والليلة".. وأخرجه أيضًا أحمد وابن ماجه والبخاري في الأدب المفرد.. وحسّنه الألباني.

الشاهد: أن النبي ﷺ جعل قول: "ما شاء الله وشئت" تنديدًا لله.

قوله: (أجعلتني لله ندًّا).. هذه رواية ابن مردويه، والرواية عند النسائي وابن ماجه: (أجعلتني لله عَدلاً) والمعنى واحد.

قال ابن القيم: "هذا مع أن الله قد أثبت للعبد مشيئة كقوله: ((لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ)) فكيف بمن يقول: أنا متوكل على الله وعليك، وأنا في حسب الله وحسبك، وما لي إلا الله وأنت، وهذا من الله ومنك... فوازن بين هذه الألفاظ، وبين قول القائل: ما شاء الله وشئت، ثم انظر أيهما أفحش. يتبين لك أن قائلها أولى بجواب النبي ﷺ لقائل تلك الكلمة" ا.هـ[1]

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص: ١٣٥).

وَلابْنِ مَاجَهْ عَنِ الطُّفَيْلِ – أَخِي عَائِشَةَ لأُمِّهَا – قَالَ: رَأَيْتُ كَأَنِّي أَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ، قُلْتُ: إِنَّكُمْ لأنتم الْقَوْمُ لَوْلا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ. قَالُوا..... الحديث.

تخريج الحديث ودرجته: رواه ابن ماجه عن حذيفة، وقال في آخره: "عن الطفيل بن سخبرة، أخي عائشة لأمها، عن النبي ﷺ بنحوه".. صحّحه الألباني وغيره.. وحسّنه ابن حجر.

الشاهد: أن اليهود والنصارى يرون قول ما شاء الله وشئت مثل قولهم عزير ابن الله، والمسيح ابن الله.. وهذا يدل على خطورة هذا اللفظ، لذا نهى ﷺ عن هذا القول، وهو من الشرك الأصغر كما سبق.

قوله: (**عن الطفيل**).. هو ابن الحارث بن سَخْبَرَة الأزدي.. قدم الحارث بن سَخْبَرَة مكة، فحالف أبا بكر، فمات، فخلف أبو بكر على أم رومان فولدت له عبد الرحمن وعائشة، وكان لها من الحارث الطفيل بن الحارث.. وقيل غير ذلك. وهو صحابي ليس له إلا هذا الحديث.. قال البغوي: "لا أعلم له غيره". [١]

قوله: (**وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها**).. أي يمنعني الحياء أن أنهى عن شيء لم يوحَ إليّ من الله فيه.. وقد جاء في رواية أحمد، والطبراني: (كان يمنعني الحياء منكم أن أنهاكم عنها).

وفي الحديث: أن الرؤيا قد تكون سببًا لشرع بعض الأحكام كما في هذا الحديث، وحديث الأذان، وحديث الذكر بعد الصلوات.



---

(١) نقله عنه ابن حجر في الإصابة (٣/ ٤٢٢).

الباب الرابع والأربعون: بَابُ مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آذَى اللَّهَ

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ((وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ...)) الآية.

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ؛ أُقَلِّبُ الْلَّيْلَ وَالنَّهَارَ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (لا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فِإنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ).

الشرح:

٤٤ – بَابُ مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آذَى اللَّهَ

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

الذي قبله في الأمر بتعظيم الله، وهذا الباب في النهي عن إيذاء الله.

خلاصة الباب:

تحريم أمرين: تحريم اعتقاد أن الدهر فاعل للحوادث، وتحريم سبّ الدهر؛ لأنه سبٌّ لفعل الله.

حكم اعتقاد أن الدهر فاعل للحوادث:

شرك أكبر في الربوبية.. وهو كقول الكفار: ((وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ)).

حكم وصف الدهر بالسوء:

١– محرّم.. إذا كان سبًّا للدهر بسبب ما يحصل فيه من الأمور التي يكرهها، كقول بعضهم: "هذا يوم سوء" يقصد سبّه، ومثله قول بعضهم: "الله يلعن هذا اليوم".

٢– جائز.. إذا قصد الإخبار فقط دون السبّ أو اللوم (ويرجع إلى نية المتكلم)، كقولهم: عام المجاعة، وعام الحزن، ومنه: ((فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ))، وقول لوط عليه السلام: ((هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ)).

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ((وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ...)) الآية.

الشاهد: أن اعتقاد الدهر فاعل للحوادث شرك أكبر في الربوبية بالله، وما يصدر إلا من المشركين..

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ؛ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ).. وَفِي رِوَايَةٍ: (لا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ).

قوله: في "الصحيح" أي: صحيح البخاري.. وجاء برواية أخرى عنده: (لا تُسمُّوا العِنَب الكَرْم، ولا تقولوا خَيبة الدهر، فإن الله هو الدهر)..

ولفظه في صحيح مسلم: (قال الله عز وجل: يؤذيني ابن آدم يقول: يا خيبة الدهر فلا يقولن أحدكم: يا خيبة الدهر، فإني أنا الدهر، أقلب ليله ونهاره، فإذا شئت قبضتهما).

الشاهد: النهي عن سب الدهر؛ لأنه إيذاء لله سبحانه.

قوله: (وفي رواية).. هذه الرواية رواها مسلم وغيره.

أمثله لسب الدهر عند الشعراء:

يقول ابن المعتز[١]: يا دهرُ ويحكَ ما أبقيتَ لي أحدًا... وأنت والد سوء تأكل الولدا.

ويقول المتنبي[٢]: قُبْحًا لوجهك يا زمانُ كأنه... وجه له من كل قُبْحٍ بُرْقَعُ.

ويقول الحريري[٣]: ولا تأمن الدهر الخؤون ومكرَه... فكم خاملٍ أخنى عليه ونابه.

مسألة:

ذهب نعيم بن حماد، وطائفة معه من أهل الحديث، والصوفية، وابن حزم إلى أن (الدهر) من أسماء الله تعالى[٤]، لقوله في هذا الحديث: (وأنا الدهر)، وهذا خطأ لأمور:

١- أن أسماء الله كلها حسنى لها معاني تدل على الكمال، والدهر اسم جامد لا يتضمن كمالاً.

٢- في الحديث مُقلِّب وهو الله، ومقلَّب وهو الدهر، فلا يمكن أن يكون المقلِّب هو المقلَّب.

٣- لو كان اسماً لله لكان كلام الكفار صحيحاً حين قالوا: ((وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ)).

---

(١) عبد الله بن المعتز بالله: أحد خلفاء الدولة العباسية، كان أديبا وشاعرا، ويسمى خليفة يوم وليلة، حيث آلت الخلافة العباسية إليه، ولقب بالمرتضى بالله، ولم يلبث يوما واحدا حتى هجم عليه غلمان المقتدر بالله وقتلوه في عام ٢٩٦ هـ،، وأخذ الخلافة من بعده المقتدر بالله.

(٢) أبو الطيّب المتنبي (٣٠٣هـ - ٣٥٤هـ) أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي أبو الطيب الكندي الكوفي، عاش أفضل أيام حياته واكثرها عطاء في بلاط سيف الدولة الحمداني في حلب، وكان من أعظم شعراء العرب.

(٣) محمد بن القاسم بن علي الحريري البصري، نسبته إلى عمل الحرير أو بيعه، صاحب مقامات الحريري، توفي عام ٥١٦ هـ..

(٤) قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢/ ٤٩٤): "قول نعيم بن حماد وطائفة معه من أهل الحديث والصوفية: إن الدهر من أسماء الله تعالى ومعناه القديم الأزلي.... فقد أجمع المسلمون - وهو مما علم بالعقل الصريح - أن الله سبحانه وتعالى ليس هو الدهر الذي هو الزمان أو ما يجري مجرى الزمان؛ فإن الناس متفقون على أن الزمان الذي هو الليل والنهار" ا.هـ

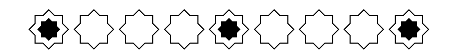
وجعل ابن حزم (الدهر) الاسم التاسع والتسعين من أسماء الله التي عدّها. انظر: المحلى بالآثار (٦/ ٢٨٢).

مسألة:

في الحديث: (يؤذيني ابن آدم)، وقال سبحانه: ((إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا))، وفي الحديث القدسي: (يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضُرِّي فتضروني).. فكيف الجمع؟

الجواب:

أن هناك فرق بين الإيذاء والضرر.. فالإيذاء هو أن يحصل أمر يكرهه الله سبحانه، ولكن لا يضر الله.. والإيذاء أقل من الضرر؛ قيل لو كان الإيلام مؤقتاً يسمى إيذاءً، وإن كان دائماً يسمى ضرراً لأنه يدوم وقتاً أطول.



الباب الخامس والأربعون: بَابُ التَّسَمِّي بِقَاضِي الْقُضَاةِ وَنَحْوِهِ

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ أَخْنَعَ اِسْمٍ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلاكِ، لا مَالِكَ إِلا اللَّهَ). قَالَ سُفْيَانُ: مِثْلُ شَاهَانْ شَاهْ.

وَفِي رِوَايَةٍ: (أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَخْبَثُهُ). قَوْلُهُ: "أَخْنَعُ": يَعْنِي أَوْضَعُ.

الشرح:

٤٥ - بَابُ التَّسَمِّي بِقَاضِي الْقُضَاةِ وَنَحْوِهِ

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

الباب الذي قبله في النهي عن سب الدهر؛ لأنه يؤذي الله سبحانه، وهذا الباب في النهي عن تعظيم المخلوق التعظيم المطلق كتعظيم الخالق؛ لأن هذا يغيظ الله سبحانه.

خلاصة الباب:

أن التعظيم المطلق لا يكون إلا لله سبحانه، فلا يجوز تسمية المخلوق بألقاب لا تليق إلا بالله سبحانه.

حكم إطلاق ألقاب التعظيم على المخلوق:

١- إن كانت من أسماء الله أو صفاته.. فلها حالان:

أ / إذا كانت تدل على التعظيم المطلق، مثل قاضي القضاة أو حاكم الحكّام.. فلا يجوز.

ب / إذا كانت تدل على التعظيم المقيّد، مثل قاضي قضاة مكة.. فيجوز بالقيدين التاليين.

قال ابن باز (رحمه الله): "أما إذا قيدت: قاضى قضاة مصر، أو مكة، فهذا أسهل، وتركه أولى، كأن يسمى رئيس القضاة، أو أمين القضاة، مما يبتعد به عن هذه الصفات المطلقة" ا.هـ[١]

٢- إذا كانت ليست من أسماء الله ولا صفاته، مثل: شيخ الإسلام، وحجة الإسلام، وصاحب الجلالة.. فيجوز إطلاقها بقيدين:

الأول: إن يستحقّها من قيلت له. الثاني: أن لا تسبِّب له الكبر والعُجب.

والأَولى تركها بالكلية[٢]؛ لأنها لم تكن معروفة عند سلف الأمة من الصحابة والتابعين.. فكلُّ خيرٍ في اتِّباعِ مَن سَلَف.. وكُلُّ شرٍّ في ابْتداع مَن خَلف.

---

(١) شرح كتاب التوحيد لابن باز ص (١٢٧).

(٢) إلاّ إن كان هذا اللقب أطلقه عليه أئمة العلم المعتبرين بلا خلاف بينهم؛ لعظيم دوره في الإسلام فيَسَعُنا ما وسِعهم.. كإطلاق الإمام على الأئمة الأربعة، وإطلاق شيخ الإسلام على ابن تيمية.

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ أَخْنَعَ اِسْمٍ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ يُسَمَّى مَلِكَ الأَمْلاكِ، لا مَالِكَ إِلا اللَّهَ). قَالَ سُفْيَانُ: مِثْلُ شَاهَانْ شَاهْ.

وَفِي رِوَايَةٍ: (أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَخْبَثُهُ). قَوْلُهُ: "أَخْنَعُ": يَعْنِي أَوْضَعُ.

قوله: "في الصحيح".. أي: "الصحيحين".

قوله: وفي رواية: (أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه).. هذه الرواية رواها مسلم في "صحيحه".

الشاهد: أن التسمّي بألقاب التعظيم المطلق يبغضها الله، ويُذل اللهُ صاحبَها فيُجازيه بنقيض قصده.

قوله: (إن أخنع).. ذكر المصنف أن معناه: أوضع.. والخانع: الذليل، وخنع الرجل: ذَلّ.

قوله: (رجل يُسمّى).. أي: يُدعى بذلك ويرضى به..

وفي بعض الروايات: تسمّى أي: سمّى نفسه.

قوله: (قال سفيان).. هو ابن عيينة.

قوله: (مثل شاهان شاه).. وقد تُنوّن (شاهٍ شاه) وليست تاء تأنيث.. باللغة الفارسية ومعناها: ملك الملوك.

وإنما مثَّل سفيان ب(شاهان شاه) لأنه قد كثرت التسمية به في ذلك العصر، وأن النهي يشمل كلَّ ما أدّى معناه بأي لسان كان.. ذكره الحافظ.

قال ابن القيم: "وقد ألحق أهل العلم بهذا (قاضي القضاة).. ويلي هذا الاسم في القبح والكراهة والكذب (سيّد الناس) و (سيّد الكُلّ)، وليس ذلك إلا لرسول الله ﷺ خاصة كما قال: (أنا سيد ولد آدم) متفق عليه (١)



(١) زاد المعاد (٢/ ٣١١).

الباب السادس والأربعون: بَابُ اِحْتِرَامُ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَغْيِيرُ الِاسْمِ لِأَجْلِ ذَلِكَ

عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ: أَنَّهُ كَانَ يُكْنَى أَبَا الْحَكَمِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ)، فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اِخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي، فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَرَضِي كِلا الْفَرِيقَيْنِ. فَقَالَ: (مَا أَحْسَنَ هَذَا، فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ ؟). قُلْتُ: شُرَيْحٌ، وَمُسْلِمٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ. قَالَ: (فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ ؟)، قُلْتُ: شُرَيْحٌ. قَالَ: (فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ). رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَغَيْرُهُ.

الشرح:

٤٦ – بَابُ اِحْتِرَامُ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَغْيِيرُ الِاسْمِ لِأَجْلِ ذَلِكَ

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

الذي قبله في النهي عن إطلاق اللقب الذي يليق بالله على المخلوق، وهذا الباب في الأمر باحترام أسماء الله وعدم التسمي بها.. الذي قبله خاص بالألقاب، وهذا خاص بالأسماء والكُنى.

خلاصة الباب:

وجوب احترام أسماء الله، ومن ذلك عدم إطلاقها على المخلوقين، وتغيير اسم أو لقب من حملها.

مسألة:

حكم التسمِّي بالأسماء التي يُسمّى بها الله تعالى والتكنِّي بها:

١- أسماء الله التي معناها خاصة بالله وحده.. كالرحمن، والقدوس، والقيوم، والأحد، والصمد.. فلا يجوز التسمِّي بها ولا التكنِّي بها ولا الاتصاف بها مطلقًا.

٢- أسماء الله التي معناها غير خاصة بالله.. كالرحيم، والعزيز، والحكيم.. فيجوز التسمِّي بها والتكنِّي بها[1] بشرط عدم مراعاة الصفة.. كأن يُسمّى الرجل بالحَكم أو يُكْنَى به، فيُسأل: لماذا هذا الاسم أو هذه الكنية؟ فإن قال: لأني أحكم بين الناس فلا يجوز، وإن قال: لا لشيء فجائز.

مسألة:

الوصف بهذه الأسماء التي يُسمّى بها الله تعالى فلا يجوز النوع الأول، ويجوز النوع الثاني.. كقولك: جاء أخي العزيز، أو هذا رجل عزيز.

مسألة (ذكرها شيخنا في شرحه "الوجيز"):

بعض الأسماء المضافة إلى الله مثل: (عطا الله، ضيف الله، جار الله، هداية الله، رحمة الله، وصل

(١) وإن كانت الأسماء المعرّفة بـ(أل) الأَوْلى اجتناب التسمِّي بها؛ لأنها تدل على استغراق الصفة بخلاف غير المعرّفة بأل..

الله، عون الله، غرم الله، خلف الله، مَدّ الله..) اختلف العلماء في جواز التسمي بتلك الأسماء، أو بعضها.

بعض هذه الاضافات من باب الشكر والثناء مثل: (عطا الله، وصل الله، نعمة الله، رحمة الله، مَدّ الله)

ومنها ما هو من باب التفاؤل مثل (جار الله، ضيف الله، عون الله، خلف الله) **جار الله:** مجاور لله، متعبِّد له. **وضيف الله:** في ضيافة الله. **وعون الله**(١): عونٌ من الله لي. **وخلف الله:** يخلفني فيه بخير.

والاشكال في (**غُرم الله**) لأنه لا يعرف المراد منه.

قال ابن جبرين (رحمه الله): "اسم (غُرم الله) يُستثقل؛ وذلك لأن فيه أن الله تعالى غرم لهذا الإنسان عن ولد مات له، أو نحو ذلك، فالأقرب أنه ينهى عنه، لأن الغرم أصله التحمل، مثل تحمل الدين ونحوه".(٢)

وقال الشيخ بكر أبو زيد (رحمه الله): "هذا من التسميات التي حدثت في الأمة بعد اختلاطها بالأعجميين، وإلا فالعرب والمسلمون في صدر الإسلام لا يعرفون مثل هذه الأسماء المضافة: عون الله. ضيف الله. عطا الله. قَسَم الله. عناية الله. غرم الله. خَلَف الله. وهكذا.. والنصيحة للمسلم أن لا يسمي بها ابتداء، لكن من سُمِّي بشيء منها، فإن غيَّرها فهو مناسب، وإن بقي فلا بأس" ا.هـ(٣)

عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ: أَنَّهُ كَانَ يُكْنَى أَبَا الْحَكَمِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ)، فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إذا اِخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي، فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ..... الحديث.

تخريجه ودرجته: رواه أبو داود، والنسائي، وقال ابن مفلح في الآداب الشرعية: إسناده صحيح. وقد صحّحه الألباني.. ورواه الحاكم وزاد: (فدعا له ولولده).

قال ابن باز (رحمه الله): الحديث في صحته نظر؛ لأن النبي ﷺ قد أقر بعض الأسماء كحكيم

(١) قال الشيخ بكر أبو زيد: "وإن كان بمعنى أنه هو عون الله، فهو كذب، والمعنى الأول هو المتبادر" ا.هـ معجم المناهي اللفظية (ص: ٣٨٩).

(٢) شرح الطحاوية لابن جبرين (٦٢/ ٢٥).

(٣) معجم المناهي اللفظية (ص: ٣٨٩).

بن حزام، والحكم بن عمرو الغفاري، وأسماء أخرى لم يُغيرها، ولو كانت منكرة لغيّرها" ا.هـ[١]

الشاهد: أن النبي ﷺ غيّر كنية أبي الحكم؛ لأنه روعيت الصفة في تلك التسمية.

قوله: (**عن أبي شريح**).. الراجح أن اسمه هانئ بن يزيد الكندي، صحابي نزل الكوفة.. وليس هو النخعي والد شريح القاضي..

قوله (**يُكْنى**).. الكُنْية ما صُدِّر بأب أو أمٍّ أو عمٍّ أو خال.. والكُنْيَة قد تكون:

١- بالأوصاف (مدحًا أو ذمًّا) كأبي الفضائل، وأبي المعالي، وأبي الخير، وأبي جهل..

٢- وقد تكون بالنسبة إلى الأولاد كأبي سلمة، وأبي شريح..

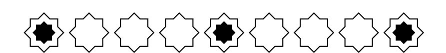
٣- وقد تكون إلى ما يلابسه كأبي هريرة، فإنه ﷺ رآه ومعه هرّة فكنّاه بأبي هريرة..

٤- وقد تكون للعلمية الصرفة كأبي بكر.

قوله: (**ما أحسن هذا**).. راجِعٌ إلى الصلح بين الناس، لا إلى التسمية، والتكنّي.

قوله: (**فأنت أبو شريح**).. أي رعاية للأكبر في التكريم والإجلال، فإن الكبير أولى بذلك.

قال البغوي: "فيه أن يكنى الرجل بأكبر بنيه، فإن لم يكن له ابن، فبأكبر بناته. وكذلك المرأة تكنى بأكبر بنيها فإن لم يكن لها ابن فبأكبر بناتها" ا.هـ[٢]



(١) شرح كتاب التوحيد لابن باز ص (١٢٩).

(٢) شرح السنة للبغوي (١٢/ ٣٤٤).

الباب السابع والأربعون: بَابُ مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرُ اللهِ، أَوِ الْقُرْآنِ، أَوِ الرَّسُولِ

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ((وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ...)) الآية.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ، وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، وَقَتَادَةَ – دَخَلَ حَدِيثُ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ – أَنَّهُ قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلاءِ؛ أَرْغَبَ بُطُونًا، وَلا أَكْذَبَ أَلْسُنًا، وَلا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ – يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ الْقُرَّاء – فَقَالَ لَهُ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ، لأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. فَذَهَبَ عَوْفٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيُخْبِرَهُ، فَوَجَدَ الْقُرْآنَ قَدْ سَبَقَهُ، فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ – وَقَدْ ارْتَحَلَ وَرَكِبَ نَاقَتَهُ – فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ، وَنَتَحَدَّثُ حَدِيثَ الرَّكْبِ؛ نَقْطَعُ بِهِ عَنَاءَ الطَّرِيقِ.. قَالَ ابْنُ عُمَرَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ مُتَعَلِّقًا بِنِسْعَةِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِنَّ الْحِجَارَةَ تَنْكُبُ رِجْلَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ. فَيَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ))، "مَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ، وَمَا يَزِيدُهُ عَلَيْهِ".

الشرح:

٤٧ – بَابُ مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرُ اللَّهِ، أَوِ الْقُرْآنِ، أَوِ الرَّسُولِ

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

تدرّج المصنف (رحمه الله) في ذكر أمثلة لعدم تعظيم الله إلى أن وصل في هذا الباب إلى ذكر الاستهزاء بأمور الدين الذي ينافي تعظيم الله مطلقًا.

خلاصة الباب:

أن الاستهزاء بأمور الدين ناقض من نواقض الإسلام..

والكفار نوعان: مُعارضون ومُعرضون.. والمعارضون أغلظ كفرًا، والهازل بدين الله من هذا النوع.. ذكره السعدي.(١)

مسألة:

من سبّ الله جادًّا أو هازلاً فإنه يكفر كفرًا أكبر.. إلا المُكره لقوله تعالى: ((إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ)).

مسألة:

هل تُقبل توبة سابِّ الله أو رسوله؟

ق١: لا تُقبل توبته، بل يُقتل كافرًا ولا يُصلّى عليه.. (المشهور عند الحنابلة).

ق٢: تُقبل توبته، إلا أن ساب الله لا يُقتل، وساب الرسول يُقتل ويُصلّى عليه.. (شيخ الإسلام وابن عثيمين).

وسبب التفريق بين ساب الله وساب رسوله في القتل: لا لأن حق الله دون حق رسوله، ولكن لأن الله أخبرنا بعفوه عن حقِّه إذا تاب العبد إليه، وأما حق الرسول ﷺ فلم يُخبرنا أنه أسقطه بعد موته.. (يُراجع التفصيل في كتاب الصارم المسلول لشيخ الإسلام).

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ((وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ...)) الآية.

هذه الآية نزلت في المنافقين الذي تكلموا في غزوة تبوك.. والحديث التالي يبيّن سبب النزول.

قال شيخ الإسلام: "من سبّ الله ورسوله طوعا بغير كره؛ بل من تكلم بكلمات الكفر طائعا

(١) انظر: القول السديد (ص: ١٧٢).

غير مكره، ومن استهزأ بالله وآياته ورسوله فهو كافر باطنا وظاهرا".[(١)]

قوله: (**إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً**).. قال ابن كثير: "أي: لا يُعفى عن جميعكم، ولا بُدّ من عذاب بعضكم".[(٢)]

قيل: إن الطائفة (مَخْشي بن حُمَيِّر) كان من المنافقين، ومن أصحاب مسجد الضرار.. عفا الله عنه وتسمّى عبد الرحمن، وسأل الله أن يقتل شهيدًا لا يعلم مقتله، فقتل يوم اليمامة، ولم يُعلم مقتله، ولا من قتله، ولا يُدرى له عين ولا أثر.[(٣)]

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ، وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، وَقَتَادَةَ – دَخَلَ حَدِيثُ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ – أَنَّهُ قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلاءِ..... الحديث.

هذا الأثر ذكره المصنف مجموعًا من رواية ابن عمر، ومحمد بن كعب، وزيد بن أسلم، وقتادة، وقد ذكره قبله كذلك شيخ الإسلام.. وقد جاء بعض هذه الروايات عند الطبري في تفسيره، وبعضها عند ابن أبي حاتم في تفسيره، وبعضها عند ابن مردويه في الدر المنثور.. وإسنادها صحيح: مرفوعة عن ابن عمر ومرسلة عن التابعين الثلاثة.

قوله: (**عن ابن عمر**).. هو عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

(**ومحمد بن كعب**).. هو محمد بن كعب القرظي.. قال البخاري: "إن أباه كان ممن لم ينبت من بني قريظة"[(٤)]، وهو ثقة عالم مات سنة ١٢٠ هـ.

(**وزيد بن أسلم**).. هو مولى عمر بن الخطاب، يكنى أبا عبد الله، ثقة مشهور مات سنة ١٣٦هـ.

(**وقتادة**).. هو ابن دِعَامة وتقدّم.

قوله: (**دخل حديث بعضهم في بعض**).. أي: أن الحديث مجموع من رواياتهم، فلذلك دخل بعضه في بعض.

قوله: (**إنه قال رجل في غزوة تبوك**).. قال الشيخ سليمان آل الشيخ: "لم أقف على تسمية

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٥٥٧).

(٢) تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم (٤/ ١٧٢).

(٣) انظر: أُسد الغابة (٥/ ١٢٠).

(٤) التاريخ الكبير للبخاري بحواشي المطبوع (١/ ٢١٦).

القائل لذلك أُبهم اسمه في جميع الروايات التي وقفت عليها. وسمّى ابن عباس في رواية عند ابن مردويه منهم: وديعة بن ثابت ومخشي بن حُميِّر، وأنهم قالوا: أتحسبون أن قتال بني الأصفر كقتال غيرهم، والله لكأنكم غدًا تفرون في الجبال.... القصة بكمالها، وفي بعض الروايات أن عبد الله بن أُبَيّ هو الذي قال ذلك، لكن ردّه ابن القيم: بأن ابن أُبَيّ تخلف عن غزوة تبوك" ا.هـ[1]

قوله: (**ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء**).. القُرّاء جمع قارئ، وهم عند السلف الذين يقرؤون القرآن ويعرفون معانيه..

قوله: (**أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء**).. أي: أوسع بطونًا، كناية عن كثرة الأكل.. وصفوهم بثلاث صفات: بكثرة الأكل، وبالكذب، وبالجُبن..

قوله: متعلِّقًا بنسعة ناقة رسول الله.. النِسْعة: الحزام الذي يُربط به الرحل.

قوله: والحجارة تنكب رجليه.. أي تضرب رجليه، كأنه يمشي بسرعة ولا يشعر بالحجارة؛ لأنه يريد أن يعتذر.

قوله: ما يلتفت إليه.. فيه الغلظة على أعداء الله، وعدم المبالاة بهم.

قوله: وما يزيده عليه.. أي اقتصر على الآية.. وفيه الاقتصار على النص، والإعراض عن مجادلة المبطلين.



(١) تيسير العزيز الحميد (ص: ٥٣٩).

الباب الثامن والأربعون: بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ((وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي...)) الآية.

قَالَ مُجَاهِدٌ: هَذَا بِعَمَلِي وَأَنَا مَحْقُوقٌ بِهِ.. **وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: يُرِيدُ مِنْ عِنْدِي.

وَقَوْلِهِ: ((قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي)).

قَالَ قَتَادَةُ: عَلَى عِلْمٍ مِنِّي بِوُجُوهِ الْمَكَاسِبِ.

وَقَالَ آخَرُونَ: عَلَى عِلْمٍ مِنَ اللَّهِ أَنِّي لَهُ أَهْلٌ. وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ مُجَاهِدٍ: أُوتِيتُهُ عَلَى شَرَفٍ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ ثَلاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى، فَأَرَادَ اللَّهُ أَنَّ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذَرَنِي النَّاسُ بِهِ. قَالَ: فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا. قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الإِبِلُ أَوْ الْبَقَرُ (شَكَّ إِسْحَاقُ). فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، وَقَالَ: بَارِكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا. قَالَ: فَأَتَى الأَقْرَعَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذَرَنِي النَّاسُ بِهِ. فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأُعْطِيَ شَعْرًا حَسَنًا. فَقَالَ: أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقَرُ أَوْ الإِبِلُ. فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلاً، وقَالَ: بَارِكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا. قَالَ: فَأَتَى الأَعْمَى فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟. قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ، فَمَسَحَهُ، فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ. قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ. فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا.

فَأَنْتَجَ هَذَانِ، وَوَلَّدَ هَذَا ، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ.

قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ، وَابْنُ سَبِيلٍ قَدْ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي؛ فَلا بَلاغ لِيَ الْيَوْمَ إلا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ، وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ، وَالْمَالَ: بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي. فَقَالَ: الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ. فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ! أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا، فَأَعْطَاكَ اللَّهُ ﷻ الْمَالَ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ. فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ. قَالَ: وَأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ. قَالَ: وَأَتَى الأَعْمَى فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ، وَابْنُ سَبِيلٍ قَدْ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلا بَلاغَ لِيَ الْيَوْمَ إلا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ: شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي. فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَ اللَّهِ لا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ ﷻ. فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ؛ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ). أَخْرَجَاهُ.

الشرح:

٤٨ – بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ((وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي...)) الآية.

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

الذي قبله في الاستهزاء بذكر الله أو أمور الدين وهذا يُنافي تعظيم الله، وهذا الباب في نسيان فضل الله ونعمته وهذا أيضًا يُنافي تعظيم الله.

خلاصة الباب:

أن الله سبحانه هو الذي يُنعم وهو الذي يسلب النعمة.. فمن شكر نعمة الله زاده الله، ومن كفرها فإن الله قادر على أن يسلبها منه. وهذا الباب قريب جدًّا من الباب الأربعين: باب قول الله تعالى: ((يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا)).. وسبق التفصيل في الباب الأربعين.. فلْيُراجع.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ((وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي...)) الآية.
قَالَ مُجَاهِدٌ: هَذَا بِعَمَلِي وَأَنَا مَحْقُوقٌ بِهِ.. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُرِيدُ مِنْ عِنْدِي.

هذه الآية من سورة فُصِّلت، والآية التي قبلها: ((لَّا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ * وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ...)) الآية.

تدلّ الآية على حال الذي يكون في ضر وبأساء وشدّة ثم يكشف الله عنه هذا الضر، ويذيقه نعمته، فيجحد تلك النعمة بنسبتها إلى نفسه.. ثم ذكر المصنف تفسيرها بقول مجاهد وقول ابن عباس:

(**قال مجاهد: هذا بعملي وأنا محقوق به**).. أي هذا الخير حصلت عليه بعملي وكدِّي، وأنا أستحقُّه.

(**قال ابن عباس: يريد من عندي**).. أي أن قوله (هذا لي) معناه: هذا الخير من عندي.

وأثر مجاهد أخرجه الطبري في تفسيره.. وأثر ابن عباس أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره.. والأَوْلى تقديم كلام ابن عباس على كلام تلميذه.

وَقَوْلِهِ: ((قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي)).
قَالَ قَتَادَةُ: عَلَى عِلْمٍ مِنِّي بِوُجُوهِ الْمَكَاسِبِ.

وَقَالَ آخَرُونَ: عَلَى عِلْمٍ مِنَ اللَّهِ أَنِّي لَهُ أَهْلٌ. وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ مُجَاهِدٍ: أُوتِيتُهُ عَلَى شَرَفٍ.

هذه الآية نزلت في قارون عندما قال له قومه: ((وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ)) فأنكر أن هذا من الله وقال: ((إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي)).. نعوذ بالله من جحود النعمة.. ثم ذكر المصنِّف تفسير الآية بقولين:

ق١: قول قتادة: على علمٍ مني بوجوه المكاسب، أي بفضل خبرتي وتدبيري لا بفضل الله..

ق٢: قول مجاهد وغيره: على علمٍ من الله أني أستحقّه لمنزلتي العظيمة، لا لأن الله تفضل عليّ..

وأثر قتادة أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره، وقول مجاهد أخرجه الطبري في تفسيره.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ ثَلاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى، فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الأَبْرَصَ،.......) الحديث.

الشاهد: أن الأبرص والأقرع جحدا نعمة الله ونسبوها إلى غيره وما أدَّيا حقها فسلبها الله منهما، وسخط عليهما، وأما الأعمى فأتى بأركان الشكر الثلاثة التي لا يقوم الشكر إلا بها، وهي: الإقرار بالنعمة، ونسبتها إلى المنعم، وبذلها فيما يحب، فرضي الله عنه وما سلبها منه..

قوله: (**قذرني الناس**).. بكراهة رؤيته وقربه منهم.

قوله: الإبل أو البقر (**شك إسحاق**).. سياق الحديث يدل على أنه الإبل.. وإسحاق هو ابن عبد الله بن أبي طلحة أحد رواة الحديث.. وفي هذا دلالة على الدقة والتحفظ والورع في الرواية.

و(**الناقة العُشَراء**): بضم العين وفتح الشين وبالمد: هي الحامل.

قوله: (**شاةً والدًا**).. قيل: معلوم عنها كثرة الولادة، وقيل: حاملاً، وقيل: معها ولدها.

قوله: (**أنتج**).. وفي رواية: (فنتّج) معناه: تولّى نتاجها فحصل لهما نتاج الإبل والبقر.

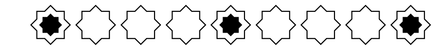
قوله: (**ولَّد هذا**).. هو بتشديد اللام، أي: تولى وِلادتها فصار لشاته أولادًا، وهو بمعنى: أنتج في الناقة والبقرة، فالناتج والمولِّد والقابلة بمعنى واحد، لكن الناتج يُقال للإبل والبقر، والمولِّد للغنم، والقابلة للنساء.

قوله: (**انقطعت بي الحبال**).. هي الأسباب.. ولبعض رواة "مسلم": الحيال، أي جمع حيلة.

قوله: (**كابرًا عن كابر**).. أي ممن يكبرني وهو الأب، عن كابر له وهو الجد.. وقيل: المراد الكبر المعنوي أي أننا شرفاء وسادة وفي نعمة من الأصل.. قال ابن عثيمين: "واللفظ يحتمل المعنيين".[١]

قوله: (**لا أجْهَدُك**).. معناه: لا أشق عليك في رد شيء تأخذه، أو تطلبه من مالي. ذكره النووي.[٢]

قوله: (**فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك**).. سخط عليهما، فهل أرجعهما إلى حيث كانا؟ يستفاد من دعاء الملك أن الله صيّرهما كما كانا.. والله أعلم.



(١) القول المفيد (٢/ ٢٩٠).

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم (١٨/ ١٠٠).

الباب التاسع والأربعون: بَابُ قَوْلِ اَللَّهِ تَعَالَى: ((فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا...)) الآية.

قَالَ اِبْنُ حَزْمٍ: اِتَّفَقُوا عَلَى تَحْرِيمِ كُلِّ اِسْمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيْرِ اَللَّهِ، كَعَبْدِ عَمْرٍو، وَعَبْدِ اَلْكَعْبَةِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، حَاشَا عَبْدِ اَلْمُطَّلِبِ.

وَعَنِ اِبْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لِمَا تَغَشَّاهَا آدَمُ حَمَلَتْ، فَأَتَاهُمَا إِبْلِيسُ، فَقَالَ: إِنِّي صَاحِبُكُمَا اَلَّذِي أَخْرَجَكُمَا مِنَ اَلْجَنَّةِ، لَتُطِيعَانِّي أَوْ لأَجْعَلَنَّ لَهُ قَرْنَيْ أَيِّلٍ، فَيَخْرُجُ مِنْ بَطْنِكَ فَيَشُقُّهُ، وَلأَفْعَلَنَّ، وَلأَفْعَلَنَّ - يُخَوِّفُهُمَا - سَمِّيَاهُ عَبْدَ اَلْحَارِثِ. فَأَبَيَا أَنْ يُطِيْعَاهُ، فَخَرَجَ مَيِّتًا. ثُمَّ حَمَلَتْ فَأَتَاهُمَا فَذَكَرَ لَهُمَا، فَأَدْرَكَهُمَا حُبُّ اَلْوَلَدِ، فَسَمَّيَاهُ عَبْدَ اَلْحَارِثِ. فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ((جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا)). رَوَاهُ اِبْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

وَلَهُ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: شُرَكَاءُ فِي طَاعَتِهِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي عِبَادَتِهِ.

وَلَهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ تَعَالى: ((لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا)) قَالَ: "أَشْفَقَا أَلا يَكُونَ إِنْسَانًا".

وَذُكِرَ مَعْنَاهُ عَنْ اَلْحَسَنِ، وَسَعِيدٍ، وَغَيْرِهِمَا.

الشرح:

٤٩ – بَابُ قَوْلِ اَللَّهِ تَعَالَى: ((فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا...)) الآية.

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

الذي قبله في عدم نسبة النعمة إلى الله سبحانه، وهذا الباب في شكر غير الله على نعمة الله، فهذا أشد.

خلاصة الباب:

أنّ من أنعم الله عليه بنعمة الولد فعليه أن يشكر الله، وإنّ من كفر هذه النعمة تعبيد اسم الولد لغير الله سبحانه.

مسألة:

أجمع العلماء على تحريم تعبيد اسم الولد لغير الله ك(عبد الكعبة، وعبد الحسين، وعبد الرسول، ونحو ذلك) ونقل الإجماع ابن حزم[١].. **واختلفوا في عبد المطلب على قولين:**

ق١: يجوز التسمي بعبد المطلب.. ابن حزم، وابن باز.

ق٢: لا يجوز وأنّه من الشرك[٢].. شيخ الإسلام، وابن عثيمين.

أدلة المجيزين:

١- أنه قد صح عن النبي ﷺ أنه أقر هذا الاسم، ولم يغيِّره، وذلك في ابن عمه عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، فيكون مستثنى من التحريم المجمع عليه.

٢- جاء في حديث البراء قوله ﷺ: (أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب) متفق عليه.

٣- أن المعنى عبودية الرِّق لا عبودية العبادة؛ لأن أصل التسمية في قصة شيبة (جَدّ النبي ﷺ) عندما قدم مكة مع عمة المطلب فظنوه عبدًا له، فقالوا: عبد المطلب.

أدلة المانعين.. أن الأصل التحريم..

---

(١) انظر: مراتب الإجماع (ص: ١٥٤).

(٢) ويختلف باختلاف الاعتقاد؛ فإن اعتقد أنه عبد له وهو إلهه فهذا شرك أكبر، وإن لم يعتقد ذلك فهو من شرك الألفاظ وهو شرك أصغر.

وأجابوا عن أدلة المجيزين بأن عبد المطلب بن ربيعة اسمه الصحيح: المطلب كما قال الحافظ[1]، وأما قوله ﷺ: (أنا ابن عبد المطلب) فمن باب الإخبار فهو يُخبر أن له جدًّا اسمه عبد المطلب، كما ذكر ابن القيم[2]، وأما قصة شيبة فلا يُستدل بها لأنها من فعل الكفار.

قَوْل اَللَّهِ تَعَالَى: ((فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا...)) الآية.

أول الآية: ((هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ ۖ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا آتاهُما صَالِحًا...)) الآية.

قوله: (**خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا**).. أي من آدم وحواء على قول، وجنس البشر على قول آخر.. وسيأتي التفصيل في آخر الباب.

قوله: (**ليسكن إليها**).. سكون الرجل إلى زوجته من حيث المودة والرحمة وأيضًا سكون من حيث الشهوة.

قوله: (**فلمّا تغشّاها**).. أي: جامعها.

قوله: (**حملت حملاً خفيفًا**).. بداية الحمل نطفة ثم علقة ثم مضغة..

وقوله: (**فَمَرَّتْ بِهِ**).. استمرت عليه.. أي: تجاوزت هذا الحمل الخفيف من غير تعب ولا إعياء. والحمل الخفيف هو المني الذي تحمله المرأة في فرجها.[3]

(**فَلَمَّا أَثْقَلَتْ**).. أي: صارت ذات ثقل بحملها. قال السُّدي: كبر في بطنها.

(**دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا**).. ولم يقل: دعيا؛ لأن الفعل واوي؛ فعاد إلى أصله.

(**دَعَوَا اللَّهَ... لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً**).. أي سويًّا.

(**لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ**).. فكانوا من المشركين.

قوله: (**فلما آتاهما صالحًا**).. عَوْد الضمير فيه خلاف وسيأتي تفصيله في آخر الباب.

---

(١) ذكر ابن عبد البر أن اسمه عبد المطلب ولم يغير رسول الله ﷺ اسمه.. قال الحافظ: وفيما قاله نظر، فإن الزبير بن بكّار (صاحب كتاب نسب قريش) أعلم من غيره بنسب قريش، ولم يذكر أن اسمه إلا المطلب. الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٣١٧).

(٢) انظر: تحفة المودود بأحكام المولود (ص: ١١٤).

(٣) انظر: تفسير ابن عطية (٢/ ٤٨٦).

قوله: (**جعلا له شركاء فيما آتاهما**).. أي أشركا في هذه النعمة؛ بأن سمياه باسم معبِّد لغير الله، وأشركا في هذه النعمة شرك طاعة بأن أطاعوا غير الله.. وسيأتي كلام المفسرين عليها.

قَالَ اِبْنُ حَزْمٍ: "اِتَّفَقُوا عَلَى تَحْرِيمِ كُلِّ اِسْمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيْرِ اَللَّهِ، كَعَبْدِ عَمْرٍو، وَعَبْدِ اَلْكَعْبَةِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، حَاشَا عَبْدِ اَلْمُطَّلِبِ".

ذكره ابن حزم في "مراتب الإجماع".

قوله: (**قال ابن حزم**).. هو الإمام الجليل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حَزْم، الأندلسي، القُرطبيّ، الظاهريّ، له المؤلَّفات العظيمة مثل: "المحلّى" و"الفِصَل في الملل والنِّحل"، و"الأنساب"، و"جوامع السيرة"، إمامٌ في علم الحديث، إلاّ أنه رحمه الله يؤخذ عليه سلاطة اللسان في ردّه على المخالفين، واعتناقه لمذهب الظاهرية.

قوله: اتفقوا على.... سبق الكلام على حكم تعبيد الاسم لغير الله في أول الباب.

وَعَنِ اِبْنِ عَبَّاسٍ – فِي الآية – قَالَ: لِمَا تَغَشَّاهَا آدَمُ حَمَلَتْ، فَأَتَاهُمَا إِبْلِيسُ، فَقَالَ: إِنِّي صَاحِبُكُمَا اَلَّذِي أَخْرَجَكُمَا مِنَ اَلْجَنَّةِ، لَتُطِيعَانِّي أَوْ لأَجْعَلَنَّ لَهُ قَرْنَيْ أَيِّلٍ..... إلخ.

تخريج الأثر ودرجته: أخرجه أهل التفسير: ابن أبي حاتم، وسعيد بن منصور، وابن كثير.. وقال ابن كثير: "وهذه الآثار يظهر عليها والله أعلم أنها من آثار أهل الكتاب".(١)

وقد جاء عند الترمذي في سننه عن قتادة، عن الحسن، عن سمرة، عن النبي ﷺ قال: (لما حملت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد، فقال: سميه عبد الحارث، فسمته عبد الحارث، فعاش، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره) صحّحه الحاكم، ووافقه الذهبي.. وضعّفه الألباني لعنعنة الحسن وهو مدلّس.

وصحّح هذا الأثر: الحاكم وصاحب تيسير العزيز الحميد.

وضعّفه: ابن كثير، والألباني، وابن حزم.

قال ابن حزم: "وهذا الذي نسبوه إلى آدم عليه السلام من أنه سمى ابنه (عبد الحارث) خرافة موضوعة مكذوبة، من تأليف من لا دين له، ولا حياء، لم يصح سندها قط".(٢)

---

(١) تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم (٣/ ٥٢٨).

(٢) الفِصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٤).

قوله: (**قرني أيِّل**).. الأيِّل ذكر الأوعال، والمعنى: أنه يخوفهما بكونه يجعل للولد قرني وَعِل، فيخرج من بطنها فيشقّه..

قوله: (**سمِّياه عبد الحارث**).. الحارث قيل: هو اسم إبليس قبل أن تحصل عليه اللعنة، ولكن بعد أن حصلت عليه اللعنة وطُرد من الملأ الأعلى سمّي بإبليس من أبلس إذا يئس؛ لأنه يئس من رحمة الله تعالى.

والأقرب أن الحارث ليس من أسماء إبليس؛ ويدل على ذلك أنه أصدق الأسماء: قال رسول اللَّه ﷺ: (تسمَّوا بأسماء الأنبياء، وأحب الأسماء إلى الله عبد الله، وعبد الرحمن، وأصدقها حارث، وهمام، وأقبحها حرب ومرة)[1]رواه أحمد وأبو داود وحسّنه الألباني.

وَلَهُ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: شُرَكَاءُ فِي طَاعَتِهِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي عِبَادَتِهِ.

قوله: وله.. أي لابن أبي حاتم في تفسيره، وأخرجه الطبري في تفسيره أيضًا.

قوله: شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته.. أي: لكونهما أطاعا الشيطان في التسمية بعبد الحارث.

وَلَهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ تَعَالى: ((لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا)) قَالَ: "أَشْفَقَا أَلا يَكُونَ إِنْسَانًا".

قوله: وله.. أي لابن أبي حاتم في تفسيره.. وفي سنده أبي نجيح فيه تدليس وقد عنعن هنا.[2]

قوله: (**أشفقا**).. أي: خافا أن لا يكون إنسانًا.. وفي هذا أن هبة الله للرجل البنت السوية من النعم ذكره المصنف.

---

(١) قيل: إنما صار الحارث وهمام من أصدق الأسماء من أجل مطابقة الاسم معناه؛ لأن الحارث الكاسب، يقال: حرث الرجل: إذا كسب، قال الله سبحانه وتعالى: (من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه) .. وهمّام: من هممت بالشيء: إذا أردته، وما من أحد إلا وهو في كسب أو يهمُّ بشيء. وإنما صار حرب ومرة من أقبح الأسماء لما في الحرب من المكاره، وفي مرة من المرارة والبشاعة.. (شرح السنة (١٢/٣٣٤).

(٢) نظم الذهبي في أسماء المدلسين وذكر منهم ابن أبي نجيح فقال:

خذ المدلسين يا ذا الفكر... جابر الجعفي ثم الزهري

والحسن البصري قل مكحول... قتادة حُميّد الطويل

ثم ابن عبد الملك القطيعي... وابن ابي نجيح المكي.. هكذا وجدته في النسخ التي اطّلعت عليها.. وربما أن البيت:

ثم القطيعي ابن عبد الملك وابن أبي نجيح المكي.. انظر: طبقات المدلسين (ص: ٦٩).

وَذُكِرَ مَعْنَاهُ عَنْ اَلْحَسَنِ، وَسَعِيدٍ، وَغَيْرِهِمَا.

قوله: (**وَذُكِرَ**).. أي: ذكر ابن أبي حاتم من طريق معمر عن الحسن، وروايته عن الحسن فيها ضعف. (**عن الحسن**).. وهو البصري..

(**وسعيد**).. أي ابن جبير..

(**وغيرهما**).. كالسُّدي وغيره.

مسألة: هل المقصود في الآية آدم وحواء، أم جنس البشر؟ في المسألة قولان:

ق١: آدم وحواء.. (قول ابن عباس، ورجّحه الطبري، واختاره المصنِّف، والشيخ سليمان[١]، والشوكاني، وابن باز).. قال الشوكاني: "قال جمهور المفسرين: المراد بالنفس الواحدة: آدم، وقوله وجعل منها زوجها معطوف على خلقكم أي: هو الذي خلقكم من نفس آدم وجعل من هذه النفس زوجها، وهي حواء...".[٢]

ق٢: جنس البشر.. قال تعالى: ((رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ)) أي: من جنسهم.. (اختاره شيخ الإسلام، وابن القيم، وابن كثير، وابن عثيمين).

قال ابن عثيمين: وهذه القصة باطلة من وجوه[٣]:

١- أنه لم يثبت خبر صحيح عن النبي ﷺ، وقد قال ابن حزم: إنها رواية خرافة مكذوبة موضوعة.

٢- أنه لو كانت في آدم وحواء؛ فلا يليق بحكمة الله وعدله أن يذكر خطأهما ولا يذكر توبتهما منه.

٣- أن الأنبياء معصومون من الشرك باتفاق العلماء.

٤- أن آدم اعتذر بأكله من الشجرة، ولو وقع منه الشرك ؛ لكان اعتذاره به أقوى وأولى وأحرى.

---

(١) قال في تيسير العزيز الحميد: "وإذا تأملت سياق الكلام من أوله إلى آخره مع ما فسره به السلف تبين قطعًا أن في آدم وحواء عليهما السلام، فإن فيه غير موضع يدل على ذلك. والعجب ممن يُكذِّب بهذه القصة، وينسى ما جرى أول مرة ويكابر بالتفاسير المبتدعة، ويترك تفاسير السلف وأقوالهم".

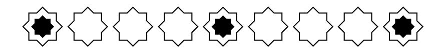
(٢) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٣١٢).

(٣) ذكرتها بتصرف..

٥- في القصة أن الشيطان قال لهما: "أنا صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة"، وهذا لا يقوله من يريد الإغواء.

٦- في القصة أنهما صدّقا الشيطان بقوله: "لأجعلن له قرني أيِّل" وهذا شرك في الربوبية لا يليق بهما.

٧- ختم الآية بقوله تعالى: ((فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)) بضمير الجمع، ولو كان آدم وحواء؛ لقال: عمّا يشركان".[١]



(١) القول المفيد (٢/ ٣٠٨).

الباب الخمسون: بَابُ قَوْلِ اَللَّهِ تَعَالَى: ((وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ...)) الآية.

ذَكَرَ اِبْنُ أَبِي حَاتِمٍ، عَنِ اِبْنِ عَبَّاسٍ: ((يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ)): يُشْرِكُونَ.

وَعَنْهُ: "سَمَّوا اَللاتَ مِنَ الإلَهِ، وَالْعُزَّى مِنَ اَلْعَزِيزِ".

وَعَنِ الأَعْمَشِ: "يُدْخِلُونَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا".

الشرح:

٥٠ – بَابُ قَوْلِ اَللَّهِ تَعَالَى: ((وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ...)) الآية.

مناسبة الباب للذي قبله:

كلا البابين في تعظيم أسماء الله.. فالذي قبله في تحريم تعبيد أسماء الله لغير الله، وهذا الباب في تحريم الإلحاد في أسماء الله.

خلاصة الباب:

وجوب تعظيم أسماء الله الحسنى، وأن من تعظيمها أن لا يُلحد فيها، وأن يُدعى بها الله سبحانه.

قواعد في أسماء الله[1]:

١– أسماء الله تعالى كلها حسنى.. أي: بالغة في الحسن غايته، وذلك لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها.

٢– أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف، أعلام باعتبار دلالتها على الذات، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني.

٣– أسماء الله كلها تدل على مسمًّى واحد، وهو الله عز وجل، و كل واحد منها يدل على معناه الخاص.. فالله هو الرحمن وهو الرحيم، ولكن لكل اسم معناه الخاص به.

٤– أسماء الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها؛ وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة.

٥– أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين لقوله ﷺ: (أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك) صحيح رواه أحمد وابن حبان والحاكم.

---

(١) من كتاب القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى لابن عثيمين (رحمه الله).."بتصرف"

وأما قوله ﷺ: (إن لله تسعة وتسعين اسما، مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة)متفق عليه فإن المعنى: أن هذا العدد من شأنه أن من أحصاه دخل الجنة.. وإحصاء أسماء الله يعني: معرفتها، وفهم مدلولها، ودعاؤه بها، والعمل بما تدلُّ عليه.

اسم الله الأعظم:

١- عن أسماء بنت يزيد - رضي الله عنها -: أن النبي ﷺ قال: (اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ((وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ))، وفاتحة سورة آل عمران: ((الم. اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ)) رواه أبو داود والترمذي وصحّحه، وحسّنه الألباني.

٢- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت مع رسول الله ﷺ جالسا، ورجل قائم يصلي، فلما ركع وسجد وتشهد دعا، فقال في دعائه: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، إني أسألك. فقال النبي ﷺ لأصحابه: (تدرون بما دعا؟)، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: (والذي نفسي بيده، لقد دعا الله باسمه العظيم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وصحّحه الألباني.

٣- عن بريدة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول: اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله، لا إله إلا أنت، الأحد الصمد الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، فقال: (لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب) رواه أبو داود والترمذي، وصحّحه الألباني.

٤- عن أبي أمامة مرفوعاً: (اسم الله الأعظم في سور من القرآن ثلاث: في البقرة وآل عمران وطه) رواه ابن ماجه والطبراني والحاكم، وحسّنه الألباني.

ومن هذه الأحاديث أُختلف في تحديده، والأقرب أنه غير محدّد لهذه الأحاديث الصحيحة.. والجامع لهذه الأحاديث: "اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الذي لا إله إلا هو، الأحد الصمد، الرحمن الرحيم، الحي القيوم، المنان، يا بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام". والله أعلم.

معنى الإلحاد:

مأخوذ من اللحد، وهو الميل.. ومنه سمي الحفر بالقبر لحدا ؛ لأنه مائل إلى جهة القبلة.

والإلحاد في أسماء الله الميل بها عمّا يجب فيها.. وهو أنواع:

١- أن ينكر شيئا من أسماء الله.. كأن يُنكر أن الله سميع.

٢- أن يسمى الله تعالى بما لم يسم به نفسه، كتسمية النصارى له: (الأب)، وتسمية الفلاسفة إياه (العلة الفاعلة).

٣- أن يجعلها دالة على التشبيه ؛ فيُشبه الصفات الدالة عليها بصفات المخلوقين.

٤- أن يشتق من هذه الأسماء أسماءً للأصنام ؛ كتسمية اللات من الإله أو من الله، والعزى من العزيز.

٥- أن يُعطِّل الأسماء عن معانيها.. فيطلقون عليه اسم السميع والبصير ويقولون: لا سمع، ولا بصر.. قال ابن القيم: "وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلاً، وشرعاً، ولغة، وفطرة....".[١]

قَوْل اَللَّهِ تَعَالَى: ((وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ...)) الآية.

الشاهد: في الآية إثبات وأمْر ونهيٌ: إثبات أن لله الأسماء الحُسنى، وأمْرٌ بدعائه بها، ونهْيٌ عن الإلحاد فيها.

قوله: (فادعوه بها).. أي: اسألوه، وتوسلوا إليه بها ..

قال ﷺ: (أَلِظُّوا بيا ذا الجلال والإكرام) رواه أحمد والترمذي والحاكم وصححه ووافقه الذهبي وصححه الألباني..

قوله: (وذرُوا).. أي اتركوا سبيلهم.

قوله: (سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ).. وعيد وتهديد.

ذَكَرَ اِبْنُ أَبِي حَاتِمٍ، عَنِ اِبْنِ عَبَّاسٍ: ((يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ)): يُشْرِكُونَ.

في تسير العزيز الحميد: "هذا الأثر لم يروه ابن أبي حاتم عن ابن عباس إنما رواه عن قتادة فاعلم ذلك".

وقد رواه من طريق معمر عن قتادة.. ورواية معمر عن قتادة فيها ضعف.[٢]

وقد جاء عند الطبري في تفسيره، وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: "الإلحاد: التكذيب".. وفي إسناده علي بن أبي طلحة فيه كلام، ولم يسمع من ابن عباس.[٣]

---

(١) بدائع الفوائد (١/ ١٦٩).

(٢) قال الدارقطني: "ومعمر سيء الحفظ لحديث قتادة والأعمش". العلل الواردة في الأحاديث النبوية (١٢/ ٢٢١).

(٣) انظر: تهذيب التهذيب (٧/ ٣٣٩).

قوله: (**يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ**): **يشركون**.. أي يُشركون غيره في أسمائه كتسميتهم الصنم إلهًا.

وَعَنْهُ: "سَمَّوا اَللاتَ مِنَ الإِلَهِ، وَالْعُزَّى مِنَ اَلْعَزِيزِ".

هذا الأثر معطوف على سابقه، أي: رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس، ولفظه: "دعوا اللات والعزى في أسماء الله عز وجل"، وكذلك الأثر الثاني عن الأعمش معطوف على سابقه أي: رواه ابن أبي حاتم عنه.. وفي إسنادهما كلام.[1]

وقد جاء في تفسير الطبري عن مجاهد: ((وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ)) قال: اشتقوا "العزى" من "العزيز"، واشتقوا "اللات" من "الله".[2]

وَعَنِ الأَعْمَشِ: "يُدْخِلُونَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا".

أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره..

والأعمش هو سليمان بن مهران أبو محمد الكوفي إمام جليل.. مات سنة ١٤٧هـ.

قوله: (**يُدخلون فيها ما ليس منها**).. أي: كتسمية النصارى له أبًا ونحوه كما سبق.



(١) انظر: تهذيب التهذيب (١٠/ ٣٣).

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان (١٣/ ٢٨٣).

الباب الحادي والخمسون: بَابُ لا يُقَالُ: اَلسَّلامُ عَلَى اَللَّهِ

فِي اَلصَّحِيحِ عَنِ اِبْنِ مَسْعُودٍ ﵁ قَالَ: كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ اَلنَّبِيِّ ﷺ فِي اَلصَّلاةِ قُلْنَا: اَلسَّلامُ عَلَى اَللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ، اَلسَّلام عَلَى فُلانٍ وَفُلانٍ. فَقَالَ اَلنَّبِيُّ ﷺ: (لا تَقُولُوا: اَلسَّلام عَلَى اَللَّهِ؛ فَإِنَّ اَللَّهَ هُوَ اَلسَّلامُ).

الشرح:

٥١ – بَابُ لا يُقَالُ: اَلسَّلامُ عَلَى اَللَّهِ

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

الذي قبله في تعظيم أسماء الله الحسنى المتضمنة لصفاته، وهذا الباب في تعظيم صفاته سبحانه.

خلاصة الباب:

نهي ﷺ عن قول السلام على الله؛ لأن الله كامل عن كل نقص وعيب فلا يُدعى له بل يُدعى.

معنى اسم الله "السلام": السالم من كل عيب ونقص.

معنى قول: (السلام عليكم): فيه قولان مشهوران:

١– اسم الله "السلام" ينزل عليكم.. ومعنى الكلام: نزلت بركة اسمه عليكم..

٢– أن السلام مصدر بمعنى السلامة.. أي: دعاء بالسلامة عليك من كل شر وآفة وعيب..

قال ابن القيم: "والصواب في مجموعهما.. فقد تضمّن: اسمًا من أسماء الله، وطلب السلامة منه" ا.هـ[١]

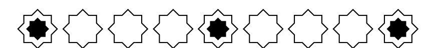
الأمر بإفشاء السلام:

قال ﷺ: (السلام اسم من أسماء الله، وضعه في الأرض، فأفشوه بينكم، فإن الرجل المسلم إذا مر بقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة بتذكيره إياهم السلام، فإن لم يردوا عليه ردّ عليه من هو خير منهم) رواه الطبراني والبزّار وصحّحه الألباني.

فِي اَلصَّحِيحِ عَنِ اِبْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: كُنَّا إذا كُنَّا مَعَ اَلنَّبِيِّ ﷺ فِي اَلصَّلاةِ قُلْنَا: اَلسَّلامُ عَلَى اَللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ، اَلسَّلام عَلَى فُلانٍ وَفُلانٍ. فَقَالَ اَلنَّبِيُّ ﷺ: (لا تَقُولُوا: اَلسَّلام عَلَى اَللَّهِ...)

قوله: "في الصحيح" أي الصحيحين.

قوله: (قلنا: السلام على الله) أي: يقولون ذلك في التشهد الأخير كما هو مصرح به في بعض ألفاظ الحديث..



(١) بدائع الفوائد (٢/ ١٤٣).

الباب الثاني والخمسون: بَابُ قَوْلِ: "اَللَّهُمَّ اِغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ"

فِي اَلصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: (لا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: اَللَّهُمَّ اِغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اَللَّهُمَّ اِرْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ اَلْمَسْأَلَةَ؛ فَإِنَّ اَللَّهَ لا مُكْرِهَ لَهُ).

وَلِمُسْلِمٍ: (وَلْيُعَظِّمِ اَلرَّغْبَةَ؛ فَإِنَّ اَللَّهَ لا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ).

الشرح:

٥٢ - بَابُ قَوْلِ: "اَللَّهُمَّ اِغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ"

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

كلا البابين في كمال صفات الله سبحانه.. وفي النهي عن الألفاظ التي تقدح في كمال الله.

خلاصة الباب: عدم تعليق دعاء الله بالمشيئة؛ لأن ذلك يتضمن محاذير.

محاذير تعليق دعاء الله بالمشيئة:

١- يُشعر بأن السائل غني عن الله.

٢- يُشعر بأن الله مُكرَه على الإجابة.

٣- يُشعر بأن الله يعجز عن إجابة الأمور العظيمة.

مسألة:

في حديث ابن عباس أن النبي ﷺ كان إذا عاد مريضًا قال: (لا بأس طهور إن شاء الله) رواه البخاري.. فما الجواب؟

الجواب: هذا ليس من باب الدعاء، وإنما هو خبر من باب الرجاء.. فهو يرجو أن يُطهِّره المرض من الذنوب(١).. فكل دعاء جاء بصيغة الخبر فيجوز تعليقه بالمشيئة لأنه من باب الرجاء، نحو قولهم: من المقبولين إن شاء الله، والمغفور له بإذن الله.. ونحو ذلك.

مسألة: جاء في حديث الاستخارة: (إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاقدره لي...) رواه البخاري من حديث جابر.. وكذا في حديث: (اللهم أحييني ما كانت الحياة خيرًا لي....) رواه البخاري من حديث أنس.. ففي الحديث علّق الدعاء بعلم الله، فما الجواب؟

الجواب: لأن الأمور التي لا يُعلم عاقبتها فيجوز تعليقها بعلم الله سبحانه، أما الأمور المعلوم نفعها فيُجزم ويُعزم في طلبها.

---

(١) قال ابن عثيمين (رحمه الله): "وأما قول الرسول ﷺ: (لا بأس طهور إن شاء الله) فهذا من باب الرجاء؛ وذلك لأن المريض قد يكون مرضه طهوراً له وقد لا يكون، فلو كان هذا المريض لم يصبر، وقلبه مملوء من التسخط على الله عز وجل لم يكن طهوراً، فيكون إن شاء الله من باب الرجاء، يعني: أسأل الله أن يكون طهوراً لك إذا صبرت واحتسبت الأجر". لقاء الباب المفتوح (٢٣٤/ ٣٢).

فالأمور المعلوم نفعها كالمطالب الدينية: كسؤال الرحمة والمغفرة فهذه يُجزم ويُلحّ بطلبها.. وأما الأمور التي لا يدري الإنسان هل هي خيرٌ له أم شر فيعلقها بعلم الله.

فِي اَلصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: (لا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: اَللَّهُمَّ اِغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اَللَّهُمَّ اِرْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ اَلْمَسْأَلَةَ؛ فَإِنَّ اَللَّهَ لا مُكْرِهَ لَهُ).

قوله: "في الصحيح"، أي: "الصحيحين".

الشاهد: النهي عن تعليق الدعاء بالمشيئة، والأمر بالعزم في المسألة؛ والإخبار بأن الله سبحانه لا يُكرهه أحد.

قوله: (**لا يقُلْ أحدكم**...).. هل النهي للكراهة أم للتحريم؟

ق١: للكراهة.. النووي، وابن حجر.

ق٢: للتحريم.. ابن عبد البر واختاره ابن عثيمين..

قال شيخنا الصيدلاني: "أما إذا اعتقد أحد المحاذير السابقة فهو حرام بلا شك".

قوله: (**اللهمَّ**).. معناه: يا الله.. لكن لكثرة الاستعمال حذفت يا النداء، وعوض عنها الميم، وجعل العوض في الآخر تيمُّنًا بالابتداء بذكر الله.

قوله: (**اغفر لي**).. المغفرة: ستر الذنب مع التجاوز عنه؛ لأنها مشتقة من المغفر، وهو ما يستر به الرأس للوقاية.

قوله: (**إن شئت**).. أي: إن شئت أن تغفر لي فاغفر، وإن شئت فلا تغفر.

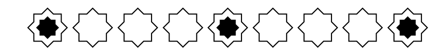
قوله: (**ليعزم المسألة**).. العزم عدم التردُّد.

قوله: (**فإن الله لا مُكره له**).. أي: لا تقل هذا يُكره الله فلن أسأله؛ فإن الله لا يكرهه أحد..

وَلِمُسْلِمٍ: (وَلْيُعَظِّمِ اَلرَّغْبَةَ؛ فَإِنَّ اَللَّهَ لا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ).

قوله: (**ولْيُعظِّم الرغبة**).. أي لتكن رغبته عظيمة فيسأل ما شاء، ولا يقل: هذا كثير لا أسأل الله إياه.. وقيل: لِيُلحّ في الطلب.. والأول أظهر.

قوله: (**فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه**).. أي: لا يَعْظُم عليه إعطاء شيء؛ لسعة جوده وكرمه سبحانه.



الباب الثالث والخمسون: بَابُ لا يَقُولُ: عَبْدِي وَأَمَتِي

فِي اَلصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: (لا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّئْ رَبَّكَ، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي وَمَوْلايَ، وَلا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلامِي).

الشرح:

٥٣ - بَابُ لا يَقُولُ: عَبْدِي وَأَمَتِي

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

كلا البابين في النهي عن بعض الألفاظ التي تقدح في جانب الربوبية.

خلاصة الباب:

النهي عن قول: ربُّك وعبدي وأمتي؛ تأدُّبًا مع جانب الربوبية، وسدًّا للذريعة.

مسألة:

هل النهي للكراهة أم للتحريم؟

النهي للكراهة والتنزيه، وصارف الوجوب أنه من باب الأدب، وكذا قد ورد في القرآن: ((اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ)).. كما أشار إلى أنه للكراهة ابن القيم، ونقل الإجماع على ذلك ابن حجر في الفتح.[١]

قال ابن باز: "فهذا من باب الكمال، والتأدب مع الله عز وجل".[٢]

قال ابن عثيمين: "اتفق العلماء على أن كراهة (عبدي، وأمتي) للتنزيه، حتى أهل الظاهر".[٣]

أحكام الألفاظ الواردة في الحديث:

لفظ: (رب)

حكم إطلاق لفظ (رب) على غير الله له ثلاثة أحكام:

١- **محرّم**.. إذا كان مُعرَّفًا بأل.. لأن هذا اللفظ لا يُطلق إلا على الله سبحانه، و"أل" تُفيد الاستغراق.. قال النووي: "قال العلماء: لا يطلق الرب بالألف واللام إلا على الله تعالى خاصة".[٤]

٢- **مكروه**.. وهذا نوعان:

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (٥/ ١٧٨).

(٢) شرح كتاب التوحيد لابن باز ص (١٣٩).

(٣) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٧/ ٢٧٤).

(٤) الأذكار (ص: ٥٧٤).

أ / أن يُضاف إلى ضمير المخاطب.. مثل: أطعم ربَّك، وضِّئ ربك.. لحديث الباب.

ب/ أن يُضاف إلى ضمير المتكلم.. كأن يقول العبد لسيده: هذا ربي.. ويدلّ على ذلك حديث: (ولا يقل أحدكم: ربي) [رواه مسلم].

٣- **جائز**.. وهذا نوعان:

أ / أن يُضاف إلى الاسم الظاهر.. فيُقال: هذا رب الغلام.. كما في حديث أشراط الساعة: (حتى يُهِمَّ ربَّ المال من يقبل صدقته) [متفق عليه]، وكقول عمر ﷺ: (أدخل ربَّ الصُّريمة وربَّ الغُنيمة) [رواه البخاري].

ب/ أن يُضاف إلى ضمير الغائب.. مثل: أطعم الرقيق ربَّه، ووضّأ ربَّه.. ومنه حديث أشراط الساعة بلفظ: (أن تلد الأَمَة ربَّها) [رواه البخاري].. وحديث الضَّالة: (حتى يجدها ربَّها) [متفق عليه].

مسألة: في سورة يوسف: ((اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ)).. فما الجواب؟

الجواب على قولين:

ق١: أن هذا جائز في شرع من قبلنا وقد ورد شرعنا بخلافه.. واختاره شيخ الإسلام، وصاحب تيسير العزيز الحميد.

ق٢: خاطبهم بما هو متعارف عندهم.. كما قال موسى ﷺ للسامري: ((وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ)) أي الذي اتخذته إلهاً.

لفظ: (سيّد)

حكم إطلاق لفظ (سيد) على غير الله.. جائز بقيدين:

١- أن يُطلق على من هو أهل له.. فلا يجوز إطلاقه على الفاسق حتى ولو كان أعلى مرتبة ، أو جاهاً.. قال ﷺ: (لا تقولوا للمنافق: سيِّد، فإنه إن يكُ سيدًا فقد أسخطتم ربكم عز وجل) [رواه أبو داود وصحّحه الألباني]

٢- أن لا يخشى من إطلاقه محذور من إعجاب المخاطب ، وخنوع المتكلم.

مسألة:

في حديث عن عبد الله بن الشخير قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول ﷺ فقلنا: أنت سيدنا. فقال: (السيد الله تبارك وتعالى...) الحديث ، وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله.

الجواب: الحديث ليس فيه نهي، بل المراد أن الله هو الأحق بهذا الاسم.

لفظ: (مولى)

حكم إطلاق لفظ (مولى) على غير الله.. جائز؛ لحديث الباب..

وأما ما جاء عند مسلم: (ولا يقل العبد لسيده: مولاي، فإن مولاكم الله عز وجل).. فإن هذه زيادة مختلف فيها عن الأعمش، فمنهم من ذكرها، ومنهم من حذفها.. قال القاضي عياض: "وحذفها أصح".[1]

لفظ: (عبْد وأمَة)

حكم إطلاق لفظ (عبْد أو أمَة) على الخَلْق ينقسم إلى قسمين:

١- إذا أضافه إلى غيره.. كأن يقول: عبد فلان أو عبْدُك، وأمَة فلان أو أمَتُك.. (فهذا جائز).

ومنه قوله تعالى: ((وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ))، وحديث: (ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقه) متفق عليه.

٢- إذا أضافه إلى نفسه.. كأن يقول: هذا عبدي، هذه أمتي، أو يا عبدي هاتِ كذا.. فهذا منهيٌّ عنه (مكروه)؛ لحديث الباب.

فِي اَلصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: (لا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّئْ رَبَّكَ، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي وَمَوْلايَ، وَلا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلامِي).

قوله: "في الصحيح".. أي: "الصحيحين".. وفيه اختلاف في اللفظ.

عند البخاري: (اِسْقِ ربك) بعد: (وضِّيء ربك)، وعند مسلم: (اِسْقِ ربك) قبل: (أطعم ربك).

وعند مسلم أيضاً: (ولا يقل أحدكم: ربي) بعد: (وضِّئ ربك).

الشاهد: نَهْيُه ﷺ عن هذه الألفاظ.



(١) ورواية مسلم الثابتة: (لا يقولن أحدكم: عبدي، فكلكم عبيد الله، ولكن ليقل: فتاي، ولا يقل العبد: ربي، ولكن ليقل: سيدي). شرح النووي على مسلم (١٥/ ٧).

الباب الرابع والخمسون: بَابُ لا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ بِاَللَّهَ

عَنِ اِبْنِ عُمَرَ – رضي الله عنهما – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: (مَنْ اسْتَعَاذَ بِاَللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنِ سَأَلَ بِاَللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُوهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ). رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

الشرح:

٥٤ – بَابُ لا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ بِاَللَّهَ

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

تابع لأبواب تعظيم جانب الربوبية.

خلاصة الباب:

أن من تعظيم الله سبحانه في قلب العبد أن لا يرد من سأله بالله، وأن يُعيذه إذا استعاذ بالله.

صورة مسألة الباب:

أن يقول: أسألك بالله مالاً.. أو: بالله عليك أعطني مالاً..

تجب إجابة من سأل بالله إذا خلت من ثلاثة قيود:

١– إذا طلب السائل أمرًا محرماً أو يُعينه على المحرّم.. كأن يسألك بالله أن تقطع رحمك، أو يسألك بالله مالاً ليشتري به خمرًا.

٢– إذا كان طلب السائل ليس بالمقدور.. كأن يسألك بالله شيئًا لا تملكه.

٣– إذا كان السائل أو المسؤول يتضرران بذلك.. كأن يسألك بالله بيتك، أو سلاحًا يضرّه.

تجب إعاذة من استعاذ بالله إذا خلت من قَيدَيْن:

١– إذا استعاذ من حق الله عليه.. كأن تلزمه بصلاة الجماعة، فيقول: أعوذ بالله منك.

٢– إذا استعاذ من حق الآدميين عليه.. كأن يقتل نفسًا، فيقول: أعوذ بالله منك أن تُخبر عني.

حكم إجابة الدّاعي المسلم لطعام(١) الدعوة نوعان:

١– دعوة لطعام العُرس.. فهذه تجب إجابة الدعوة إذا لم يكن فيه محذور أو ضرر(٢).. قال ﷺ: (إذا دُعي أحدكم إلى الوليمة فليأتها) وفي لفظ: (فلْيُجِبْ) متفق عليه..

---

(١) للفائدة: أسماء الطعام عند العرب:

القِرَى طَعَامُ الضَّيْفِ.. **المَأْدُبَةُ** طَعَامُ الدَعْوَةِ.. **التُّحْفَةُ** طَعَامُ الزَّائِرِ.. **الوَليمة** طعامُ العُرْس.. **الخُرْسُ** طعام الوِلادَةِ.. **العقيقةُ** طعامُ سابع المولودِ.. **العَذِيرَةُ** طَعَامُ الخِتَانِ.. **الوَضِيمَةُ** طَعَامُ المواسين في المأْتَم.. **النَّقِيعَةُ** طَعَامُ القَادِمِ مِنْ سَفَرٍ.. **الوَكِيرَةُ** طَعَامُ الفراغ من البِنَاء.

(٢) ذكر ابن عثيمين شروطًا لإجابة الوليمة:

٢- دعوة لغير العُرس.. فهذه مستحبة إجابة الدعوة.. وصارف الوجوب أنها من باب الآداب..

وقال بعضهم بالوجوب لكل دعوة من مسلم.. وهو قول الظاهرية، واختاره صاحب تيسير العزيز الحميد.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ – رضي الله عنهما – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: (مَنْ اسْتَعَاذَ بِاَللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنِ سَأَلَ بِاَللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ.....) الحديث.

درجته: صحيح، صحّحه النووي وابن حجر والألباني وغيرهم.

قوله: (**من استعاذ بالله فأعيذوه**).. أي: من سألكم أن تدفعوا عنه شركم أو شر غيركم بالله، كقوله: بالله عليك أن تدفع عني شر فلان أو شرك، أعوذ بالله من شرِّك أو شر فلان ونحو ذلك..

(**فأعيذوه**).. أي: امنعوه مما استعاذ منه لتعظيم اسم الله تعالى.. ولهذا لما قالت الجَوْنِيَّة للنبي ﷺ أعوذ بالله منك، قال: (لقد عُذْتِ بمَعاذ)، وتركها. رواه البخاري..

قوله: (**ومن سأل بالله فأعطوه**).. ويدخل في ذلك القسم عليه بالله أن يفعل كذا.

وقد جاء الوعيد على من منع من سأل بالله في حديث ابن عباس مرفوعًا: (ألا أخبركم بشر الناس: رجل يُسأل بالله ولا يُعطي به) رواه الترمذي وحسّنه، وصحّحه الألباني..

قوله: (**ومن دعاكم فأجيبوه**).. أي: من دعاكم إلى طعام فأجيبوه، وسبق التفصيل.

قوله: (**من صنع إليكم معروفا فكافئوه**).. قال ابن عثيمين: "فإذا أحسن إليك بإنجاز معاملة وكان عمله زائدا عن الواجب عليه؛ فكافئه، وهكذا، لكن إذا كان كبير الشأن ولم تجر العادة بمكافأته؛ فلا يمكن أن تكافئه؛ كالملك والرئيس" ا.هـ[1]

ومن فوائد مكافأة صانع المعروف:

١- أن يكون الداعي ممن لا يجب هجره أو يسن.. ٢- أن لا يكون هناك منكر في مكان الدعوة ولا تستطيع تغييره أو إزالته.. ٣- أن يكون الداعي مسلما.. ٤- أن لا يكون كسبه حراما.. ٥- أن لا تتضمن الإجابة إسقاط واجب، أو ما هو أوجب منها. ٦- أن لا تتضمن ضررا على المجيب. مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٠/ ٩٣٧).

(١) القول المفيد (٢/ ٣٥٣).

لقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها، فهو إذا أحسن إليه ولم يكافئه يبقى في قلبه نوع تألُّه لمن أحسن إليه، فشرع قطع ذلك بالمكافأة.. ذكر صاحب التيسير أن هذا معنى كلام شيخ الإسلام.

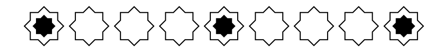
قوله: (**فإن لم تجدوا ما تكافئوه**).. في تيسير العزيز الحميد: هكذا ثبت بحذف النون بخط المصنف، وهكذا هو في غيره من أصول الحديث. قال الطيبي: "سقطت من غير ناصب ولا جازم، إما تخفيفًا أو سهوًا من الناسخ".(١)

قوله: (**فادعوا له... إلخ**).. ومن ذلك الدعاء: قوله ﷺ: (من صنع إليكم معروفًا فقال لفاعله: جزاك الله خيرًا فقد أبلغ في الثناء) رواه الترمذي وحسّنه وصحّحه الألباني.

قوله: (**حتى تروا أنكم قد كافأتموه**).. "تروا": بفتح التاء بمعنى تعلموا، وتجوز بالضم بمعنى تظنوا.. والمعنى: حتى تعلموا أو يغلب على ظنكم أنكم قد كافأتموه، ثم أمسكوا.

فائدة:

قد ورد استحباب الثناء على من صنع إليك معروفًا، قال ﷺ: (من صُنع إليه معروف فَلْيُجْزِئه، فإن لم يُجْزِئُه ، فلْيُثن عليه ، فإنه إذا أثنى عليه فقد شكره، وإن كتمه فقد كفره، ومن تحلَّى بما لم يُعطَ، فكأنما لَبِس ثوبَيْ زُور). رواه البخاري في الأدب المفرد ، وصححه الألباني.



(١) شرح مشكاة المصابيح للطيبي "الكاشف عن حقائق السنن"(٥/ ١٥٦٦).

الباب الخامس والخمسون: بَابُ لا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اَللَّهِ إِلا اَلْجَنَّة

عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: (لا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اَللَّهِ إِلا اَلْجَنَّةُ). رَوَاهُ أَبُو دَاوُد.

الشرح:

٥٥ – بَابُ لا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اَللَّهِ إِلا اَلْجَنَّةُ

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

الذي قبله في النهي عن ردّ من سأل بالله تعظيمًا لله، وهذا الباب أن السائل لا يسأل بوجه الله إلا الأمر العظيم، فكلا البابين في تعظيم الله، إلا أن الأول في تعظيم الله عند المسؤول، والثاني في تعظيم الله عند السائل.

خلاصة الباب: أنّ من تعظيم الله سبحانه أن لا يُسأل بوجهه إلا الجنة وما يقرّب إليها.

عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: (لا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اَللَّهِ إِلا اَلْجَنَّةُ). رَوَاهُ أبو دَاوُدَ.

درجة الحديث: الحديث قد رواه صاحب المختارة أيضًا.. وفي إسناده سليمان بن معاذ متكلّم فيه.. ضعّف الحديث الألباني وغيره.. قال ابن باز: "إسناد الحديث فيه لِين وضعف، لكنه ينجبر بما جاء في الروايات الأخرى من النهي عن السؤال بوجه الله" ا.هـ(١)

ومن أحاديث النهي عن السؤال بوجه الله حديث أبي موسى مرفوعًا: (ملعون من سأل بوجه الله، وملعون من يُسأل بوجهه ثم منع سائله ما لم يسأل هجرًا) رواه الطبراني وحسّنه الألباني.

قوله: (**لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة**).. النهي للتحريم.. وقد أُختلف في المراد بذلك على قولين:

ق١: لا تسأل أحداً من المخلوقين بوجه الله.. كأن تقول: يا فلان أسألك بوجه الله أن تفعل كذا..

ق٢: لا تسأل الله بوجهه إلا الجنة وما يستلزم دخولها (أمور الآخرة)، ولا تسأله بوجهه شيئاً من أمور الدنيا.. كأن تقول: اللهم إني أسألك بوجهك العظيم أن ترزقني زوجة صالحة.

قال في تيسير العزيز الحميد: "والظاهر أن كلا المعنيين صحيح".

وقال ابن عثيمين: "ولو قيل: إنه يشمل المعنيين جميعاً لكان له وجه".(٢)

قوله: (**إلا الجنة**).. أي لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة أو ما هو وسيلة إليها.. ومن ذلك

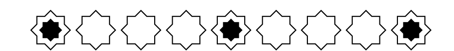
---

(١) شرح كتاب التوحيد لابن باز ص (١٤٤).

(٢) القول المفيد (٢/ ٣٥٧).

الاستعاذة بوجه الله من غضبه ومن النار ونحو ذلك.. في البخاري لما نزل قوله تعالى: ((قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ)) قال النبي ﷺ: (أعوذ بوجهك). ((أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ)) قال: (أعوذ بوجهك).

وفي الحديث: إثبات الوجه خلافًا للجهمية ونحوهم، فإنهم أَوَّلُوا الوجه بالذات، وهو باطل، إذ لا يسمى ذات الشيء وحقيقته وجهًا، فلا يسمى الإنسان وجها، ولا تسمى يده وجهًا، ولا تسمى رجله وجهًا.. قاله الشيخ سليمان.



الباب السادس والخمسون: بَابُ مَا جَاءَ فِي الـ(لَوْ)

وَقَوْلُ اَللَّهِ تَعَالَى: ((يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا...)) الآية.

وَقَوْلُهُ: ((الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا...)) الآية.

وَفِي اَلصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: (اِحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاَللَّهِ وَلا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا؛ لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ (لَوْ) تَفْتَحُ عَمَلَ اَلشَّيْطَانِ).

الشرح:

٥٦ - بَابُ مَا جَاءَ فِي الـ(لَوْ)

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

هذا الباب تابع لما قبله في تعظيم الله، وذلك أنّ من تعظيم الله عدم التسخط من قَدَره أو الاعتراض على قَدَره وشرعه.

خلاصة الباب:

أن المؤمن ينبغي له أن يوقن أن كل شيء قد قدّره الله، فلا يعترض على قدر الله، ولا يتحسّر على ما فات.

حكم استخدام لفظة (لو) و(لولا):

١- محرّم.. وهو المراد من الباب.. وله خمس صور:

أ / إذا قيلت على وجه الاعتراض على القدر، ومنه قوله تعالى: ((يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا)).

ب / إذا قيلت على وجه الاعتراض على الشرع، ومنه قوله تعالى: ((الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا)).. أي: لو أطاعونا ولم يطيعوا الرسول ﷺ.

ج / إذا قيلت على وجه الندم، والتحسُّر.. ومنه ما جاء في الحديث: (لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا...)، وهذه الصورة هي الغالبة في الاستعمال.. **ويُلحق بها: (ليت) على وجه الندم والتحسر**.

د / إذا قيلت على وجه تمنّي الشر.. ومنه قوله ﷺ:: (مثل هذه الأُمّة، كمثل أربعة نفر، رجل آتاه الله مالاً وعلمًا، فهو يعمل بعلمه في ماله، ينفقه في حقه، ورجل آتاه الله علمًا، ولم يؤته مالاً، فهو يقول: لو كان لي مثل هذا عملت فيه مثل الذي يعمل) قال رسول الله ﷺ: (فهما في الأجر سواء)، (ورجل آتاه الله مالاً، ولم يؤته علمًا، فهو يخبط في ماله ينفقه في غير حقه، ورجل لم يؤته الله علمًا، ولا مالاً، فهو يقول: لو كان لي مثل هذا، عملت فيه مثل الذي يعمل) قال رسول الله ﷺ: (فهما في الوزر سواء) رواه ابن ماجه وصحّحه الألباني.

هـ / إذا قيلت على وجه الاحتجاج بالقدر على المعصية؛ كقول المشركين: ((لو شاء الله ما

أشركنا)).

٢- جائز.. إذا قيلت على وجه الخبر، لا الاعتراض.. ومنه قوله ﷺ: (لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي..) متفق عليه.. وقوله ﷺ: (لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة) متفق عليه.

٣- مستحب.. إذا قيلت على وجه تمني الخير.. ومنه حديث النفر الأربعة السابق.

مسألة:

في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (احتج آدمُ وموسى، فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيَّبتنا وأخرجتنا من الجنة، قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدّره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فحج آدمُ موسى، فحج آدمُ موسى "ثلاثا").. فهل يدل الحديث على جواز الاحتجاج بالقدر على المعائب (فِعْل المعصية)؟.

الجواب:

يجوز الاحتجاج بالقدر على الذنب بعد التوبة؛ قال ابن القيم: "الاحتجاج بالقدر على الذنب ينفع في موضع ويضر في موضع: فينفع إذا احتج به بعد وقوعه والتوبة منه وترك معاودته كما فعل آدم... وأما الموضع الذي يضر الاحتجاج به ففي الحال والمستقبل بأن يرتكب فعلا محرما أو يترك واجبا فيلومه عليه لائم فيحتج بالقدر على إقامته عليه وإصراره".(١)

وَقَوْلُ اَللَّهِ تَعَالَى: ((يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا...)) الآية.

الشاهد: أن قول "لو" في الاعتراض على القدر من كلام المنافقين.

وهذه الآية نزلت في المنافقين الذين حضروا غزوة أحد.

ذكر ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن إسحاق: قال الزبير: لقد رأيتُنِي مع رسول الله ﷺ حين اشتد الخوف علينا: أرسل الله علينا النوم، فما منا رجل إلا ذقنه في صدره، فو الله إني لأسمع قول مُعتِّب بن قُشَير ما أسمعه إلا كالحُلُم: "لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا" فحفظتها منه، وفي ذلك أنزل الله عزّ وجل: ((يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ١٨).

هَاهُنَا)) لقول مُعتِّب.

وَقَوْلُهُ: ((**الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا**...)) **الآية**.

الشاهد: أن قول "لو" في الاعتراض على الشرع من كلام المنافقين.

في تفسير الطبري عن ابن جريج في الآية قال: "هو عبدالله بن أُبَي الذين قعدوا، وقالوا لإخوانهم الذين خرجوا مع النبي ﷺ يوم أحد".

قوله: (**لإخوانهم**).. سُمُّوا إخوانهم لموافقتهم في الظاهر. وقيل: إخوانهم في النسب..

قال ابن عثيمين: "ولو قيل: إنه شامل للأمرين؛ لكان صحيحا".(١)

وَفِي اَلصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: (**اِحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاَللَّهِ وَلا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا**.....) **الحديث**.

قوله: "في الصحيح".. أي: "صحيح مسلم".. وقد اختصره المصنف ولفظه أن النبي ﷺ قال: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير، احرص على ما ينفعك... إلى آخره).

الشاهد: في قوله ﷺ: (فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا...)، نهانا ﷺ عن قول (لو) على وجه الندم.

وقوله: (**احرص على ما ينفعك**).. (احرص) بفتح الراء وكسرها، والحرص: هو بذل الجهد واستفراغ الوسع.

قال ابن القيم: "سعادة الإنسان في حرصه على ما ينفعه في معاشه ومعاده".(٢)

قوله: (**واستعن بالله**).. فيه أن بذل الجهد وحده لا يكفي لحصول المطلوب، بل احرص واطلب العون من الله.

قوله: (**ولا تعجز**).. بكسر الجيم وفتحها، أي: اِستعمل الحرص والاجتهاد في تحصيل ما ينفعك من أمر دينك ودنياك، ولا تفرط في طلب ذلك، ولا تتعاجز عنه مُتَّكِلاً على القدر، أو متهاونًا بالأمر.

---

(١) القول المفيد (٢/ ٣٦٤).

(٢) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ١٩).

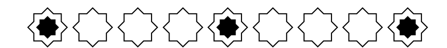
قوله: (**ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل**).. (قدر الله) لها قراءتان:

١- (قدَر) بالتخفيف، فيكون المعنى: هذا الواقع هو قدَرُ الله.

٢- (قدّر) بالتشديد، فيكون المعنى: هذا الواقع قدّره الله.

قال ابن باز: "والمعنى الأول أظهر".[1]

قوله: (**فإن لو تفتح عمل الشيطان**) أي: من الجزع والعجز واللوم والسخط من القضاء والقدر ونحو ذلك.



(١) شرح كتاب التوحيد لابن باز ص (١٤٥).

الباب السابع والخمسون: بَابُ اَلنَّهْيُ عَنْ سَبِّ اَلرِّيحِ

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: (لا تَسُبُّوا اَلرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ، فَقُولُوا: اَللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ اَلرِّيحِ، وَخَيْرِ مَا فِيهَا، وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ اَلرِّيحِ، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ). صَحَّحَهُ اَلتِّرْمِذِيُّ.

الشرح:

٥٧ - بَابُ اَلنَّهْيُ عَنْ سَبِّ اَلرِّيحِ

هذا الباب قريبٌ جدًّا من الباب الرابع والأربعين: (باب من سب الدهر فقد آذى الله)، ولكن لكثرة وقوع سب الريح، أفرده، وللحاجة إلى التنبيه عليه.

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

الذي قبله في النهي عن السّخَط من قضاء الله وقدره، وسبّ الريح نوع سَخط من قدر الله.

خلاصة الباب:

تحريم سب الريح؛ لأنه سبّ لمسخرها ومدبرها وهو الله سبحانه.. وبيان الدعاء الذي يُقال عند هبوب الريح.

حكم سب الريح:

١- **شرك أكبر**.. إذا اعتقد أنها فاعلة بذاتها.

٢- **محرّم**.. إذا سبّها مع اعتقاد أن الله هو المصرف لها.

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: (لا تَسُبُّوا اَلرِّيحَ، فَإِذا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ، فَقُولُوا: اَللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ اَلرِّيحِ، وَخَيْرِ مَا فِيهَا، وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ اَلرِّيحِ، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ). صَحَّحَهُ اَلتِّرْمِذِيُّ.

درجة الحديث: صحيح، صحّحه الترمذي والألباني وغيرهم..

قوله: "عن أبي بن كعب".. أي: ابن قيس الأنصاري الخزرجي أبو المنذر، من قرّاء الصحابة وقضاتهم وعلمائهم..

قوله: (لا تسبوا الريح).. جاء في حديث أبي هريرة مرفوعًا: (الريح من رَوْح الله تأتي بالرحمة وبالعذاب، فلا تسبوها ولكن سلوا الله من خيرها وتعوذوا بالله من شرها) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وصحّحه الألباني.

قال الشافعي: "لا ينبغي شتم الريح فإنها خَلقٌ مطيع لله، وجند من جنوده، يجعلها الله رحمة إذا شاء، ونقمة إذا شاء.. وقال: شكا رجل إلى النبي ﷺ الفقر فقال ﷺ: (لعلك تسب الريح)" ذكره البيهقي بسند منقطع.

وقال مُطرِّف: "لو حُبست الريح عن الناس لأنتن ما بين السماء والأرض".[1]

قوله: (**فإذا رأيتم ما تكرهون**).. أي: من الريح إما شدة حرها، أو بردها، أو قوتها.

قوله: (**فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح...**).. أي أن هذا هو المشروع قوله عند الريح.. وقد جاء في صحيح مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان النبي ﷺ إذا عصفت الريح، قال: (اللهم إني أسألك خيرَها، وخيرَ ما فيها، وخيرَ ما أُرسلت به، وأعوذُ بك من شرِّها، وشرِّ ما فيها، وشرِّ ما أُرسلت به)، قالت: وإذا تخيَّلت السماء، تغيَّر لونه، وخرج ودخل، وأقبل وأدبر، فإذا مطرت، سُرِّي عنه، فعرفتُ ذلك في وجهه، قالت عائشة: فسألتُه، فقال: (لعلَّه يا عائشة كما قال قوم عاد: (فلما رأوه عارضًا مستقبل أوديتَهم قالوا هذا عارض ممطرنا).

قال الشيخ سليمان: "فهذا ما أمر به ﷺ وفعله عند الريح وغيرها من الشدائد المكروهات، فأين هذا ممن يستغيث بغير الله من الطواغيت والأموات، فيقولون: يا فلان الزمها أو أزِلْها. فالله المستعان" ا.هـ

فائدة:

وأما حديث: (اللهم اجعلها رياحًا ولا تجعلها ريحًا).. فقد أخرجه الطبراني من حديث ابن عباس.. وهو حديث ضعيف جدًّا، في سنده الحسين بن قيس.. قال الألباني: "وهذا إسناد ضعيف جداً؛ الحسين بن قيس - هو الرحبي الملقب بـ (حنش) - وهو متروك كما في "التقريب" ا.هـ[2]

فائدة:

في الصحيحين عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: (نُصرت بالصَّبا، وأُهلكتْ عادٌ بالدَّبور)..

الصَّبا: هي الريح التي تهب من مشرق الشمس.. ونصرته بها ﷺ كانت يوم الخندق.

والدَّبور: هي الريح التي تهب من مغرب الشمس.. وبها كان هلاك قوم عاد.

---

(١) ذكره الشيخ سليمان في تيسير العزيز الحميد (ص: ٥٨٢) عن مطرّف.. وذكره الإمام أحمد في الزهد (ص: ١٩٨) عن مطرف، عن كعب قال: "لو حبست الريح عن الناس ثلاثًا لأنتن ما بين السماء والأرض".

(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٩/ ٢٢٨).

الباب الثامن والخمسون: بَابُ قَوْلِ اَللَّه تَعَالَى: ((يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ...)) الآية.

وَقَوْلِهِ: ((الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ...)) الآية.

قَالَ اِبْنُ اَلْقَيِّمِ فِي الآية الأولَى: فُسِّرَ هَذَا اَلظَّنُّ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لا يَنْصُرُ رَسُولَهُ، وَأَنَّ أَمْرَهُ سَيَضْمَحِلُّ، وَفُسِّرَ بِأَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ بِقَدَرِ اَللَّهِ وَحِكْمَتِهِ. فَفُسِّرَ بِإِنْكَارِ اَلْحِكْمَةِ، وَإِنْكَارِ اَلْقَدَرِ، وَإِنْكَارِ أَنْ يُتِمَّ أَمْرَ رَسُولِهِ ﷺ، وَأَنْ يُظْهِرَهُ عَلَى اَلدِّينِ كُلِّهِ. وَهَذَا هُوَ ظَنُّ اَلسَّوْءِ اَلَّذِي ظَنَّهُ اَلْمُنَافِقُونَ وَالْمُشْرِكُونَ فِي سُورَةِ اَلْفَتْحِ. وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا ظَنَّ اَلسَّوءَ لأَنَّهُ ظَنُّ غَيْرِ مَا يَلِيقُ بِهِ سُبْحَانَهُ وَمَا يَلِيقُ بِحِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ وَوَعْدِهِ اَلصَّادِقِ. فَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يُدِيلُ اَلْبَاطِلَ عَلَى اَلْحَقِّ إِدَالَةً مُسْتَقِرَّةً يَضْمَحِلُّ مَعَهَا اَلْحَقُّ، أَوْ أَنْكَرَ أَنَّ مَا جَرَى بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، أَوْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ قَدَرُهُ لِحِكْمَةٍ بَـالِغَةٍ يَسْتَحِقُّ عَلَيْهَا اَلْحَمْدَ، بَلْ زَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ لِمَشِيئَةٍ مُجَرَّدَةٍ ؛ فَذَلِكَ ظَنُّ اَلَّذِينَ كَفَرُوا، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ اَلنَّارِ. وَأَكْثَرُ اَلنَّاسِ يَظُنُّونَ بِاَللَّهِ ظَنَّ اَلسَّوْءِ فِيمَا يَخْتَصُّ بِهِمْ، وَفِيمَا يَفْعَلُهُ بِغَيْرِهِمْ، وَلا يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ إِلا مَنْ عَرَفَ اَللَّهَ وَأَسْمَاءَه وَصِفَاتِهِ وَمُوجَبَ حِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ وَوَعْدِهِ الصَّادِقِ. فَلْيَعْتَنِ اَللَّبِيبُ اَلنَّاصِحُ لِنَفْسِهِ بِهَذَا، وَلْيَتُبْ إِلَى اَللَّهِ، وَلْيَسْتَغْفِرْهُ مِنْ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ ظَنَّ اَلسَّوْءِ. وَلَوْ فَتَّشْتَ مَنْ فَتَّشْتَّ لَرَأَيْتَ عِنْدَهُ تَعَنُّتًا عَلَى اَلْقَدَرِ، وَمَلامَةً لَهُ، وَأَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كَذَا وَكَذَا، فَمُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْثِرٌ ، وَفَتِّشْ نَفْسَكَ هَلْ أَنْتَ سَالِمٌ؟

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلا فَإِنِّي لا إِخَالُكَ نَاجِيًـــــا.

الشرح:

٥٨ - بَابُ قَوْلِ اَللَّه تَعَالَى: ((يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ...)) الآية.

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

الباب السابق في النهي عن سب الريح، وهذا الباب في سوء الظن بالله وكلا البابين نهي عن القدح في أفعاله سبحانه.

خلاصة الباب:

أن الله سبحانه كامل في أسمائه وصفاته، فهو سبحانه العدل الكامل في عدله، فكل عمل يعمله عدل كامل ليس فيه ظلم، وهو سبحانه لا يفعل شيئًا إلا لحكمة بالغة عظيمة، فيجب أن يُظن به الظن الحسن، ومن أساء الظن بربِّه فما عرف ربَّه حقّ المعرفة.. فهذا باب عظيم في تعظيم الله سبحانه.

الفرق بين الظن والشك:

الشك: هو تساوي الاحتمالات بلا رجحان لأحدها.. أما الظن فهو بترجيح أحد الاحتمالات.

ضابط سوء الظن بالله:

قال ابن القيم: "من ظن بالله خلاف ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، أو عطل حقائق ما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله، فقد ظن به (ظن السوء). ا.هـ "بتصرف".[(١)]

أمثلة لسوء الظن بالله:

يقول ابن مُقْلة[(٢)]:

أيا رب تخلق أقمار ليـــــلٍ ... وأغصان بان وكُثبان رمـــــــلِ

وتُبدع في كل طَرْفٍ بسِحْرِهِ ... وفي كل قدٍّ رشيقٍ بشكـــــــلِ

(١) انظر: زاد المعاد (٣/ ٢٠٩).

(٢) ابن مُقلة هو أبو علي محمد بن علي بن حسن بن مُقلة، كان وزيرًا في خلافة المقتدر بالله، ثم وزيرًا في خلافة القاهر، ثم في خلافة الراضي حتى قُتل عام ٣٢٨هـ.. وكان فيه تيْه وشغب مع حسن خطه وقوته في الوزارة.. (سير أعلام النبلاء).

وتنهى عبادك أن يعشقــوا ... أيا حَاكَم العدل ذا حُكمُ عَدلِ؟

قال ابن الجوزي: "ودخلت على صَدَقة بن الحسين الحدّاد، وكان فقيهًا، غير أنه كان كثير الاعتراض، وكان عليه جَرَب، فقال: هذا ينبغي أن يكون على جمل لا عليَّ.. وكان رجل يصحبني قد قارب ثمانين سنة، كثير الصلاة والصوم، فمرض واشتد به المرض، فقال: إن كان يريد أن أموت فيميتني، وأما هذا التعذيب، فما له معنى، والله لو أعطاني الفردوس كان مكفورًا" ا.هـ[١]

معنى إحسان الظن بالله:

قال ابن عثيمين: "حسن الظن بالله أن الإنسان إذا عمل عملاً صالحاً يحسن الظن بربه أنه سيقبل منه، إذا دعا الله عز وجل يحسن الظن بالله أنه سيقبل منه دعاءه ويستجيب له، إذا أذنب ذنباً ثم تاب إلى الله ورجع من ذلك الذنب يحسن الظن بالله أنه سيقبل توبته، إذا أجرى الله تعالى في الكون مصائب يحسن الظن بالله، وأنه جل وعلا إنما أحدث هذه المصائب لحكم عظيمة بالغة.... إلخ".[٢]

فضل إحسان الظن بالله:

عن واثلة بن الأسقع ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (قال الله تبارك وتعالى: أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء). رواه أحمد وصححه الألباني..

عن جابر ﵁ قال: سمعت النبي ﷺ قبل وفاته بثلاث، يقول: (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن) رواه مسلم. قال العلماء: معنى حسن الظن بالله تعالى: أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه.

قَوْل اَللَّه تَعَالَى: ((يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ...)) الآية.

هذه الآية من سورة آل عمران.. نزلت في ذكر غزوة أحد، بعد أن أصاب المسلمين ما أصابهم في تلك الغزوة، تكلم المنافقون بكلام فيه اعتراض على حكمة الله وقدره..

الشاهد: أن ظن السوء بالله ناشئ عن الجهل بالله وبأسمائه وصفاته.

---

(١) ذكره ابن مفلح في الآداب الشرعية (٢/ ١٩٣) بقوله: "قال أبو الفرج بن الجوزي في كتابه: السر المصون...". انتهى. ولم أعثر على كتاب السر المصون.

(٢) فتاوى نور على الدرب للعثيمين (٤/ ٢).

قوله: (**ظن الجاهلية**).. فسّره ابن القيم بثلاث صور:

١- إنكار الحكمة.. أي أن ما أصابهم في أحد شرٌّ كله، ولم يكن لحكمة.

٢- إنكار القدر.. أي أن الأمر لو كان إليهم لما أصابهم السوء.

٣- إنكار أن الله سبحانه سيُتِمّ أمرَ رسولِه ﷺ، وأن يُظهره على الدين كلِّه.

وكلّ هذه الصور تدل على جهلهم بالله سبحانه، وبأسمائه وصفاته.

وَقَوْلِهِ: ((**الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ...**)) **الآية.**

هذه الآية من سورة الفتح.. نزلت في المشركين والمنافقين حين ذهب رسول الله ﷺ وأصحابه إلى مكة عام الحديبية، فظنوا أنهم سيقتلون ولن يرجعوا أبدًا.

قوله: (**الظانين بالله ظن السوء**).. قال ابن كثير: "أي يتهمون الله في حكمه، ويظنون بالرسول ﷺ، وأصحابه أن يُقتلوا، ويذهبوا بالكلية".[1]

قَالَ اِبْنُ اَلْقَيِّمِ فِي الآيَة الأولَى: فُسِّرَ هَذَا اَلظَّنُّ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لا يَنْصُرُ رَسُولَهُ، وَأَنَّ أَمْرَهُ سَيَضْمَحِلُّ، وَفُسِّرَ بِأَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ بِقَدَرِ اَللَّهِ وَحِكْمَتِهِ. فَفُسِّرَ بِإِنْكَارِ اَلْحِكْمَةِ... إلخ.

هذا الكلام ذكره المصنف عن ابن القيم من زاد المعاد باختصار.. وهو تفسير لآية آل عمران.. قال الشيخ سليمان في تيسير العزيز الحميد: "ذكر المؤلف تفسير ابن القيم لهذه الآية، وهذا أحسن ما قيل فيها".

قوله: (**يُديل الباطل على الحق إدالة مستقرة**).. أي يجعل الدائرة والغلبة للباطل على الحق ثابتة دائمة.

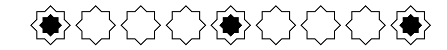
قوله: (**ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتًا على القدر...**).. تعنتًا: أي اعتراضًا.. وهذا يقع كثيرًا.. ومنه قول البعض: "فلان ما يستاهل".

قال ابن القيم: "فمن قنط من رحمته، وأيس من رَوحه فقد ظن به (ظن السوء)، ومن جوّز عليه أن يعذب أولياءه مع إحسانهم وإخلاصهم ويسوي بينهم وبين أعدائه فقد ظن به (ظن السوء)، ومن ظن أنه يترك خلقه سدى معطلين عن الأمر والنهي، ولا يرسل إليهم رسله، ولا

---

(١) تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم (٧/ ٣٢٩).

ينْزل إليهم كتبه فقد ظن به (ظن السوء)، ومن ظن أنه لن يجمعهم بعد موتهم للثواب والعقاب فقد ظن به (ظن السوء)، ومن ظن به أن يكون له في ملكه ما لا يشاء ولا يقدر على إيجاده وتكوينه فقد ظن به (ظن السوء)، ومن ظن أنه لا سمع له، ولا بصر، ولا علم، ولا إرادة، ولا كلام يقوم به، وأنه لم يكلم أحدًا من الخلق، ولا يتكلم أبدًا فقد ظن به (ظن السوء)، ومن ظن أنه ليس فوق سماواته على عرشه بائنًا من خلقه، وأن نسبة ذاته تعالى إلى عرشه كنسبتها إلى أسفل سافلين، وأنه أسفل كما أنه أعلى، وأن من قال: سبحان ربي الأسفل كمن قال: سبحان ربي الأعلى فقد ظن به (أقبح الظن)، ومن ظن أنه لا يحب، ولا يرضى، ولا يغضب، ولا يوالي، ولا يعادي، ولا يقرب من أحد من خلقه، ولا يقرب عنده أحد، وأن ذوات الشياطين في القرب منه، كذوات الملائكة المقربين فقد ظن به (ظن السوء)... إلخ".[1]



(١) زاد المعاد (٣/ ٢٠٦).

الباب التاسع والخمسون: بَابُ مَا جَاءَ فِي مُنْكِرِي اَلْقَدَرِ

وَقَالَ اِبْنُ عُمَرَ: وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ عُمَرَ بِيَدِهِ، لَوْ كَانَ لأَحَدِهِمْ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا، ثُمَّ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اَللَّهِ مَا قَبِلَهُ اَللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، ثُمَّ اِسْتَدَلَّ بِقَوْلِ اَلنَّبِيِّ ﷺ: (الإِيمَان أَنْ تُؤْمِنَ بِاَللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الأَخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ عُبَادَةَ بنِ اَلصَّامِتِ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ لابْنِهِ: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اَللَّهُ اَلْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اُكْتُبْ. فَقَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اُكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ اَلسَّاعَةُ)، يَا بُنَيَّ سَمِعْتُ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي).

وَفِي رِوَايَةٍ لأحمد: (إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اَللَّهُ تَعَالَى اَلْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اُكْتُبْ. فَجَرَى فِي تِلْكَ اَلسَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ اَلْقِيَامَةِ).

وَفِي رِوَايَةٍ لابْنِ وَهْبٍ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: (فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْقَدَرِ - خَيْرِهِ وَشَرِّهِ - أَحْرَقَهُ اَللَّهُ بِالنَّارِ).

وَفِي اَلْمُسْنَدِ، والسُّنَنِ عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ، قَالَ: أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنِ كَعْبٍ، فَقُلْتُ: فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ اَلْقَدَرِ، فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اَللَّهَ يُذْهِبُهُ مِنْ قَلْبِي. فَقَالَ: لَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا ، مَا قَبِلَهُ اَللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ اَلنَّارِ. قَالَ: فَأَتَيْتُ عَبْدَ اَللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ، وَحُذَيْفَةَ بْنَ اَلْيَمَانِ، وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، فَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي بِمِثْلِ ذَلِكَ عَنْ اَلنَّبِيِّ ﷺ. حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ اَلْحَاكِمُ فِي صَحِيحِهِ.

الشرح:

٥٩ – بَابُ مَا جَاءَ فِي مُنْكِرِي اَلْقَدَرِ

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

الباب الذي قبله في سوء الظن بالله، وإن من سوء الظن بالله إنكار القدر..

خلاصة الباب:

أن الإيمان بالقدر إيمانٌ بربوبية الله سبحانه، فمن أنكره فقد كفر بربوبية الله سبحانه.

تعريف القَدَر:

في اللغة: من التقدير، وهو وضع الشيء على نحو ما يريده واضعه.

اصطلاحًا: هو علم الله السابق بالأشياء، وكتابته لها في اللوح المحفوظ، وعموم مشيئته، وخلقه للأعيان والصفات القائمة بها.

الفرق بين القضاء والقدر:

قبل وقوع الأمر يُسمى قَدَرًا، وإذا وقع سُمِّيَ قضاءً.. وقيل هما مترادفان.

مراتب القدر.. أربع:

١– العلم.. أي الإيمان بأن الله سبحانه يعلم بالأشياء قبل وقوعها.. فيعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون.

٢– الكتابة.. أي الإيمان بأن الله سبحانه كتب كل ما سيقع في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض.

٣– المشيئة.. أي الإيمان بأن ما شاءه الله كان، وما لم يشأ لم يكن.. وللعبد مشيئة تحت مشيئة الله قال سبحانه: ((لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)).

٤– الخلق.. أي الإيمان بأن الله سبحانه خلق كل شيء.. خلق العباد وأفعالهم.

فمن أنكر أي مرتبة من هذه المراتب فقد أنكر القدر.

منكرو القَدَر على طائفتين:

١– غُلاة القدرية.. أنكروا علم الله السابق..

قالوا بأن الله لا يعلم بالأمر قبل حدوثه، وهو المراد بقولهم: الأمر أُنُف. أي مستأنف، بمعنى أنه أمر جديد من غير أن يكون سبق به علمٌ من الله.. وهؤلاء هم الذين قال فيهم ابن عمر: أخبرهم أني بريء منهم.

وإنكارهم لعلم الله يلزم منه إنكارهم لكتابة المقادير.. فهؤلاء كفروا وخرجوا من الإسلام.[١]

شبهة:

يستدل البعض بأن علم الله ليس بسابق بقوله تعالى: ((وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ))، وحديث الاستخارة: (إن كنت تعلم أن هذا الأمر....) رواه البخاري..

الجواب:

أولاً: ينبغي ردّ النصوص المتشابهة للمحكمة، فقد ثبت علم الله السابق في نصوص محكمة، منها إخباره عن أشياء قبل وقوعها، نحو: ((الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ)) وحصل ذلك في أول مبعثه ﷺ وقيل يوم بدر[٢].. وقوله: ((قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)) ولم يستطيعوا.

---

(١) رُوي عن عمرو بن عبيد وهو أحد أئمة القدرية الكبار أنه يقول: إن كانت تبت يدا أبي لهب في اللوح المحفوظ فما لله على ابن ادم حجة.. وقال لما ذكر حديث ابن مسعود ﷺ: "حدثني الصادق المصدوق... الحديث" وقد رواه الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود عن النبي ﷺ.. قال: لو سمعت الأعمش يقول هذا لكذّبته، ولو سمعته من زيد بن وهب لما صدّقته، ولو سمعت ابن مسعود يقوله لما قبلته، ولو سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا لرددته، ولو سمعت الله – عز وجل – يقول هذا لقلت: ليس على هذا أخذت ميثاقنا.. ا.هـ قبّحه الله. انظر: تاريخ بغداد (١٢/ ١٦٩).

(٢) في سنن الترمذي: "فلما أنزل الله تعالى هذه الآية، خرج أبو بكر الصديق يصيح في نواحي مكة {الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين}. قال ناس من قريش لأبي بكر: فذلك بيننا وبينكم، زعم صاحبك أن الروم ستغلب فارس في بضع سنين، أفلا نراهنك على ذلك، قال: بلى، وذلك قبل تحريم الرهان، فارتهن أبو بكر والمشركون وتواضعوا الرهان، وقالوا لأبي بكر: كم تجعل البضع ثلاث سنين إلى تسع سنين، فسم بيننا وبينك وسطا تنتهي إليه، قال: فسموا بينهم ست سنين، قال: فمضت الست سنين قبل أن يظهروا، فأخذ المشركون رهن أبي بكر، فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس، فعاب المسلمون على أبي بكر تسمية ست سنين، لأن الله تعالى قال: ((في بضع سنين))، قال: وأسلم عند ذلك ناس كثير". قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح غريب".. وحسّنه الألباني.

ثانيًا: معنى ((ولو علم الله فيهم خيرًا لأسمعهم)) أي لو كان فيهم خير لعلمه الله، ولكن لعلمه أن لا خير فيهم لم يُسمعهم.. وهذا من أساليب العربية كقول: لو أعلم أنك تسمع لكلمتك.

وأما حديث الاستخارة: قال ابن حجر: "وقوله (إن كنت تعلم) بأن الشك في أن العلم متعلق بالخير أو الشر لا في أصل العلم" ا.هـ[1]. أي التردد ليس معناه هل علم أم لم يعلم، بل معناه: هل علم أن هذا الأمر خير أم علم أنه شر.

٢- **متأخرو القدرية ومنهم المعتزلة**.. أنكروا خلق الله سبحانه لأفعال العباد..

قالوا بأن الله لم يخلق أفعال العباد وإنما العباد هم الذين يفعلونها.. فهؤلاء سُمُّوا بمجوس هذه الأمة؛ لأن المجوس يقولون: الكون له خالقان خالق الخير وخالق الشر.. وهم قالوا: بأن الله خلق العبد، والعبد خلق فعله.. فأثبتوا خالقَين.. وحكمهم أنهم مبتدعة.[2]

فائدة:

قال ابن أبي العز: "كل أحاديث القدرية المرفوعة ضعيفة، وإنما يصح الموقوف منها" ا.هـ[3]

منها حديث ابن عمر عن النبي ﷺ قال: (القدرية مجوس هذه الأمة: إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم) رواه أبو داود وحسّنه الألباني..

مراتب التقدير الإلهي:

١- التقدير العام الأزلي.. وهو الذي في اللوح المحفوظ. (لا يتغيّر ولا يتبدّل).

---

(١) وهناك طائفة أنكرت مشيئة العبد وإرادته وهم الجَبْرية.. وهم قسمان:

١- الجهمية.. وهم الذين ينفون مشيئة العبد، فهو مجبور على أفعاله كالريشة في مهب الريح.

٢- فتح الباري (١١/ ١٨٦).

(٢) وهناك طائفة أنكرت مشيئة العبد وإرادته وهم الجَبْرية.. وهم قسمان:

١- الجهمية.. وهم الذين ينفون مشيئة العبد، فهو مجبور على أفعاله كالريشة في مهب الريح.

٢- الأشاعرة والماتريدية.. يقولون للعبد مشيئة لكنها لا تؤثِّر في المقدور.. فانكسار الزجاج مثلاً وقع بقَدَر الله لا بفعل العبد.. لذا إثباتهم لمشيئة العبد إثبات لفظي.

(٣) شرح الطحاوية تحقيق الأرناؤوط (٢/ ٣٥٨).

وابن أبي العز هو أبو البركات محمد بن عز الدين أبي العز، الحنفي، شارح الطحاوية (ت ٧٩٢ هـ).

ودليله قوله تعالى: ((يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ))، وقوله ﷺ: (كتب الله مقادير الخلائق قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء) رواه مسلم..

٢- التقدير البشري.. وهو الحاصل حينما أخذ الله عز وجل الميثاق على ذرية آدم.

ودليله قوله تعالى: ((وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ..)). وقوله ﷺ: (إن الله أخذ ذرية آدم من ظهورهم، ثم أشهدهم على أنفسهم، ثم أفاض بهم في كفَّيه، ثم قال: هؤلاء في الجنة، وهؤلاء في النار. فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة، وأهل النار ميسرون لعمل أهل النار) رواه البزار والطبراني وصحّحه الألباني.

٣- التقدير العُمُري.. وهو الذي كُتب على ابن آدم وهو في بطن أُمِّه.

ودليله قوله ﷺ: (إن أحدَكُم يُجمع خلقه فِي بطن أمه أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثمَّ يكون فِي ذَلِك علقَة مثل ذَلِك، ثمَّ يكون فِي ذَلِك مُضْغَة مثل ذَلِك، ثمَّ يُرْسل الْمَلك فينفُخ فِيهِ الرّوح وَيُؤمر بِأَرْبَع كَلِمَات: بكتب رزقه، وأجله، وَعَمله، وشقي أَو سعيد... الحديث) متفق عليه.

٤- التقدير السنوي.. وهو الذي يقدِّره الله في ليلة القدر من كل سنة.

ودليله قوله تعالى: ((إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ)).

٥- التقدير اليومي.. وهو الوارد في قوله تعالى: ((كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ)).

تنبيه:

التقدير الأزلي لا يتغيّر ولا يتبدّل، أما التقديرات الأخرى فيكون فيها تعليق، فيمحو الله ما يشاء منها ويُثبت.. ويدلُّ على ذلك قوله ﷺ: (لا يردُّ القضاءَ إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البِّر) رواه الترمذي وحسنه الألباني.

قال شيخ الإسلام: "والثاني ما كتبه وأعلم به الملائكة، فهذا يزيد وينقص بحسب الأسباب، فإن العبد يأمر الله الملائكة أن تكتب له رزقا، وإن وصل رحمه زاده الله على ذلك، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: (من سرّه أن يبسط له في رزقه، ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه)،

وكذلك عُمُرُ داودَ زاد ستين سنة فجعله الله مائة بعد أن كان أربعين، ومن هذا الباب قول عمر: اللهم إن كنت كتبتني شقيًّا فامحُني واكتبني سعيدا، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت" ا.هـ(١)

هل يجوز الخوض في القَدر والبحث فيه بالعقل؟

قال البغوي (رحمه الله): "القدر سر من أسرار الله تعالى لم يطلع عليه ملكًا مقربًا، ولا نبيًا مرسلاً، ولا يجوز الخوض فيه والبحث عنه بطريق العقل، بل يعتقد أن الله تعالى خلق الخلق، فجعلهم فريقين: أهل يمين خلقهم للنعيم فضلاً، وأهل شمال خلقهم للجحيم عدلاً. قال الله تعالى: ((وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ))" ا.هـ(٢). وقد سأل رجل علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر. قال: "طريق مظلم، فلا تسلكْه". فأعاد السؤال فقال: "بحر عميق لا تلجْه". فأعاد السؤال فقال: "سر الله خفي عليك فلا تفتشْه" ا.هـ(٣)

قال الشيخ صالح الفوزان (حفظه الله): "ولا يجوز للمسلم أن يدخل في تفاصيل القدر ويفتح على نفسه باب الشُّكوك والأوهام، بل يكفيه أن يؤمن بالقدَر كما أخبر الله سبحانه وتعالى وكما أخبر رسولُه ﷺ أنّ كلَّ شيء بقضاء الله وقدره، ولا يدخل في التفاصيل والأسئلة: لماذا كذا ولماذا كذا، لأنّه لن يصل إلى نتيجة، لأنّ الأمر كما يقول عبد الله بن عبّاس – رضي الله تعالى عنهما –: "القدر سِرُّ الله" سِرٌّ لا يعلمه إلاّ الله سبحانه وتعالى.. فالواجب علينا: أن نؤمن به، ولا ندخل في تفاصيله، بل نكتفي بالإيمان به على ما جاء في الدليل من كتاب الله وسنّة رسوله" ا.هـ(٤)

وَقَالَ اِبْنُ عُمَرَ: وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ عُمَرَ بِيَدِهِ، لَوْ كَانَ لأَحَدِهِمْ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا، ثُمَّ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اَللَّهِ مَا قَبِلَهُ اَللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، ثُمَّ اِسْتَدَلَّ بِقَوْلِ اَلنَّبِيِّ ﷺ: (الإِيْمَان أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الأَخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٥٤٠).

(٢) شرح السنة للبغوي (١/ ١٤٤).

(٣) أثر علي رضي الله عنه جاء في عدّة مصنفات، منها: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/ ٦٩٥)، وتحفة الأحوذي (٦/ ٢٧٩).

(٤) إعانة المستفيد (٢/ ٢٥٤).

الشاهد: أن النبي ﷺ عدّ الإيمان بالقدر من أركان الإيمان، فمن أنكره لم يكن مؤمنًا.

والحديث اختصره المصنف، واقتصر على الشاهد.. ولفظه: "عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحِمْيَري حاجين أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوُفِّق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي، أحدنا عن يمينه، والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي، فقلت: يا أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قِبَلنا أناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم، وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أُنُف. قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر: لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا فأنفقه، ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر. ثم قال: حدثني أبي عمر بن الخطاب.... وذكر الحديث.

قوله: "لو كان لأحدهم مثل أحد ذهبًا ... إلخ".. هذا قول ابن عمر لغلاة القدرية الذين أنكروا علم الله السابق.

قال القرطبي: "ولا شك في تكفير من يذهب إلى ذلك، فإنه جحد معلوم من الشرع بالضرورة" ا.هـ[(١)]

قال شيخ الاسلام: "قال فيهم الأئمة كمالك والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم: إن المنكرين لعلم الله المتقدم يكفرون" ا.هـ[(٢)]

قال في تيسير العزيز الحميد: "وهذا المذهب قد تُرك اليوم، فلا يُعرف من ينسب إليه من المتأخرين من أهل البدع المشهورين".

قوله: (وتؤمن بالقدر خيره وشره).. كيف الجمع بينه وبين قوله ﷺ في دعاء الاستفتاح: (لبيك وسعديك والخير كله في يديك، والشر ليس إليك) رواه مسلم؟

الجواب:

إثبات الشر في القدر إنما هو بالإضافة إلى العبد.. أما بالإضافة إلى الرب سبحانه وتعالى، فكله خير وحِكْمة.

---

(١) المفهم في شرح مسلم (٥١/١).

(٢) مجموع الفتاوى (٨/ ٤٥٠).

مثال: قطع يد السارق.. هذا القدر شرٌّ للسارق، ولكنه خيرٌ وحكمة من الله سبحانه.. فهو خيرٌ للسارق ولغيره، خيرٌ للسارق بإسقاط العقوبة عنه يوم القيامة.. وخيرٌ لغيره لحفظ الأموال..

وَعَنْ عُبَادَةَ بنِ اَلصَّامِتِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لابْنِهِ: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اَللَّهُ اَلْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اُكْتُبْ. فَقَالَ..... الحديث.

تخريج الحديث ودرجته.. رواه أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم.. صحّحه الألباني وغيره..

في تيسير العزيز الحميد: "وقد بيض المصنف في آخر هذا الحديث ليعزوه، وقد رواه أبو داود وهذا لفظه، ورواه أحمد والترمذي وغيرهما".

وقد جاء في رواية أحمد من طريق الوليد بن عبادة قال: دخلت على عبادة، وهو مريض أتخايل فيه الموت فقلت: يا أبتاه أوصني واجتهد لي. فقال: أجلسوني. فلما أجلسوه قال: "يا بني إنك لن تطعم طعم الإيمان، ولن تبلغ حق حقيقة العلم بالله حتى تؤمن بالقدر خيره وشره". قال: قلت: يا أبتاه وكيف لي أن أعلم ما خير القدر من شره؟ قال: "تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك..." الحديث.

الشاهد: لا يؤمن العبد حتى يؤمن بالقدر، ولن يجد طعم الإيمان حتى يؤمن بالقدر.. وكيفية الإيمان بالقدر: بأن يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.. كما قال النبي ﷺ في حديث جابر ﷺ: (لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه) رواه الترمذي وصحّحه الألباني.

قوله: "يا بُني إنك لن تجد طعم الإيمان... إلخ".. ابنه هذا هو الوليد بن عبادة كما صرّح به أحمد والترمذي.

قوله: "إن أول ما خلق الله القلم"..

مسألة: أيهما خلق أولاً العرش، أم القلم ؟.. على قولين:

ق١: القلم.. اختاره ابن جرير الطبري وابن الجوزي والألباني.

الدليل:

١- قوله ﷺ: (إن أول ما خلق الله القلم)..

٢- حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال: (إن أول شيء خلقه الله القلم، وأمره أن يكتب كل

شيء يكون). رواه الحاكم والبيهقي. وصححه الألباني، وفيه مقال.

ق٢: العرش.. قول جمهور أهل العلم، واختاره ابن تيميه، وابن القيم.

الدليل:

١- قوله ﷺ: (كتب الله مقادير الخلائق قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء) رواه مسلم..

٢- حديث عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال: (كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض) رواه البخاري.

وأجابوا عن الحديث أن معناه: أول ما خلق الله القلم أمره بالكتابة..

وقيل: إن أول ما خلق الله بالنسبة لما نشاهده من المخلوقات هو القلم.

قال ابن حجر: "فيجمع بينه وبين ما قبله بأن أولية القلم بالنسبة إلى ما عدا الماء والعرش، أو بالنسبة إلى ما منه صدر من الكتابة، أي أنه قيل له اكتب أول ما خُلق".[١]

قال ابن القيم في النونية:

والناس مختلفون في القلـــم الذي ... كُتب القضـــاء به من الديـــانِ
هل كان قبل العرش أو هو بعــده ... قولان عند أبي العَلا الهمـــذاني
والحق أن العرش قبـــــــلُ لأنه ... قبل الكتابة كـــان ذا أركـــانِ

قوله: (من مات على غير هذا لم يكن مني).. لأنه إذا كان جاحدًا للعلم القديم فهو كافر..

قال بعض السلف: "ناظروا القدرية بالعلم، فإن أقروا به خُصموا، وإن جحدوا كفروا" ا.هـ[٢]

يُستفاد من أثر عباد بن الصامت ؓ:

الحرص على غرس العقيدة الصحيحة في نفوس الأولاد.. وأن العقيدة الصحيحة هي أهم الوصايا.. وكذا ربطهم بالأدلة؛ حيث استدل ؓ على قوله بالحديث.

وَفِي رِوَايَةٍ لابْنِ وَهْبٍ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: (فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْقَدَرِ - خَيْرِهِ وَشَرِّهِ - أَحْرَقَهُ اَللَّهُ بِالنَّارِ).

---

(١) فتح الباري (٦/ ٢٨٩).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢٣/ ٣٤٩)، طريق الهجرتين (ص: ١٥١).

قوله: "وفي رواية لابن وهب".. ابن وهب هو الإمام الحافظ عبد الله بن وهب من أصحاب الإمام مالك، له مصنفات، منها "الجامع" وغيره، مات سنة ١٩٧هـ وله اثنان وسبعون سنة.

قوله: (أحرقه الله بالنار).. أي: لكفره إن أنكر العلم السابق، أو لبدعته إن كان ممن يقر بالعلم السابق وينكر خلق أفعال العباد، فإن صاحب البدعة متعرض للوعيد كأصحاب الكبائر، بل أعظم.

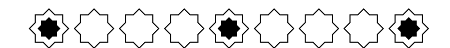
وَفِي اَلْمُسْنَدِ، وَالسُّنَنِ عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ، قَالَ: أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنِ كَعْبٍ، فَقُلْتُ: فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ اَلْقَدَرِ، فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اَللَّهَ يُذْهِبُهُ مِنْ قَلْبِي. فَقَالَ: لَوْ أَنْفَقْتَ..... الحديث.

قوله: وفي "المسند"، أي "مسند الإمام أحمد"، و**"السنن"** أي سنن أبي داود وابن ماجه فقط، بمعنى ما ذكر المصنف، وفيه زيادة اختصرها المصنف.. والحديث صحيح كما صحّحه المصنِّف وصحّحه الألباني.

قوله: (عن ابن الدَّيْلَمي).. هو: عبد الله بن فَيْرُوز الدَّيْلَمي، أحد كبار التّابعين، وأبوه فيروز الذي قتل الأسود العَنْسي الذي ادّعى النبوّة في اليمن، والديلمي نسبة إلى جبل الدَّيْلَم في بلاد فارس، فأصلُه فارسيّ، ممّن جاءوا إلى اليمن من الفُرس، وأسلم وحسُن إسلامُه، وابنُه من كبار التّابعين والأئمّة المشهورين رحمه الله.

قوله: حديث صحيح رواه الحاكم في صحيحه.. لم يروه الحاكم وإنما رواه ابن حبان في صحيحه..

وفي هذا الأثر: وجوب الرجوع إلى العلماء لإزالة الشُّبْهة، وجواز سؤال أكثر من عالم للتأكد، لا لاتباع الرُّخص.



الباب الستون: بَابُ مَا جَاءَ فِي الْمُصَوِّرِينِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (قَالَ اللهُ تَعَالَى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي؛ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً). أَخْرَجَاهُ.

وَلَهُما عَنْ عَائِشَةَ – رضي الله عنها – أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهِئُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ).

وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما –: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ).

وَلَهُمَا عَنْهُ – مَرْفُوعًا –: (مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا، كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ).

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ أَبِي الهَيَّاجِ قَالَ: قَالَ لِي عَلِيٌّ ﷺ: أَلا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَلا تَدَعَ صُورَةً إِلا طَمَسْتَهَا، وَلا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلا سَوَّيْتَهُ).

الشرح:

٦٠ – بَابُ مَا جَاءَ فِي الْمُصَوِّرِينِ

أي من الوعيد.

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

الباب السابق في منكري القدر ومن مراتب القدر: الإيمان بأن الله خلق الخلق، وهذا الباب في التصوير وما فيه من مضاهاة خلق الله.

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد.. من جهتين:

١– من جهة المضاهاة، أي المشابهة.. فإن الله سبحانه هو الذي خلق الخلق وصوّرهم فأحسن صورهم، والذي يُصوِّر قد شارك الله في هذه الصفة.. إلا أنّ تصوير الله كامل وتصوير الخلق ناقص.

٢– أنه وسيلة للشرك.. فإن أول شرك في بني آدم كان سببه الصُّور..

خلاصة الباب:

تحريم التصوير، والوعيد الشديد للمصورين..

فأما تحريم التصوير فلسببين:

١– من جهة المضاهاة.. في قوله: (يخلق كخلقي) وقوله: (يُضاهئون بخلق الله).

٢– أنه وسيلة للشرك في قوله: (لا تدع صورة إلا طمستها ولا قبرًا مشرفًا إلا سوّيته) حيث ربط الصور بالقبور.

وأما الوعيد الشديد.. فذكر ثلاثة:

١– بأنهم أظلم الناس. ٢– وأنهم أشد الناس عذابًا. ٣– وأنهم موعودون بالنار والعذاب المستمر.

أنواع التصوير:

١– تصوير ما ليس له روح.. وهو نوعان:

أ / نوع غير نامٍ، أي لا ينمو.. كالجبال والبحار.. فيجوز تصويرها بالاتفاق.

ب / نوع نامٍ، أي ينمو.. كالنبات.. ففي تصويرها قولان:

ق١: لا يجوز.. قول مجاهد (رحمه الله).

لحديث: (ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي؛ فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة).

ق٢: يجوز.. جمهور العلماء.

لقوله ﷺ: (إن أصحاب هذه الصور يُعذَّبون يوم القيامة، يُقال لهم: أحيوا ما خلقتم) متفق عليه(١).. فدلّ على أن المراد تصوير ما فيه روح.. وقول ابن عباس للمصوِّر: "إن كنت لا بد فاعلا فاصنع الشجر وما لا نفس له" رواه مسلم.

وأما قوله: (ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة) فذُكر على سبيل التحدِّي، أي أنهم عاجزون عن خلق هذه مع صغرها.

٢- تصوير ذوات الأرواح.. ثلاثة أنواع:

أ / **نحت التماثيل**.. محرّم بالإجماع.. ولو لم يقصد المضاهاة.

ب / الرسم باليد.. فيه قولان:

ق١: محرّم.. الأئمة الأربعة.. لعموم أحاديث الباب.

ق٢: جائز.. مذهب القاسم بن محمد.(٢)

لقوله ﷺ: (إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة) وفيه زيادة صحيحة: (إلا رَقْمًا في ثوب). متفق عليه.. ومعنى رقماً في ثوب: أي الصور والنقوش التي تكون على الثياب أو البُسْط ونحوها.

---

(١) وهو حديث عائشة – رضي الله عنها – في الصحيحين: أنها اشترت نمرقة فيها تصاوير، فقام النبي ﷺ بالباب فلم يدخل، فقلت: أتوب إلى الله مما أذنبت، قال: (ما هذه النمرقة؟) قلت: لتجلس عليها وتوسدها، قال: (إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم، وإن الملائكة لا تدخل بيتا فيه الصورة).

(٢) هو القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، أحد فقهاء المدينة السبعة..

وفقهاء التابعين السبعة جمعهم الناظم بقوله:

إذا قيل من في العلم سبعة أبحر.. روايتهم ليست عن العلم خارجة

فقل هم عبيد الله عروة قاسم .. سعيد أبو بكر سليمان خارجة.

عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وعروة بن الزبير، والقاسم بن محمد، وسعيد بن المسيب، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وسليمان بن يسار، وخارجة بن زيد بن ثابت.. وبعضهم جعل سالم بن عبد الله بن عمر بدل أبي بكر، وجعل بعضهم أبا الزناد بدلهما.

وأجيب عنه: بأن معنى الرقْم فسره العلماء رحمهم الله بأمرين:

أحدهما: أنه الصورة التي تكون في البُسط ونحوها فيداس ويمتهن كالوسائد، فهذا معفو عنه، لأن الرسول ﷺ عفا عنه، والمقصود: العفو عن استعماله أما التصوير فلا يجوز.. والثاني: أنه النقوش التي تكون في الثياب من غير الصور.. ا.هـ ذكره ابن باز (رحمه الله).[1]

ج / التصوير بالآلات الحديثة.. فيه قولان:

ق١: محرّم وداخل في التصوير.. قال به ابن إبراهيم وابن باز والألباني والفوزان وغيرهم..

الأدلة:

١- عموم أحاديث النهي، فإنها حرّمت التصوير ولم تُفرِّق.

٢- أن في التصوير بالآلة مضاهاة لخلق الله، بل هو أشد من الرسم.

٣- أن النتيجة صورة، والصور محرّمة، فالتصوير وسيلة للصور، والوسائل لها أحكام المقاصد.

ق٢: ليس محرمًا ولا داخلاً في التصوير.. قول لابن عثيمين (للحاجة) وبعض المعاصرين..

الأدلة:

١- أن نصوص التحريم من أجل مضاهاة خلق الله[2]، والتصوير الفوتوغرافي ليس من مضاهاة خلق الله، فالمضاهاة هو جعل الشيء يُشبه خلق الله، والصورة الفوتوغرافية ليست تشبه الأصل بل هي نفس الأصل، فمن يصور نفسه صورة فوتوغرافية يقول هذه صورتي، و لا يقول هذه تشبهني.

٢- أن التصوير المنهي عنه في النصوص هو جعل الشيء على صورة معينة، والتصوير بالآلة لم يحصل فيه من المصوِّر أي عمل في هذه الصورة وإنما هو ناقل.

٣- القياس على المرآة، فالمرآة يصنعها الآدمي فتعكس الصورة، وكذلك آلة التصوير.. (وهذا استدلال ضعيف).

والأقرب - والله أعلم - أن التصوير بالآلة ليس من مضاهاة خلق الله، ولكن تركه أولى سدًّا للذريعة؛ لأنه وسيلة للشرك، وخاصة تصوير العلماء والعبّاد والكبراء الذين تقع بهم الفتنة.

التصوير بكمرة الفيديو:

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن باز (٨/ ٩٢).

(٢) والنصوص التي حرّمت التصوير مطلقًا تُحمل على النصوص المقيّدة بالمضاهاة.

أجازه للمصلحة ابن باز وابن عثيمين وابن جبرين وغيرهم.. ومنعه البعض.

والأقرب أن ذلك جائز، إلا أن تُستخرج منه صورة ثابتة فيأخذ حكم التصوير الثابت، واجتنابه عمومًا أولى للحديث: (دع ما يَريبك إلى ما لا يَريبك) رواه الترمذي والنسائي وصححه الألباني.

تنبيه:

أُختلف قول ابن عثيمين في المسألة.. فمرّة قال بالجواز كما في شرحه لكتاب التوحيد مع أنه قال بتحريم التصوير للذكرى، ومرّة قال بالمنع احتياطًا كما في الفتاوى (٢/٢٥٤).[1]

حكم الاحتفاظ بالصورة بأي طريقة نتجت:

١- إن كانت لضرورة.. كبطاقة الأحوال والنقود ونحوها.. **جائز**.

للقاعدة: الضرورات تُبيح المحظورات.

٢- إن كانت تابعة ويشق التحرُّز منها.. كالصور التي في الكتب المدرسية، والتي على أغراض المطبخ ونحوها.. **جائز**.

للقاعدة: المشقة تجلب التيسير.. ومن استطاع اجتنابها فذلك أولى، أو تغطيتها وعدم كشفها.

---

(١) سئل الشيخ البراك عن فتوى ابن عثيمين في أنه يقول بجواز التصوير الفوتوغرافي مع أنه يقول بتحريم الصورة للذكرى؟ فأجاب:

فإن القول بجواز التصوير بالكاميرا مع تحريم اقتناء الصورة فيه نوع تناقض، مما يدل على أن قوله بجواز التصوير ليس هو فيه على طمأنينة.. ويؤيد ذلك أنه نص في جوابه المفصّل المشار إليه على أن التصوير بالكاميرا من المتشابهات، حيث قال بعد ذكر الخلاف: "والاحتياط الامتناع من ذلك، لأنه من المتشابهات، ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه"... وبناء على ما تقدم يتبين أنه لا يصح إطلاق نسبة القول بجواز التصوير بالكاميرا إلى الشيخ، فإما أن يقال: (عنه في ذلك روايتان)، أو يقال: (إن قوله بالجواز لم يكن مطمئناً إليه وإن احتج له ببعض الشبهات العقلية، فقد ذكر القولين وحجج الفريقين، ومال في أغلب أجوبته إلى القول بالجواز).. وقد اشتهر عنه القول بالجواز، وأخذ بذلك كثير من طلاب العلم وغيرهم تقليداً، كما تعلق به أصحاب الأهواء الذين لا يأخذون من أهل العلم إلا ما يوافق أهواءهم، فعمت البلوى بهذا التصوير واستباحه أكثر الناس؛ جهلاً وتقليداً وهوى، وهذا كله لا يضر الشيخ، فهو علاّمة مجتهد متحرٍّ للحق، فأمره دائر بين الأجر والأجرين، إن شاء الله.. فإن المجتهد إن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد.. والمقلدون للشيخ لم يمعنوا النظر في سائر أجوبته، لذلك لم يعرفوا حقيقة مذهبه في هذه المسألة.. وأما أصحاب الأهواء فلا يعنيهم التحقق من مذهب العالم وفتواه، بل يكفيهم أن يظفروا منه بما يوافق مرادهم ويصلح للتشبث به لترويج باطلهم!.. (موقع الشيخ البراك).

٣- إن كانت ممتهنة.. كالتي تُداس وتوضع على الوسائد والبساط.. **جائز** (أي استخدامها، أما تصويرها فلا يجوز).. ذكره ابن باز.

لحديث عائشة أنها كانت اتخذت على سهوة لها سترا فيه تماثيل، فهتكه النبي ﷺ، فاتخذت منه نمرقتين، فكانتا في البيت يجلس عليهما. رواه البخاري.

٤- إن كانت لغير حاجة.. **محرّم**.

لقوله ﷺ: (إن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب ولا صورة) متفق عليه.

قال النووي: "قال العلماء: سبب امتناعهم من بيت فيه صورة، كونها معصية فاحشة، وفيها مضاهاة لخلق الله تعالى" ا.هـ(١)

مسألة:

ألعاب الأطفال التي تكون على صورة أو تمثال؟

الجمهور على أن لُعَب الأطفال مستثناة من التحريم؛ لحديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ، وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن منه، فَيُسَرِّبُهُنَّ إليَّ فيلعبن معي. متفق عليه.. وقالت: قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك، أو خيبر وفي سهوتها ستر، فهبت ريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة لُعَب، فقال: (ما هذا يا عائشة؟). قالت: بناتي، ورأى بينهن فرسا له جناحان من رقاع، فقال: (ما هذا الذي أرى وسطهن؟)، قالت: فرس، قال: (وما هذا الذي عليه؟)، قالت: جناحان، قال: (فرس له جناحان؟)، قالت: "أما سمعت أن لسليمان خيلا لها أجنحة؟، قالت: فضحك حتى رأيت نواجذه". رواه أحمد وأبو داود والنسائي وصحّحه الألباني.

وهناك من قال بأن أحاديث جواز لُعَب الأطفال منسوخةٌ بأحاديث التحريم.

وهناك من قال بأن اللُّعَب في ذاك الزمن من الصوف والقطن، ليس تصويرًا دقيقًا لها.. لذا فالعرائس الموجودة الآن وما فيها من دقَّة التصوير يُبتعد عنها.. قاله ابن باز.(٢)

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٤/ ٨٤).

(٢) قال رحمه الله: "إذا استعملت اللعب المعروفة قديماً من القطن ومن الخرق التي ليس فيها تصوير، وليس فيها تشبه بخلق الله، يكون ذلك أحوط وأسلم، وإلا فهذه البنات المصورة في تحريمها نظر، واختلاف كما سمعت أيها السائلة، لكن

وقال ابن عثيمين: "اجتنابها أولى".[1]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (قَالَ اللهُ تَعَالَى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي؛ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً). أَخْرَجَاهُ.

الشاهد: تحريم التصوير؛ لأن فيه مضاهاة لخلق الله سبحانه.

قوله: (**قال الله تعالى**...).. حديث قُدْسي، وقد سبق التفريق بينه وبين الحديث النبوي في الباب الخامس والثلاثون (باب الرياء).

قوله: (**ومن أظلم ممّن ذهب يخلق كخلقي**).. (من): اسم استفهام والمراد به النفي؛ أي: لا أحد أظلم، وإذا جاء النفي بصيغة الاستفهام كان أبلغ من النفي المحض..

مسألة: كيف يجمع بين هذا الحديث وبين قوله تعالى: ((وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا...))، وقوله تعالى: ((وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا...)) ونحوها؟.. أُجيب بعدة أجوبة منها:

١- أن هذه الأفعال والأقوال مشتركة في الأظلمية.. أي أنها كلها في قِمّة الظلم.

٢- أن الأظلمية نسبية.. أي أنه في هذا العمل لا أحد أظلم منه.

قوله: (**فليخلقوا ذرّة**).. الذرّة: واحدة الذرّ، وهي النمل الصغار.. واللام للأمر، والمراد به التحدّي.

قوله: (**أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة**).. استدل به مجاهد (رحمه الله) على تحريم تصوير النبات.. وسبق التوضيح.

وَلَهُما عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:(أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهِئُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ).

الشاهد: بيان شدّة عقوبة الذين يصورون يضاهئون خلق الله..

من باب الاحتياط ومن باب دع ما يريبك إلى ما يريبك فتركها أولى، واتخاذ لعب أخرى مما كان يفعله الناس مما يتخذ من الأعواد والقطن وأشباه ذلك مما يلعب به البنات والله أعلم". الموقع الرسمي الإمام ابن باز.

(١) قال رحمه الله: "وأما إذا كان كامل الخلقة وكأنما تشاهد إنسانًا ولا سيما إن كان له حركة أو صوت فإن في نفسي من جواز هذه شيئًا؛ لأنه يضاهي خلق الله تمامًا، والظاهر أن اللعب التي كانت عائشة تلعب بها ليست على هذا الوصف، فاجتنابها أولى". مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢/ ٢٧٨).

ولا يُشترط أن يكون قاصدًا للمضاهاة، فمتى حصلت المشابهة ثبت الحكم، فالحكم المقرون بعلة لا يشترط فيه القصد، فمتى وجدت العلة ثبت الحكم. ذكره ابن عثيمين.(١)

وقد جاء في حديث ابن مسعود مرفوعًا في الصحيحين بلفظ: (إن أشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة المصوِّرون).

قوله: (**أشد الناس عذابا**).. فيه إشكال؛ لأن هناك من هو أشد من المصورين ذنْبًا.. وأجيب عنه:

١- أن الحديث على تقدير (مِن) ؛ فقد جاء الحديث بلفظ: (إن مِن أشد الناس عذابا).

٢- أن الأشدِّية لا تعني أن غيرهم لا يشاركهم.. قال تعالى: ((أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ)).

٣- أن هذا محمول على صانع الصورة لتُعبد.

٤- أن هذا محمول على من قصد المضاهاة واعتقد ذلك.

٥- أن الأشدية نسبية.. أي: أشد الذين يصنعون الأشياء عذابا هم الذين يضاهئون بخلق الله.. قال ابن عثيمين: "وهذا أقرب".(٢)

وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما –: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ).

هذا لفظ مسلم.. ولفظ البخاري: (من صوّر صورة فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ فيها أبداً).

الشاهد: بيان عقوبة مصوِّر ذوات الأرواح في الآخرة.

قوله: (**كل مصوّر**).. (كل): أقوى ألفاظ العموم، وأصلها من الإكليل، وهو ما يحيط بالشيء.

---

(١) قال رحمه الله: "وقوله: "يضاهئون": هل الفعل يشعر بالنية بمعنى أنه لا بد أن يقصد المضاهاة، أو نقول: المضاهاة حاصلة سواء كانت بنية أو بغير نيه؟ الجواب: الثاني؛ لأن المضاهاة حصلت سواء نوى أم لم ينو؛ لأن العلة هي المشابهة، وليست العلة قصد المشابهة، فلو جاء رجل وقال: أنا لا أريد أن أضاهي خلق الله، أنا أصور هذا للذكرى مثلا وما أشبه ذلك؛ نقول: هذا حرام؛ لأنه متى حصلت المشابهة ثبت الحكم؛ لأن الحكم يدور مع علته" ا.هـ القول المفيد (٢/ ٤٤٣).

(٢) القول المفيد (٢/ ٤٤٤).

قوله: (**في النار**).. أي أنه مستحق لدخول النار.

قوله: (**يُجعل له بكل صورة صوّرها**).. الباء سببية، أي: بسبب كل صورة صورها.. وقيل: بمعنى (في).

قوله: (**نفسٌ يُعذّب بها في جهنم**).. الذي في صحيح مسلم: (نفسًا) وهو الصواب من حيث الإعراب، فإن (يجعل) ينصب مفعولين فلمّا بُنِيَ للمفعول نصب مفعولاً واحدًا وهو (نفس).. وصفة العذاب بيّنها الحديث التالي:

وَلَهُمَا عَنْهُ – مَرْفُوعًا –: (مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا، كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ).

الشاهد: أن المصوّر عذابه مستمر يوم القيامة لا ينقطع.

المعنى: يُجعل له بكل صورة نفسًا يُعذب بها.. بأن يُقال له انفخ فيها الروح، فيبقى في النار حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ.. وفيه دليل على استمرار عذابه.

وفي الحديث دليل على أن التصوير المحرّم هو ما له روح.

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ أَبِي الهَيَّاجِ قَالَ: قَالَ لِي عَلِيٌّ ﷺ: أَلا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَلا تَدَعَ صُورَةً إِلا طَمَسْتَهَا، وَلا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلا سَوَّيْتَهُ).

الشاهد: وجوب إزالة وسائل الشرك من طمس الصور وتسوية القبور المشرفة.

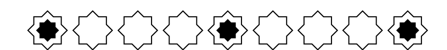
قوله: "**عن أبي الهياج**".. هو الأسدي، حيّان بن حصين تابعي جليل، كاتب علي رضي الله عنه.

قوله: (**إلاّ طمستَها**).. بإتلافها، أو بقطع رأسها، أو بطمس معالم الوجه.. ووضع الخط بين الرأس والعنق لا يكفي للطّمس.

وفيه دليل على أن التحريم هو لصورة الوجه، لأن فيه بديع خلق الله، ولأنه أصل التشريف فالفتنة تكون به.

قوله: (**ولا قبرًا مشرفًا إلا سوَّيته**).. أي سوّيته بالأرض أو سوّيته بما حوله من القبور.. والأخير أقرب.

ويُستفاد من الحديث: أن الصور وسيلة للشرك؛ من حيث ذكرها مع القبور.



الباب الحادي والستون: بَابُ مَا جَاءَ فِي كَثْرَةِ اَلْحَلِفِ

وَقَوْلِ اَللَّهِ تَعَالَى: ((وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ)).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (اَلْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ) أَخْرَجَاهُ.

وَعَنْ سَلْمَانَ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: (ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمْ اَللَّهُ، وَلا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: أُشَيمِطٌ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اَللَّهَ بِضَاعَتَهُ؛ لا يَشْتَرِي إِلا بِيَمِينِهِ، وَلا يَبِيعُ إِلا بِيَمِينِهِ). رَوَاهُ اَلطَّبَرَانِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: (خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ اَلَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ اَلَّذِينَ يَلُونَهُمْ – (قَالَ عِمْرَانُ: فَلا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا ؟) – ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلا يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمْ اَلسِّمَنُ).

وَفِيهِ عَنِ اِبْنِ مَسْعُودٍ ﵁ أَنَّ اَلنَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (خَيْرُ اَلنَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ اَلَّذِين يَلُونَهُمْ، ثُمَّ اَلَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ).

قَالَ إِبْرَاهِيمُ: "كَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى اَلشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ".

الشرح:

٦١ - بَابُ مَا جَاءَ فِي كَثْرَةِ اَلْحَلِفِ

أي: من النهي عنه والوعيد.

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

الباب السابق في التصوير وفيه جانب من عدم تعظيم الله ممن ضاهى بخلق الله، وهذا الباب في النهي عن كثرة الحلف؛ لأن من يُكثر الحلف قد نقص عنده تعظيم الله.

خلاصة الباب: النهي عن الحلف إلا لحاجة؛ لأن ذلك من تعظيم الله سبحانه.

وَقَوْلِ اَللَّهِ تَعَالَى: ((**وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ**)).

قوله: ((**وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ**)).. تفسيرها على أقوال:

ق١: أي لا تحلفوا إلاّ لحاجة، كأن يطلب منه القاضي اليمين لخصمه.. (قبل الحلف).

ق٢: أي احفظوا أيمانكم عن الحَنِث.. (أثناء الحلف).

ق٣: أي احفظوا أيمانكم بالكفّارة إذا حَنِثْتُم.. وقال به شيخ المفسرين (الطبري)[١].. (بعد الحلف).

قال ابن عثيمين: "المراد كلها؛ فتشمل أحوال اليمين الثلاثة".[٢]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (**اَلْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ**).

الشاهد: ذم الحلف عند البيع وأنه سبب لمحق البركة.

قوله: (الحلف).. المراد به الحلف الكاذب؛ كما بينته رواية أحمد: (اليمين الكاذبة).

والمعنى: أن من حلف مادحًا لسلعته سواء بجودتها أو قيمتها وهو كاذب فإنها وإن كانت تُشترى إلا أن الله سبحانه ينزع بركة كسبه.

---

(١) انظر: تفسير الطبري = جامع البيان تحقيق شاكر (١٠/ ٥٦٢).

(٢) القول المفيد (٢/ ٤٥٥).

وَعَنْ سَلْمَانَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: (ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمْ اَللَّهُ، وَلا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: أُشَيمِطٌ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اَللَّهَ بِضَاعَتَهُ؛ لا يَشْتَرِي إِلا بِيَمِينِهِ، وَلا يَبِيعُ إِلا بِيَمِينِهِ) رَوَاهُ اَلطَّبَرَانِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

درجة الحديث: صحيح، صحّحه الألباني وغيره.

الشاهد: أن من أكثر من الحلف في بيعه وشرائه وهو كاذب، لا يكلمه الله يوم القيامة، ولا يزكيه، وله عذاب أليم.

قوله: (**ثلاثة**).. ليس للحصر، وإنما من باب التقريب والتوضيح..

قوله: (**لا يكلّمهم الله، ولا يزكّيهم، ولهم عذاب أليم**).. هذا العقاب قد ذكره الله في سورة البقرة بقوله: ((إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)).

وفي سورة آل عمران بزيادة (ولا ينظرُ إليهم): ((إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)).. وقد وردت أحاديث بذكر الثلاثة مع اختلاف فيهم بزيادة (ولا ينظرُ إليهم) منها:

١- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (ثلاثةٌ لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: رجل على فَضْلِ ماءٍ بالفلاة يمنعه من ابن السبيل، ورجل بايع رجلا بسلعة بعد العصر فحلف له بالله لأخذها بكذا وكذا فصدّقه وهو على غير ذلك، ورجل بايع إماما لا يبايعه إلا لدنيا فإن أعطاه منها وفّى وإن لم يعطه منها لم يفِ) متفق عليه.

٢- عن أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ قال: (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم)، قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرارا، قال أبو ذر: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال: (المُسْبِلُ، والمنّانُ، والـمُنْفِقُ سِلعتَه بالحلف الكاذب) رواه مسلم.

٣- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخٌ زانٍ، وملِكٌ كذّاب، وعائلٌ مُستكبر) رواه مسلم.

قوله: (**لا يكلمهم الله**).. أي لا يكلِّمهم كلام الرِّضا.

في فتح المجيد: "نفْي كلام الرب تعالى وتقدس عن هؤلاء العصاة دليل على أنه يكلم من

أطاعه، وأن الكلام صفة من صفات كماله" ا.هـ[١]

قوله: (**ولا يزكيهم**).. أي لا يُزَكِّيهم ولا يُطهِّرهم من الذنوب بل يأمر بهم إلى النار.

قوله: (**أُشيمط زانٍ**).. تصغير أشْمط، وهو الذي اختلط سواد شعره ببياضه لكبر سنه.. فدافعه للزِّنا ليست غلبة الشهوة، وإنما حُب معصية الله، وخُبْث نفسه.. في فتح المجيد: "صغّره تحقيرًا له".[٢]

قوله: (**وعائل مستكبر**).. العائل هو الفقير.. فدافعه للكِبْر حُب معصية الله، وخُبْث نفسه.

قوله: (**ورجل جعل الله بضاعته**).. عامٌّ للرجال وللنساء، ولكن ذكر الرّجال من باب التغليب.. أي جعل الحَلِف بالله بضاعته؛ وذلك لإكثاره من الحَلِف في البيع والشراء.. وساغ التأويل هنا لأنه ﷺ فسّره بذلك.

قوله: (**لا يشتري إلاَّ بيمينه ولا يبيع إلاَّ بيمينِه**).. تفسير لقوله: جعل الله بضاعته.

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: (خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ اَلَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ اَلَّذِينَ يَلُونَهُمْ – (قَالَ عِمْرَانُ: فَلا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا؟) – ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلا يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمْ اَلسِّمَنُ).

قوله: "**في الصحيح**".. أي في الصحيحين..

الشاهد: أن الاستخفاف بأمر الشهادة يقع بعد القرون المفضّلة.. وهذا ذمٌّ لهم.

قوله: (**خير أمتي قرني**).. أُختلف في تحديد القرن على أقوال منها:

ق١: أن القرن يحدّد بالسنين فكل ١٠٠ عام قرن، وقيل ٨٠...

ق٢: أن القرن يُحدّد بوجود غالب أهله: فقرن الصحابة بوجود غالب الصحابة.. وهكذا.. (شيخ الإسلام).

ق٣: أن القرن يُحدّد بوجود واحد منهم: فقرن الصحابة ينتهي بموت آخرهم.. وهكذا. (ابن عثيمين).

---

(١) فتح المجيد (ص: ٤٨٩).

(٢) فتح المجيد (ص: ٤٩٠).

قال ابن عثيمين: "آخر من مات من الصحابة مات سنة ١٢٠ وهذا القرن الأول، وآخر من مات من التابعين سنة ١٨٠، وآخر من مات من تابعي التابعين سنة ٢٢٠، وهذا منتهى القرن الثالث" ا.هـ "بتصرف".(١)

قوله: (**فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثًا**).. شك من راوي الحديث عمران بن حصين ﷺ، والمشهور في الروايات: أن القرون المفضلة ثلاثة، الثالث دون الأولين في الفضل، لكثرة ظهور البدع فيه، لكن العلماء متوافرون، والإسلام فيه ظاهر، والجهاد فيه قائم.(٢)

قوله: (**ثم إن بعدكم قومًا يشهدون ولا يُستشهدون**).. هذا الشاهد من الحديث؛ لأنّ الشهادة حَلِف، قال تعالى: ((إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ)).. ثم قال: ((اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً))، فسمّى الشهادة يميناً.

فالمعنى: يشهدون بدون أن تُطلب منهم الشهادة؛ فيدل على كثرة شهاداتهم وكثرة حَلِفهم.. والذي يُكثر الشهادة والحَلِف مستخفٌّ بها.

مسألة: في حديث زيد بن خالد الجهني قال ﷺ: (ألا أخبركم بخير الشهداء: الذي يأتي بشهادته قبل أن يُسألها) رواه مسلم. فأثنى على الذي يأتي بالشهادة قبل أن تُطلب منه، وفي حديث الباب ذمٌّ لمن يشهدون بدون أن تُطلب منهم الشهادة.. فما الجواب على هذا الحديث؟

الجواب.. ثلاثة أقوال:

١- محمول على من عنده شهادة لإنسان بحق ولا يعلم ذلك المشهود له.. رجّحه النووي.(٣)

٢- محمول على الشهادة في حقوق الله.. كشهادة رجال الحسبة في غير حقوق الآدميين.

٣- محمول على المجاز والمبالغة في أداء الشهادة بعد طلبها لا قبله.

وربما يقال بأن الحديث الأول في ذمّ الإكثار من الشهادة لغير حاجة، وهذا الحديث في الثناء لمن شهد لإظهار الحق وللحاجة لشهادته.

قوله: (**ويخونون ولا يؤتمنون**).. أي أن الخيانة طبيعة لهم.

---

(١) القول المفيد (٢/ ٤٦٤).

(٢) انظر: فتح المجيد (ص: ٤٩١).

(٣) انظر: شرح النووي على مسلم (١٢/ ١٧).

قوله: (**وينذرون ولا يوفون**).. أي لا يؤدون ما أوجبوه على أنفسهم.

قوله: (**ويظهر فيهم السِّمَن**).. لرغبتهم في الدنيا، والتنعم بها، وغفلتهم عن الدار الآخرة.. أما السِّمن الذي لا اختيار للإنسان فيه فلا يُذمّ عليه.

وَفِيهِ عَنِ اِبْنِ مَسْعُودٍ ﷺ أَنَّ اَلنَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (خَيْرُ اَلنَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ اَلَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ اَلَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ).

قوله: "**وفيه**".. أي في صحيح مسلم.

قوله: (**ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**).. يحتمل ذلك وجهين:

١- أنه لقلة الثقة بهم لا يشهدون إلا بيمين؛ فتارة تسبق الشهادة، وتارة تسبق اليمين.

٢- أنهم لا يبالون بالشهادة ولا باليمين؛ فيكثرون منهما.. وهذا الشاهد.

والمعنيان لا يتنافيان؛ فيحمل عليهما الحديث جميعا. ذكره ابن عثيمين.(١)

قَالَ إِبْرَاهِيمُ: "كَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى اَلشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ".

الشاهد: تعظيم السلف لأمر الشهادة واليمين.

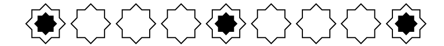
قوله: "**قال إبراهيم**".. أي النخعي، التّابعي الجليل، من تلاميذ ابن مسعود ﷺ.

قوله: (**يضربوننا**).. أي أولياء أمورهم للتربية.

قوله: (**على الشهادة**).. أي يضربونهم إذا سمعوهم يشهدون لكي يعظِّموا أمر الشهادة في قلوبهم.. وهذا يُحمل على المبادرة بالشهادة.

وقوله: (**والعهد**).. أي يضربونهم إذا سمعوهم يعاهدون لكي يعظِّموا أمر العهد في قلوبهم..

يُستفاد: جواز الضرب للتأديب، خلافاً لمن يرى أن الضرب ليس وسيلة تربوية، تقليدًا لنظريات الغرب.



(١) انظر: القول المفيد (٢/ ٤٦٩).

الباب الثاني والستون: بَابُ مَا جَاءَ فِي ذِمَّةِ اَللَّهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ

وَقَوْلِهُ تَعَالَى: ((وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا...)) الآية.

عَنْ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خاصَّتِهِ بِتَقْوَى اَللَّهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ اَلْمُسْلِمِينَ خَيْرًا. فَقَالَ: (اُغْزُوَا بِسْمِ اَللَّهِ فِي سَبِيلِ اَللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاَللَّهِ، اُغْزُوَا وَلا تَغُلُّوا، وَلا تَغْدِرُوا، وَلا تُمَثِّلُوا، وَلا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ اَلْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلاثِ خِصَالٍ (أَوْ خِلالٍ)، فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ[1] اُدْعُهُمْ إِلَى الإِسْلام فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، ثُمَّ اُدْعُهُمْ إِلَى اَلتَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ اَلْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى اَلْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ اَلْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اَللَّهِ تَعَالَى، وَلا يَكُونُ لَهُمْ فِي اَلْغَنِيمَةِ وَالْفَيءِ شَيءٌ، إِلا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ اَلْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْأَلْهُمْ اَلْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَاسْتَعِنْ بِاَللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ. وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ، فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اَللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اَللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اِجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ إِنْ تَخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تَخْفِرُوا ذِمَّةَ اَللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اَللَّهِ، فَلا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اَللَّهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ؛ فَإِنَّكَ لا تَدْرِي أَتُصِيبُ فِيهِمْ حُكْمَ اَللَّهِ أَمْ لا). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) قال في فتح المجيد: كذا وقعت الرواية في جميع نسخ كتاب مسلم: (ثم ادعهم) بزيادة (ثم)، والصواب إسقاطها...

الشرح:

٦٢ – بَابُ مَا جَاءَ فِي ذِمَّةِ اَللَّهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

اليمين والعهد متقاربان، فكلا البابين في تعظيم الله سبحانه من خلال التعامل مع الناس.

خلاصة الباب:

وجوب تعظيم ذمة الله تعالى، وذمة رسوله ﷺ.. ومن ذلك عدم بذلها ولو في أصعب الظروف تعظيمًا لله سبحانه ورعايةً لحق نبيه ﷺ.

معنى الذِّمّة:

الذِّمَّةُ والعهْدُ.. بمعنى الحق والضمان والميثاق.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ((وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا...)) الآية.

الشاهد: أن العهد أمره عظيم حيث أضافه الله لنفسه، وأمر بالوفاء به، ونهى عن نقضه.

قوله: (**بِعَهْدِ اللهِ**).. أضافه إلى نفسه إضافة تشريف.. أي أوفوا بالعهد الذي تلتزمون به، سواء كان بين العبد وربّه، أو بينه وبين الناس.

قوله: (**وَلا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ**).. أي: العهود، لأنّ العهد يسمّى يميناً.

قوله: (**بَعْدَ تَوْكِيدِهَا**).. أي: بعد إبرامها وعقْدِها، فيجب الوفاء بها ولو كانت مع كفّار.

قوله: (**وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً**).. الواو حالية، أي: والحال أنّكم إذا عاهدتّم فقد جعلتم الله كفيلاً عليكم.. لأن الإنسان إذا عاهد غيره قال: أعاهدك بالله، أي أنه جعل الله عليه كفيلا.

عَنْ بُرَيْدَةَ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ إذا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خاصَّتِهِ بِتَقْوَى اَللَّهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ اَلْمُسْلِمِينَ خَيْرًا. فَقَالَ: (أُغْزُوَا بِسْمِ اَللَّهِ.....) الحديث. رواه مسلم

الشاهد: في قوله: (ولا تغدروا)، وفي قوله: (فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه) تعظيمًا لأمر ذمة الله فإنه قد ينقضها من لا يعرف حقها.

قوله: "**وعن بُرَيْدة**".. هو بُريدة بن الحُصَيْب الأسلمي، الصحابي الجليل رضي الله عنه.

قوله: (**على جيش أو سرية**).. الواو للتنويع. والسرية ما كانت أربعمئة فارس أو أقل، والجيش ما كان فوق ذلك.

وقيل: سُمِّيت سرية، لأنها تسري في الليل، ويخفى ذهابها.

قوله: (**ولا تَغلّوا ولا تغدروا ولا تمثِّلوا**)..

الغَلول: الأخذ من الغنيمة قبل قسمتها.

والغدر: نقض العهد.

والتمثيل: التشويه بالقتيل، كقطع أنفه وأذنه والعبث به.

ولا خلاف في تحريم الغلول والغدر، وأما المُثلة فتُكره، وقيل يجوز التمثيل على سبيل المُقابلة لقوله تعالى: ((فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ))، ولأنه قد تكون مصلحة في ذلك من إرهاب الأعداء، ونحو ذلك.. ومال إليه ابن عثيمين (رحمه الله).(١)

قوله: (**ولا تقتلوا وليداً**).. الوليد هو الصغير؛ لأنه لا يقاتل.. وكذلك جاء النهي عن قتل الشيخ الكبير ، وعن قتل النساء ، وعن قتل الرهبان في الصوامع ، إلا أن يُشاركوا في القتال بأي صورة.

قوله: (**فادعهم إلى ثلاث خصال ، أو خلال**).. شك من الراوي، لأن الخلال هي الخصال، وهي: الإسلام، أو الجزية، أو القتال.

قوله: (**ثم ادعهم إلى الإسلام**).. هكذا في جميع نسخ صحيح مسلم (ثم ادعهم) والصواب بإسقاط (ثم) وقد جاء بإسقاطها في سنن أبي داود وغيره..

وقوله: (**ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين**).. يعني المدينة.. خيَّرهم بالهجرة أو البقاء، ولكن إن بقوا فليس لهم نصيب في غنائم المسلمين.

قوله: (**فإن هم أبوا فاسألهم الجزية**).. الجزية: مقدارٌ من المال يدفعه الكافر حتى يُحْقَنَ دمه ويعيش تحت ظلِّ الإسلام وحكم الإسلام، ويبقى على كفره، لكن يكون خاضعاً لحكم الإسلام.

مسألة:

---

(١) انظر: القول المفيد (٢/ ٤٨١).

هل تُؤخذ الجزية من كُلِّ كافر؟

ق١: تؤخذ من كل كافر، عربيًا كان أو غيره، كتابيًا كان أو غيره.. قول مالك واختاره ابن القيم.

الدليل: لعموم قوله في هذا الحديث: (إذا لقيتَ عدوّك من المشركين)، وهذا عامّ يعمّ جميع المشركين.

ق٢: تؤخذ من مشركي العجم، وأما مشركو العرب فلا يُقبل منهم إلاّ الإسلام أو القَتْل.. قول أبي حنيفة.

ق٣: تؤخذ من أهل الكتاب ومن المجوس فقط.. قولُ الشافعي، وظاهر مذهب أحمد.

قوله: (**وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه**...).. أي قال أهل الحصن: نريد أن ننزل على عهد الله ورسوله بأن لا تغدروا بنا.. فإذا طلبوا ذلك فلا توافقهم.

قوله: (**فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم أهون**...).. هذا سبب المنع.. وهو الخوف من عدم الوفاء بعهد الله.. وقوله: (تخفروا) من الإخفار وهو النقض.. وأما الخَفْر فمعناه: الحماية.

قوله: (**وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله**).. أي قالوا: أنزلنا على شرع الله.

قوله: (**فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا**).. أي قل: أنزلكم على اجتهادي؛ لأنك لو قلت: أنزلكم على شرع الله فربما أنك لا تصيب شرع الله؟.. وهذه المسألة اختلف فيها العلماء:

ق١: أن هذا النهي خاص بزمن التشريع، لأن الشريعة لم تثبت بعد، وأما بعد اكتمال الدين فيُنزّلون على حكم الله. وهذا اختيار ابن عثيمين.. وقال: "وإن حصل الاحتراز بأن يقول: ننزّلكم على ما نفهم من حكم الله ورسوله؛ فهو أولى".[١]

(١) القول المفيد (٢/ ٤٨٩).

قال ابن باز: "ولا بأس بأن يقول: سوف أجتهد في إنزالكم على موافقة الشرع، ولكن لا أستطيع أن أُنزلكم على حكم الله؛ لأني قد أُخطئ" ا.هـ[١]

ق٢: أن هذا النهي عام أي: في زمن التشريع وبعد زمن التشريع؛ فلا ينزّلون على حكم الله؛ لأن قائد الجيش وإن اجتهد ؛ فإنه لا يدري أيصيب فيهم حكم الله أم لا..



(١) شرح كتاب التوحيد لابن باز ص (١٦٢).

الباب الثالث والستون: بَابُ مَا جَاءَ فِي الإقْسَامِ عَلَى اللهِ

عَنْ جُنْدُبِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (قَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ لا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلانٍ. فَقَالَ اللَّهُ ﷻ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لا أَغْفِرَ لِفُلانٍ؟ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: "أَنَّ القَائِلَ رَجُلٌ عَابِدٌ".

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: "تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ".

الشرح:

٦٣ – بَابُ مَا جَاءَ فِي الإِقْسَامِ عَلَى اللهِ

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

الباب السابق في وجوب تعظيم ذمّة الله تعالى، وهذا الباب في وجوب تعظيم الله بعدم الإقسام عليه بتحجير رحمته.

خلاصة الباب:

التحذير الشديد من الإقسام على الله بتحجير رحمته؛ لأن ذلك قدْحٌ في جانب الربوبية.

الإقسام: مصدر أقسم يقسم، إذا حَلَف.

الحلف له عدة أسماء:

١– يمين.. قال تعالى: ((لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ)).

٢– أليّة وإيلاء.. قال تعالى: ((لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ)) أي: يحلفون.. ومنه حديث الباب.. في لسان العرب: "الأُلْوَة والأَلْوَة والإِلْوَة والأَلِيَّة عَلَى فعِيلة والأَلِيَّا، كلُّه: اليمين".[1]

٣– حَلِف.. قال تعالى: ((يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ)).

٤– قَسَم.. قال تعالى: ((وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ)).

مسألة:

ما المراد بـ"لا" في قوله: "لا أقسم"؟

ق١: أنها نافية على الأصل.. ومعنى الكلام: لا أقسم بهذا الشيء؛ لأن الأمر أوضح من أن يحتاج إلى قسم.

ق٢: أنها نافية لشيء مقدر.. فمثلاً: ((لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ)) التقدير: لا صحة لما تزعمون من انتفاء البعث.

ق٣: أنها زائدة، والتقدير: أقسم.

ق٤: أنها للتنبيه.. واختاره ابن عثيمين.[2]

---

(١) لسان العرب (١٤/ ٤٠).

(٢) انظر: القول المفيد (٢/ ٤٩٧).

تعريف الإقسام على الله:

أن تحلف على الله أن يفعل، أو تحلف عليه أن لا يفعل.. مثل: والله ليفعلن الله كذا، أو لا يفعل الله كذا.

حكم الإقسام على الله.. نوعان:

١- أن يكون الحامل له هو الإعجاب بالنفس، وتحجير رحمة الله، وسوء الظن به سبحانه.. فهذا محرّم.

وهذا القسم هو الذي ساق المؤلف الحديث له.

٢- أن يقسم على ربه لقوّة رجائه وحُسن الظن بربه.. فهذا جائز.

الدليل: قوله ﷺ: (كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبره، منهم البراء بن مالك) رواه الترمذي وصحّحه الألباني.

ومنه: حديث أنس ﷺ أن الرُّبَيِّع عمَّته كسرت ثنيَّةَ جاريَةٍ، فطلبوا إليها العفو فأبَوا، فعرضوا الأَرْشَ فأبَوا، فأتوا رسول الله ﷺ وأبَوا إلا القِصاص، فأمر رسول الله ﷺ بالقِصاص، فقال أنس بن النضر: يا رسول الله أتُكسَرُ ثنيَّةَ الرُّبَيِّع؟ لا والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها، فقال رسول الله ﷺ: (يا أنس، كتاب الله القِصاص). فرضي القوم فعفوا، فقال رسول الله ﷺ: (إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبرّه) متفق عليه..

ومن ذلك ما ذكره أهل السِّيَر أن الإمام سفيان الثوري: لم يقبل طلب أبي جعفر المنصور بأن يتولّى القضاء فأهدر دمه فهرب منه، فبحث عنه وعلم أنه في مكة، فقدم المنصور إلى مكة وقد أرسل الخشّابين وقال لهم: انصبوا الخشب واقبضوا عليه، فلما سمع بالخشابين ينادون به رفع يديه وقال: "اللهم إني أقسمت عليك أن لا يدخلها أبو جعفر"، وأخذ يكرر دعاءه.. فاستجاب الله دعاءه فمات المنصور وهو على حدود مكة.(١)

عَنْ جُنْدُبِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (قَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ لا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلانٍ. فَقَالَ اللَّهُ ﷻ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لا أَغْفِرَ لِفُلانٍ؟ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ).

(١) قال الذهبي: "هذه كرامة ثابتة".. انظر: سير أعلام النبلاء(٧/ ٢٥١).

الشاهد: أن الله أحبط عمل من أقسم عليه، وحجَّر رحمته.

قوله: "عن جُنْدَب".. بفتح الدّال، ويجوز الضمّ. والمراد به: جندب بن عبد الله البَجَلي رضي الله عنه.

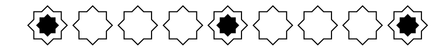
ولفظ الحديث عند أحمد وأبي داود: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين، فكان أحدهما يذنب، والآخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول: أقْصِرْ، فوجده يومًا على ذنب فقال له: أقْصِرْ، فقال: خلِّني وربي أبُعثت علي رقيبا؟ فقال: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الله الجنة، فَقَبض أرواحَهما، فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالما، أو كنت على ما في يدي قادرا؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار). قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته. صحّحه الألباني.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: "أَنَّ القَائِلَ رَجُلٌ عَابِدٌ".
قَالَ أبو هُرَيْرَةَ: "تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ".

تخريج الأثر ودرجته: رواه أحمد وأبو داود.. وصحّحه الألباني.

الشاهد: أن الإقسام على الله بتحجير رحمته سبب لخسارة الدنيا والآخرة.

وفي هذا الحديث: خطورة اللسان.. كما في الحديث: (إن العبد ليتكلم بالكلمة، ما يتبيّن ما فيها، يهوي بها في النار، أبعدَ ما بين المشرق والمغرب) متفق عليه.



الباب الرابع والستون: بَابُ لا يُسْتَشْفَعُ بِاَللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ﷺ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى اَلنَّبِيِّ ﷺ فَقالَ: يَا رَسُولَ اَللَّهِ! نُهِكَتِ الأنْفُسُ، وَجَاعَ اَلْعِيَالُ، وَهَلَكَتِ الأمْوَالُ، فَاسْتَسْقِ لَنَا رَبَّكَ، فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِاَللَّهِ عَلَيْكَ، وَبِكَ عَلَى اَللَّهِ. فَقَالَ اَلنَّبِيُّ ﷺ: (سُبْحَانَ اَللَّه! سُبْحَانَ اَللَّهِ!...). فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: (وَيْحَكَ! أَتَدْرِي مَا اَللَّهُ؟ إِنَّ شَأْنَ اَللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّهُ لا يُسْتَشْفَعُ بِاَللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ... وَذَكَرَ اَلْحَدِيثَ). رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

الشرح:

٦٤ – بَابُ لا يُسْتَشْفَعُ بِاَللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ

أي لا يُطلب من الله أن يشفع عند أحد من خلقه؛ لأن معنى ذلك أن الله لا يستطيع أن ينفعك بنفسه بل هو مجرد وسيط.. تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

الباب السابق في الإقسام على الله بتحجير رحمته، وهذا في الاستشفاع بالله على خلقه، وكلاهما قدح في جانب الربوبية.

خلاصة الباب: تحريم الاستشفاع بالله على أحد من خلقه؛ لما في ذلك من القدح في جانب الربوبية، ولما فيه من الوسيلة إلى الشرك.

بعض صور الاستشفاع بالله على خلقه:

كقول: "واسطتي هو الله".. لمن قيل له: هل عندك واسطة.

وكقول: "جاه الله عليك أن تأكل".. وقول: "وجه الله عليك أن تأكل".. إذا قصد المعنى: أبذلُ جاه الله أو وجه الله إليك لكي تجيبني.[١]

سئل ابن عثيمين (رحمه الله) عن قول الإنسان لضيفه: "وجه الله إلاّ أن تأكل"؟

فأجاب بقوله: "لا يجوز لأحد أن يستشفع بالله – عز وجل – إلى أحد من الخلق، فإن الله أعظم وأجل من أن يستشفع به إلى خلقه، وذلك لأن مرتبة المشفوع إليه أعلى من مرتبة الشافع والمشفوع له، فكيف يصح أن يجعل الله تعالى شافعًا عند أحد؟" ا.هـ[٢]

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ﷺ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى اَلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اَللَّهِ! نُهِكَتِ الأَنْفُسُ، وَجَاعَ اَلْعِيَالُ، وَهَلَكَتِ الأَمْوَالُ، فَاسْتَسْقِ لَنَا رَبَّكَ، فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِاَللَّهِ عَلَيْكَ، وَبِكَ عَلَى اَللَّهِ. فَقَالَ اَلنَّبِيُّ ﷺ: (سُبْحَانَ اَللَّه! سُبْحَانَ اَللَّهِ!...). فَمَا زَالَ..... الحديث.

---

(١) وأما إذا قَصَدَ أسألك بجاه الله أو بوجه الله فليست من باب الاستشفاع، ولكنها تحرم؛ لأن جاه الله عظيم ووجهه عظيم فلا يُسأل به إلا الجنة كما سبق في باب: لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٣/ ١٣٨).

لفظ الحديث عند أبي داود: عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن جده، قال: أتى رسول الله ﷺ أعرابي، فقال: يا رسول الله، جُهِدت الأنفس، وضاعت العيال، ونُهِكت الأموال، وهلكت الأنعام، فاستسق الله لنا، فإنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك، قال رسول الله ﷺ: (ويحك أتدري ما تقول؟)، وسبّح رسول الله ﷺ، فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: (ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك، ويحك أتدري ما الله، إن عرشه على سماواته لهكذا – وقال بأصابعه مثل القبة عليه – وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب).

درجة الحديث: جاء من طرق مختلفة ومدار أسانيدها على جبير بن محمد وهو مجهول، وكذا في سنده محمد بن إسحاق.. قال الذهبي: "هذا حديث غريب جداً فرد، وابن إسحاق حجة في المغازي إذا أسند، وله مناكير وعجائب، فالله أعلم أقال النبي ﷺ هذا أم لا..." ا.هـ[١]

وقد ضعّف الحديث الألباني.

قال ابن باز: "حديث جبير بن مطعم في سنده بعض الضعف، ولكن المعنى صحيح وأنه لا يستشفع بالله على أحد" ا.هـ[٢]

وقد رواه أيضًا الدارمي في الرد على الجهمية، وابن خزيمة، وابن أبي عاصم..

الشاهد: أن النبي ﷺ أنكر على الأعرابي قوله: نستشفع بالله عليك.

قوله: "نُهِكَت الأنفس" وعند أبي داود: "جُهِدَتِ".. يعني: ضعُفت.

قوله: "وجاع العيال، وهلكت الأموال".. وذلك بسبب تأخُّر المطر.

قوله: "فاستسق لنا ربك".. هذا لا بأس به في حياته ﷺ؛ لأن طلب الدعاء من الحي الذي تُرجى إجابته من وسائل إجابة الدعاء..

قوله: "فإننّا نستشفع بالله عليك".. هذه هي الكلمة المنكَرة؛ لأنه جعل الله شافعاً عند الرّسول ﷺ.

(١) العلو للعلي الغفار (ص: ٤٤).

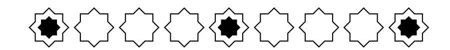
(٢) التعليقات البازية على كتاب التوحيد ص (١١١).

قوله: "وبك على الله".. أي: نطلب منك أن تكون شافعا لنا عند الله، فتدعو الله لنا، وهذا أيضاً لا إنكار فيه في حياة النّبي ﷺ، لا بعد موته.

قوله: فقال النبي ﷺ: (سبحان الله...).. قاله ﷺ استعظاما لهذا القول، وإنكارا له، وتنزيها لله عز وجل عما لا يليق به.. وهذه عادته ﷺ أنّه كان إذا استنكر شيئاً سبّح أو كبّر، وكذا إذا أعجبه شيء.

قوله: "حتى عُرف ذلك في وجوه أصحابه".. أي: أنهم تأثروا بذلك.

قوله: (ويحك).. (ويح) كلمة يُراد بها العِتاب، ويراد بها الشَّفَقة أحياناً.



الباب الخامس والستون: بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ اَلنَّبِيِّ ﷺ حِمَى اَلتَّوْحِيدِ، وَسَدِّهِ طُرُقَ اَلشِّرْكِ

عَنْ عَبْدِ اَللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ رضي الله عنه قَالَ: اِنْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اَللَّهِ ﷺ، فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا. فَقَالَ: (اَلسَّيِّدُ اَللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى). قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلاً، وَأَعْظَمُنَا طَولاً، فَقَالَ: (قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلا يَسْتَجْرِيَنَّكُمْ اَلشَّيْطَانُ). رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ.

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: أَنَّ نَاسًا قَالُوا: يَا رَسُولَ اَللَّهِ، يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، وَسَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا. فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا اَلنَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ اَلشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اَللَّهِ وَرَسُولُهُ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي اَلَّتِي أَنْزَلَنِي اَللَّهُ عز وجل). رَوَاهُ النَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ.

الشرح:

٦٥ – بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ اَلنَّبِيِّ ﷺ حِمَى اَلتَّوْحِيدِ، وَسَدِّهِ طُرُقَ اَلشِّرْكِ

هذا الباب شبيه بالباب الحادي والعشرون (**باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد، وسده كل طريق يوصل إلى الشرك**).. والفرق بينهما:

١- أن ذاك الباب في حماية جناب التوحيد.. أي جوانبه، وهذا الباب في حماية حمى التوحيد.. أي ما يحيط به؛ فبعد أن حمى جوانب التوحيد حمى ما حوله أيضًا.

٢- أن هذا الباب يتعلق بحماية التوحيد من الأقوال المنافية له؛ لأن الأبواب قبله تتعلق بالأقوال.. وذاك الباب يتعلق بحماية التوحيد من الأفعال المنافية له؛ لأن الأبواب قبله تتعلق بالأفعال.

مناسبة هذا الباب للذي قبله:

كلاهما في وجوب تعظيم الله سبحانه.

خلاصة الباب:

بيان حرص النبي ﷺ على حماية التوحيد من كل قادح قولي، أو عملي، أو اعتقادي.

من صور حمايته ﷺ **للأقوال:** نهيه عن الإطراء، وعن قول ما شاء الله وشئت، وقول العبد لسيّده: (ربي) وقول السيّد لعبده: (عبدي)، وغير ذلك.

ومن صور حمايته ﷺ **للأفعال:** نهيه عن إسراج القبور ورفعها، وبناء المساجد عليها، ونهيه عن التصوير، وغير ذلك.

عَنْ عَبْدِ اَللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ ﷺ قَالَ: اِنْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اَللَّهِ ﷺ، فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا. فَقَالَ: (اَلسَّيِّدُ اَللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى). قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلاً، وَأَعْظَمُنَا طَولاً، فَقَالَ: (قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلا يَسْتَجْرِيَنَّكُمْ اَلشَّيْطَانُ). رَوَاهُ أبو دَاوُدَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ.

درجة الحديث: صحيح، صحّحه الألباني وغيره.

الشاهد: أنه ﷺ سدّ باب الغلو في مدحه.. وحذّر من إغواء الشيطان بالزيادة في مدحه.

قوله: عن عبد الله بن الشخّير.. هو عبد الله بن كعب بن عامر بن الشخّير العامري نسبةً إلى قبيلة بني عامر.

قوله: "انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ".. ذلك عام الوُفود، وهو العام التّاسع من الهجرة.

قوله: "فقلنا: أنت سيُّدنا".. السيّد: ذو العظمة والفخر والشرف.

قوله: (**السيد الله تبارك وتعالى**).. لم ينههم عن قولهم: "أنت سيّدنا"، ولكن بيّن لهم أن الله سبحانه هو الأحق بهذا الاسم، وأن لا يزيدوا على ذلك بأن يصفوه بالسيادة المطلقة، لأن السيادة المطلقة لله سبحانه.. وقد جاء عند البخاري قوله ﷺ: (أنا سيّد الناس) وفي لفظ مسلم: (ولد آدم) فسيادته ﷺ مقيّدة، وسيادة الله سبحانه مطلقة.

حكم إطلاق لفظ (**سيد**) **على غير الله.. جائز بقيدين**[1]:

١- أن يُطلق على من هو أهل له.. فلا يجوز إطلاقه على الفاسق حتى ولو كان أعلى مرتبة، أو جاهاً.. قال ﷺ: (لا تقولوا للمنافق: سيِّد، فإنه إن يكُ سيدًا فقد أسخطتم ربكم عز وجل) رواه أبو داود وصحّحه الألباني

٢- أن لا يخشى من إطلاقه محذور من إعجاب المخاطب، وخنوع المتكلم.

قوله: "وأفضلنا فضلاً".. أي: فضلك أفضل من فضلنا.

قوله: "وأعظمنا طَولا".. أي: أعظمنا شرفًا وغنى.. والطَّوْل: الغنى، قال تعالى: ((غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ)) أي: ذي العظمة والغنى.

قوله: (**قولوا بقولكم أو بعض قولكم**).. أي قولوا: أنت سيّدنا أو أنت أفضلنا، وما أشبه ذلك.. فأباح قولهم.

قوله: (**أو بعض قولكم**).. أي: أو اقتصروا على بعضه.

قوله: (**ولا يستجرينّكم الشيطان**).. أي: لا يُجريكم الشيطان معه فيُغويكم بأن تقولوا قولا منكرا.

---

(١) وقد سبق التوضيح في إطلاق لفظ: (سيّد) على غير الله في الباب الثالث والخمسون (باب: لا يقول عبدي وأمتي).

وَعَنْ أَنَسٍ ﷺ: أَنَّ نَاسًا قَالُوا: يَا رَسُولَ اَللَّهِ، يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، وَسَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا. فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا اَلنَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ اَلشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اَللَّهِ وَرَسُولُهُ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي اَلَّتِي أَنْزَلَنِي اَللَّهُ ﷻ). رَوَاهُ النَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ.

درجة الحديث: صحيح، صحّحه الألباني وغيره.

الشاهد: أنه ﷺ سدّ باب الغلو في مدحه.. وحذّر من إغواء الشيطان بالزيادة في مدحه.

قولهم: "يا خيرنا وابن خيرنا..".. معلوم أن والده ﷺ مات على الشرك، فكيف يُقال ذلك؟

الجواب: أرادوا خيرية النسب.

قوله: (ولا يستهوينّكم الشيطان).. مثل قوله تعالى: ((كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ)) والمعنى: لا يستميلنكم الشيطان فتهووه، وتتبعوا طرقه حتى تبلغوا الغلو.

قوله: (أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن.... إلخ).. نهى ﷺ عن المبالغة في مدحه.



الباب السادس والستون (الأخير): بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اَللَّهِ تَعَالَى: ((وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ...)) الآية.

عَنْ اِبْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: (جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اَللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اَللَّهَ يَجْعَلُ اَلسَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسائِرَ اَلْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا اَلْمَلِكُ. فَضَحِكَ اَلنَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ؛ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ اَلْحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ: ((وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...)) الآية. مُتَّفَقٌ عَلَيْه.

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: (وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ، فَيَقُولُ: أَنَا اَلْمَلِكُ أَنَا اَللَّهُ).

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ: (يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ اَلْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ). أَخْرَجَاهُ.

وَلِمُسْلِمٍ: عَنْ اِبْنِ عُمَرَ – مَرْفُوعًا –: (يَطْوِي اَللَّهُ اَلسَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ اَلْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا اَلْمَلِكُ أَيْنَ اَلْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ اَلْمُتَكَبِّرُونَ؟، ثُمَّ يَطْوِي اَلأَرَضِينَ اَلسَّبْعَ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا اَلْمَلِكُ، أَيْنَ اَلْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ اَلْمُتَكَبِّرُونَ؟).

وَرُوِيَ عَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – قَالَ: "مَا اَلسَّمَاوَاتُ اَلسَّبْعُ وَالأَرَضُونَ اَلسَّبْعُ فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ إِلا كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ".

وَقَالَ اِبْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي يُونُسُ، أَخْبَرَنَا اِبْنُ وَهْبٍ قَالَ: قَالَ اِبْنُ زَيْدٍ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: (مَا اَلسَّمَاوَاتُ اَلسَّبْعُ فِي اَلْكُرْسِيِّ إِلا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ).

قَالَ: وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه: سَمِعْتَ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (مَا اَلْكُرْسِيُّ فِي اَلْعَرْشِ إِلا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلاةٍ مِنَ الأَرْضِ).

وَعَنْ اِبْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: "بَيْنَ اَلسَّمَاءِ اَلدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا خمسمئة عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ وَسَمَاءٍ خمسمئة عَامٍ، وَبَيْنَ اَلسَّمَاءِ اَلسَّابِعَةِ وَالْكُرْسِيِّ خمسمئة عَامٍ، وَبَيْنَ اَلْكُرْسِيِّ وَالْمَاءِ خمسمئة عَامٍ، وَالْعَرْشُ فَوْقَ اَلْمَاءِ، وَاللَّهُ فَوْقَ اَلْعَرْشِ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ". أَخْرَجَهُ اِبْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ، عَنْ عَبْدِ اَللَّهِ. وَرَوَاهُ بِنَحْوِهِ اَلْمَسْعُودِيُّ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اَللَّهِ. قَالَهُ اَلْحَافِظُ اَلذَّهَبِيُّ – رَحِمَهُ اَللَّهُ تَعَالَى – قَالَ: وَلَهُ طُرُقٌ.

وَعَنْ اَلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ اَلْمُطَّلِبِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: (هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ اَلسَّمَاءِ وَالأَرْضِ؟). قُلْنَا: اَللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: (بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خمسمئة سَنَةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خمسمئة سَنَةٍ، وَكِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خمسمئة سَنَةٍ، وَبَيْنَ اَلسَّمَاءِ اَلسَّابِعَةِ وَالْعَرْشِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلاهُ كَمَا بَيْنَ اَلسَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَاللَّهُ تَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ، لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ). رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَغَيْرُهُ.

الشرح:

٦٦ – بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اَللَّهِ تَعَالَى: ((وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ...)) الآية.

ختم المصنِّف (رحمه الله) كتاب التوحيد بهذا الباب العظيم الذي يُبيِّن عظمة الله سبحانه، فكتاب التوحيد يبيّن أعمال الشرك والأعمال التي تنافي تعظيم الله، ثم ختم بهذا الباب ليبيِّن سبب ذلك: وهو أنهم ما عرفوا الله حق المعرفة، فلو عرفوا الله حق المعرفة؛ لقدَرُوه حق قَدْره؛ ولَما أشركوا به.

خلاصة الباب:

بيان عظمة الله سبحانه.

قوله: "باب ما جاء".. أي: ما ورد عن النّبي ﷺ، وعن السّلف الصالح في تفسير هذه الآية:

قوله تعالى: ((وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ...)) الآية.

الشاهد: أن المشركين لم يقدروا الله حق قدره، ولم يعرفوه حقّ المعرفة؛ حيث أشركوا به ما كان من مخلوقاته.

قوله: (والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة).. أي أن قبضة يده سبحانه تعمّ جميع الأرض.

عَنْ اِبْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: (جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اَللَّهِ ﷺ فَقالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اَللَّهَ يَجْعَلُ اَلسَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ،..... الحديث.

الشاهد: بيان عظمة الله سبحانه.

قوله: "جاء حَبْر".. الحَبْر يطلق على علماء اليهود.. وهو عام لكل عالمٍ كثير العلم.

قوله: "إنا نَجِدُ".. أي في التوراة.

قوله: "أن الله يجعل السماوات على إصبع... إلخ".. أي يوم القيامة، كما في الآية المستدلّ بها.

قوله: "والماء والثرى على إصبع".. في بعض النسخ: "والماء على إصبع، والثرى على إصبع"، والمثبت هو الموافق لما في الصحيحين.

قوله: "فضحك النّبي ﷺ".. أي: سروراً بهذا؛ لأنّ هذا إقرارٌ من اليهود بما جاء في القرآن.

قوله: "حتى بَدَتْ نواجذُه".. النواجذ هي: أوائل الأضراس، كان ﷺ إذا ضحك يتبسّم فقط، وإذا بالغ في التبسُّم بدت نواجذه.

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: (وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ، فَيَقُولُ: أَنَا اَلْمَلِكُ أَنَا اَللَّهُ).

قوله: (ثم يهزهنّ، فيقول أنا الملك أنا الله).. أي: يهزهنّ هزًّا حقيقيًّا.. جاء في حديث ابن عمر مرفوعًا: (يأخذ الله عز وجل سماواته وأرضيه بيديه، فيقول: أنا الله – ويقبض أصابعه ويبسطها – أنا الملك) قال ابن عمر: حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه، حتى إني لأقول: أساقط هو برسول الله ﷺ؟. رواه مسلم

مسألة:

هل يجوز أن نفعل بأيدينا كما فعل النبي ﷺ؟

الجواب:

قال ابن عثيمين (رحمه الله): "إن هذا يختلف بحسب ما يترتب عليه؛ فليس كل من شاهد أو سمع يتقبل ذهنه ذلك بغير أن يشعر بالتمثيل؛ أما إذا كنا نتكلم مع طلبة علم أو مع إنسان مكابر ينفي هذا ويريد أن يحول المعنى إلى غير الحقيقة؛ فحينئذ نفعل كما فعل الرسول ﷺ" ا.هـ "بتصرف".(١)

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ: (يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ اَلْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ). أَخْرَجَاهُ.

الذي في البخاري: (يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع...).

وليس في هذه الرواية التي أوردها مزيد فائدة، فلو اقتصر على اللفظ الأول لكفى.

قوله: (أخرَجاه).. ذكر في أول الحديث أنه رواية للبخاري، وقال في آخره: (أخرجاه).. وهو كذلك أصله في الصحيحين ولكن باختلاف يسير في الألفاظ.

(١) القول المفيد (٢/ ٥٣١)..

وفي الحديث:

إثبات الأصابع لله سبحانه من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تأويل.. فإنه ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)).

وَلِمُسْلِمٍ: عَنْ اِبْنِ عُمَرَ – مَرْفُوعًا –: (يَطْوِي اَللَّهُ اَلسَّمَاوَاتِ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ اَلْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا اَلْمَلِكُ أَيْنَ اَلْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ اَلْمُتَكَبِّرُونَ؟، ثُمَّ يَطْوِي الأَرَضِينَ اَلسَّبْعَ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا اَلْمَلِكُ، أَيْنَ اَلْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ اَلْمُتَكَبِّرُونَ؟).

الشاهد: بيان عظمة الله سبحانه.

قوله: (يطوي الله السماوات).. كقوله تعالى: ((يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ)) أي كما تُطوى الصحائف على ما كُتب فيها.

قوله: (ثم يأخذهن بشماله).. فيه مسألة:

أثبت في هذا الحديث إن لله سبحانه يدًا يمنى وشمال.. وقد قال رسول الله ﷺ: (إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولُوا) رواه مسلم؟.

الجواب: "على أقوال"

ق١/ كلمة (شمال) اختلف فيها الرواة، فمنهم من قال أنها شاذّة.[١]

ق٢/ أن المعنى أن من حيث البركة والشرف فكلتا يديه يمين، وأما من حيث التسمية فله يمين وله شمال.

قال ابن باز: "وفي هذا إثبات الصفات لله، وأنه سبحانه له يمين وشمال، وأن كلتا يديه يمين، كما في الحديث الآخر، وسمى أحدهما يمينًا، والأخرى شمالاً من حيث الاسم، ولكن من حيث المعنى والشرف كلتاهما يمين سبحانه وتعالى، وليس في شيء منهما نقص" ا.هـ[٢]

---

(١) قال البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٣٩): "وذكر الشمال فيه تفرد به عمر بن حمزة عن سالم. وقد روى هذا الحديث نافع وعبيد الله بن مقسم عن ابن عمر، لم يذكرا فيه الشمال".

(٢) شرح كتاب التوحيد لابن باز ص (١٦٩، ١٧٠).

وَرُوِيَ عَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – قَالَ: "مَا اَلسَّمَاوَاتُ اَلسَّبْعُ وَالأَرَضُونَ اَلسَّبْعُ فِي كَفِّ اَلرَّحْمَنِ إِلا كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ".

تخريج الأثر: رواه ابن جرير الطبري في تفسيره، من طريق عمرو بن مالك النُّكَري وفي توثيقه خلاف.

درجته: صحّحه الشيخ سليمان وقال – بعد أن ذكر سنده –: "هذا الإسناد في نقدي صحيح".[(١)]

قوله: في كفِّ الرحمن.. الذي في تفسير الطبري (في يد الرحمن)، وإثبات الكف للرحمن جاء في حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (ما تصدق أحد بصدقة من طيِّب – ولا يقبل الله إلا الطيِّب – إلا أخذها الرحمن بيمينه، وإن كانت تمرة، فتربو في كفِّ الرحمن حتى تكونَ أعظمَ من الجبل، كما يُرَبِّي أحدكم فَلُوَّه أو فصيله) [رواه مسلم].

قوله: "كخردلة".. الخردلة حبةُ نباتٍ صغيرة جدًّا، يضرب بها المثل في الصغر والقِلَّة.

وَقَالَ اِبْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي يُونُسُ، أَخْبَرَنَا اِبْنُ وَهْبٍ قَالَ: قَالَ اِبْنُ زَيْدٍ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: (مَا اَلسَّمَاوَاتُ اَلسَّبْعُ فِي اَلْكُرْسِيِّ إِلا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ).

درجة الحديث: في سنده عبد الرحمن بن زيد بن أسلم واهي الحديث، وأبوه زيد بن أسلم تابعي فروايته عن رسول الله ﷺ مرسلة.. فالحديث مرسل واهي الإسناد، ضعّفه الألباني وغيره.

قوله: (وقال ابن جرير).. هو محمد بن جرير الطبري، شيخ المفسرين، ولد سنة ٢٢٤هـ، أشهر مؤلفاته: "أخبار الرسل والملوك" المعروف بتاريخ الطبري، و"جامع البيان في تفسير القرآن" المعروف بتفسير الطبري.. توفي سنة ٣١٠هـ.

(حدثني يونس).. هو ابن عبد الأعلى الصدفي، ثقة، مات سنة ٢٦٤ هـ، وله ٩٢ سنة.

(أخبرنا ابن وهب).. عبد الله بن وهب بن مسلم، عالم جليل، لزم الإمام مالكاً أكثر من عشرين سنة، وهو أحد ناشري المذهب المالكي في مصر.. مولده سنة ١٢٥هـ وتوفي سنة ١٩٧هـ.[(١)]

---

(١) ذكر قوله الشيخ حمد العتيق في إبطال التنديد (ص ٣٢٠).

(قال ابن زيد).. هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي.. ضعيف ضعّفه أهل العلم.

(حدثني أبي).. زيد بن أسلم العدوي العمري المدني، من أئمة العلم والحديث، والده أسلم مولى عمر بن الخطاب، توفي سنة ١٣٦ هـ.

قوله: (ما السماوات السبع في الكرسي).. أي بالنسبة للكرسي..

قال ابن عباس- رضي الله عنهما -: "الكرسي موضع قدمي الله تعالى".(٢)

قوله: (إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس).. الدراهم: نقود الفضة، والتُّرس بضم التاء:

قيل: القاع المستدير الأملس كما قاله الزمخشري، ومنه قولهم: "واجهتُ تُرْسًا من الأرض".(٣)

وقيل: صفحة فولاذ تُحمل لاتقاء السيف..

قال في حاشية ابن قاسم: "والمراد الأول، وفيه صغر السماوات بالنسبة إلى الكرسي".(٤)

قَالَ: وَقَالَ أبو ذَرٍّ ﷺ: سَمِعْتَ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (مَا اَلْكُرْسِيِّ فِي اَلْعَرْشِ إِلا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلاةٍ مِنَ الأَرْضِ).

درجة الحديث: رواه زيد بن أسلم عن أبي ذر، وزيد لم يسمع من أبي ذر فهو منقطع.

قوله: (قال: وقال أبو ذر).. أي قال ابن جرير.

قوله: (ما الكرسي في العرش).. أي: بالنسبة إليه.

قال شيخ الإسلام: "العرش مُقبّب، ولم يثبت أنه مستدير مطلقًا، بل ثبت أنه فوق الأفلاك، وأن له قوائم".(٥)

قوله: (كحلْقة من حديد أُلقيت بين ظهري فلاة).. أي أن حَلْقة الدرع صغيرة وليست بشيء بالنسبة إلى صحراء واسعة.

---

(١) وهو الذي ورد عنه قوله: نذرت أني كلما اغتبت إنسانا أن أصوم يوما، فأجهدني، فكنت أغتاب وأصوم، فنويت أني كلما اغتبت إنسانا أن أتصدق بدرهم، فمن حب الدراهم تركت الغِيبة..

قال الذهبي: "قلت: هكذا والله كان العلماء وهذا هو ثمرة العلم النافع". سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٢٨).

(٢) انظر: العلو للعلي الغفار للذهبي (ص: ٧٦)، التوحيد لابن خزيمة (١/ ٢٤٨).

(٣) انظر: تاج العروس (١٥/ ٤٧٨).

(٤) حاشية كتاب التوحيد (ص: ٤٠٠).

(٥) مجموع الفتاوى (٥/ ١٥١).

وَعَنْ اِبْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: "بَيْنَ اَلسَّمَاءِ اَلدُّنْيَا وَاَلَّتِي تَلِيهَا خَمْسُمِئَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ وَسَمَاءٍ خَمْسُمِئَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ اَلسَّمَاءِ اَلسَّابِعَةِ وَالْكُرْسِيِّ خَمْسُمِئَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ اَلْكُرْسِيِّ..... الحديث".

درجة الأثر: صحّحه ابن القيم، وجوّد إسناده الألباني، وقال ابن باز: "حديث صحيح جيد".(١) وقد رواه البيهقي وابن خزيمة والذهبي في العلو وغيرهم.

قوله: "وعن ابن مسعود...".. موقوف على ابن مسعود، وله حكم الرفع؛ لأنه من الأمور التي لا مجال للرأي فيها، وابن مسعود ﷺ لم يُعرف بالأخذ عن الإسرائيليات.

الشاهد: عظم المسافة بين الأرض والسماء، وبين كل المخلوقات العلوية.. فيدلّ على عظمة الخالق سبحانه.

قوله: (بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمئة عام... إلخ).. قال ابن عثيمين (رحمه الله): "وعلى هذا تكون المسافة بين السماء الدنيا والماء أربعة آلاف سنة".(٢)

قوله: (والله فوق العرش).. نصٌّ صريح في إثبات علو الله علوًّا ذاتيًّا.. وقد ذكر ذلك الأئمة رحمهم الله ومن ذلك:

١- ما رواه الحافظ الذهبي في كتاب "العلو". وغيره بالأسانيد الصحيحة عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت في قوله تعالى: ((الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)) قالت: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر. رواه ابن المنذر واللالكائي وغيرهما بأسانيد صحاح.

٢- قال ابن وهب: "كنا عند مالك فدخل رجل فقال: يا أبا عبد الله (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) كيف استوى؟ فأطرق مالك (رحمه الله) وأخذته الرُّحَضاء. وقال: الرحمن على العرش استوى، كما وصف نفسه، ولا يقال: كيف؟ و"كيف" عنه مرفوع، وأنت صاحب بدعة. أخرجوه. رواه البيهقي بإسناد صحيح عن ابن وهب، ورواه عن يحيى بن يحيى أيضًا. ولفظه قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

---

(١) شرح كتاب التوحيد لابن باز (ص ١٧٠).

(٢) القول المفيد (٢/ ٥٣٧).

٣- قال البخاري في "صحيحه": قال مجاهد: استوى: علا على العرش.

٤- قال عبد الله ابن رواحة رضي الله عنه:

شهدت بأن وعـد الله حقٌّ ... وأن النار مثوى الكافرينـا

وأن العرش فوق الماء طافٍ ... وفوقَ العرش ربُّ العالمينا

وتحمله ملائكة شـــــدادٌ ... ملائكةُ الإله مسوِّمينـــا

قال الحافظ الذهبي: "وأول وقت سمعت مقالة مَن أنكر أن الله فوق عرشه: هو الجعد بن درهم، وكذلك أنكر جميع الصفات، وقتله خالد بن عبد الله القسري وقصته مشهورة، فأخذ هذه المقالة عنه الجهم بن صفوان إمام الجهمية، فأظهرها واحتج لها بالشبهات، وكان ذلك في آخر عصر التابعين، فأنكر مقالته أئمة ذلك العصر مثل الأوزاعي، وأبي حنيفة ومالك، والليث بن سعد، والثوري، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وابن المبارك، ومن بعدهم من أئمة الهدى..." ا.هـ[1] (ذكر الأقوال صاحب فتح المجيد).

قوله: (أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله...)..

ابن مهدي هو عبد الرحمن بن مهدي، قال ابن المديني: ما رأيت أعلم منه.. مات سنة ١٩٨هـ.

وحماد هو ابن سلمة بن دينار البصري.. ثقة عابد، مات سنة ١٦٠هـ.

وعاصم هو ابن بهدلة وهو ابن أبي النجود، أحد القراء العشرة للقرآن الكريم، مات سنة ١٢٧هـ.

وزِرّ بن حُبيش ثقة جليل، من قرّاء التابعين، أدرك الجاهلية، مات سنة ٨٣هـ.

والمسعودي هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الكوفي، ثقة.. مات سنة ١٦٦هـ.

وأبو وائل الإمام الكبير شيخ الكوفة، شقيق بن سلمة الأسدي الكوفي، أدرك رسول الله ﷺ ولم يره، أدرك سبعًا من الجاهلية، ومات سنة ٧٢هـ.

قوله: (عن عبد الله).. أي ابن مسعود رضي الله عنه.

---

(١) العرش للذهبي (٢/ ٢١٩).

وَعَنْ اَلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ اَلْمُطَّلِبِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: (هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ اَلسَّمَاءِ وَالأَرْضِ؟). قُلْنَا: اَللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: (بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسُمِئَةِ سَنَةٍ..... الحديث.

المروي عند أبي داود والترمذي عن العباس بن عبد المطلب ﷺ قال: كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله ﷺ، فمرت بهم سحابة، فنظر إليها، فقال: (ما تسمون هذه؟) قالوا: السحاب، قال: (والمزن) قالوا: والمزن، قال: (والعنان) قالوا: والعنان. – قال أبو داود: لم أتقن العنان جيدا – قال: (هل تدرون ما بُعد ما بين السماء والأرض؟) قالوا: لا ندري، قال: (إن بُعْد ما بينهما إما واحدةٌ أو اثنتان أو ثلاثٌ وسبعون سنة، ثم السماء فوقها كذلك)، حتى عدَّ سبع سماوات، (ثم فوق السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماءٍ إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال، بين أظلافِهم ورُكَبِهم مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورِهم العرش ما بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك).. جاء من طريق عبد الله بن عميرة، عن الأحنف بن قيس.. وفيه انقطاع بين ابن عُميرة والأحنف.

درجة الحديث:

هذا الحديث هو المشهور بحديث (الأوعال) صحّحه الترمذي وابن خُزيمة وشيخ الإسلام ابن تيمية والذهبي وابن القيم، وضعّفه بعض أهل العلم منهم الألباني وغيره..

قال ابن باز: "في سنده انقطاع لكنه ينجبر".[1]

وفي فتح المجيد: "له شواهد في "الصحيحين" وغيرهما، ولا عبرة بقول من ضعّفه، لكثرة شواهده التي يستحيل دفعها، وصرفها عن ظواهرها".

وأما الحديث الذي فيه أن المسافة خمسمئة عام فقد جاء عند الترمذي من حديث أبي هريرة وفيه: قال ﷺ: (هل تدرون ما فوقكم؟) قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: (فإنها الرقيع، سقف محفوظ، وموج مكفوف)، ثم قال: (هل تدرون كم بينكم وبينها؟) قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: (بينكم وبينها مسيرة خمسمئة سنة). ثم قال: (هل تدرون ما فوق ذلك؟) قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: (فإن فوق ذلك سماءين، ما بينهما مسيرة خمسمئة عام.... حتى عدَّ سبع سماوات، ما بين كل سماءين ما بين السماء والأرض)، ثم قال: (هل تدرون ما فوق ذلك؟)

---

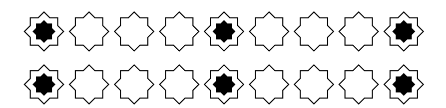
(١) شرح كتاب التوحيد لابن باز ص (١٧٠).

قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: (فإن فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء بُعد ما بين السماءين....) الحديث. رواه عن أبي هريرة الحسن البصري، وقالوا: الحسن لم يسمع من أبي هريرة.. وضعّفه الألباني.

قال في فتح المجيد: "ولا منافاة بينهما؛ لأن تقدير ذلك بخمسمئة عام هو على سير القافلة مثلا، ونيِّفٌ وسبعون سنة على سير البريد" ا.هـ

الشاهد: عظم المسافة بين الأرض والسماء، وبين كل المخلوقات العلوية.. فيدل على عظمة الخالق سبحانه.

وقد حكى شيخ الإسلام وغيره الإجماع على أن السماء مستديرة، والمراد كل واحدة فوق الأخرى محيطة بها، والتي تحتها في وسطها، حتى ينتهي الأمر إلى السفلى، وفي وسطها المركز، وقال: "الأفلاك مستديرة بالكتاب والسنة والإجماع".[1]



فرغتُ من جمع هذا الشرح مساء الخميس العشرين من رجب لعام ١٤٣٤ هـ.. جعله الله من نشر العلم الذي ينفع المسلمين، وينتفع به صاحبه حيًّا وميِّتًا.

والله ولي التوفيق.

وصلى الله على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٥/ ١٩٣).

المصادر

١) إبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد.. المؤلف: حمد بن علي بن عتيق (ت ١٣٠١هـ).. الناشر: دار الكتاب والسنة.. الطبعة السادسة ١٤١٥ هـ.

٢) الأحاديث المختارة.. المؤلف: ضياء الدين المقدسي.. دراسة وتحقيق: د عبد الملك بن عبد الله بن دهيش.. الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.. الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠ هـ

٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية.. المؤلف: محمد بن مفلح.. الناشر: عالم الكتب..

٤) الأربعون النووية.. المؤلف: أبو زكريا النووي.. تحقيق : قصي محمد نورس الحلاق، أنور بن أبي بكر الشيخي.. الناشر: دار المنهاج للنشر والتوزيع، لبنان – بيروت.. الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ

٥) الاستذكار.. المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر.. تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض.. الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.. الطبعة: الأولى، ١٤٢١ – ٢٠٠٠

٦) الاستقامة.. المؤلف: تقي الدين أبو العباس ابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ).. المحقق: د. محمد رشاد سالم.. الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود – المدينة المنورة.. الطبعة: الأولى، ١٤٠٣

٧) الإصابة في تمييز الصحابة.. المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ).. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض.. الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.. الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ

٨) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد.. المؤلف : صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان.. الناشر : مؤسسة الرسالة.. الطبعة : الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

٩) أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري).. المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨ هـ).. المحقق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود.. الناشر: جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي).. الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨ م.

١٠) إعلام الموقعين عن رب العالمين.. المؤلف: ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ).. قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، وشارك في التخريج: أبو عمر أحمد عبد الله أحمد.. الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع.. الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

١١) إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان.. المؤلف: ابن قيم الجوزية (٦٩١ – ٧٥١).. حققه: محمد عزير شمس.. خرج أحايثه: مصطفى بن سعيد إيتيم.. الناشر: دار عالم الفوائد – مكة المكرمة.. الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ

١٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم.. المؤلف: تقي الدين أبو العباس ابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ).. المحقق: ناصر عبد الكريم العقل.. الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان.. الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

١٣) الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل.. المؤلف: موسى بن أحمد بن موسى الحجاوي أبو النجا (المتوفى: ٩٦٨هـ).. المحقق: عبد اللطيف محمد موسى السبكي.. الناشر: دار المعرفة بيروت - لبنان

١٤) أمراض القلب وشفاؤها.. المؤلف: تقي الدين أبو العباس ابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ).. الناشر: المطبعة السلفية – القاهرة.. الطبعة: الثانية، ١٣٩٩هـ

١٥) أَنِيسُ السَّاري في تخريج وَتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحَافظ ابن حَجر العسقلاني في فَتح البَاري.. المؤلف: أبو حذيفة، نبيل بن منصور.. المحقق: نبيل بن مَنصور.. الناشر: مؤسَّسَة السَّماحة، مؤسَّسَة الريَّان، بيروت – لبنان.. الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

١٦) البحر المحيط في التفسير.. المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ).. المحقق: صدقي محمد جميل.. الناشر: دار الفكر – بيروت.. الطبعة: ١٤٢٠ هـ

١٧) البداية والنهاية.. المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (المتوفى: ٧٧٤هـ).. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي.. الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.. الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

١٨) بدائع الفوائد.. المؤلف: ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ).. الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان تاج العروس (١٥/ ٤٧٨)..

١٩) بلوغ المرام من أدلة الأحكام.. المؤلف: ابن حجر العسقلاني.. تحقيق وتخريج وتعليق: سمير بن أمين الزهري.. الناشر: دار الفلق – الرياض.. الطبعة: السابعة، ١٤٢٤ هـ

٢٠) تاريخ ابن معين (رواية الدوري).. المؤلف: أبو زكريا يحيى بن معين البغدادي (المتوفى: ٢٣٣هـ).. المحقق: د. أحمد محمد نور سيف.. الناشر: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي - مكة المكرمة.. الطبعة: الأولى، ١٣٩٩ - ١٩٧٩

٢١) التاريخ الكبير.. المؤلف: محمد بن إسماعيل البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ).. الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن.. طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان

٢٢) تاريخ بغداد.. المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ).. المحقق: الدكتور بشار عواد معروف.. الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت.. الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م

٢٣) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة.. المؤلف: القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت ٦٨٥هـ).. المحقق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب.. الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت.. عام النشر: ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م

٢٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي.. المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (المتوفى: ١٣٥٣هـ).. الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

٢٥) تحفة الإخوان بأجوبة مهمة تتعلق بأركان الإسلام.. المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ).. الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية.. الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ

٢٦) التحفة العراقية في الأعمال القلبية.. المؤلف: تقي الدين أبو العباس ابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ).. الناشر: المطبعة السلفية — القاهرة.. الطبعة: الثانية، ١٣٩٩

٢٧) تحفة المودود بأحكام المولود.. المؤلف: ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ).. المحقق: عبد القادر الأرناؤوط.. الناشر: مكتبة دار البيان — دمشق.. الطبعة: الأولى، ١٣٩١ - ١٩٧١

٢٨) تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس.. المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ).. المحقق: د. عاصم بن عبدالله القريوتي.. الناشر: مكتبة المنار — عمان.. الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ - ١٩٨٣

٢٩) التعليقات البازية على كتاب التوحيد.. المؤلف: علي بن حسين بن أحمد فقيهي.. سنة النشر: ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م.

٣٠) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم.. المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ).. المحقق: أسعد محمد الطيب.. الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية.. الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ

٣١) تفسير القرآن العظيم.. المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (المتوفى: ٧٧٤هـ).. المحقق: سامي بن محمد سلامة.. الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع.. الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م

٣٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد.. المؤلف: دروس ألقاها صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ثم طُبعت.. الناشر: دار التوحيد.. الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

٣٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد.. المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (المتوفى: ٤٦٣هـ).. تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري.. الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية — المغرب.. عام النشر: ١٣٨٧ هـ

٣٤) تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق.. المؤلف : شمس الدين أبو عبد الله الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ).. المحقق : مصطفى أبو الغيط عبد الحي عجيب.. الناشر : دار الوطن – الرياض.. الطبعة : الأولى ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

٣٥) تهذيب التهذيب.. المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ).. الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند.. الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ

٣٦) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد.. المؤلف: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (المتوفى: ١٢٣٣هـ).. المحقق: أسامة بن عطايا العتيبي.. الناشر: دار الصميعي.. الطبعة: الثانية، ١٤٢٩هـ

٣٧) جامع البيان في تأويل القرآن.. المؤلف: محمد بن جرير أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ).. المحقق: أحمد محمد شاكر.. الناشر: مؤسسة الرسالة.. الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

٣٨) جامع الرسائل.. المؤلف : تقي الدين أبو العَباس ابن تيمية (المتوفى : ٧٢٨هـ).. المحقق : د. محمد رشاد سالم.. الناشر : دار العطاء – الرياض.. الطبعة : الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

٣٩) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم.. المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب (المتوفى: ٧٩٥هـ).. المحقق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس.. الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.. الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

٤٠) جامع بيان العلم وفضله.. المؤلف: أبو عمر ابن عبد البر.. تحقيق: أبي الأشبال الزهيري.. الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية.. الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

٤١) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي.. المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ).. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش.. الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة.. الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م

٤٢) الجواهر المضية في طبقات الحنفية.. المؤلف: عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي (المتوفى: ٧٧٥هـ).. الناشر: مير محمد كتب خانه –كراتشي

٤٣) حاشية الأصول الثلاثة.. المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (المتوفى: ١٣٩٢هـ).. الناشر: دار الزاحم.. الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م

٤٤) حاشية كتاب التوحيد.. المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (المتوفى: ١٣٩٢هـ).. الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ

٤٥) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء.. المؤلف: أبو نعيم (المتوفى: ٤٣٠هـ).. الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م

٤٦) الدر المنثور.. المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ).. الناشر: دار الفكر - بيروت

٤٧) درء تعارض العقل والنقل.. المؤلف: تقي الدين أبو العباس ابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ).. تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم.. الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.. الطبعة: الثانية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

٤٨) الدرر السنية في الأجوبة النجدية.. المؤلف: علماء نجد الأعلام.. المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم.. الطبعة: السادسة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م

٤٩) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة.. المؤلف: أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ).. المحقق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان.. الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر اباد/ الهند.. الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م

٥٠) رد المحتار على الدر المختار.. المؤلف: ابن عابدين الحنفي (المتوفى: ١٢٥٢هـ).. الناشر: دار الفكر- بيروت.. الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

٥١) الرد الوافر.. المؤلف: ابن ناصر الدين (المتوفى: ٨٤٢هـ).. المحقق: زهير الشاويش.. الناشر: المكتب الإسلامي — بيروت.. الطبعة: الأولى، ١٣٩٣

٥٢) الرد على الجهمية والزنادقة.. المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ).. المحقق: صبري بن سلامة شاهين.. الناشر: دار الثبات للنشر والتوزيع.. الطبعة: الأولى

٥٣) روضة الطالبين وعمدة المفتين.. المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ).. تحقيق: زهير الشاويش.. الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- عمان.. الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م

٥٤) زاد المسير في علم التفسير.. المؤلف: جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ).. المحقق: عبد الرزاق المهدي.. الناشر: دار الكتاب العربي — بيروت.. الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ

٥٥) زاد المعاد في هدي خير العباد.. المؤلف: ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ).. الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت.. الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م

٥٦) الزهد والورع والعبادة.. المؤلف: تقي الدين أبو العباس ابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ).. المحقق: حماد سلامة ، محمد عويضة.. الناشر: مكتبة المنار – الأردن.. الطبعة: الأولى، ١٤٠٧

٥٧) الزهد.. المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ).. وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين.. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.. الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

٥٨) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها.. المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ).. الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.. الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)

٥٩) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة.. المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ).. دار النشر: دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية.. الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م

٦٠) سنن ابن ماجه.. المؤلف: ابن ماجة.. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.. دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

٦١) سنن أبي داود.. المؤلف: أبو داود.. الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

٦٢) سنن الترمذي.. المؤلف: الترمذي، أبو عيسى.. تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م

٦٣) السنن الصغرى للنسائي.. المؤلف: أبو عبد الرحمن النسائي.. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة.. الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب.. الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦

٦٤) السنن الكبرى.. المؤلف: أبو عبد الرحمن النسائي.. حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، شعيب الأرناؤوط.. الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.. الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ

٦٥) السنن الكبرى.. المؤلف: أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ).. المحقق: محمد عبد القادر عطا.. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات.. الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

٦٦) سير أعلام النبلاء.. المؤلف : شمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ).. المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط.. الناشر : مؤسسة الرسالة.. الطبعة: الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م

٦٧) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة.. المؤلف: أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (المتوفى: ٤١٨هـ).. تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي.. الناشر: دار طيبة — السعودية.. الطبعة: الثامنة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م

٦٨) شرح السنة.. المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٦هـ).. تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش.. الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت.. الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

٦٩) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن).. المؤلف: شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ).. المحقق: د. عبد الحميد هنداوي.. الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض).. الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

٧٠) شرح العقيدة الطحاوية.. المؤلف: ابن أبي العز الحنفي (المتوفى: ٧٩٢هـ).. تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن المحسن التركي.. الناشر: مؤسسة الرسالة — بيروت.. الطبعة: العاشرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

٧١) شرح العقيدة الطحاوية.. المؤلف: عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين (المتوفى: ١٤٣٠هـ).. مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية

٧٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال.. المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ).. تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم.. دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض.. الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

٧٣) شرح كتاب التوحيد لابن باز.. المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ).. الناشر: مكتبة الرشد، الرياض.. الطبعة الأولى ١٤١٥هـ

٧٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى.. المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي (المتوفى: ٥٤٤هـ).. الناشر: دار الفيحاء — عمان.. الطبعة: الثانية - ١٤٠٧ هـ

٧٥) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل.. المؤلف: ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ).. الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان.. الطبعة: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م

٧٦) الصارم المسلول على شاتم الرسول.. المؤلف: تقي الدين أبو العباس ابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ).. المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد.. الناشر: الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية

٧٧) الصَّارِمُ المُنْكِي فِي الرَّدِّ عَلَى السُّبْكِي.. المؤلف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي (المتوفى: ٧٤٤هـ).. تحقيق: عقيل بن محمد بن زيد المقطري اليماني.. الناشر: مؤسسة الريان، بيروت – لبنان.. الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م

٧٨) الصبر والثواب عليه.. المؤلف: ابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ).. تحقيق: محمد خير رمضان يوسف.. الناشر: دار ابن حزم، بيروت — لبنان.. الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م

٧٩) صحيح ابن حبان.. المؤلف: محمد بن حبان.. حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط.. الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.. الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

٨٠) صحيحُ ابن خُزَيمة.. المؤلف: أبو بكر بن خزيمة.. حَققهُ وَخَرّجَ أحَاديثه وَقدَّم له: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي.. الناشر: المكتب الإسلامي.. الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م

٨١) صحيح البخاري.. المؤلف: أبو عبدالله البخاري.. المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر.. دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي).. الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

٨٢) صحيح مسلم.. المؤلف: مسلم بن الحجاج.. محمد فؤاد عبد الباقي.. دار إحياء التراث العربي — بيروت.

٨٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين.. المؤلف: ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ).. الناشر: دار السلفية، القاهرة، مصر.. الطبعة: الثانية، ١٣٩٤هـ

٨٤) العبودية.. المؤلف: تقي الدين أبو العباس ابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ).. المحقق: محمد زهير الشاويش.. الناشر: المكتب الإسلامي — بيروت.. الطبعة: السابعة ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م

٨٥) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين.. المؤلف: ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ).. الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت/مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.. الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م

٨٦) العرش.. المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ).. المحقق: محمد بن خليفة بن علي التميمي.. الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.. الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

٨٧) العلل الواردة في الأحاديث النبوية.. المؤلف: أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ).. تحقيق وتخريج: محفوظ الرحمن زين الله السلفي.. الناشر: دار طيبة – الرياض.. الطبعة: الأولى ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م.

٨٨) العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها.. المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ).. المحقق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود.. الناشر: مكتبة أضواء السلف — الرياض.. الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

٨٩) غريب الحديث.. المؤلف: أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي.. المحقق: الدكتور حسين محمد محمد شرف.. مراجعة: الأستاذ عبد السلام هارون، الأمين العام لمجمع اللغة العربية.. الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة.. الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

٩٠) فتاوى السبكي.. المؤلف: أبو الحسن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٥٦هـ).. الناشر: دار المعارف.

٩١) الفتاوى الكبرى.. المؤلف: تقي الدين أبو العباس ابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ).. الناشر: دار الكتب العلمية.. الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م

٩٢) فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الأولى، والثانية.. المؤلف: اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.. جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش.. الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء - الإدارة العامة للطبع — الرياض

٩٣) فتاوى نور على الدرب.. المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ).. جمعها: الدكتور محمد بن سعد الشويعر

٩٤) فتاوى نور على الدرب.. المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ).

٩٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري.. المؤلف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.. الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩.. رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي.. قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب

٩٦) فتح القدير.. المؤلف: محمد بن علي الشوكاني (المتوفى: ١٢٥٠هـ).. الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت.. الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ

٩٧) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد.. المؤلف: عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (المتوفى: ١٢٨٥هـ).. المحقق: محمد حامد الفقي.. الناشر: مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر.. الطبعة: السابعة، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م

٩٨) الفصل في الملل والأهواء والنحل.. المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (المتوفى: ٤٥٦هـ).. الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة

٩٩) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني.. المؤلف: أحمد بن غانم أو غنيم شهاب الدين المالكي (المتوفى: ١١٢٦هـ).. الناشر: دار الفكر.. الطبعة: بدون طبعة.. تاريخ النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

١٠٠) فيض القدير شرح الجامع الصغير.. المؤلف: زين الدين المناوي (المتوفى: ١٠٣١هـ).. الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر.. الطبعة: الأولى، ١٣٥٦

١٠١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة.. المؤلف: تقي الدين أبو العباس ابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ).. المحقق: ربيع بن هادي عمير المدخلي.. الناشر: مكتبة الفرقان – عجمان.. الطبعة: الأولى (لمكتبة الفرقان) ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١هـ

١٠٢) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى.. المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ).. الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.. الطبعة: الثالثة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م

١٠٣) القول السديد شرح كتاب التوحيد.. المؤلف: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ).. الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية.. الطبعة: الثانية، ١٤٢١هـ

١٠٤) القول المفيد على كتاب التوحيد.. المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ).. الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية.. الطبعة: الثانية، محرم ١٤٢٤هـ

١٠٥) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة.. المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ).. المحقق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب.. الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية - مؤسسة علوم القرآن، جدة.. الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

١٠٦) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل.. المؤلف: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (المتوفى: ٣١١هـ).. المحقق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان.. الناشر: مكتبة الرشد - السعودية – الرياض.. الطبعة: الخامسة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

١٠٧) لسان العرب.. المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور (المتوفى: ٧١١هـ).. الناشر: دار صادر – بيروت.. الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ

١٠٨) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف.. المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب (المتوفى: ٧٩٥هـ).. الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر.. الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م

١٠٩) لقاء الباب المفتوح.. المؤلف : محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى : ١٤٢١هـ).. مصدر الكتاب : دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية

١١٠) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد.. المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ).. المحقق: حسام الدين القدسي.. الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة.. عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م

١١١) مجموع الفتاوى.. المؤلف: تقي الدين أبو العباس ابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ).. المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم.. الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.. عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

١١٢) المجموع شرح المهذب ((مع تكملة السبكي والمطيعي)).. المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ).. الناشر: دار الفكر

١١٣) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز.. المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ).. أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر

١١٤) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين.. جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان.. الناشر : دار الوطن - دار الثريا.. الطبعة : الأخيرة - ١٤١٣ هـ

١١٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.. المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (المتوفى: ٥٤٢هـ).. المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد.. الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.. الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ

١١٦) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين.. المؤلف: ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ).. المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي.. الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت.. الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م

١١٧) مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات.. المؤلف : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (المتوفى : ٤٥٦هـ).. الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت

١١٨) المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام.. المؤلف: تقي الدين أبو العباس ابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ).. جمعه ورتبه وطبعه على نفقته: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم (المتوفى: ١٤٢١هـ).. الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ

١١٩) مسند الإمام أحمد بن حنبل.. المؤلف: الإمام أحمد.. المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون.. إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي.. الناشر: مؤسسة الرسالة.. الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

١٢٠) مسند البزار (البحر الزخار).. المؤلف: أبو بكر البزار.. المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة.. الطبعة: الأولى

١٢١) مصنف عبد الرزاق.. المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق الصنعاني.. المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي.. الناشر: المجلس العلمي- الهند.. المكتب الإسلامي – بيروت.. الطبعة: الثانية، ١٤٠٣

١٢٢) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول.. المؤلف : حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى : ١٣٧٧هـ).. المحقق : عمر بن محمود أبو عمر.. الناشر : دار ابن القيم – الدمام.. الطبعة : الأولى ، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م

١٢٣) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي.. المؤلف : محيي السنة ، أبو محمد الحسين البغوي (المتوفى : ٥١٠هـ).. المحقق : عبد الرزاق المهدي.. الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت.. الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ

١٢٤) معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ.. المؤلف: بكر بن عبد الله أبو زيد (المتوفى: ١٤٢٩هـ).. الناشر: دار العاصمة – الرياض.. الطبعة: الثالثة، ١٤١٧ هـ -١٩٩٦ م

١٢٥) المعجم الوسيط.. المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة.. (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار).. الناشر: دار الدعوة

١٢٦) المغازي.. المؤلف: محمد بن عمر الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ).. تحقيق: مارسدن جونس.. الناشر: دار الأعلمي – بيروت.. الطبعة: الثالثة – ١٤٠٩/١٩٨٩.

١٢٧) المغني لابن قدامة.. المؤلف: أبو محمد موفق الدين ابن قدامة (المتوفى: ٦٢٠هـ).. الناشر: مكتبة القاهرة.. تاريخ النشر: ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م

١٢٨) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة.. المؤلف: ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ).. الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت

١٢٩) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم.. المؤلف: أبو العباس القرطبي.. المحقق: محي الدين ديب مستو – أحمد محمد السيد – يوسف علي بديوي – محمود إبراهيم بزال.. الناشر : دار ابن كثير – دار الكلم الطيب.. الطبعة : الأولى ١٩٩٦ – ١٤١٧

١٣٠) المقتنى في سرد الكنى.. المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ).. المحقق: محمد صالح عبد العزيز المراد.. الناشر: المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.. الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ

١٣١) المنار المنيف في الصحيح والضعيف.. المؤلف: ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ).. المحقق: عبد الفتاح أبو غدة.. الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب.. الطبعة: الأولى، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م

١٣٢) مناقب الإمام أحمد.. المؤلف: جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ).. المحقق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي.. الناشر: دار هجر.. الطبعة: الثانية، ١٤٠٩ هـ

١٣٣) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية.. المؤلف: تقي الدين أبو العباس ابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ).. المحقق: محمد رشاد سالم.. الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.. الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

١٣٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج.. المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ).. الناشر: دار إحياء التراث العربي — بيروت.. الطبعة: الثانية، ١٣٩٢

١٣٥) موطأ الإمام مالك.. المؤلف: الإمام مالك.. صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي.. دار إحياء التراث العربي، بيروت — لبنان.. عام النشر: ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م

١٣٦) النهاية في غريب الحديث والأثر.. المؤلف: مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ).. الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.. تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي

١٣٧) الهداية في شرح بداية المبتدي.. المؤلف: علي بن أبي بكر المرغيناني (المتوفى: ٥٩٣هـ).. المحقق: طلال يوسف.. الناشر: دار احياء التراث العربي - بيروت - لبنان .

١٣٨) الوجيز في شرح كتاب التوحيد.. للشيخ عبد الله بن محمد الصيدلاني.. مذكّرة على موقع صيد الفوائد.

المحتويات